الشيعة في المملكة العربية السعودية

العهد السعودي ١٩٩٣ـ١٩٩١ حمزة الحسن

الاحتلال (١٩١٣)

الروايات السعودية حول كيفية احتلال الاحساء والقطيف متعددة ومتضاربة في كثير من الاحيان، رغم أن مصدر المعلومات كان واحداً في الغالب، وهو ابن سعود نفسه، ومردُّ هذا التضارب، هو أن الملك السعودي يروي كيفية احتلاله كل مرة بطريقة مختلفة حسب مزاجه الشخصي، أو حسب ظروف الطرف المستمع... وقد لاحظ المؤلف الإنجليزي روبرت ليسي كثرة الروايات في احتلال ابن سعود للرياض وتناقضها، وقال بأن الملك يحب أن يضيف ويحذف كل مرة، وضرب أمثلة عديدة يمكن الرجوع إليها في كتابه.

تقول بعض الكتب السعودية[1]، أن الملك عبد العزيز غادر الرياض في ربيع الاول ١٣٣١هـ ــ وتوجه إلى الاحساء لاحتلالها، فلما صار قريبا منها، قابل ضابطا بريطانيا إسمه "جيرارد لينشمن "، وكان قادما من دمشق بزي جغرافي، وقد أتهمه السعوديون في كتبهم الحديثة بأنه "جاسوس تركي "جاء ليتجسس عليهم، وليعرفوا تحركات إبن سعود المريبة!.

وتقول الرواية السعودية أن الكولونيل البريطاني لينشمن طلب من أبن سعود مساعدته في إجتياز الربع الخالي من واحة يبرين إلى عمان، فأجابه بأن الأتراك هم أصحاب الاحساء، والامر لهم، وأنه سيكتب له تزكية ويرسلها إلى المتصرف التركي في الهفوف، وتمضي الرواية فتقول أن إبن سعود استخدم لينشمن "الجاسوس التركي" رغم جنسيته البريطانية !، لتضليل الأتراك، وإزاحة الريب الذي ساورهم من قدومه قرب الاحساء.

غير أن المستشرق الروسي "فاسيلييف" يقدم تفسيرا يتفق مع السياق العام للأحداث فيقول :"وقبل أن يبدأ ــ أبن سعود ــ هذه الحملة تقابل مع الضابط الإنجليز ي لينشمان، ولعله أخبره بخطة الهجوم على الأتراك"[2]. وكان إبن سعود قد حصل على أسلحة بريطانية حديثة من نوع "أم ــ ١١"، لعلها هي تلك التي أشار إليها شكسبير في تقرير "١٥مايو ١٩١٣"،والتي جاءته

---

[1] منها كتاب موعد مع الشجاعة، ص ١٧٢ ــ ١٧٤، وتاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، صلاح الدين المختار، جزء ٢ ص ١٢٨.وكتاب أضواء حول الاستراتيجية العسكرية للملك عبد العزيز وحروبه، تأليف العميد محمد ابراهيم رحمو، ط ١٩٨١/٢، الرياض، ص ١٠١، و غيرها.

[2] فصول من تاريخ العربية السعودية مصدر سابق، ص٢٤١.

عبر الشارقة، وقد احتجزت الشحنة، إلى أن علموا أنها متوجهة لابن سعود، فسمحوا لها بالمرور، رغم إدعاءات الإنجليز بأنهم يحاربون تجارة تهريب السلاح.

وكان على إبن سعود قبل أن يحتل الاحساء، أن يبعد العجمان عن بادية الاحساء، فهؤلاء رغم الاتفاق مع ابن سعود في مواجهة الأتراك، ما كانوا ليقبلوا بتجريدهم من سلطتهم هناك دون مقابل، ومع تاريخ الثقة بين العجمان من جهة وإبن سعود وعمه سعود الفيصل من جهة أخرى، إلاّ أن سحب الارتياب لم تنقشع، بل كانت تتراكم كلما تضاربت المصالح، بين أمير حاكم له مطامح لا حدود لها في التوسع، وبين قبيلة قوية شابة حققت الكثير من السيطرة على الحضر، وبدو القبائل الأخرى.

كان على ابن سعود إبعاد العجمان، طالما أنه لا يريد مشاركتهم في المغنم، وطالما انه ليس بحاجة اليهم بعد أن أدوا دورهم في تخريب أمن المنطقة..وكان من الصعب على الحاكم السعودي فوق ذلك أن يحتل منطقة بحجة إعادة الأمن، بينما هو يهاجمها بقوات قبيلة كانت أساس إضطرابه... من هنا كانت الحاجة في إبعاد قوة العجمان عن البادية الأحسائية، بحجة أو بأخرى، و إلاّ فإن الاصطدام سيقع مبكراً لا محالة.

وهكذا سار ابن سعود في ربيع الاول ١٣٣١هـ على رأس قوة صغيرة من الرياض قاصداً الاحساء، مخفياً أمر هجومه لاحتلالها، ونزل على ماء "الخفس". وكان لا بد أن يقدم مبرراً لهذا التقدم نحو الشرق، فأشاع انه يريد تأديب بعض القبائل "المذنبة!" وانه جاء ليشتري بعض السلع.

وفي بداية الأمر أغار على قبائل بني مرة ــ حلفائه بالأمس القريب جداً ــ بحجة أنها "ارتكبت بعض الذنوب، وصادر مواشيها، وتقدم نحو الاحساء"[٣]. لكن الاتراك، وكما تشير المعلومات السعودية شكوا في أمره، فأرسلوا إليه يسألونه عن سبب مقدمه، فقال انه جاء لشراء بعض الأمتعة والزاد، وانه سيعود، وفعلا عاد وحده إلى الرياض وبقي جيشه في مكانه. وفي الرياض قابل الضابط البريطاني ليتشمن، ثم عاد مسرعاً إلى حيث تعسكر قواته.

كان أول عمل قام به إبن سعود هو إبعاد العجمان، بحجة مضحكة ذكرها احد الكتاب السعوديين، هي أنهم "ذوو مطامع سياسية في الحساء "[٤].ولان العجمان كانوا على خلاف شديد مع عشائر مطير، فقد أرسل ابن سعود رسولاً إلى العجمان يخبرهم انه سيغير على عشائر مطير وانه يريد معاونتهم، وحدد لهم موعداً يلتقي بهم على مسيرة أيام عديدة شمال

---

(3) صلاح الدين المختار، مصدر سابق، ص ١٢٧.ومحمد ابراهيم رحمو، مصدر سابق، ص ١٠١.

(4) المصدر السابق.

الاحساء، وحين علم ابن سعود انهم خدعوا بقوله، وانهم تركوا البادية متجهين شمالاً، زحف بسرعة كبرى حتى وصل إلى عين نجم في طرف الاحساء.

وهناك التقى سراً بعدد من اتباعه النجديين المقيمين في الاحساء، كيوسف بن سويلم وأبناء القصيبي، وطلب منهم آخر المعلومات عن الحراسات في الكوت، واي الجهات اسهل في المهاجمة ،فأعلموه بما هناك من عقبات، لا سيما السور وكثرة الحرس. واتفق معهم أن يبلغوا أتباعهم على أن يتم احتلال الهفوف ليلة الخامس من جمادى الاولى ١٣٣١هـ، الموافق للثاني عشر من أبريل ١٩١٣، وحددت ناحية "سمحاء ليكون" منها التسلل، لقلة أبراج الحراسة وضعفها[٥].

وقد سبق ـ كما أشار بنوا ميشان ـ أن أرسل جواسيس إبن سعود في الاحساء، من أن النجديين مستعدون لمساعدته في إحتلال المنطقة، إذا ما جاء بقوة كافية، وهكذا تمت عملية الإحتلال بسهولة [٦].

كان جيش ابن سعود لا يزيد كثيراً عن ٣٠٠رجل، وقد كان حشد هذا العدد القليل من الجند محسوبا، لانه لم يقرر الاصطدام المباشرة مع التحصينات التركية، إنما القيام بعملية انقلاب تكون فيها الخسائر البشرية قليلة، وتعطي نتيجة سريعة ومباغتة، وكان يخطر في مخيلة الحاكم السعودي أن لا يستثير الأتراك بإيجاد خسائر كثيرة في الارواح، مما يدفعهم إلى تجريد حملة إعادة اعتبار تنتهي بهزيمته.. وقد أشار شكسبير في احد تقاريره إلى أن السعوديين يريدون العملية أن تكون مباغتة، وكانوا يفكرون في كيفية جعلها غير دموية.قسم أبن سعود جيشه إلى ثلاثة اقسام، قسم يستولي على باب السور، وقسم يسير إلى بيت المتصرف لاعتقاله، وقسم يحتل الأبراج والحامية، وهو القسم الأكبر.على أن يبقى ابن سعود خارج السور ريثما تنتهي العملية.

وبدأت عملية تسلق السور بالحبال وجذوع النخل، كما كان مخططا بمساعدة النجديين في الاحساء، وتمت عملية السيطرة على ما جاور حصني الكوت والهفوف، اللذين اصبحا قلعة

---

(5) الإسلام والوثنية السعودية، ص ٢١.وايضا صلاح المختار، مصدر سابق، ص٢٩.وهنا ملاحظة هامة جديرة بالانتباه، وهو إنه وقع تضارب في تثبيت تاريخ احتلال الاحساء، فمع أن الثابت بالتاريخ الهجري إنه تم في الخامس من جمادي الأولى ١٣٣١هـ.وهو الموافق للحادي عشر من أبريل ١٩١٢، فان الإنجليز وفي كل وثائقهم، تقريبا ـ يشيرون إلى تاريخ الاحتلال بانه تم في الخامس من مايو ١٩١٢، ويبدو أن الصحيح هو الحادي عشر من أبريل.ومع ذلك حاولنا قدر الامكان التعاطي مع التوقيت البريطاني بوضعه المعتاد.

(6) يعلق كشك على سقوط الاحساء بجملة غريبة فيقول "رأينا كيف انتزع ابن سعود الاحساء بسهولة، واثبت أن الترك ينهزمون أيضاً امام رعاياهم المسلمين.وليس المسيحيين فقط". .وهذا اكتشاف خطير جدا.لم يتوصل له العقل "العربي " إلاّ متأخرا، وهذا ليس انهزام بالطبع ولا أخره !..وكان بامكان القول أنهم ينهزمون امام العرب، لو لا أن المقام ليس مقاوم عروبة، أنظر كشك، مصدر سابق، ص ٤٥١.

للاتراك.ومع أن الخطة فشلت في إحتلال الأبراج وفي إعتقال المتصرف الذي انضم إلى الحصون، وأمر بإطلاق بعض طلقات المدافع لتخويف المهاجمين، إلاّ أنه لم يتصرم اليوم التالي حتى كان كل شيء منتهياً.

فقد حوصر الجنود الاتراك، وامر عبد العزيز بتجريد حملة نفسية ضدهم وضد الأهالي لتثبيطهم عن المقاومة..وبدأ المنادي فجر ذلك اليوم بالإعلان في الشوارع أن "الملك لعبد العزيز" وأرسل الأمير السعودي إلى المتصرف مهددا، بان يستسلم ويرحل بأمان.

ولاعطاء تهديده طابع الجدية، وضع كمية من الذخيرة لتفجير مسجد "إبراهيم" وفي نفس الوقت أجبر عدداً من الوجهاء على تسليم رسائل إلى المتصرف المحاصر تطلب منه التسليم، وتخوفه من المسؤولية التي تقع على عاتقه إن لم يفعل، وان الأهالي لا يريدون الحرب، وليست لهم قدرة عليها..الخ ووصل الأمر أن أجبر مجتهد الشيعة الأكبر في الاحساء الشيخ موسى بو خمسين أن يكتب رسالة بهذا المضمون.

على أن المتصرف والجنود الأتراك كانوا هلعين، وقد زادتهم عملية الهجوم المفاجئة حيرة وذهولاً، وجاء الحصار ليقطعهم عما يجري من أحداث وتفاعلات يهمهم الاطلاع عليها ومعرفتها.فحتى ذلك الحين لم يكن الجنود المحاصرون يعلمون عدد القوة المهاجمة والمحاصرة لهم، ولا يعلمون عل وجه اليقين كيف كان رد فعل الأهالي والي أي حد يسيطر إبن سعود على الوضع.

لم يكن بإمكان الأتراك المقاومة، فأعلنوا الخضوع ووافقوا على الاستسلام والترحيل بأمان، وصادر إبن سعود كل أسلحتهم الثقيلة، وجمع لهم القوارب ورحل عائلات الجنود والموظفين إلى البصرة، أما الجنود فرحلوا إلى البحرين لتقلهم السفن التركية إلى البصرة، وكان عددهم حوالي ٤٠٠ جندي وموظف لكنهم إكتشفوا في البحرين بعد خروجهم من الطوق أن إبن سعود هاجمهم بثلاثمائة جندي فقط، فحاولوا العودة لاحتلال الاحساء عن طريق إنزال عسكري في ميناءي القطيف والعقير، ولكنهم فشلوا وقتل منهم عدة رجال.

وفي الصباح السادس من جمادى الاولى ١٣٣١هـ، الموافق ١٩١٣/٤/١٢، عقد إتفاق في بيت احد أعضاء أسرة آل الملا، بين زعماء الشيعة في الاحساء وبين إبن سعود..وقيل أن الأخير عاتب الشيخ موسى بو خمسين على عدم التعاون، فأجابه بأن دماء الأهالي أمانة في عنقه، وانه مسؤول عنها أمام الله، وانه لم يشأ المجازفة بإهدار الدم طالما كانت هناك سلطتان في الاحساء.

وحين وقّع الإتفاق، نص بإصرار على "ضمان حرية الأهالي الدينية "وعلى "ضمان إعادة الامن ونشر العدل "مقابل الامتثال والطاعة، وقد صيغت الإتفاقية بلغة دينية، ذلك أن الموقعين على الإتفاق كانوا في الأغلب من رجال الدين، ثم إن ضمان حرية الأهالي الدينية راجع إلى

تجربة الشيعة في الاحساء والقطيف المريرة مع الحكم السعودي، فكان الضمان يعني عدم التعرض أو التدخل في شؤون عقائد الشيعة بالقوة والإكراه والشتم والإهانة، وقد وافق إبن سعود على ذلك، وعلى الشروط الأخرى لانها في الواقع لا تكلفه شيئاً، فالهدف بالنسبة إليه هو إحتلال الاحساء، والإستفادة من خيراتها في بناء مملكته، ثم إن هذه الشروط لا تتعارض مع سلطة إبن سعود المطلقة، وهو لم يدخل الاحساء فاتحاً بأسم الدين والإسلام، لأن الراية الدينية لم ترفع إلاّ بعد ظهور الإخوان.

ومن المهم ملاحظة أن زعماء الشيعة لم يضعوا اية شروط إقتصادية، كتحسين المعيشة، لأن الاحساء كانت أغنى منطقة في الجزيرة العربية على الاطلاق[٧].

نعم.. بعد سنوات قلائل وصلت الحالة المعيشية إلى الحضيض بسبب النهب والضرائب الباهظة، ومنذ ذلك الحين بدأت المطالبة بالمساواة مع الآخرين في الضرائب والخدمات.. ولا تزال المنطقة بعد سبعين عاماً من الاحتلال تقدم نفس المطالب وحتى اليوم [٨].

لقد كانت فرحة إبن سعود كبيرة باحتلال الاحساء، ومما زاد في سروره انه استولى على مبلغ "عشرة آلاف ريال فقط "كانت في خزينة الأتراك..قال ابن سعود :"هاجمت الاحساء على غفلة، واستوليت عليها بعد معركة فاصلة. وبعد انتهاء المعركة وأنا على فرسي [٩]، جاءني ابراهيم القصيبي برجل قدمه لي، وقال: إنه محمد أفندي، مدير مالية الحسا.فسلم هذا علي وقال :يا طويل العمر !، يوجد في القصر عشرة آلاف ريال، قلت :عسى الاّ تكون قد نهبت !، فقال :لا.انا مررت بالقصر ووجدت الأقفال سليمة.فبعثت معه بعض رجالي، وقلت: حافظوا

---

(7) الإسلام والوثنية السعودية، مصدر سابق، ص ٢٢ــ ٢٢.وانظر روبرت ليسي، المملكة، ص ٧٢ــ ٧٤.

(8) يروي محمد أسد في كتابه "الطريق إلى مكة " على لسان ابن سعود أحدى رواياته عن احتلال الاحساء، قال ابن سعود :"لقد كنا على مرأى من الهفوف، ومن الرابية التي كنت جالسا عليها استطعت أن أرى بوضوح أسوار القلعة الحصينة التي كانت تشرف على البلدة، كان فؤادي مثقلا بالحيرة، وكنت أوازن بين فوائد هذا العمل وأخطاره، فرأيت وجه زوجتي جوهرة، ام ابنائي خالد ومحمد أبي الشرين.ماثلا أمام عيني، وبدأت أفكر في بعض الأبيات التي يمكن أن أقولها لو كانت إلى جانبي.ودون أن أشعر شغلت بنظم قصيدة لها، ثم بعثت بها إلى أم محمد، وبينما كان الساعي يختفي في غمامة الرمال..وجدت فجأة أنني وصلت إلى قرار بشأن الحرب، وأنني مهاجم الهفوف، وان الله لابد أن يصدرني "!!..وقد روى روبرت ليسي في كتابه قصة المقطوعة الشعرية العجيبة هذه، وعلق كشك على هذه الرواية بان القرار بشأن الحرب لم يتخذ أمام قلعة الهفوف بالطبع..فهذا الكلام شعراء "..هذه احدى الروايات التي قيلت على لسان ابن سعود بدون زيادة أو نقصان.انها رواية مملوءة بالخيال والانفعال الكثير، وقد لاحظ فيلبي كما غيره، كثرة الروايات المتضاربة، والتي مصدرها ابن سعود نفسه ،وكذلك حدث مع الاحساء، لأن احتلالها كان علامة فارقة في تاريخ آل سعود.كما كان احتلال الرياض.

(9) هذا من المبالغات أيضاً، فالهفوف لم تكن ميدان سباق الخيول، والمعركة لم تكن في مكان صحراوي مفتوح، بل أن ابن سعود دخل الهفوف ــ كما تقول الروايات ــ من ثقب أحدث في السور بعد انتهاء المعركة !.

عليها إذا وجدتموها، وبعد ذهابه ترجلت عن فرسي وسجدت لله شكرا، إذ ملكني يوما من الأيام عشرة آلاف ريال [١٠][١١]

إحتلال القطيف:

فور إستلام الجنود الأتراك، أرسل ابن سعود مفرزة لاحتلال القطيف، وبقي هو في الاحساء، وكان على رأس المفرزة عبد الرحمن بن سويلم ومعه أحد العبيد لابن سعود اسمه خير الله.وقد جهزت المفرزة برسالة من زعماء الشيعة في الاحساء تدعو شيعة القطيف لتسليم الأمر إلى الحاكم السعودي. توالت الأنباء على القطيف عن سقوط الاحساء، وان بعض الجند السعودي في طريقه إليها، وقد توافق في حينها أن احد شخصيات القلعة بالقطيف قد توفي، وأقيمت له "الفاتحة"، وقيل أن المتوفى هو الحاج احمد بن مسعود. وبعد أن فرغ الخطيب من التعزية، قام العلامة حسن علي بدر، احد كبار المجتهدين في القطيف وأساطينها، قام خطيبا محذرا الجمهور من مخاطر تسليم البلاد لمن أسماهم بـ"الوهابيين" بحكم التجربة المريرة السابقة، وحث البدر الحاضرين من الأعيان والوجهاء على حمل السلاح والمقاومة، وأضاف بأن إبن سعود سيحتل القطيف إن هم تقاعسوا ،وحينها إما أن يسلكوا مسلكه المذهبي، أو فلينتظروا منه الذل والهوان.

وصلت الأخبار إلى ابن سعود من أن العلامة البدر هو أقوى الجهات الدينية التي تثير الناس ضد احتلاله القطيف..ومع أن إحتلال الاحساء لا شك أنه مهّد لاحتلال القطيف، لأن أي من الواحتين يعتبر بوابة للواحة الأخرى، فإن مقاومة أهالي القطيف كان يمكن أن تكون اكثر فاعلية لولا أن البدو كانوا قد أضعفوا مقاومة الأهالي، ولولا أن القيادات المحلية لم تكن مختلفة حول الموقف الذي كان عليهم أن يتخذوه في ذلك الظرف العصيب.

ورغم دعوة العلامة البدر الصريحة في المقاومة، إلاّ أن الاستجابة في تلك الظروف كانت شبه مستحيلة، لسوء أوضاع الشيعة من جانب، ولاختلال ميزان القوى، ولفقدان القيادة التي كان يمثلها المرحوم منصور بن جمعة، والذي توفى ونقل جثمانه إلى النجف الاشرف.

---

[10] هذا من المبالغات أيضاً، فالهفوف لم تكن ميدان سباق للخيول، والمعركة لم تكن في مكان صحراوي مفتوح، بل أن إبن سعود دخل الهفوف ــ كما تقول الروايات ــ من ثقب أُحدث في السور بعد إنتهاء المعركة!.

[11] قدري قلعجي، موعد مع الشجاعة، ص ١٨٧، وعلق كشك على ذلك بقوله، "عندما استولى ابن سعود على الاحساء، لم يكن احد يعرف أنه تضم أضخم مستودع للنفط في العالم، وانها ستدر يوما ما نصف مليار ريال في اليوم الواحد، ولكن حتى بعدما اكتشف النفط وتصاعدت ايراداته بسرعة الصواريخ، لا أظن أن ابن سعود أو احداً بعده قد فرح فرحته يوم فتح الاحساء، عندما تقدم محمد أفندي، مدير مالية الاحساء في الإدارة التركية، يزف للملك نبأ وجود عشرة الآف ريال في القصر، أصبحت من حق الغازي، أنظر السعوديون والحل الإسلامي، ص٦٢.

ومع هذا لم تسقط القطيف إلاّ في ضحى التاسع من جمادى الثانية سنة ١٣٣١هـ، حيث استمرت المفاوضات بين الأتراك والأعيان، وبين عبد الرحمن بن سويلم أسابيع عديدة..اما قصة سقوطها، فكانت كالتالي:

قيل أن بعض المتحمسين للحكم السعودي، وفي مقدمتهم علي بن منصور بن أخوان، وعلي بن فارس، كتبوا إلى الحاكم السعودي، وهو في الاحساء أن يأتي ويأخذ القطيف، فجاء ابن سويلم ومعه ستة من المقاتلين "الفداوية" ونزلوا خارج مدينة سيهات، في الموضع المعروف حتى الآن باسم "المريقيب" وخيموا هناك منتظرين ما تسفر عنه المفاوضات بين الأتراك والأعيان..ومعلوم أن سيهات هي بوابة القطيف من الجنوب، حيث لم تكن هناك مدينة تسبقها في الموقع، قبل أن تؤسس مدن النفط الحديثة كالدمام والخبر وبقيق وغيرها.ولعل هذا الموقع أثر على الشخصية السيهاتية من حيث الحماسة والاندفاع، ذلك أن سكان هذه المدينة كانوا ـ بحكم الموقع ـ الضحية الاولى لكل الهجمات البدوية وغيرها على المنطقة، وكان عليهم أن يتصدوا لها، وان يتحملوا تبعاتها.

بعد ذلك ارسل إبن سويلم احد "أخوياه "إلى زعيم سيهات حسين بن نصر حاملا رسالة إليه من الملك إبن سعود، ولكنه لم يجده لانه كان في ذلك الحين يحضر سلسلة متواصلة من الاجتماعات مع بقية زعماء القطيف "علي أخوان، علي بن فارس، حسين الفرج، حسن بن سنبل، الشيخ علي ابو عبد الكريم الخنيزي، عبد الحسين بن جمعة" لمناقشة المستجدات على الساحة مع قيادة الحامية التي لا يزيد عددها عن تسعين جنديا.

لهذا سلم "الأخويا " الرسالة إلى رجل اخر ليوصلها إلى حسين بن نصر في القطيف، وكان متعذرا أن يجازف الأخويا فيذهب إلى القطيف التي لا تزال تحت السيطرة العثمانية..وقد وصلت الرسالة أثناء الاجتماع مع مسؤول الحامية التركي، فأعلن الوجهاء إنفضاض الاجتماع للصلاة، ولتتاح لهم الفرصة لمناقشة الرسالة بعيدا عن قائد الحامية. وبعد الصلاة اجتمع الاعيان وناقشوا محتوى الرسالة، فظهر رأيان بين مؤيد لدخول ابن سعود مع شروط تحفظ للأهالي حقوقهم الدينية والمدنية، وبين معارض لأصل الموضوع، وكان يقف هذا الموقف المرحوم عبد الحسين بن جمعة، الذي أعلن صراحة في الاجتماع المذكور: "أما انا فسأغلق دروازة الكويكب".. والدروازة هي بوابة سور القطيف الجنوبية، وهي الناحية المتوقع أن تقدم منها السرية السعودية.وعلى اية حال فقد كان الرأي الغالب مع دخول إبن سعود، ربما لان الاجتماع لم تحضره العديد من القيادات والواجهات المعارضة، وربما لان الحالة السياسية كانت تجعل من المقاومة امرا مستحيلا.سارت الامور باتجاه إقناع قائد الحامية التركية بالرحيل والتسليم "وقام الشيخ علي الخنيزي بإقناعه بالتخلي للحكومة السعودية عن القطيف

والانسحاب بجنده منها قبل أن يعرف القائد مقدار القوة السعودية، التي لم تكن في الواقع اكثر من عشرة أشخاص فقط "[١٢].

وكانت الحجة أن الجنود لا قدرة لهم على المقاومة، ثم إن مقاومة الأهالي ــ في ذلك الظرف ــ ستكون ضعيفة، وايضاً لان القوة التركية الرئيسية في الاحساء قد رحلها إبن سعود سالمة إلى البحرين.

رد الوالي :ماذا أقول لحكومتي إن لم أقاوم ؟!.

هنا رد الوجهاء المؤيدون للحكم السعودي :نعطيك صك براءة، بعدم قدرة البلاد على المقاومة، لتبرر موقفك.

وقد تمنع الوالي في البداية، ولكنه اضطر للتسليم بسبب الالحاح، وبسبب إندفاع بعض الوجهاء للتصعيد. فقد طلب علي أخوان من إبن عمه حسن بن أخوان، أن يستقبل إن سويلم بصفة علنية في مدينة سيهات، لإظهار التحدي وقد استقبله فعلاً، كما استقبله عمدة سيهات وذلك قبل أن يرحل الأتراك. ويصف لنا الشيخ عبد الله الخنيزي صورة من المفاوضات التي جرت بين الشيخ علي ابو عبد الكريم الخنيزي وقائد الحامية التركي، وما قام به الاول من تثبيط لمعنويات الأتراك، ورسم صورة قاتمة لمستقبلهم، أن هم لم يرحلوا عن القطيف..يقول:

"ولقد كان مترجمنا ــ الشيخ علي ــ عنصراً فعالاً في تمكين جلالة الملك إبن السعود من فتح القطيف بدون طلقة واحدة، أو إراقة قطرة من دم، ففي العام ١٣٣١هـــ، وقد بدأ يتقلص ظل الحكم التركي عن البلاد، جمع اليوزباشي من جمع من أهالي القطيف وفي طليعتهم الأعيان، عندما شاع توجه جلالة إبن سعود لاحتلال القطيف بعد أن احتل الاحساء، وقد كانت ارادة اليوزباشي من هذا الجمع أن يقفوا إلى جانبه في صد جلالة ابن سعود، وان يستشف رأي فضيلة المفتي ــ الشيخ علي ــ فأجابه بما مؤداه: أن الواجب الشرعي يقضي بالمحافظة على الارواح والأموال، وان الواجب الشرعي يقضي بهذه المحافظة مع توفر الشروط الدفاعية، فكيف إذا لم يكن لها وجود. وها نحن اولاء نجد هذه الشروط غير متوفرة، لتشعب قرى القطيف، وبعد بعضها عن بعض، وقلة عدد المدافعين في القرى عن أنفسهم، واحتياجهم إلى قوات أخرى دفاعية تؤمن لهم حياتهم، وتحرسهم من الخطر المنتصب. وأنها لتفقد هذه القوة المحافظة الحارسة، وان الحكومة التركية لعاجزة عن القيام بهذه المهمة الخطيرة، بل هي عاجزة حتى عن حفظ وحراسة العاصمة "القلعة" فضلا عن غيرها من المدن.. فلهذه الأسباب المزدحمة الصارخة، فان الدفاع والصمود يدل على عدم تقدير للعواقب، وعلى ضآلة من الفكر والعقل "!"، لانه يوجب تعريض النفوس إلى الهلاك، وذلك ما لا يقدم عليه ــ في مثل

---

(12) ذكرى الزعيم الخنيزي ــ الشيخ علي بن حسن علي الخنيزي ــ تأليف الشيخ عبد الله الشيخ علي الخنيزي، ص١٢٢.

هذه الحال ــ إلاّ من لا عقل له "!".إذن فإن يفضل التسليم المؤقت للحكومة المحتلة، إذ لا مناص عنه، ولكن فهناك وسيلة أخرى..فإذا كانت الحكومة قادرة ولديها من القوة ما تصمد بها امام المحتل، فإنها تستطيع بعد إستعدادها لذلك ــ أن تعود الكرة بعد التسليم المؤقت.فحمل اليوزباشي على الاقتناع بهذا، وأخذ قول المفتي تقريراً من أهالي القطيف أجمع، ليواجه به حكومته، ويقوم له بالعذر لديها. وقد استمر الحال في حصار وقلق واضطراب حتى فتح الامير عبد الرحمن بن سويلم القطيف في ضحى يوم الخميس، ٩ جمادى الثانية ١٣٣١هـ. وأعلنت حكومة الأمام "أمس" وصاحب الجلالة "اليوم "على القطر القطيفي"[13]!.

رحلت الحامية التركية، وعدد غير قليل من الموظفين الأتراك العاملين في الإدارة المدنية عن طريق ميناء القطيف إلى البحرين..وأصبح ابن سويلم "عبد الرحمن" أميراً للقطيف، في حين تولى أخوه يوسف بن سويلم وكالة بيت المال، ثم مالبث أن سلمها إبن سعود إلى علي أخوان مكافأة له على مواقفه وتأييده. وفي نفس الوقت رحل الآلاف من الموظفين إلى البحرين بشكل خاص، في هجرة جماعية قل نظيرها في تاريخ هذه المنطقة، هربا من الاضطهاد السياسي والعقائدي الذي كان متوقعاً من الحكام الجدد.. وكان من بين الراحلين العلامة المرحوم حسن علي البدر.وللأسف فإن توقعات المهاجرين، جاءت سريعة، وبأسرع مما كان متوقعا!.

مضت أسابيع قليلة من أستتباب زمام الأمر للحكام الجدد، وبعدها جاء الملك عبد العزيز إلى القطيف قادماً من الاحساء، فنزل البدراني، واستقبل مجموعات غفيرة من المواطنين، ومن الأعيان، وأقيمت الولائم، ثم عقد اجتماع بين الوجهاء وبين الملك، أسفر عن توقيع إتفاق بين الطرفين، وقعه الملك من جانب الحكومة، والشيخ علي ابو عبد الكريم ممثلاً للأهالي، ينص في احد بنوده وبتشديد على إحترام حرية الأهالي الدينية.وبدأت صفحة جديدة من تاريخ المنطقة، بل من تاريخ المملكة السعودية الحديثة، وأصبحت المنطقة الشرقية مصدر النعمة والخير والمال والثراء، وهي أكبر وحدة جغرافية، بل أكبر أقليم من أقاليم المملكة من حيث المساحة، وثالثها من حيث عدد السكان، وأخصبها من حيث الارض، وأهمها من حيث الموقع الجغرافي على الخليج العربي.. كانت هكذا ولا تزال [14].

---

(13) المصدر السابق، ص ٧٨.

(14) مدح الشاعر محمد بن عثيمين. الملك عبد العزيز بقصيدة بمناسبة إحتلاله الاحساء، وهي أول ماقاله الشاعر "شاعر الملك فيما بعد، في مدح ابن سعود.

ومطلع القصيدة.

العز والمجد في الهندية القضب   لا في الرسائل والتنميق للخطب

ويصف فتح الاحساء بالمبالغة ــ كعادة الشعراء ــ فيقول :

قاد المقانب يكسو الجو عثيرها   سماء مرتكم من نقع مرتكب

تفاصيل سقوط المنطقة في الوثائق البريطانية:

لقد أشرنا في صفحات سابقة إلى تقرير المعتمد السياسي البريطاني في الكويت، الكابتن شكسبير، والذي أرسله متأخرا بعد اجتماعه مع ابن سعود، وقال فيه أن الأخير سيحتل الاحساء.. ولم تمض سوى أيام قلائل حتى إضطر هذا الكابتن أن يرسل لرؤسائه مبلغا أن إبن سعود احتل المنطقة، وان مبعوثه جاء إلى الكويت مبشراً بالفتح!

بالطبع لم يكن هذا اول خبر يصل للإنجليز عن احتلال المنطقة، فقط كان هؤلاء يتابعون تفاصيل الموقف من الكويت والبحرين والبصرة، إضافة إلى اسطمبول نفسها، ونتابع هنا تفاصيل الموقف الإنجليزي من خلال تتبعهم هم للموقف.

ففي الثالث عشر من مايو ١٩١٣، ارسل المقيم البريطاني في بوشهر برقية إلى السير إدوارد غري ــ وزير الخارجية البريطانية ــ تبلغه بسقوط الاحساء.تقول البرقية :"أرسل المعتمد السياسي في البحرين برقية عن طريق هنجام [١٥]، يقول فيها أنه طبقا لتقرير من مصدر موثوق، فقد احتل ابن سعود الاحساء دون مقاومة، كما أن تقريراً استقيت معلوماته من المسؤولين الأتراك في بوشهر الذين مروا من هنا في طريق عودتهم من البحرين على ظهر

حتى إذا وردت ماء الصراة وقد ... صارت لواحق أقراب من السغب
قال النزال لنا في الحرب شنشنة ... نمشي إليها ولو جثيا على الركب
فسار من نفسه في جحفل حرد ... وسار من جيشه في عسكر لجب
حتى تسور حيطانا وأبنية ... لولا القضاء لما أدركن بالسبب
فبيت القوم صرعى خمر نومهم ... وآخرين سكارى بابنة العنب
في ليلة شاب قبل الصبح مفرقها ... لو كان تعقل لم تسلك من الرُعب
صب الاله عليهم سوط منتقم ... من كف محتسب لله مرتقب
في أول الليل في لهو وفي لعب ... وآخر الليل في ويل وفي حرب
الله أكبر هذا الفتح قد فتحت ... به من الله أبواب بلا حجب
فتح به أضحت الاحساء طاهرة ... من رجسها وهي فيما مر كالجنب
شكرا بني هجر للمقرني فقد ... من قبله كنته في هوة العطب
قد كنتم قبله نهبا بضيعة ... ما بين مفترس منكم ومستلب
روم تحكم فيكم رأي ذي سفه ... أحكام معتقد التثليث والصُلُب
وللأعاريب في أموالكم عبث ... يمرونكم ري ذات الصنو في الحلب

والشاعر هنا يتحدث عن عسكر لجب احتل ابن سعود به الاحساء ووصف الجيش المهاجم بأن عادته الحرب عظيم غاضب متحمس.اما أفراد الجيش التركي، فهم نائمون سكارى بالخمر.!

واعتبر الشاعر الاحساء في العهد التركي قذرة نجسة، حتى جاء ابن سعود فطهرها، وأكثر من هذا وصف الأتراك بالروم وهم غير ذلك، وان حكمهم هو حكم النصارى، أي انهم يجرون معتقدات المسيحيين !!.

[15] هنجام /جزيرة في الخليج قريبة من السواحل الإيرانية الجنوبية، اتخذها الإنجليز احدى مقراتهم، وكانت منفى السياسيين والمعارضين، فاليها أُرسل قادة ثورة العشرين الإسلامية في العراق ليقضوا سنوات طويلة من النفي.

الباخرة الألمانية، يؤكد المعلومات الواردة أعلاه، ويضيف المعتمد أن ابن سعود يهدد الآن القطيف والعقير"[١٦]. وفي ١٥ مايو ١٩١٣، بعث كوكس برقية أخرى إلى وزارة الخارجية تتحدث عن معلومات تاريخها ١٢مايو ١٩١٣. تقول البرقية: "تشير تقارير أخرى تلقيناها من المعتمد السياسي في البحرين مؤرخة في ١٢مايو، إلى أن حركة إنقلابية قد تم تنفيذها نتيجة تعاون أتباع ابن سعود داخل الهفوف معه.وقد وصل متصرف الاحساء ومعه الحامية إلى العقير، كما أن المسؤولين الأتراك..قد غادروا المنطقة متوجهين إلى البصرة عن طريق البحرين، وان ابن سعود يجمع القوارب التجارية الآن لترحيل الحامية التركية "[١٧].

في العشرين من مايو ١٩١٣، كتب الكابتن شكسبير تقريراً مفصلا عن إحتلال الاحساء، استقاه من مبعوث ابن سعود للكويت والذي أرسل ليبلغ الأصدقاء هناك بخبر استيلائه على المنطقة.

قال شكسبير في تقريره لرئيسه المقيم "كوكس":".. بعد أن أصبح ابن سعود على بعد مسافة خمس ساعات من الهفوف، طلب من زعماء قبائله أن يبينوا بوضوح ما إذا كانوا يتفقون معه على إنه يجب اخراج الأتراك نهائياً وإلى الأبد ام لا؟. رد الوجهاء والشيوخ بالقول أنه مستعدون للسير خلف قيادته. وبعد ظهر ذلك اليوم، أسر إبن سعود لشيوخه أنه يحتاج لثلاثمائة رجل فقط، ينتقون من النخبة للقيام بالهجوم الفعلي.

وحين تم إختيار هؤلاء تحرك الجميع باتجاه الهفوف.وبعد وصول المجموعة إلى نقطة تبعد مسافة ساعة أو أقل إلى الغرب من الهفوف نفسها، بعيد غروب الشمس، تركت الجمال والخيول في مرابطها، ثم جمعت الحبال واتخذت بقية الاستعدادات ".

"في ذلك المساء تحرك إبن سعود ورجاله سيراً على الأقدام إلى أن اقتربوا من السور، وفي الساعة الثانية صباحا ــ أي بعد منتصف الليل ــ بدأت المجموعة في تسلق السور، حيث رفعت الحبال بسرعة إلى القمة عن طريق رجال ركبوا أكتاف بعضهم البعض. وما أن تحقق وصول عدد كاف إلى قمة السور، حتى بدأت عملية تهدف إلى فتح البوابة الغربية كي يدخل منها بقية الرجال. وحتى هذه اللحظة لم يشعر الحرس التركي بشيء ".

ويمضي شكسبير في تقريره فيقول [١٨]:"وحين أطلق صوت الأنذار، بدأ تبادل اطلاق النار قرب البوابة، ربما مع حرس البوابة نفسها، وقد قتل في هذه المعركة ثمانية من الأتراك،

---

(16) الوثيقة FO.371/1820.E 22076 مؤرخة في الرابع عشر من مايو ١٩١٢، وعنوانها احتلال الاحساء من قبل ابن سعود.

(17) الوثيقة FO.371/1820/E 22290 مؤرخة في ١٩١٢/٥/١٥برقية من الكولونيل السير بيرسي كوكس إلى نائب الملك في الهند، وتحمل عنوان: (احتلال ابن سعود للاحساء).

(18) الوثيقة رقم FO371820/E29150 مؤرخة في ١٩١٢/٦/٢٥، الموافق الثالث المؤرخ في العشرين من مايو ١٩١٢، ومرسل من شكسبير إلى كوكس.

وأربعة من رجال إبن سعود. هنا تقهقر الأتراك جميعاً إلى القلعة المركزية المعروفة بـ "الكوت"، في حين خرج السكان من بيوتهم ورحبوا بابن سعود الذي ارسل بعد ذلك وفودا رافقها بعض وجهاء الاحساء إلى المتصرف والقائد العسكري، ليبين لهما عقم محاولة المقاومة ويعرضوا على الأتراك الخروج بسلام إن هم استسلموا على الفور، وقد وافق هؤلاء على مغادرة البلدة هم وما يملكون.كما تعهد إبن سعود بإن يسمح لهم بالاحتفاظ بأسلحتهم، وان يزودهم بوسائل النقل إلى الساحل. ولكنه اصر على وجوب مغادرة القوات التركية فورا، وأعطى مهلة يوم أو يومين لأولئك الأتراك الذين كانت ترافقهم عائلاتهم ".

"استسلم المتصرف ظهر يوم الخامس من مايو، وقد قام إبن سعود حتى ذلك الوقت بإرسال الرسائل إلى الفصائل العسكرية في الأطراف داعياً إياها إلى الاستسلام أيضاً.وفي تلك الأثناء وضع ابن سعود يده على كنز تصل قيمته إلى أربعين ألف دولار[١٩]، وعلى أثني عشر مدفعا من عيارات مختلفة، وعلى مدفعي مترولبوز، وكمية كبيرة من البنادق والذخيرة الاحتياطية [٢٠]، كل هذه الغنائم استولى عليها ابن سعود داخل أبنية الحكومة الموجودة في القلعة المركزية ــ الكوت ــ "[٢١].

وأشار تقرير شكسبير إلى دور الشيعة في الاحساء فقال أن إبن سعود :"أرسل الرسل إلى القطيف يرافقهم وجهاء الشيعة، وكذلك مجتهد الشيعة الأكبر في الاحساء [٢٢]، يحملون رسالة من المتصرف في الاحساء إلى القائمقام في القطيف يأمره بالاستسلام، ولكن النتائج لم تعرف حتى الآن "[٢٣].

وألمح التقرير إلى أن إبن سعود احتل العقير، واستبدل موظفي الجمارك الاتراك برجال من أعوانه، وانه أصر على أن يغادر كل جندي وموظف تركي المنطقة وبأسرع وقت، وفي أقرب فرصة ممكنة.

وحول رأي شكسبير في الحدث فقد زعم أنه فوجئ به، وقد أوضحنا في صفحات سابقة إنه أعطى الضوء الاخضر لابن سعود لاحتلال المنطقة.. يقول: "أقر وأعترف بالمفاجأة المباغتة التي تم فيها الهجوم، ففي حين كنت أتوقع أن يقع هذا الهجوم عاجلا ام آجلا، فقد

---

[19] معلوم أن المبلغ كان عشرة آلاف ريال.

[20] إذا كان ابن سعود قد استولى على كل هذه الأسلحة، فان الحديث عن سماحه للجنود الأتراك بحمل أسلحتهم معهم مشكوك فيه، أو على الأقل محدد بحيث لا يشمل الاسلحة الثقيلة، ولا الأسلحة الفائضة،

[21] الوثيقة السابقة المؤرخة في ١٩١٢/٦/٢٥.

[22] مجتهد الشيعة الأكبر في الاحساء، كان المرحوم الشيخ موسى بو خمسين، وقد كتب رسالة إلى شيعة القطيف بناء على طلب ابن سعود، حملها السيد سلمان المحسن.

[23] علق جلال كشك على هذه الفقرة فقال أنها من "النقاط الجديرة بالاهتمام والملاحظة، واعتبرها أشارة واضحة إلى تعاون الشيعة مع النظام السعودي الجديد، والدور الذي لعبوه في مفاوضات التسليم، انظر السعوديون والحل الإسلامي، ص ٢٤٧.

تكون لدي أنبطاع وشعور بأنه قد ينتظر حتى تنكشف له آثار حركات المطالبة بالحكم الذاتي النشطة في المقاطعات العربية الأخرى، قبل أن يقوم بهجومه، ومن نواح أخرى، يبدو واضحاً بأن إبن سعود لم يكن ليجد فرصة افضل من هذه، ولم يكن ليدبر الامور بمهارة أعظم وأكثر دهاء مما يبدو أنه قد حققه، حين أمَّن الحصول على دعم ومساندة وجهاء الاحساء نفسها، وأصحاب المسؤولية من أهلها "[٢٤].

بعد ستة أيام من كتابة التقرير، كان السير بيرسي كوكس، يبدي ملاحظاته عليه، ويرسله إلى حكومة الهند. فلقد أستغرب كوكس من هجوم ابن سعود وتوقيته، وقال أن اللحظة كانت مثالية، وان"علينا وعلى الأتراك الاعتراف بالامر الواقع ومواجهته عمليا" وهذا يعني الاعتراف بإبن سعود حاكماً على الاحساء.

وقال كوكس[٢٥]:" من الصعب تصور كيف يمكن للباب العالمي وخزينته خاوية والاضطرابات تتصاعد متزامنة في ولاية البصرة، أن يأمل على مدى المستقبل المنظور بأن يتحمل مسؤولية القيام بأعمال تأديبية ضد إبن سعود. وعلى اية حال فاذا قام الأتراك بمحاولة لشن عمليات عسكرية من البحر، فإننا سنواجه على الفور بالسؤال الملح، فيما إذا كانت سياستنا في منطقة الخليج ستسمح لنا بان نسكت عن مثل هذه الأعمال، والتي يحتمل كثيراً أن يثبت فشلها، بحيث ستخلف لنا أرثا من الاستياء والأسى المرير في نفس ابن سعود ".

بعد هذا يقترح حلاً سياسيا للمشكلة دون إهراق دماء، بحيث تبقى الاحساء في يد إبن سعود، وإلّا فإن من الضروري التصدي للمحاولات التركية البحرية لمهاجمته.

في ١٨ مايو ١٩١٣، أبرق المعتمد السياسي في البحرين "بإن القطيف قد أستسلمت لابن سعود يوم ١٥مايو ١٩١٣ــ ١٣٣١/٦/٩هــ.وان الحاميات التركية، والتي يتراوح عددها بين ٥٠٠ــ ٦٠٠رجل، استقلت الباخرة التركية جون أو سكوت، ووصلت إلى البحرين يوم ١٨مايو في طريقها إلى البصرة "[٢٦].

وفي ٢٣مايو ١٩١٣، بعث القنصل البريطاني في البصرة "كراو " إلى السير ج. لوثر في القسطنطينية، بتقرير عن التحركات العسكرية وبعض التفاصيل عن الرواية التركية لأحداث الاحساء، فقال[٢٧]: "توجه ١٤٠ مجندا من بغداد والبصرة إلى الحديدة على ظهر السفينة الروسية فيستا، كما توجه الكولونيل عبد الجبار ومعه ضابط آخر من الفوج ١١٢، وعشرة من الفارين من قوة الاحساء يحملون ١٢٠ صندوقا من الذخائر، وذلك إلى البحرين في

---

(24) الوثيقة السابقة المؤرخة في ١٩١٢/٦/٢٥.

(25) رسالة من كوكس إلى حكومة الهند في ١٩١٢/٥/٢٦.

(26) الوثيقة رقم FO371/1820/E 23513 والمؤرخة في ٢٢مايو ١٩١٢.

(27) الوثيقة رقم FO371/1820/E 28327 والمؤرخة في ٢٢ مايو ١٩١٢

طريقهم إلى الاحساء، على ظهر البارجة البريطانية / الهندية بارودا، كان ذلك في العشرين من الشهر الحالي.ووصل عدد يتراوح بين ١٥٠ــ ١٨٠ جنديا على ظهر القارب النهري بغداد من العمارة، للالتحاق بالخدمة في البصرة، التي وصلوها في الحادي والعشرين من الشهر الجاري. هذه المجموعة تابعة في الأصل لطابور غادرو التركي ".

"أما الهفوف، عاصمة الاحساء، فقد استسلمت لابن سعود يوم الخميس من الشهر الحالي، كما استسلمت القطيف يوم الخامس عشر منه، وتوجهت الباخرة جون أو سكوت إلى العقير والقطيف، وحملت حامية الاحساء ثم عادت إلى البحرين يوم الثامن عشر من الشهر الحالي، وعليها عدد يتراوح بين ٥٠٠ و٦٠٠ رجل من القوات التركية، وذلك طبق تقرير تلقيناه من المقيم السياسي في بوشهر، أما طبقا لوكلاء شركة الهند البريطانية، فلم يكن على ظهر الباخرة إلاّ ٣٠٠رجل.ومن المتوقع أن تتوجه الباخرة إلى البصرة في وقت قريب، ومن الملاحظ أن الاحساء كانت تتألف في شهر ديسمبر ١٩١٢من ٢٩٠ رجلا من الكتيبة الثالثة من الفوج١١٢".

"على أنه في تقرير مؤرخ في الثالث عشر من مايو ١٩١٣، يقول متصرف الاحساء أن ابن سعود وقبائله استطاعوا إحداث خرق في السور المحيط بالهفوف، ثم اقتحموا البلدة في الخامس من مايو، وهو يؤكد تقريره بان الحامية قاومت وصمدت في ثكناتها، وحاربت طيلة عشرين ساعة متواصلة، وان البلدة والقرى المحيطة بها قد سقطت في آخر الأمر بسبب "خيانة الأهالي ".إلاّ أن تقارير أخرى تفيد بأن البلدة استسلمت لقبائل العرب دون مقاومة، وفي رسالة بعث بها القائد العسكري لقوة الاحساء إلى القيادة هنا ــ البصرة ــ، قال أن الاحساء قد سقطت، وان الجنود قد استسلموا إنقاذاً لحياتهم".

"أرسل وزير الداخلية التركي برقية يقول فيها أن السفينة التركية ــ الحميدية ــ غادرت عدن متوجهة إلى البصرة، وان القنصل التركي في بومباي، وردا على سؤال حول موعد عودة السفينة التركية ــ مارماريس ــ، قد أبرق حسبما سمعنا محولا مبلغ ٩٠٠روبية ــ ٦٠٠ليرة تركية ــ إلى قائد البحرية التركية ليدفع ما تبقى من تكاليف إصلاح السفينة، التي ستعود للبصرة بمجرد إستلام ذلك المبلغ "[٢٨].

وفي ٢٦مايو ١٩١٣، بعثت معتمدية البحرين البريطانية بمعلومات إضافية عن عملية إحتلال الاحساء، إلى المقيم "كوكس "في بوشهر، فأرسلها كوكس إلى حكومة الهند ــ برقيا ــ في الثلاثين من مايو وهي تحوي التالي [٢٩]: "يقال أن إبن سعود قد كتب إلى الأتراك في

[28] الوثيقة رقم FO371/1820/E 28327 والمؤرخة في ١٩١٢/٦/٢١ .

[29] الوثيقة رقم FO371/1820/E 24878

البصرة رسالة يقول فيها أن الاجراءات التي قام بها، قد فرضتها عليه شكاوى الأهالي، بأنهم كانوا يضطهدون على أيدي المسؤولين الأتراك الصغار. وأضاف بانه على أستعداد لان يمثل الأتراك كوال معين من قبلهم، وانه يتعهد بالحفاظ على الهدوء والنظام في المقاطعات ".

"وخلافا لكل التوقعات فإن الباخرة ــ جون أو سكوت ــ لم تبحر من البحرين، ولكنها تسكعت هناك بحجج مختلفة. في الخامس والعشرين من مايو ١٩١٣، وصل ثلاثة ضباط ومعهم ثلاثون رجلا ومدفعان صغيران من البيضا ــ في قطر ــ وفي ٢٦ مايو غادر نورس بيك ومعه ٥٠٠ رجل ومدفعان، متوجها إلى العقير على ظهر زوارق محلية، بعد أن أشاع بما يوحى انه ينوي التوصل إلى اتفاق مع ابن سعود، في حين ما تزال الباخرة ــ جون أو سكوت ــ في البحرين متذرعة بحجج مختلفة، وتخضع لأوامر كولونيل تركي وصل مؤخرا من البصرة ".

"وتفيد التقارير الواردة من الفاو، أن القوة التركية الموجودة في البحرين قد طلب إليها أن تسعى لكسب الوقت بانتظار وصول الباخرة الحربية ــ مارماريس ــ من بومباي، والباخرة ــ الحميدية ــ من عدن".

"ويقال أن القنصل التركي في بوشهر قد أبرق أمس ــ ٢٥مايو ١٩١٣ــ إلى وزيره المسؤول يعلمه بأن الأتراك قد إستعادوا القطيف، ولكني أجد من الصعب تصديق هذا. إلاّ أنه يمكن أن يكون قد تم التوصل إلى حلٍّ وسط ".

وعاد كوكس ليوضح ما جرى بعد مغادرة "نورس بيك" إلى ميناء العقير..فرغم أن المهمة التي أوضحتها الوثيقة هي "التوصل إلى إتفاق"، فإن العملية كانت في الحقيقة محاولة لاستعادة الاحساء من إبن سعود، ذلك أن القوات التركية علمت فيما بعد أن القوة السعودية المهاجمة كانت صغيرة، وأن من المحتمل أن تغضب السلطات التركية على قادة حامية الاحساء والقطيف، فقاموا بمحاولة إستعادة المنطقة. وسنرى أن الإنجليز لم يعلموا بحقيقة المهمة التركية، ولكن إبن سعود أتهمهم فيما بعد بأنهم المدبرون لها، وهو امر بعيد عن الصحة.

لنقرأ الآن ما أرسله كوكس لرؤسائه في حكومة الهند حول الموضوع، حيث وافته الأخبار من المعتمدية البريطانية في البحرين حول ذلك. لقد أرسل في تاريخ ٥يونيو برقية إلى نائب الملك في الهند يقول فيها[٣٠]:

"بالإشارة إلى برقيتي المؤرخة في ٣٠مايو ١٩١٣، يفيد تقرير من المعتمد السياسي في البحرين، مؤرخ في الاول من يونيو، بأن القوة الرئيسية بقيادة الميجور نورس، قد توجهت

---

(30) الوثيقة رقم FO371/1820/E 25792 ومؤرخة في٦يونيو ١٩١٢هــ. وايضا انظر الوثيقة FO37/1820/E32590 المرفق ٢، تاريخ ١٥يوليو ١٩١٢.

إلى العقير، وليس إلى القطيف، وأن الميجور، وبعد أن أنزل ١١٠ رجل إلى الشاطئ، إحتل برجا صغيرا كلفه عشر إصابات. وقد ترك ستين رجلا في البرج ثم عاد إلى الزوارق لإحضار المدافع، ولكن بعد وصوله إلى الزوارق، رفض رجاله العودة، مما أضطره إلى التخلي عن رجاله الستين، والإقلاع بالزوارق.بعد ذلك استسلمت المجموعة التي بقيت في البرج لابن سعود، وأرسلها إلى البحرين بعد أن نزع منها أسلحتها، وبعدها غادرت القوة التركية كلها إلى البحرين عائدة إلى البصرة على ظهر السفينة ـــ جون أو سكوت ـــ".

"لاحظ المعتمد السياسي أن وجود هؤلاء الرجال ـــ الأتراك ـــ في البحرين، واستخدامهم الجزيرة قاعدة لعملياتهم، قد اعترض عليه الشيخ عيسى، ووجده في غاية الاحراج له، ومن الواضح انه قصد منه جره إلى نزاع مع إبن سعود. ويرى شيخ البحرين أن ندرس نحن الآن فكرة تقديم إحتجاج على ذلك إلى المسؤولين الأتراك، وهو يصر في كل الأحوال على أن يوجه تحذير للباب العالمي، بأنه إذا كان الأتراك يفكرون بالقيام بعمليات عسكرية جديدة، فان القوات يجب أن تنقل من البصرة إلى نقطة ما على اليابسة دون اللجوء إلى استخدام جزيرة البحرين. وانا أرجو واثقا بأن يتم تقديم مثل هذا الطلب في كل الأحوال "[٣١].

وفي رسالة بعثها القنصل البريطاني في البصرة "كراو" إلى القسطنطينية، ومنها إلى السير إدوارد غري، وهي مؤرخة في ١٤يونيو ١٩١٣، وردت تفصيلات جديدة عن عملية احتلال الاحساء، ومحاولة الأتراك بقيادة "نورس " إستعادتها، تقول [٣٢].

"طبقا لمعلومات تلقيناها هنا، فقد استولى إبن سعود على أثني عشر مدفعا من أنواع مختلفة، وعلى أربعة مدافع حصار كبيرة، كما إنه احتجز ثلاثين رجلا من سلاح المدفعية، وعشرة من رجال الجندرمة للخدمة تحت إمرته في الاحساء.. ويقال أن نورس أفندي، وهو الضابط الذي صحب الجنود الأتراك من الاحساء إلى البحرين، أحضر مائتي رجل ومدفعين من شبه جزيرة قطر، وانه وضعهم على ظهر قوارب شراعية مع ٤٩٧جندي تركي في البحرين، ومن هناك أقلعت بهم الزوارق ثم حطت بهم في العقير. تقول التقارير انه بعد يوم واحد من ذلك التاريخ، هاجمهم إبن سعود بقوة من ثلاثة آلاف شخص، فهرب الأتراك مخلفين وراءهم ستة قتلى في ساحة المعركة.بعدها مباشرة أسر إبن سعود خمسين جنديا تركيا وضابطا واحداً لم يستطع الهرب من العقير.. إلاّ أن إبن سعود أخلى سبيلهم فيما بعد، بعد أن نزع أسلحتهم وذخيرتهم، وبعد أن جعلهم يقسمون بان لا يعودوا لقتاله مرة أخرى. يقال أن

---

(31) أنظر كشك أيضاً، ص ٤٢٩.

(32) الوثيقة رقم FO371/1820/E 32590 مؤرخة في ١٥ يوليو ١٩١٢، وأنظر كشك، مصدر سابق، ص ٤٢٩ـــ ٤٥٠.

المائتي رجل والمدفعين قد أعيدوا إلى قطر، وأن نورس أفندي باق في البحرين "..والحقيقة انه رحل كما رحلت كل القوة التركية إلى البصرة بعد فشل العملية كلها.

تبرير الاحتلال:

أشرنا في مواقع سابقة من الكتاب إلى أن عبد العزيز السعود، لم يكن يريد الاصطدام المباشر بالقوة التركية التي يمكن أن تسحقه، وأن الإنجليز أشاروا بأنهم لن يسمحوا للأتراك بالقيام بعمليات حربية ضده من البحر، إذا ما استطاع أن يرسُّخ قوة في المقاطعة.

ولقد تحاشى إبن سعود أن يثير حفيظة الأتراك، فيجعل هزيمتهم شنيعة دموية، وكان قادر على ذلك..ولذا جعل إحتلال الاحساء أشبه ما يكون بعملية انقلاب، وتجنب ــ على غير عادته ــ إراقة الكثير من الدماء التركية !، ورحل القوات كلها، ولما عادت لم يفتك بها بل أعادها من جديد، وهو امر لا يمكن تفسيره بسوى تحفظه في مواجهة القوة المسلحة التركية، التي رغم عدم قدرتها الأولية على حشد قوات لقتاله، إلاّ أنها قد تسعى إليها إذا ما تمت إثارة الباب العالمي.

ورأينا كيف أن الملك كتب إلى الأتراك طالبا بتعيينه رسميا واليا لهم على المنطقة، بعد أن أحتلها بالقوة منهم وطردهم إلى الأبد !.

لماذا كل ذلك؟.

إنه ــ وبدهائه ــ كان يتوقع أن في نفوس الترك بقية من الامتعاض والاستعداد للمقاومة، على الأقل عن البعض من المسؤولين، فأراد أن يسحب هذا الفتيل، بإعلان ولائه واستعداده لحكم المنطقة بإسمهم، وهذا يحفظ للترك ماء الوجه من جهة، ولا يفقد إبن سعود اية إمتيازات على الأرض، بل يجنبه صراعا قد يشكل خطرا على انجازاته المحققة.

وهكذا سارع الامير السعودي إلى الكتابة إلى السلطان العثماني فور إحتلاله للأحساء مؤكدا ولاءه وإخلاصه كتابع للسلطان..ولكن إذا حاولت الحكومة التركية إسترداد الاحساء، فهو على إستعداد للمقاومة. هذا ما كتبه القنصل البريطاني في البصرة إلى وزارة الخارجية في ٢١مايو ١٩١٣ [٣٣].

من جهة ثانية أشرنا في مواقع عديدة إلى مبررات إبن سعود لاحتلال الاحساء مثل اضطراب الامن، ودعوة الأهالي إليه، وحقوقه التاريخية، وحاجته الماسة للمال والموقع.

على أن احد مستشاري إبن سعود، جمع كل هذا من خلال تصريح صحافي للملك السعودي، فقد كتب الزركلي تحت عنوان صريح "الملك عبد العزيز يبرر إحتلال الاحساء "أنه

---

[33] جلال كشك، مصدر سابق، ص ٢٥٢.

بعد أن استصفى الاحساء، سعى إليه كاتب من العراق [٣٤]في ذي القعدة ١٣٣١هـ " أكتوبر ١٩١٣"، فافضى إبن سعود إليه بهذا الحديث :[٣٥]

"إن الدولة العلية حفظها الله، غصبت آبائي هذا اللواء ـ الاحساء ـ بدون امر مشروع، بحجة دعوة عبد الله السعود، شقيق والدي. ومن بعد أن أخذته لم تحسن صنعا ".

(وكان والدي يومئذ ولي العهد بعد اخيه على إمارة نجد، التي يدخل فيها هذا اللواء وما يتبعه، وعمان وسواحله).

"ولما أشتد الخصام بين سعود وعبد الله آل سعود على الإمارة، أرسل الأخير مندوبا إلى بغداد لمفاوضة واليها في مسألته مع أشقائه. وبقي ينتظر من الدولة إسعافه ونجدته، لإخماد نار الفتنة المتأججة. غير أن الدولة وجدت انه قد آن زمن الاحتلال، فوضعت يدها من ذلك الوقت على الاحساء، وأبعدت أمراءها عنها. مع أنه لم تبدر منهم بادرة تستوجب ما أتته، وليت الدولة أحتلت ما يداني الاحساء من البلاد كعمان وغيرها التي تركتها هملا، ومكنت الدول الاجنبية من أن تقذف فيها نيران الفتن لتحصل على ما تنويه ".

"ومنذ ذلك الوقت اخذ السكان هذا اللواء بالسقوط والهويّ. لتغلب قطاع الطرق عليه لكثرتهم هناك، وكان الأهلون يرفعون ظلامتهم إلى مقام الولاية، ويذكرون له عجز أصحاب الأمر في ذلك الموطن، فما كان يسمع صدى لأصواتهم المتكررة، فراجعوني مرارا، فضربت عنهم صفحا إذاعاناً لدولتي، وإن كان يسؤوني نظري إياهم في تلك الحالة، لأن مجتمع الإنسان كالجسد إذا أصيب عضو منه بآفة إنتقل الألم إلى الجسد كله ". "ثم جاءتني محاضر ـ مضابط ـ فيها تواقيع كثيرة من العلماء والوجوه قائلين: إن لم تسعفنا نضطر إلى ما لا تحمد عقباه. وفي تلك المطاوي سمعت أن الدولة تنازلت عن حقوقها في الخليج وسواحله، فاستندت حينئذ إلى ما لي من الحقوق الشرعية في هذا القطر، بمنزل أساس، فبادرت إلى تلبية طلب الأهالي، ليكونوا في حريز من فتك أرباب الفساد فيهم، وإبعاد الأجانب عن ديارهم ". "فهذه هي الأمور التي ساقتني إلى ما أتيت، فقدمت الأهم على المهم، وسرحت موظفي الإمارة محافظا على حياتهم بدون أن ينالهم أذى ".

"وعليه إذا أنعم النظر رجال الدولة المخلصون في هذه المسائل، وفكروا في مآلها أحسن التفكير، وأعطوا لكل ذي حق حقه، ولاحظوا الأمن الضارب اطنابه في البلاد، وتثبتوا ما انتشر من مرافق العمران بين العباد، حبذوا عملي هذا، ولاسيما إذا علموا أني قطعت دابر الأشقياء والمفسدين، وحقنت دماء الأهلين، وبسطت أروقة الراحة بين العالمين"!!. إن إبداء

---

[34] هو إبراهيم عبد العزيز الدامغ، المحرر بجريدة الدستور العراقية، وقد أخطأ كشك حينما سماه ـ الدافع " نقلا عن الزركلي، وقال ساخرا أن اسمه يستحق أن يخلد على الأقل هو اول واخر صحفي اسمه الدافع، انظر كشك، ص ٤٥٢.

[35] شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، خير الدين زركلي، ص ٢٠٩ـ ٢٠١.

الملاحظات حول هذه التبريرات امر سهل، ولا يتطلب جهدا كبيرا في كشف مواقع الإثارة، وبإجمال سريع يمكننا تسطير التالي:

أولاً ـــ تجب الملاحظة أن هذا التصريح، إنما هو تصريح إعلامي دعائي بالدرجة الاولى، وموجه للأتراك، ويهدف أساسا إلى إقناعهم بعدم جدوائية العمل العسكري ضده لاسترجاع الاحساء، والتسليم بالأمر الواقع، وقد خاطبهم إبن سعود بلغة بالغة الاعتدال، فتجده يعلن مثلا خضوعه للأتراك، ويكثر من ألفاظ "دولتي، الدولة العلية حفظها الله "..وقد نشرت تصريحاته الموجهة هذه، في مقاطعة بغداد التركية.

ثانيا ـــ يلاحظ أن أهم التبريرات وأولها، هي مسألة الحقوق التاريخية، التي تتكرر دائما في المنشورات والكتب السعودية بألفاظ عديدة، مثل "ملك آبائي وأجدادي "، ومن المنظار الديني أو العصري، أو حتى القبلي، لايمكن التسليم بهذا المنطق، والا ما قامت دول وسقطت أخرى.

وبمنطق إبن سعود نفسه، فإن الأتراك أولى بالاحساء منه، أولاً لأنهم كانوا أسبق إلى أجداده إليها بقرنين ونصف، حيث أخذوها أثناء صراعهم مع اول قوة استعمارية في الخليج، وهي البرتغال..وذلك في القرن العاشر الهجري، في حين وصل آل سعود للاحساء اول مرة في مطلع القرن الثالث عشر الهجري، وثانيا لأن الأتراك حكموا المنطقة اكثر من حكم أجداد ابن سعود لها بعشرات السنين.

وبمنطق السعوديين نفسه، فإن كل سكان الجزيرة العربية الذين ينضوون الآن تحت الشعار الكبير "المملكة العربية السعودية "، بإمكانهم الإدعاء عن حق، بإن كل منطقة من مناطق البلاد هي "ملك آبائهم وأجدادهم".

على أن سنوات حكم السعوديين للمنطقة قبل الاحتلال الأخير، لا تزيد عن ٣١ عاما متقطعة، ومكتظة بالتمردات والثورات، في حين أن الأتراك حكموها آخر مرة أربعين عاماً متواصلة.. من هنا علق احد الكتّاب على هذا الإدعاء بالقول: "دعنا من طرفة: الدولة العلية حفظها الله إغتصبت حقوقنا "[٣٦].

وقد لاحظ الإنجليز أيضاً أن إدعاءات ابن سعود التاريخية في المنطقة إنما هي إدعاءات فارغة، وباستخدام ذات المنطق، وبالحساب!.. فبعد أن بدأت مطالبات إبن سعود بالعديد من مناطق الخليج بالتصاعد سنة ١٩٣٤، قالوا له تعال نتحاسب، فأعدوا الكشوف وافحموه.

تقول وثيقة بريطانية مؤرخة في العشرين من يوليو ١٩٣٤، وتتعلق بوضع الحدود الجنوبية الشرقية للجزيرة العربية: "لم يكن الوهابيون قد احتلوا مقاطعة الأحساء إلاّ لفترتين

---

[36] كشك، مصدر سابق ص ٤٥٢.

قصريتين نسبياً: ٢٣ عاما من سنة ١٧٩٥الى ١٨١٨، وثمانية أعوام من ١٨٣٠ـ ١٨٣٨.وهذا لا يمكن أن يشكل حقا مطلقا وراثيا ـ سلاليا ـ، والاحساء ليست وهابية لمجرد أنهم إحتلوها على مدى العشرين عاما الأخيرة ـ من ١٩١٣الى ١٩٣٤ـ إلاّ بقدر ما يمكن أن يقال بأن الرياض تابعة لقبائل شمّر، لأن هذه القبائل إحتلتها من عام ١٨٨٨وحتى ١٩٠٢.. اما الوطن الوراثي للوهابيين، فهو بالطبع أواسط نجد".

وحتى هذه المدة التي قضاها السعوديون في الاحساء، كانت أوضاعهم فيها غير مستقرة، إذا ما قيس الأمر بعهد الأتراك.. وإذا كان العثمانيون قد غصبوا آل سعود حقهم المشروع، فقد غصب ابن سعود حق الأهالي المشروع أيضاً !.

غير أن إبن سعود يصر على أن الأتراك كانوا "محتلين ".. وهذه لفظة وان كان البعض يراها في الوقت الحالي صحيحة، بسبب تغليب الانتماءات القومية على الإنتماء الإسلامي، فانها كانت في ذلك الحين، يوم لم تكن هناك قومية ولا دعاة لها، امراً فجاً ممجوجا..ذلك أن العرب لم يكونوا ينظرون إلى الاتراك كمحتلين، وإنما كمسلمين، ولهذا قبلوا سواء في الاحساء أو اليمن أو الحجاز بالحكم التركي، ولم يقاوموه باعتباره تركيا ـ غير عربي ـ، بل لأنه حكم خالف جادة الصواب. وفي اوقات عديدة رأينا أن الأهالي قد فضلوا الحكم التركي على الحكم السعودي، حتى أن والي الاحساء بعد فتنة الحرب الأهلية عرض على والد الملك عبد العزيز أن يتولى الرياض نيابة عن الدولة العلية مع دفع أتاوة سنوية، فلم يقبل ذلك، لا تكبراً منه على الأتراك، بل لعلمه أن الأهالي والقبائل لا يرضون به، فاعتذر بانه لا يستطيع "أخضاع العشائر التي صارت خائنة "[٣٧].

ثالثا: مسألة الامن أثيرت أيضاً، فتحدث إبن سعود عن شكاوى الأهالي، وكيف أن اضطراب الامن إساءة "لأن الإنسان كالجسد الواحد !!"..ومع أن السعوديين جاؤوا بحجة إعادة الأمن، فانهم لم يقبلوا باستخدام نفس المبرر من قبل الأتراك، والذين جاؤوا واحتلوا الاحساء بعد شياع الفتنة في البيت السعودي..والغريب أن إبن سعود يقول بأن الدولة "أبعدت امراءها عنها، مع انه لم تبدر منهم بادرة تستوجب ما أتته ". فباء آل سعود تجر، وباء الآخرين لا تجر.ومع أن اضطراب الأمن أواخر العهد التركي مبالغ فيه، فإنه ـ وكما رأينا ـ جاء بتحريض ابن سعود والإنجليز.

ولقد أشار الحاكم السعودي إلى أن الدولة تركت عمان واحتلت الاحساء..فمعلوم لمن له الاطلاع على تاريخ عمان، أن الأتراك حاولوا الوصول إليها..وان الإنجليز هم الذين دعموا سلاطينها لمقاومة النفوذ السعودي في القرن التاسع عشر..حيث كانت عمان ومشيخات

---

[37] المصدر السابق، ص ٤٢٤.

الساحل واقعة تحت النفوذ السعودي، والملوم حينها كان السعوديون وليس الأتراك، وحتى لو كان الأتراك قد احتلوها وأبعدوها عن النفوذ الإنجليزي ـــ وهم لا يستطيعون ذلك يومها ـــ فان المنطق السعودي سيجابههم أيضاً : " الحقوق الشرعية، وملك الآباء والاجداد ".. وليست قصة البريمي ببعيدة عن الأذهان، والتي لم تحل إلاّ في السبعينيات الميلادية، بل لا تزال آثارها السيئة باقية حتى اليوم.

فحتى وقت تصريح إبن سعود الذي يبرر فيه إحتلاله للاحساء، كان لا يزال يحلم بعمان وقطر والبحرين، والإمارات الأخرى، ولم تهدأ إدعاءاته إلاّ مؤقتاً، وبعد توقيع معاهدة مع الإنجليز عام ١٩١٥.

ويطرح السؤال على إبن سعود نفسه، لماذا لم يحتل عمان ويطرد الإنجليز، بدل أن يحتل الاحساء ويطرد دولة الخلافة ؟فلآل سعود في كلا البلدين ما يسمى بالحقوق المشروعة والتاريخية.. فإذا كان الجواب بسبب العجز، فدولة الخلافة كانت أعجز، وإن كانت المسألة هي الظلم التركي، فالظلم الإنجليزي في عمان كان أشد.

رابعا ـــ وطرح إبن سعود مسألة شكاوى الأهالي إليه، وقد أوضحنا الأمر في مواقع عديدة، ولكننا نضيف هنا، بأن المسألة حوت كماً غير قليل من المبالغة، إن لم تكن المسألة مختلفة من الأساس..فهذا أحد المتعاطفين بقوة مع وجهة نظر السعودية يقول حول قضية طلب الأهالي منه لانقاذهم بانه من "عادة كبار الفاتحين"!!.. اي أنها عادة كاذبة، لا أساس لها من الصحة، بل هي مجرد إدعاء!.. ويضيف:" وإذا كانت العادة قد جرت أن يقول كل الفاتحين الكبار، انهم جاؤوا بناء على طلب الأهالي، فان ابن سعود هو أحقهم بهذا الادعاء، فابن سعود ليس غريباً على الاحساء، وفتحه عاد بالخير والاستقلال والعروبة للإقليم [٣٨].وفي هذا نقاش طويل، ليس هنا مجاله !.والادعاءات في التصريح السعودي كثيرة، فلقد أشار ابن سعود إلى أن العمران قد انتشر في المنطقة بفضل حكمه الذي لم يمض عليه اكثر من خمسة أشهر!، فعلق احد مؤيديه مازحاً": العمران انتشر في أقل من ٥ شهور يابو تركي !.[٣٩]

وفي الحقيقة فإن مجمل تصرفات الامير السعودي عقب إحتلال الاحساء، تركز على تبرير الاحتلال، حتى مخاطباته ورسائله للإنجليز، كانت تفصح بذلك، وإن أخذت "الحقوق التاريخية "مساحة عريضة منها.. ومن المعلوم أن إبن سعود أعلن انه سيحكم هذه المقاطعة ـــ الاحساء ـــ مباشرة، وتضمن الإعلان قوله :"وها نحن استولينا اليوم على بلاد آبائنا وأجدادنا

---

(38) المصدر السابق ٤٥٢.

(39) المصدر السابق.

في الاحساء والقطيف وملحقاتها "، وبعث صورة من هذا الإعلان إلى بيرسي كوكس في الثالث عشر من يونيو ١٩١٣ [٤٠]

الموقف البريطاني من احتلال الاحساء

الآن وقد سقطت الاحساء في يد حليفهم، فقد اصبح الإنجليز على استعداد لاتخاذ مواقف تمنع الأتراك من استخدام البحر لمهاجمة ابن سعود واسترداد الاحساء..وقد احتجت الحكومة البريطانية لدى الباب العالي على استخدام البحرين في محاولة نورس بيك الفاشلة..وشيئا فشيئا بدأت المواقف البريطانية تميل إلى التشدد والتعامل مع الحاكم السعودي على أساس الأمر الواقع، في حين أظهر الأتراك ضعفا اكثر مما كان متوقعا.

ومن خلال متابعة فصول ما بعد الاحتلال، أراد الإنجليز التدخل كوسيط في المفاوضات التركية السعودية، لمساندة حليفهم، وحتى لا تجري صفقة من وراء ظهورهم..في حين حاول الحاكم السعودي عبثا أن يقنع الأتراك بانه صاحبهم، وانه سيحكم المنطقة بإسمهم، وفي ذات الوقت أعلن عن استعداده لمقاومتهم إلى حد التحالف العلني مع أعدائهم الإنجليز، إن هم حاولوا إعادة احتلال المنطقة.

وفي معمعة النقاش الدائر في الأوساط الرسمية العثمانية حول ما يجب اتخاذه من موقف، كانت رسل ورسائل ابن سعود تترى على المتعمدية البريطانية في البحرين والكويت، بل وجرت لقاءات عديدة بين الطرفين ولمّا تمض أسابيع قلائل من سقوط المنطقة، في حين توضح أن الأتراك لا يريدون اكثر من الحفاظ على ماء الوجه، فسارعوا التفاوض مع الحاكم السعودي لتحقيق هدفين، أحدهما إبعاد ابن سعود قدر الامكان عن دائرة النفوذ البريطاني، والآخر ترتيب إتفاق إسمي يجعل السيادة لهم !.

وتبدو في كل هذا حقيقة جديرة بالالتفات، وهي أن الحاكم السعودي أراد أن يلعب لعبته مع الإنجليز، طالبا الحد الأقصى من التأييد، وإلاّ فإنه سيكون مجبرا لمراضاة الأتراك، وراح يستخدم وسيلة الهجوم والعتاب لدفع الإنجليز نحو غرضه.

ففي ١٣يونيو ١٩١٣، الموافق للثامن من رجب ١٣٣١هـ، أي بعد حوالي شهر من احتلال الاحساء، أرسل ابن سعود رسالة إلى المقيم البريطاني في الخليج السير بيرسي كوكس، مضمونها العتاب، وهدفها إقامة تحالف معه..وهذا نص الرسالة [٤١].

"بعد السؤال عن صحتكم الغالية.

---

[40] الحدود الشرقية ــ مصدر سابق ــ ص ١٦٧ــ ١٦٨، وأنظر جمال زكريا قاسم ــ الجزء الاول، ص ٢٢٢.

[41] الوثيقة رقم FO37/1820/E من كوكس إلى حكومة الهند في الرابع من يوليو ١٩١٢.ونجد مقتطفات من الرسالة في كتاب السعوديين والحل الإسلامي، ص ٢٤٨ــ ٢٥١، وأنظر أيضاً جمال زكريا قاسم، الجزء الاول، ص ٢١١.

أخاطب فخامتكم من واقع الصداقة القديمة بيننا وبينكم، وبموجب المعاهدة التي تعود لأيام جدي فيصل رحمه الله، والتي مضى عليها ٥٥سنة، وبقي منها ٥٥ سنة أخرى، وأنا أرغب في إقامة ذات العلاقة، وعلى نفس النمط وبذات الشروط، التي كانت بينكم وبين أسلافي، وهذه الحقيقة هي التي دفعتني لكتابة هذه الرسالة"[٤٢].

"أنا واثق من انه لن يحدث أي شيء لرعاياكم يكون مناقضا للصداقة والمواثيق، ونحن الآن سيطرنا على أراضي آبائنا وأجدادنا في الاحساء والقطيف وملحقاتهما أيضاً، أما الجنود الأتراك فقد أرسلوا إلى البحرين، لانه من السهل عليهم أن يأخذوا طريقهم إلى البصرة من هناك[٤٢]. وحينما وصلوا إلى البحرين، ساعدهم شخص من جانبكم، وقدم لهم التسهيلات الضرورية، وشجعهم على البقاء هناك وخلق المشاكل لنا، وحين أستلمنا الأخبار لم نصدقها لأنها لا تتفق مع عدالتكم وحكمتكم، وبعد بضعة أيام أنطلق الجنود من البحرين إلى القطيف، ولكنهم ردوا خائبين، ولم يجدوا دعما إلاّ من رعاياكم وأعوانكم. وبعد أيام قلائل تقدموا — أي الجنود الأتراك — إلى ناحية العقير، وحال وصولهم تلقوا خسائر فادحة على يد جماعة صغيرة من أتباعنا ".

"أننا لا نعلق أهمية أو معنى للترك، ولا حتى للمرتبطين بهم..وإنطلاقا من شعوري الودي، فإنني أرغب في أن اكون معكم بنفس الشروط التي كانت بينكم وبين أسلافي، وأتمنى أن تستمر العلاقة بيني وبينكم كما كان في الماضي ".

---

(42) اعتبر كشك ما أشار إليه ابن سعود من وجود معاهدة طويلة الأمد بين آل سعود والإنجليزي بأنها معاهدة وهمية من اختراع ابن سعود، وبحسابه هذا تكون قد وقعت عام ١٨٥٨، ومدتها ١١٠ سنوات وهي مدة غير معروفة في المعاهدات).. وفعلاً فإن مثل هذه المعاهدات الطويلة غير معروفة، لكن هذا القول لا يلغي وجودها، وقد اعتاد الحكام السعوديين الاشارة إلى وجود معاهدات مع اسلافهم، ومنهم فيصل بن تركي، وابنه عبد الله وقبلهما خالد بن سعود الكبير، وبعدهم ابن سعود، وربما كانت اول المعاهدات والاتصالات مع الإنجليز أيام سعود الكبير في الدولة السعودية الاولى أثناء الخلاف بين الإنجليز وحكام إمارات الخليج المتصالح الذين كانوا يقومون بالقرصنة ضد السفن الإنجليز وضد سفن العمانية، يدلنا على ذلك انه في منتصف عام ١٨٢١تقريبا، تلقى حاكم بومباي رسالة من الأمير تركي بن عبد الله عن طريق شيخ عجمان جاء فيها "رغبته في تجديد المعاهدة التي عقدت بينكم وبين الأمير سعود، وكتب خالد بن سعود خطابا للمعتمد البريطاني في البحرين يشير فيه إلى رغبته القوية في أن تجديد علاقات الود التي كانت قائمة بين أبيه سعود والحكومة البريطانية، فأرسل له المقيم ضابطا هو الملازم "جوب " لمقابلته في الهفوف في نوفمبر سنة ١٨٤١.

ولهواية آل سعود في إقتفاء أثر أسلافهم، فقد كتب فيصل بن تركي إلى كمبال، المقيم البريطاني في بوشهر — في يناير ١٨٥٤، وهو تاريخ قريب من تاريخ " كشك "، يذكره بوجود اتفاق بين أسلافه وبين بريطانيا — تعهد فيه السعوديون بالمحافظة على السلام البحري لمدة مائة عام..اذن فالتعهدات المئوية ليست خيالا أو اختراعا، وانما حقائق تؤكدها وثائق التاريخ.

(43) أنظر جمال زكريا قاسم، مصدر سابق، ص ٢٢٢، وايضا مصادر تاريخ قطر، ١٨٦٨—١٩١٦،د.فتوح الخترش و د. عبد العزيز محمد منصور، دار ذات السلاسل، الكويت ١٩٨٤، ص ٦٧.

"فإذا مارغبتم أن تكون العلاقة بيننا كما في الماضي، وإذا إلتزم بها الطرفان لحماية رعاياهما، فإننا نتعهد لكم بالنيابة عن هؤلاء الذين هم من جانبنا، فيما يخص رعاياكم، وسنحترم شرفهم ونحميهم، ونتحمل المسؤولية أمامهم ونطلب المعاملة بالمثل منكم..".

من الواضح تماما أن إبن سعود يتهم الإنجليز بأنهم وراء محاولة الأتراك لاستعادة سلطانهم في القطيف والاحساء ليعترف من خلال ذلك على سياستهم تجاهه..ولذا كانت الوثائق تتحدث عن رسالته هذه موضحة أن إبن سعود "يطلب معرفة سياسة بريطانيا تجاهه"، بمعنى أن الإنجليز فهموا مغزى الرسالة.

لقد سلم إبن سعود هذه رسالته إلى المعتمد السياسي البريطاني في البحرين عبر مبعوثه مساعد بن سويلم، وقد بقي المبعوث ينتظر ردا مدة شهر كامل، وكان سبب التأخير هو أن المقيم لم يكن لديه قرار البتّ في الأمر بسبب تشدد وزارة الخارجية وحكومة الهند في وجوب التقيد بعدم التعاطي المباشر مع إبن سعود، إلاّ من خلال مراجعة الدوائر العليا. من هنا أرسل المقيم كوكس الرسالة إلى حكومته في الهند في ٢٧يونيو ١٩١٣[٤٤]، ولم يفته أن يعلق عليها بالقول أنها تتشابه مع رسالة سابقة في محتواها..وقال كوكس لرؤسائه أن المعاهدة التي ذكرها إبن سعود "تشير إلى الاتفاقية التي عقدناها مع جده قبل ٥٥ عاما، والتي أعتقد أنها هي نفسها التي قدمت إلى الكولونيل بيلي في الحادي والعشرين من شهر أبريل ١٨٦٦" وأضاف كوكس مخاطبا رؤساءه، أن إبن سعود "يعاتبنا وينحو باللائمة علينا على المساعدة المزعومة التي قدمها الممثل البريطاني التي القوات التركية التي تقوم بعملياتها في البحر "، وتابع كوكس قائلا، أن ممثل إبن سعود "ينتظر جوابنا بفارغ الصبر ". وكما ذكرنا فان الحكومة البريطانية ــ وعلى أعلى المستويات ــ تدخلت في مسألة العلاقة مع ابن سعود، لحساسية العلاقة مع الأتراك، وقد سبق لحكومة الهند أن طلبت من كوكس "أن يحيل إلى الوزارة ــ وزارة الهند ــ اية مبادرات يقوم بها إبن سعود، وذلك لتلقي التعليمات بشأنها "[٤٥].

بالسرعة المطلوبة حولت رسالة إبن سعود من البحرين إلى بوشهر، ومن بوشهر إلى حكومة الهند، ومن حكومة الهند إلى لندن، حتى "يفتي" فيها وزير شؤون الهند..وقد جاءت الفتوى في كيفية الإجابة كالتالي :"يجب إعلام إبن سعود بأنه لم تقدم اية مساعدات إلى القوات التركية، وان حكومة جلالة الملك إذ تقدر موقف ابن سعود الودي، ستحافظ على الحياد المطلق بين الطرفين ــ التركي والسعودي ــ اللذين ترتبط معهما بأطيب المشاعر "!.

---

[44] أنظر الوثيقة 3069 Eمؤرخة في الرابع من يوليو ١٩١٢، ورسالة إلى حكومة الهند.

[45] الوثيقة رقم E27217من الماركيز كراو إلى حكومة الهند، مرسلة من وزارة شؤون الهند في ١٩١٢/٦/١٠.

وفسر"المفتي" وهو وزير شؤون الهند هذا الموقف، لنائب الملك في حكومة الهند، بقوله:

"أن حكومة جلالة الملك ــ البريطاني ــ لا تتجاهل أهمية ابن سعود، ولكنها ترغب قبل كل شيء، أن لا يقال أو يتخذ أي إجراء في هذه الفترة يمكن أن يثير الريبة والشكوك في تركيا، أو في أي مكان آخر، بإن الحكومة البريطانية تشجع على تفكيك وتجزئة الإمبراطورية التركية في آسيا، ويجب تحاشي اية صيغة أو فكرة قد توحي بمناطق النفوذ وما شابه ذلك"[٤٦].

فالمسألة بالنسبة للانجليز وقتية، لعدم إثارة الشكوك حولهم بأنهم يريدون تقسيم الإمبراطورية العثمانية، التي علمت حكومتها باتصالات شكسبير بالبيت السعودي، والتي أثارت احتجاجها.. لذا كان الهدف هو عدم إثارة الشكوك اكثر، وانتظار الوقت لتصل الإمبراطورية إلى نهايتها المفجعة.. وفي ذات الوقت أستقر الرأي البريطاني بأنه لا يجب التخلي عن إبن سعود، بل يجب تطمينه دون شرح الموقف على حقيقته...ولكن يجب الالتفات إلى أن حكومة الهند نفسها نصحت وزير شؤون الهند في لندن بالتالي:"نحن نرى إنه من المرغوب فيه أن نرسل إلى الأمير السعودي ردا غير ملزم، وان تعطي له التطمينات بأنه ليس في نيتنا التخلي عن علاقات الود والصداقة السابقة بين بريطانيا وآل سعود "[٤٧].

وقد "أفتى!" الوزير بمثل ما رأت حكومة الهند، وتولى "الشيخ !"كوكس، نقل "الفتوى "لابن سعود، وذلك في التاسع من يوليو ١٩١٣، موضحا له توجه حكومة بريطانيا تجاهه..وهذا ما قاله كوكس لابن سعود [٤٨]:

"استلمت في حينه رسالتكم الكريمة المؤرخة في الثامن من رجب١٣٣١هـ ــ ١٣ يوليو ١٩١٣ــ والتي أرسلت إليَّ بالبريد من البحرين عبر مندوبكم مساعد بن سويلم الذي فاجأه المرض هناك.

أنا آسف من انه قد مضت أيام قبل أن أتمكن من الإجابة، ولكن السبب كان أنني لم أكن قادر على إعطائكم جوابا مسؤولا ــ رسميا ــ قبل إشعار الحكومة البريطانية.

لقد استلمت الآن الجواب، حيث خولّت بأن أخبر سعادتكم، بأن التقارير التي وصلتكم وتأثرتم بها، والقائلة بأن معتمدنا الميجور تريفور قد قدم خدمات للقوات التركية المتوقفة في

[46] أنظر الوثيقة E30696 تاريخ ٤/٧/١٩١٢، من وزير شؤون الهند إلى نائب الملك.

[47] أنظر الوثيقة E30369 من حكومة الهند إلى الماركيز كراوـ برقية مرسلة في الاول من يوليو ١٩١٢.

[48] الوثيقة رقم FO37/1820/E 39571 رسالة من كوكس إلى الأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود،

البحرين ليست صحيحة..ذلك أن بقاءهم في البحرين في مثل هذه الحالة كان أمرا لا مفر منه بناء على تلك الظروف، ولكن لم تقدم لهم اية مساعدة [٤٩].

الأمر الاخر، وفيما يتعلق بمشاعر الصداقة، فإنها تلقى التقدير من الحكومة البريطانية، ولكنها لا ترى سبيلا للتدخل في النزاع القائم بينكم وبين الحكومة التركية...وبالعكس من ذلك، فان الحكومة البريطانية ترى انه من الضروري إلتزامها بالحياد الدقيق بين الجانبين.

هذه رسالة الحكومة البريطانية، ومن ناحيتي فاءني أضيف مشاعر التقدير لعواطف الصداقة التي أبديتموها تجاه المقيمية، وأيضاً للضيافة الطيبة والمساعدة الكبيرة التي أضفيتموها على الرحالة الإنجليز، الذين مروا عبر مواقع قبائلكم [٥٠].

ويبدو أن هذا الجواب لم يكن كافيا لابن سعود، فعاود الكتابة في الرابع من رمضان ١٣٣١هـ، الموافق للسادس من أغسطس ١٩١٣، إلى بيرسي كوكس، سائلا عن توجه الحكومة البريطانية تجاه مصالحه الجديدة في الاحساء والقطيف.. فطافت رسالته شهرا كاملا، حتى سطرت الاجابة إليه في الحادي عشر من سبتمبر ١٩١٣الموافق للعاشر من شوال ١٣٣١هـ، في رسالة كتبها كوكس، هذا نصها [٥١]:

"بعد التحيات..استلمت رسالتكم المؤرخة في الرابع من رمضان، وفهمت منها أنكم تطلبون توضيحا كاملا لتوجه الحكومة البريطانية فيما يتعلق بشؤونكم ومصالحكم. إنه من الصعب إلى حد ما إعطاء هكذا توضيحات بدون معرفة مسبقة وأكثر تحديدا للنقاط التي ترغب في الحصول على كامل المعلومات حولها، وفي أي إتجاهات تتوقعون أن تعبر حكومة بريطانيا صداقتها، وإذا شئت فإنني سأكون سعيدا للقائك من أجل تبادل وجهات النظر حول المسألة، والى أن يتم هذا اللقاء فأنا مخول من حكومتي أن أؤكد لك، أنك إذا تعهدت من جانبك بالامتناع عن كل عمل يثير الاضطراب في الوضع الراهن، أو إلى خلق الاضطرابات لدى الإمارات العربية التي يرتبط حكامها بالحكومة البريطانية في علاقاتهم معها، بما في ذلك إمارة قطر، فان الحكومة البريطانية ستواصل سياسة الحفاظ على العلاقات الودية التي كانت

---

(49) يشير الأستاذ العقاد في كتابه التيارات السياسية في الخليج العربي – إلى انه بعد أن التجأت الحاميات التركية إلى البحرين شعر ابن سعود بميل الإنجليز إلى العثمانيين، ويضيف :"وحقيقة الأمر انهم وقفوا موقف الحياد، وان اعترفوا بعد قليل بمشروع اتفاق عقدوه مع الحكومة العثمانية بان الاحساء داخلة في منطقة نفوذهم.وصف العقاد المشروع بانه ولد اتفاق ميتا، ولذلك فضلت السلطات العثمانية أن تصل إلى تسوية على أساس حل وسط وجرت محادثات في هذا الشأن بين عمر فوزي بك مردبني – وبين ابن سعود منذ نهاية ١٩١٢" وأشار صلاح الدين المختار، في كتابه تاريخ المملكة العربية السعودية، جزء ٢ ص ١٤١ الى أن بريطانيا تدخلت بعدئذ لمنع العثمانيين من الهجوم على الاحساء.

(50) أنظر أيضاً، ناصر الفرج، مصدر سابق، ص ٢٤.

(51) أنظر الوثيقة رقم FO37/1820 رسالة من كوكس إلى عبد العزيز السعود، في الحادي عشر من سبتمبر ١٩١٢، وأنظر جي – بي – كيلي – مصدر سابق، ص ١٦٨.وايضا، جلال كشك / مصدر سابق، ص ٢٥٧.

قائمة في الماضي ". ومعلوم أن الأمير السعودي قد تعهد بذلك مرارا قبل احتلال الاحساء وبعدها، ولكن اضطرابا حدث لمشايخ الخليج من إحتمال قيام إبن سعود بالاستيلاء على قطر أو غيرها.

وبشأن قطر فإن النتيجة الأُولى لاحتلال الاحساء، هي استقلال أميرها عن الأتراك، وأنسحاب القوات التركية منها، والحقيقة فإ ذلك يجعل قطر محمية بريطانية، وإن تأخر الإعلان الرسمي لذلك حتى عام ١٩١٦.

وتشير رسالة بعثتها حكومة الهند إلى الماركيز كراو في ٢٦أكتوبر ١٩١٣، أن إبن سعود سيتوجه جنوبا "أي باتجاه إمارت الخليج "في الأسبوع الثاني من نوفمبر، ويأمل أن يلتقي مع المسؤولين الإنجليز..وقالت أن إبن سعود لن يناقش التفاصيل في الوقت الحاضر، ولن يقوم بأي عمل مخالف لرغبات الحكومة البريطانية [٥٢].

تطورات الموقف التركي والبريطاني من الاحتلال

التوقع الأولي لرد الفعل التركي على إحتلال إبن سعود الاحساء، هو أن الأتراك لن يكون بمقدروهم إستعادة سلطانهم التي فقدوها، لقصور ذاتي في قواهم العسكرية، ولإنشغالهم السياسي بأماكن أخطر..وان أقصى ما يمكن أن يحققوه هو حفظ ماء الوجه، وسلطة إسمية لا معنى لها.

كتبت القنصلية الروسية في البصرة بعيد إحتلال الإقليم في ٢٧مايو ١٩١٤: "إن إرسال فيلق عمليات إلى الاحساء في الوقت الحاضر غير ممكن إطلاقا بالنسبة للأتراك، فليس لديهم العدد الكافي من الجنود، سواء في بغداد أو في البصرة، زد على ذلك أن الحكومة البريطانية التي تتابع ببالغ الاهتمام كل ما يجري في الاحساء، ستحاول إعاقة الأتراك عن ترسيخ أقدامهم من جديد على سواحل الخليج" [٥٣].

ومع مرور الأشهر العديدة، بدا أن الموقف التركي يميل إلى اللين والتساهل، خاصة وان إبن سعود عرض على الأتراك حفظ ماء وجوههم، وذلك بأن أعلن استعداده لحكم المنطقة بإسمهم، فيما يبقى زمام الأمر الحقيقي بيده، وقد كتب إبن سعود رسالة إلى الباب العالي بعد أقل من أسبوعين من إحتلال الاحساء يقول فيها مبررا :"إن والده كان قد إئتمن الأتراك على إقليم الاحساء خلال السنوات الثلاث والأربعين الماضية، بهدف تحسين الأوضاع في الإقليم ورفع مستوى شعبه، لكن الأمور سارت من سيئ إلى أسوأ، مما اضطره إلى إسترداد الأمانة،

---

(52) أنظر الوثيقة السابقة، رسالة من حكومة الهند إلى الماركيز كراو في ١٩١٢/١٠/٢٦ .

(53) فاسيلييف، مصدر سابق، ص ٢٤٤ .

وقد أكد إبن سعود ولاءه كخادم للسلطان، أما إذا حاولت الحكومة التركية إسترداد الاحساء فإنه سيكون على استعداد لمقاومتها [54].

ولما وصلت المعلومات الأولية عن إحتلال الاحساء إلى "الكابتن شكسبير "، كتب هذا قائلا بأن الآراء منقسمة فيما يتعلق بالخطوات التي يمكن أن تتخذها الحكومة التركية "والرأي الغالب هو أن تركيا ستكون مشغولة بمشاكلها الكبيرة في البصرة إلى حد لن تستطيع معه أن تستغني عن قوات ترسلها إلى الاحساء في الوقت الحاضر".

"ولكن يتوقع أن ترسل تركيا حملة عسكرية في المستقبل عن طريق البحر ضد إبن سعود.اما الشيخ مبارك فيميل إلى الاعتقاد بان الأتراك سيقومون بأفضل عمل سيئ في هذه الظروف، فيطلقون على ابن سعود لقب متصرف نجد ثم يتركونه يحكم لوحده كما يشاء، إذ أن مقاطعة الاحساء لم تكن مربحة يوما للأتراك، ولم تسدد نفقات إحتلالها، حيث كانت رواتب ومكافآت شيوخ البدو الصغار تبتلع كل عائدات الإقليم، في محاولة لم تجد نفعا لمنعهم من نهب القوافل وتهديد الفصائل العسكرية التركية "[55].

وفعلا صدقت توقعات الداهية مبارك الصباح، وجرت الأُمور بشكل مطابق لما توقع.

ويمكننا إجمال أسباب إعتراف تركيا بالأمر الواقع بشأن الاحساء والقطيف، فيما يلي:

١ــ أن إرسال حملة كبيرة يقتضي نفقات كبيرة، لا تستطيع تحملها، سيما وانها في وضع مالي صعب، كما أن إرسال حملة صغيرة قد يؤدي إلى فشلها بما يعود بمحاذير عظيمة.

٢ــ أن الاحساء لم تكن مفيدة ــ رغم خيرانها ــ إقتصاديا للأتراك لأسباب أوضحناها سابقا.

٣ــ وقوف الحكومة البريطانية أمام محاولات العثمانيين بإرسال سفن عسكرية بحجة المحافظة على أمن الخليج، وقد فشلت الدولة العثمانية في إرسال جنودها على ظهر سفينة روسية لاستعادة المنطقة، بقيادة والي البصرة سليمان شفيق باشا..إذ ما كادت هذه القوات تدخل البصرة حتى تفشت بها الأوبئة.

٤ــ أن القوات التي يعتمد عليها هي عربية وكردية وقبلية من المنتفق أو من الموصل، وقد كانت المشاكل والثورات تعصف بها يومئذ.

---

[54] رسالة من قنصل البصرة البريطاني ــ المستر كراو ــ إلى وزارة الخارجية البريطانية في ١٩١٢/٥/٢١.وانظر جلال كشك، مصدر سابق، ص ٢٢٨ــ ٢٢٩.وقد وصف كشك رسالة ابن سعود بانها مريرة السخرية.والحقيقة فان الرسالة مليئة بالمغالطات الفاضحة.

[55] الوثيقة رقم FO37/1820/E29150 مؤرخة في ٢٥يونيو ١٩١٢، تقرير من شكسبير إلى كوكس في العشرين من مايو ١٩١٢.

لكل هذا فكرت تركيا في مصالحة إبن سعود وإنتهاج سياسة سلمية حتى يتسنى لها الانصراف لحل مشاكلها الأخرى، وللحيلولة دون تسرب النفوذ البريطاني للاحساء، إن هي جعلت من إبن سعود صديقا لها، كما حدث في اليمن [٥٦].

من جهتهم كان الإنجليز يراقبون الاوضاع في الاحساء من مناظير مختلفة إحداها البصرة، التي كان يتوقع منها إنطلاق حشود عسكرية لإعادة إحتلال الاحساء...على سبيل المثال، أرسل ضابط الاتصال البريطاني في البصرة إلى حكومته في ٥يونيو ١٩١٣، بأن كتيبة مؤلفة من ٢٠٠رجل تركي من مختلف الأسلحة قد وصلت إلى البصرة قادمة من بغداد يوم ٣٠مايو ١٩١٣، وأضاف باهتمام "لا تلاحظ اية حركة أو نشاط هنا ــ البصرة ــ لا ستعادة الاحساء..وتفيد اخر التقارير الواردة إلينا بأن حامية الاحساء هي في طريقها إلى البصرة"[٥٧].

ويشير القنصل البريطاني في البصرة "كراو " في تقرير له في ١٨مايو ١٩١٣[٥٨]، إنه إلتقى بطالب النقيب في مساء اليوم السابق، وان النقيب تلقى مساء ذلك اليوم رسالة قصيرة من إبن سعود تعلمه بإن الاخير إحتل الاحساء، وإنه قد أرسل المتصرف والموظفين المدنيين والقوات التركية بأسلحتها إلى البصرة، وأشار إلى إنه أعطى ٣٠٠جنيه تركي كنفقات لرحلتهم.. وأبلغ طالب النقيب القنصل البريطاني بمحتوى الخبر، وان إبن سعود أعلن ولاءه للسلطان، على أن لا يقدم شيئاً من الضرائب التي يجنيها من الاحساء، وان لا يبقى الموظفون الأتراك فيها.

وعلق القنصل البريطاني على الخبر، بأن إبن سعود قدم رأيا يقارب لرأي السكان، وأن أوضاع الاحساء السياسية بدأت بالاستقرار، وأضاف بأن رسالة إبن سعود كانت مرسلة للوالي بواسطة طالب نفسه ، وأن إبن سعود اعتبر نفسه خادما مطيعا للحكومة العثمانية [٥٩].

ولأن طالب النقيب كان يميل إلى حركة ابن سعود فقد قال للقنصل إنه يتوقع أن تؤثر أحداث الاحساء على سكان البصرة وبغداد بقوة، مشيرا إلى طموحه هو في الاستقلال والاستقرار بالبصرة كمملكة لآل النقيب.. وقال القنصل، انه أبلغ بأن الوالي العثماني لم يتلق جوابا من السلطات العليا حول الخطوات المقدمة، وانه عبر له عن أمله بأن الإجراءات التي

---

(56) جمال زكريا قاسم، الجزء الاول، ص ٢١٤ــ ٢١٥.

(57) الوثيقة رقم FO37/1820/E 25778 مؤرخة في ٥يونيو ١٩١٢.

(58) الوثيقة رقم /FO37/1820 مؤرخة في ١٨مايو ١٩١٢، ومرسل إلى ج ــ لوثر.

(59) الوثيقة رقم /FO37/1820 رسالة من القنصل البريطاني في البصرة ــ كراو ــ إلى ج ــ لوثر.ومؤرخة في الثامن عشر من مايو ١٩١٢ .وقد بعث بها لوثر إلى وزير الخارجية ادوارد غري.

ستتخذ يراعى فيها حفظ النظام"!"، وهي إشارة إلى مسائل السلم البحري، ومعارضة بريطانيا لحملة عسكرية حربية تركية..وهنا أجاب النقيب، انه يفعل جهده في ذات الاتجاه [٦٠].

وتشير وثيقة بريطانية، إلى أن السيد طالب أجرى عدة إتصالات تتعلق بالقارب الحربي "مارماريس " والذي غادر إلى بومباي قبل اشهر لكي يصلح، وايضا عن " الحميدية " والتي قيل أنها ستعود للبصرة، وتوقع طالب أن "مارماريس " لن تعود قبل أن يكون السلام مع ابن سعود قد تحقق.

على أن أهم امر حدث بعد سقوط الاحساء، هو ذلك اللغط الذي دار حول الاتفاقية التركية البريطانية فيما يتعلق بمناطق النفوذ على ساحل الخليج العربي..فقد أشرنا إلى أن احتلال الاحساء تم أثناء المفاوضات التركية / البريطانية، بحيث تسلم بريطانيا بان نجد والاحساء ضمن دائرة النفوذ التركي، فيما تسلم تركيا للإنجليز بنفوذهم في عمان والبحرين والساحل المتصالح وحتى قطر !.

ولكن جاءت حركة إبن سعود فأربكت الطرفين، خاصة الطرف الإنجليزي، فهل لهم أن يعتبروا الاحساء "تركية " ام لا، رغم أنها في الواقع ليست كذلك، ورغم أن إبن سعود أقرب إليهم من غيره من الحكام الآخرين ؟.

وبعد جدل ونقاش طويل، أستقر الأمر على اعتبار الاحساء تركية لأسباب أهمها :

*إن الأتراك لن يوقعوا على إتفاقية لا تعتبر الاحساء تركية.

*إن إعتراف الإنجليز بتركية الاحساء لن يغير من واقع الحال شيئا.فالسلطة كاملة ستبقى بيد ابن سعود.

*إن الاعتراف بتركية الاحساء سيجني مقابله إعتراف بالنفوذ البريطاني في بقية المناطق، وهذا الاعتراف مهم، بل اكثر أهمية من إعتراف إسمي بعثمانية الاحساء.

*إن إنزعاج إبن سعود المتوقع يمكن تفريغه، بإقناعه بان الاتفاقية ــ إذا ما علم بخبر توقيعها ــ لن يغير رأي الإنجليز فيه، ولن تحرمه من استقلاله الذاتي، بل انهم سيعملون كوسيط في المفاوضات لإقناع الأتراك بالتخلي عن الاحساء كاملة له.

وهكذا تم توقيع إتفاق بين دولة إنجلترا والدولة العثمانية، يحدد مصالح الطرفين في البحرين والكويت والساحل المتصالح، دونما إشارة للاحساء ــ أو هويتها ــ..تم ذلك في ٢٦يوليو ١٩١٣.

---

[60] المصدر السابق.

لاشك إنه كانت هناك حيرة إنجليزية في حل المشكل الشكلي، فيما يتعلق بتبعية الاحساء، وما يترتب على ذلك من اعتراف بإن سعود من عدمه..وقد أثير هذا الموضوع منذ أن وصلت الأخبار باحتلال إبن سعود للاحساء.

فقد بعث كوكس – المقيم في بوشهر – برقية إلى حكومة الهند بعد حوالي ثلاثة أسابيع من احتلال الاحساء حول تطورات المفاوضات التركية – البريطانية، ويبدي رايه في الموضوع المستجد، إلاّ وهو إحتلال الاحساء [٦١].

يقول كوكس إنه من الصعب التوفيق بين البند العاشر في الاتفاقية التركية – البريطانية، وهو بند يتعلق بمنطقة الاحساء المحتلة حديثا، وبين الانسحاب التركي من نجد والاحساء، وأضاف أن بإمكان الحكومة البريطانية أن تقدم نصيحة للباب العالي، أو تترك الأمور لتأخذ مجراها الطبيعي دون التطرق للأمر المستجد.

"فمن جهة، يبدو أن مسودة الاتفاقية المذكورة تفرض علينا اعترافا حديثا بسلطة الأتراك على نجد – والأحساء – ومن جهة أخرى إذا كان إبن سعود حاكما مستقبلا، فإن من الضروري من وجهة نظر مصالحنا وعملنا في الخليج، أن لا نضيع وقتنا في تأسيس علاقات رسمية محددة وطيبة معه ".

ويتساءل كوكس فيما كانت هناك إمكانية "للضغط على الأتراك للإعتراف بالحقائق المنطقية، وان يجرى ترتيب مع جهودنا لحل مرض للمشكلة، مشكلة الاحساء وتوابعها، بحيث تلحق هذه القضية بالإتفاقية المزمع توقيعها؟".

ويعرض كوكس سيناريو للحل يتفق تماما مع مصالح الأمير السعودي، فهو يقول بان " قواعد الحل ربما تكون إعترافا بإبن سعود كحاكم مستقل في نجد والاحساء – على أن يكون تابعا رسميا للسلطات التركية، وان نضمن نحن حقنا في التعامل معه كواحد من حكام الساحل البحري، حتى نستطيع إرسال معتمد بريطاني إليه.وان يتم – بمعرفة الباب العالي – توقيع اتفاق معه فيما يتعلق بمكافحة القرصنة، وتجارة الرق، وتهريب السلاح..وسيكون مرضيا لأبعد الحدود أن نرى كامل نجد وقد انتزعت من السيطرة التركية "[٦٢].

ويعود كوكس فيؤكد بأن الحكومة البريطانية ستقرر الانتظار إلى أن تحدث تطورات جديدة على الموضوع، وفي نفس الوقت تبقى على صداقتها مع إبن سعود.وأخيراً يرى كوكس أن من المستحيل في هذا الوقت المتأخر أن تقحم مسألة الاحساء في نقاش مع الأتراك، لأنها ستسبب تعويقا ومخاطر على الاتفاقية المزمع توقيعها.

---

(61) أُنظر الوثيقة رقم/FO371/1820 برقية من كوكس إلى حكومة الهند في مايو ١٩١٢.

(62) الوثيقة السابقة.

وأتسع النقاش الذي شاركت فيه خارجية لندن ومسؤوليها، وكان رأي الجميع متفقا بأن المفاوضات التركية ــ البريطانية التي وصلت إلى آخر الشوط، لا يجب أن تعرقل بطرح المسألة الاحساء واحتلالها، ولكن إذا ما طرحت المسألة، فسيطلب البريطانيون من الحكومة التركية الاعتراف باستقلالية ابن سعود على أن يكون خاضعا إسميا لها، وان يسمح للإنجليز بأن يقيموا علاقات معه شبيهة بعلاقاتهم مع أمراء الساحل.

في الرابع من يونيو ١٩١٣، بعث المكتب الهندي إلى وزارة الخارجية، برسالة موقعة من "ت. و. هولدرنس [٦٣]يقول فيها: "أن الماركيز كراو يوافق حكومة الهند بان من المستحيل إقحام مشكلة وضع الاحساء القانوني في هذه المرحلة على طاولة المفاوضات القائمة، ولكن حكومة صاحب الجلالة البريطانية لا تعارض وجود قوة ضاربة في مناطق الجزيرة العربية المشار أليها ".

وتضيف الرسالة، أنه بالرغم من أن الحكومة البريطانية لا تريد إقحام مشكلة الاحساء في المفاوضات "ولكن إذا ظهر أن السلطة التركية المباشرة قد اختفت من هذه المناطق، فان من الضروري إيجاد تفاهم مشترك، سواء مع الحكومة التركية، أو مع السلطات المستقلة في نجد، إبن ــ سعود ــ".

"ويظهر من برقية السير بيرسي كوكس المؤرخة في الثلاثين من مايو ١٩١٣. بأن طموح إبن سعود هو في أن يكون واليا ــ على الاحساء والقطيف ــ بالنيابة عن الأتراك..كما ويبدو أن من المعقول سؤال حقي باشا بصفة غير رسمية عن راي الحكومة التركية فيما يتعلق بمفاوضة الجهة المسؤولة عن الاحساء إيا كانت ".

وحين يرد " لويس ماليت " نيابة عن وزير الخارجية السير غري على الرسالة يقول [٦٤]:

"أن السير غري يتفق تماما مع وجهات نظر حكومة الهند، بان من المستحيل في هذا الوقت المتأخر طرح مشكلة الاحساء "، ولهذا يعرض بقوة على مناقشة الموضوع مع حقي باشا حتى وإن كان بصفة غير رسمية.

وقال ماليت بأن غري، يرى أن من الأفضل إنتظار التطورات، وان تتقيد الحكومة البريطانية بسياستها الحالية بدقة وصرامة، دون التدخل في أمور نجد بشكل مباشر أو غير مباشر، ولعل الوزير ــ كما يبدوــ لا زال يتذكر مسألة شكسبير هنا !!.

وتعرض غري لوجهة نظر كوكس بشأن توقيع اتفاق مع ابن سعود، فعارض ذلك، وقال بأن هذا يقوي الشكوك لدى الحكومة التركية، ويؤثر على تطورات الأحداث.

---

(63)انظر الوثيقة رقم FO371/1820/ رسالة من المكتب الهندي إلى وزارة الخارجية في الرابع من يونيو ١٩١٢ .

(64))الوثيقة رقم FO371/1820/ من وزارة الخارجية "لويس ماليت " إلى المكتب الهندي في السابع من يونيو ١٩١٢ .

ومن جهته فإن إبن سعود، ورغم صلاته المباشرة بالحكومة التركية عبر ممثليها في البصرة وبغداد، وعن طريق ممثله هناك عبد اللطيف المنديل ــ التاجر النجدي المقيم في العراق ــ فإنه استخدم مبارك الصباح لينوب عنه في اقناع الأتراك بضرورة حل المسألة سلميا..يتضح ذلك من خلال المراسلات التي تمت بين الطرفين.

وكما يبدو فإن الدولة العثمانية وبسبب ضعفها العسكري، هي التي فاتحت ابن سعود بشأن مبدأ التفاوض، وكلفت ممثله عبد اللطيف المنديل بذلك، فعاد يحمل الموافقة للسلطات المتهالكة بشأن تحقيق التسوية.

بعدها أمرت الدولة العلية السيد طالب بأن يمهد للتسوية مع ابن سعود فالتقط الخيط مبارك الصباح، وبعد معرفة طلباته وتقديمها للدولة، كتب مبارك للأمير السعودي، الرسالة التالية:[٦٥]

"ولدنا العزيز، دمت بخير وسرور

الله يسلمك.انا عرفتك عنيد ــ عن يد ــ ولدنا عبد الله الجلوي عن مطراش ــ رسول ــ عبد اللطيف المنديل لك، ومطالبهم، لا تقبل منها شيء يتنازلون عما هم طالبين. إلزم تعريفك الاولى لهم : ألفين ليرة سنويا، وأنك عثماني تحت أمرهم، ولا بد مثلما عرفتك، أن يجيك ــ يأتيك ــ من يخصم المادة معك على ما في الخاطر إن شاء الله، والعلاقات تصير في القطيف، هذا بعد ما يجيبهم ابن منديل، أو يعرفهم قبل ما يجيبهم".

وينتقل مبارك بعد أن يطرح راية بشأن المفاوضات السعودية التركية وإقتراحاته بشأنها، وكيفية إدارتها، ينتقل إلى علاقات ابن سعود مع الإنجليز، فيضيف :"وأما الذي ــ الذين ــ واجهوك في العقير [٦٦]، لهم رغبة فيك، لكن لهم حاجة عند التراك، الآن ما يتبينون لأجل قضيان حاجتهم [٦٧].ونحن أيضاً ما نرغب فيهم [٦٨]الذي ــ الذين ــ الآن يراسلونك أهون منهم واجد ــ جدا ــ إذا رأينا الامور تسلك معهم بحالة ما تمس، ما نذخر، ونخلي ذولاك ــ نترك أولئك ــ مكراب الآن " .بعد هذا تبدأ تفاصيل اللقاء مع بطلي التسوية " مبارك نيابة عن ابن سعود، وطالب النقيب نيابة عن الأتراك ". قال مبارك في رسالته لابن سعود " أنا هالأيام وصلت البصرة، الوالي سير علينا وعزمنا عنده [٦٩]، وصار بحث من طرفك، طالب قال : مبارك ما جاعد يعطينا رأية في مسألة ابن سعود، قلت له، وأنا اسند على الوالي : أعطيتكم

---

[65] خير الدين الزركلي، مصدر سابق، ص ٢٢٠.

[66] فور احتلال الاحساء، التقى ابن سعود بممثلين عن الإنجليز في العقير، وباركوا له انتصاره، والإشارة هنا هي إلى هذا اللقاء.

[67] أي أن ابن سعود مرغوب في إنجليزيا، ولا يستطيعون الافصاح عن تأييدهم لان لهم حاجة عند الأتراك غير معلومة، ويبدو هنا أن الإشارة واضحة إلى الاتفاقية التركية ــ البريطانية .

[68] المقصود : لا نرغب عنهم، ولسنا زاهدين فيهم، أي في الإنجليز ".

[69] سير : تعني زار : وعزمنا، تعني دعانا للمأدبة.

رأيي، وكلما تسألوني أجاوبكم.إحفظوا شرف الدولة، واحفظوا ابن سعود لا يروح من يدكم [٧٠]، هذا النظر كاف ".

"والأخ الشيخ خزعل جاوبهم، قال، هذا هو الرأي، وهو النظر، مثلما يقول مبارك، إذا حفظتوا شرف الدولة، وحفظتوا ابن سعود، صار ابن سعود لكم، ما يصير إلى غيركم، وابن سعود أنفع لكم من الاحساء والقطيف ".

"اخر :الله يسلمك، ما هم مستقيمين على قرار ــ أي الأتراك ــ لأن الله آمر عليهم بالنقص، وأما الملاقاة ــ المفاوضات ــ مع الذي يخصهم الأمر معك، هذاي ــ هؤلاء ــ صاير عليهم أمر من إستنبول، وانت الله يسلمك، مثلما أنا ذاكر لك : الزم تعريفك الأولى، عثماني ومنهم، ومعطين ألفين ليرة سنويا ". أي قل لهم: أنا عثماني، واعطوني الفي ليرة سنوياً. هذا اثناء المفاوضات إذا ما ارسل الاتراك مندوبين عنهم إلى القطيف!.

في هذه الأثناء بعث طالب النقيب برسالتين لابن سعود، إحداهما من المسؤولين العثمانيين، و الأخرى شخصية من طالب نفسه، بشأن التسوية وإعداد مخلص للاتفاقية، وقد حاول مبارك تعويق الرد السعودي، وطلب من إبن سعود نفسه أن يتأخر في أبداء رأية في الأسس العامة للإتفاقية، ريثما يتم اللقاء المرتقب بينه وبين السير بيرسي كوكس في الخامس عشر من ذي الحجة ١٣٣١هــ، ١٥نوفمبر ١٩١٣، ويناقش معه بنود الاتفاق.

وكان مبارك وسيطا في تحديد يوم اللقاء، فقد كتب لابن سعود رسالة جوابية على رسالة سابقة منه مؤرخة في ٢٠ شوال ١٣٣١هــ يبلغه فيها، أن الكولونيل كوكس قد قدم إلى الكويت، وأنه "سأل مني : أيش مطلبه ــ مطلب ابن سعود ــ؟ أيش نظرك ؟قلت له :مطلبه مثل حالتي وياكم.قال :أنا أراجع الدولة ــ البريطانية ــ من بعد ما أواجهه ــ أي بعد مقابلة ابن سعود ــ، وأنا أيضاً رايح إلى الدولة، إن شاء الله يحصل له إستقلال مثلك، قلت له : هذا هو المطلب "!!.

بعدها يكتب مبارك لابن سعود إرشاداته ":فأنت الله يسلمك..هذا الذي حنا ــ نحن ــ نريد.وهذي أكبر النعم. حين ما يصلك الخط ــ الرسالة ــ إن شاء الله تمشي. والقرار صار المواجهة ــ اللقاء ــ في العجير ــ العقير ــ فاذا تعيدت إن شاء الله يوم ١١ذي الحجة تمشي. يعني بعد يوم العيد بيوم، والكرنل يبغي ــ الكولونيل يريد ــ يحضر البحرين يوم ١٥ذي الحجة، وينتظر الخبر منك ".

---

[70] لا يروح ابن سعود من يدكم : المقصود أن لا يتجه لغيركم :"الإنجليز " وهذه النقطة لعبها مبارك وابن سعود، وكانت ناجحة، ومما جعلها أكثر نجاحا، عجز الأتراك الحقيقي، فذهبوا لابن سعود يتفاوضون وهم يمنون النفس بان لا يرتمي لكثر في أحضان الإنجليز !.

"وأنت الله يسلمك، كل من دخل تحت نظرهم ــ أي تحت رعاية الإنجليز ــ إعتز واستراح، مثلما تشوف حنا ــ وراعي البحرين، وعمان..رفيقهم عامر وعزيز، وهذي إن شاء الله من حسن توفيقك، والا، يا ولدي العزيز، لو يطلبون منا واردات الاحساء والقطيف هذه السنة وغير هذه السنة "لتكون "قسم من وارداتهم ــ أي واردات الإنجليزــ كان نعطيهم لأجل عز الرأس والراحة.. خلنا ــ دعنا ــ نستريح من هالذاهبين ــ أي الأتراك ــ اللي ــ الذين ــ دائما حنا في فكر من طرفهم، ومن الشريف وغيره، فأوصيك وأكد عليك. يوم الله ييسر، أقبل بما يقطع نظر الكرنل، تراني حاسهم، وعارف غايتهم زين ".

"تراهم ــ أي الإنجليز ــ رجال، كل أمورهم ما يبينوها، وغايتهم هذي ينوها لي إنه يحصل إستقلال. فأنت لا تبين لهم إلاّ أنك تطلب منهم استقلال، وأنك محب لطرفهم دون غيرهم من الدول: فإن عطيتوني إستقلال على موجب محبتي لصداقتكم وقربكم، فأنا راغب فيكم دون غيركم، وأمشي بكلما يرضيكم، وان تعذورتوني فأعذروني [٧١].

ومرة أخرى كتب مبارك رسالة لاحقة لرسالته الآنفة الذكر يؤكد فيها على الموعد، ويبين لابن سعود أن الإنجليز "شافوا طول أقامتي هالسنة بالبصرة، واختصاري ــ إنفرادي ــ مع الوالي ــ التركي ــ دفعات ــ مرات.. وهم ــ أي الإنجليز ــ الله يسلمك، ما يغباهم شيء ــ لا يخفى عليهم شيء ــ، واعين ".

وشرح مبارك للإنجليز مسألة وساطته، وقال لهم "أنكم مبعدين عنه "، أي مبتعدين عن ابن سعود، وأضاف "فالاشارات الذي رأيتها أنا منهم ــ من الأتراك ــ يسلكون مع عبد العزيز ويصطفون له الاحساء والقطيف، ويحسنون له كل ملحقات مملكته.. إلى مسكت ــ مسقط.."

"فالآن الرغبة فيكم ــ الإنجليز ــ عن غيركم ــ الأتراك ــ أحب أن ابن سعود معكم، يدخل مدخلي، وكل هذه المدة معهم على هذا البحث ".

وأكد مبارك في هذه الرسالة أن كوكس سيصل إلى البحرين يوم ١٥ذي الحجة ١٣٣١هــ حتى يأتي "وانت الله يسلمك الزم اللزوم عليك مواجهة الكرنل.لان هذي المسألة حنا نشربها في كل حاصل الاحساء والقطيف "[٧٢].

"فالآن أنا أكد عليك بالعجلة لمواجهة الكرنل، وانت إذا واجهته إن شاء الله، مطلبك عليه فقط الاستقلال، وأبي ــ أريد ــ أدخل معكم مدخل مبارك، وأنا ملزم إن شاء الله أتبع رضاكم وأمتثل أمركم في كل الأحوال..والا انا اليوم مستقل، وأنا راضي مع التراك الآن، ومعطيني الاستقلال، ويحبون أني أحافظ على جميع ملحقات مملكتنا، ومع هذا أنا أحب طرفكم عن

---

(71) نص الرسالة في " الزركلي "، مصدر سابق، ص ٢٢١ــ ٢٢٢.

(72) أي أن اللقاء لو كان ثمنه مداخيل الاحساء والقطيف لاستحق ذلك !، أنظر نص الرسالة في المصدر السابق ص ٢٢٢ــ٢٢٤.

غيركم، بحسب عدالتكم وحميتكم ومرحمتكم، فإذا تبعدوني عنكم أصير مجبور أوافق الترك "[٧٣].

ورسالة ثالثة يكتبها مبارك لابن سعود، يعلّمه فيها حرفيا كيف يفاوض الإنجليز، ويحسُّن له صفاتهم، وفي هذا الرسالة يبلغه أن طالب النقيب سيقضي يوم عيد الأضحى في الكويت، وكان طالب قد جاء للاستعانة بمبارك في المفاوضات مع ابن سعود، وقال مبارك في رسالته لابن سعود موضحا عادات الإنجليز :

"أنا الله يسلمك، أبين لك عن عاداتهم : ما يبينون رغبتهم ولا منافعهم، ولا الذي يبون ـــ يريدون ـــ يجرونه، إلاّ من بعد ما يجري ،ورجال أهل سدٌ غميج ـــ عميق ـــوأهل سيرة زينة، وكلمتهم واحدة، إذا أعطوا جواب يصدقون، ورفيقهم يزيدونه ما ينقصونه، والا الذاهبين ـــ الإشارة هنا للأتراك، ما في قربهم خير، وخويهم يضربونه، وفي خطر، مثلما هم أذهبوا أنفسهم يذهبون الذي يجاريهم "[٧٤].

بعدها يشرح مبارك، أهمية تمطيط المفاوضات ريثما يتم اللقاء مع الإنجليز: "وأنا الله يسلمك، ذاكر لك أن حنا نبي المخابرة تطول، لأجل يبقون في أمل، وحنا نشوف لنا شوفات ونفتكر..والخطوط ـــ المكاتيب ـــ الآن أخرناها، وقاعدين نفتكر مع الصاحب ـــ المعتمد السياسي في الكويت ـــ الذي عندنا نتراجع حنا وياه "!.

إن النتيجة المستخلصة من هذه الرسائل واضحة المعالم :

١ـــ فمبارك هو دلال المفاوضات بين ابن سعود والاتراك من جهة، وبين ابن سعود والانجليز من جهة أخرى، فهو يقول للاتراك: لا تخسروا ابن سعود حتى وان خسرتم الاحساء، ويقول للإنجليز: أن ابن سعود راغب فيكم دون غيركم، فلا تتركونه يواجه الأتراك وحده دون دعم، وإلاّ حرضوه لأخذ عمان من يدكم !، وفوق هذا كان يقدم تفاصيل وساطته لمعتمد الإنجليز في الكويت.

٢ـــ إن الإنجليز لم يكونوا بعيدين عن المفاوضات التركية السعودية، بل في حقيقة الأمر كانوا في قلب القضية، فبمارك هو رجل الإنجليز أولاً وتاليا، والصاحب "المعتمد في الكويت " يطلع على المكاتيب السعودية والتركية في نقطة الوصل، وهي الكويت، وبصورة علنية، ويديرون المباحثات نيابة عن ابن سعود.

٣ـــ وتوضح الرسائل أن ابن سعود لم بغيته ينل من الإنجليز، وهو الإعتراف العلني باستقلاله عن الأتراك، والسبب هو أن الإنجليز لم يكونوا في وضع يسمح لهم بالاعتراف

---

(73) الزركلي مصدر سابق، ص ٢٢٢ـــ ٢٢٤.

(74) المصدر السابق، ص ٢٢٥ـــ ٢٢٦.

العلني به حاكما على الاحساء والقطيف، ومستقلا بهما دون الأتراك، وكانوا حريصين ــ حسب تعليمات وزارة الخارجية في لندن ــ على تجنب الظهور بمظهر المتآمر مع ابن سعود ،وفي ذات الوقت لم يسمحوا لأنفسهم بأن يتركوا ابن سعود ينسق مع الأتراك كيفما يشاء خشية أن تتعرض مصالحهم في الإمارات الأخرى للخطر، وخشية أن يخسروا ابن سعود نفسه.

لذا كان لا بد من لقاء ابن سعود وعلى مستوى المقيم في بوشهر " كوكس "، رئيس الرؤساء، أو رئيس الخليج، كما يصفونه. وكما يبدو من الوثائق، فان لقاء اخر في منتصف ديسمبر ١٩١٣، وكان الطرف الإنجليزي ممثلا في المعتمد البريطاني في البحرين "تريفور ". والمعتمد البريطاني في الكويت الكابتن شكسبير، وقد التقى الطرفان على بعد ميل من الشاطئ المحاذي للعقير في صبح يوم الاثنين ١٥ديسمبر، حيث استقبلهما ابن سعود بأدب بالغ عند الشاطئ في الساعة الثامنة صباحا، ثم رحب بهما من جديد في مخيمه، في أحتفال عسكري ــ العرضة ــ على شرف الضيفين.

وفي ذلك اللقاء نوقشت مسألة قطر، وقد تعهد ابن سعود بعدم التعدي على الممتلكات البريطانية، وتبرع من تلقاء نفسه ــ كما تقول الوثائق البريطانية [٧٥]ــ فكشف للمعتمدين وبسرية مجريات وتفاصيل المفاوضات بينه وبين الأتراك، والأسس التي أعتمدت للاتفاق بين الطرفين في المستقبل، وقرأ إبن سعود عليهما مسودة اتفاقية تتضمن ١١بندا، خمسة منها اقترحها إبن سعود، والستة الباقية اقترحتها الحكومة التركية. تتركز مقترحات إبن سعود بأن تكون له السيطرة المطلقة على منطقة الاحساء التي يديرها الآن، وان يشار إلى حقه في الشاطئ، وحقه في الإدارة والسيطرة على الموظفين المحليين.

أما الحكومة التركية فقد اقترحت التالي :

١ــ إعادة القوات التركية السابقة إلى الاحساء.

٢ــ يعين القضاة وموظفو القضاء بفرمان سلطاني.

٣ــ عدم السماح للتجار والوكلاء الأجانب للقوى الاجنبية بالبقاء وطردهم من الاحساء.

٤ــ كل الاتصالات والمكاتبات التي جرت بين القوى الأجنبية أو ممثلياتها وبين ابن سعود، تحول إلى السلطات التركية.

٥ــ أن يدفع ضريبة سنوية قدرها ثلاثة آلاف ليرة تركية.

---

[75] الوثيقة رقم FO371/1820/ تقرير شيق ومفصل عن اللقاء أعده المعتمد السياسي البريطاني في البحرين، وأرسله إلى كوكس في بوشهر، بتاريخ ٢٠/١٢/١٩١٢.

٦ــ لا تقدم أية امتيازات من قبل ابن سعود للشركات الأجنبية، سواء لسكة الحديد أو خط بري للسيارات [٧٦].

وتوضح فقرة وردت في التقرير مقدار النفوذ البريطاني في المفاوضات التركية السعودية :" ففي أثناء المفاوضات، وفي اكثر من مناسبة، أوضح ابن سعود بصورة لا لبس فيها إنه يفضل بان لا يتم أي صلح بينه وبين الأتراك، إلاّ تحت رعاية الحكومة البريطانية، لانه لا يثق في اية اتفاقية دائمية تعقد مباشرة بينه وبين الحكومة التركية ".

وأشار تقرير المعتمد السياسي في البحرين إلى العلاقات السعودية البريطانية، فيما يتعلق بالرعايا والمصالح البريطانية في ساحل الاحساء والقطيف.وقد أشار المعتمد تريفور "أن ابن سعود وقبل أن يرسل تعليماته إلى وكيله في القطيف ــ أمير القطيف ــ سوف يسمح للرعايا البريطانيين بالدخول والاتجار وفتح المحلات، وانه سيكفل لهم الحماية، وسوف يتصل بالمعتمد السياسي في البحرين فيما يتعلق بهؤلاء الرعايا حينما تبدر الخلافات".

أما رأي ابن سعود تجاه المصالح البريطانية فإن التقرير يقول: "في كل المحادثات الخاصة والعامة التي تمت مع ابن سعود، بدا الأخير صاغيا جدا ومستعدا لفعل أي شيء يستطيعه لتلبية رغبات الحكومة البريطانية، وللحصول على دعمها "..اما النتيجة الملموسة "فإنه ــ أي ابن سعود ــ وافق في الحال على قبول وحماية التجار البريطانيين في القطيف، وفي أي مكان على الساحل وايضا تأجيل الوصول إلى أي اتفاق مع الأتراك إلى أن يأتي الربيع بعد ثلاثة أشهر حيث سيتجه شمالا ". وحول المصالح البريطانية في قطر وعمان والإمارات المتصالحة فان " ابن سعود أوضح بطريقة اكثر علنية، بانه لن يتدخل في الشؤون السياسية في قطر، وإمارت الساحل المتصالح، وان لديه الرغبة في أن يتصرف وفق رغبات الحكومة البريطانية في هذه المناطق ".

ويعود التقرير فيشير لرأي شكسبير وتريفور، اللذين قابلا ابن سعود بشان المفاوضات التركية السعودية "إنه ليس هناك أدنى شك بان من المهم أن تبدي الحكومة البريطانية رغبتها في استخدام مكانتها المرموقة للتأثير على الاتفاقية بين ابن سعود والباب العالي، بما يكفل لابن سعود أن يكون حاكما مستقلا على الاحساء والقطيف، تحت الرعاية التركية. وان أبن سعود سيكون سعيدا جدا لعقد اتفاقيات علنية مع الحكومة البريطانية بشأن التعاون في مجال القضاء على القرصنة، وتهريب السلاح والحفاظ على السلام البحري، وبشأن السلاح، فقد طلب ابن سعود السماح له بأن يستورد البنادق لاستخدامها من قبل قواته ".

---

[76] الوثيقة السابقة.

وأشار ابن سعود من طرف إلى إنه قد يقبل بأن يكون حاكما مستقلا تحت الرعاية التركية، وأن يدفع عائدات الجمارك للأتراك إذا بدا ذلك محتما..وتساءل المعتمد عما إذا كانت الحكومة البريطانية ترى أن من المناسب لها أن تحاول التأثير على الاتفاقية بين أبن سعود والاتراك: أن ذلك يبدو أمرا مرغوبا فيه، وان من الواجب "اتخاذ خطوات محدودة خلال الشهرين القادمين، وبالامكان مواصلة الاتصال بابن سعود بواسطتي، قبل أن يتجه شمالا في الربيع القادم، من أجل تحاشي الوصول إلى إتفاقية سعودية ــ تركية تكون معادية لمصالحنا، وفي الوقت الحالي إذا ما طلب مني واحد أو أثنان من الرعايا البريطانيين السماح لهما بالذهاب إلى القطيف فأسفعل ذلك، لانه يقوي وضعنا بوجه محاولات المقاومة المتعلقة بإبعاد الأجانب، والتي يرغب الأتراك بشكل خاص إجبار ابن سعود للقبول بها ".

وحول لقاء ابن سعود مع الكابتن شكسبير، المعتمد السياسي في الكويت، والمعتمد السياسي في البحرين الميجور تريفور، فانهما أعدا تقريرا اضافيا فور إقلاعهما من ميناء العقير باتجاه البحرين..ففي البحر يوم ١٨ ديسمبر ١٩١٣، قدم الاثنان ملخصا للحديث الذي دار يومي ١٥ــ١٦ ديسمبر مع ابن سعود [٧٧].

ففي اليوم الاول "١٢/١٥"، بدأ ابن سعود بتقديم نبذة عن تاريخ العائلة السعودية وحكمها التاريخي لنجد، إلى أن يصل إلى المقطع الحساس المتعلق باحتلال الاحساء، ثم أوضح حاجته للدعم من قبل حكومة جلالة الملك البريطاني.

وقد قيل له أن من أول مهمات هذا اللقاء، هو الإجابة بالتحديد على سؤال : في أي اتجاه يريد الأمير السعودي المساعدة من الحكومة البريطانية.اما الجواب فقد أبدى ابن سعود "رغبته في تجديد الصداقة التاريخية والابقاء عليها بين عائلته والحكومة البريطانية..وذلك من أجل تأمين وضعه الحالي والمستقبلي ".

وأضاف بأنه طلب المساعدة "لأنه رأى كيف تعاملت الحكومة البريطانية مع الكويت والبحرين والأماكن الأخرى، وانه أستوعب إمكانية الثقة بها، وقال أنه يتمنى أن لا يتعامل مع أي قوة كبرى، حتى الحكومة التركية، باستثناء بريطانيا ". ويشعر ابن سعود بانه يجب عليه أن يضع بعض الشروط مع الأتراك ليؤمن وضعه إذا ما خيب البريطانيين آماله، وأضاف بانه يريد أن يعرف بالتحديد رأي الإنجليز في كيفية التعاطي مع الأمر التركي لتأمين وضعه ؟.

واندفع ابن سعود يتحدث بصراحة ووضوح، بأن كل ما يريده أن يعيش في سلام، أي أن لا يتعرض له احد وينازعه على حكم الاحساء، وقال بأنه "يرى بأن الحكومة البريطانية تحافظ

---

(77) مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ــ عدد ٢٦، جمادى الثاني ١٤٠١هــ أبريل ١٩٨١، مقال تحت عنوان : الحرب الحجازية النجدية، ١٩٢٤ــ ١٩٢٥.د.فتوح الخترش.

على السلام البحري في الخليج الفارسي كله، باستثناء قسم صغير هو ساحل منطقة الاحساء". [٧٨]

أن المعنى واضح هنا في أذهان الإنجليز، والهدف السعودي يعبر عن نفسه بكل صراحة..فابن سعود يريد من الإنجليز حماية سواحله من أي هجوم تركي بحري..بحجة حماية الساحل.وقد سبق لهؤلاء أن تدخلوا فعلا في الأمر ومنعوا الأتراك من الهجوم على الاحساء "١"، وقالوا للعثمانيين أنهم يعارضون أيه حملة بحرية ضد ابن سعود، لكن الاخير لم تقدم له تطمينات كافية في هذا الشأن، إذ أن حبر الاتفاقية التركية ــ البريطانية لم يجف بعد...ولهذا فان كل ما يحتاجه ابن سعود..هو توكيد هذه المسألة والحصول على إعتراف بريطاني باستقلاله، ولذا قال "إنه إذا ما حصل على تأكيد من الحكومة البريطانية بأنها تعمل على صيانة السلام البحري في شريط شاطئ الاحساء، وإذا ما اعترفت الحكومة البريطانية به كحاكم مستقل على المنطقة، فإنه سيكون راضيا..وان بامكان الحكومة تأمين النتائج بواسطة المساعي الدبلوماسية إذا ما رغبت".

بالطبع لو كان ما يطلبه ابن سعود هو حماية الساحل بحجة أو بأخرى، لأعطوه الضمان بصورة مكتومة، لكنه أراد أيضاً أن يعترفوا به حاكما مستقلا على الاحساء، بينما اعترف الإنجليز للتوّ بتبعية الاحساء للسلطة التركية، وهو امر لا يستطيعون التنصل منه في تلك المرحلة الحساسة..وهنا أجابه المعتمدان البريطانيان في الكويت والبحرين، بشرح ضاف، بانه "لا يمكن أعطاءه تأكيدات من هذا القبيل "!..وشرحا له باقتضاب تأثير مثل هذه الخطوة ـــأن تمت ــ على علاقات التركية ــ البريطانية..

وهكذا انتقل ابن سعود للحديث عن علاقاته مع الأتراك، فقال: إن "السلطات التركية كتبت إليه عارضة حلا للمشكلة الاحسائية" وان مسودة البنود تحوي القبول بممثل عن الأتراك في أراضيه، وان لا يسمح بدخول الرعايا الأجانب التابعين للقوى الكبرى بالدخول إلى المنطقة، وان لا يجري أيه إتصالات مع القوى الخارجية إلاّ عن طريق السلطات التركية، وقال: إن هذه السلطات قد تكون مستعدة لاسقاط كل شروطها إلاّ فيما يتعلق بتصرف ابن سعود في مجال الشأن الخارجي أو السماح لرعايا أجانب بدخول المنطقة.

وأضاف ابن سعود، إنه إذا قبل بهذه الشروط فإن من المحتمل أن يقبل الباب العالي بإن يتركه في سلام كحاكم مستقل للاحساء والقطيف، وتساءل عن رأي بريطانيا في مسودة البنود هذه.

---

(78) الوثيقة رقم FO371/2123 مذكرات لقاء مع ابن سعود ــ تقرير أعده الكابتن شكسبير، والميجور تريفور في ١٢/١٨ / ١٩١٢.

والجواب، كما جاء نصا في التقرير، يقول: "لقد أوضحنا بأنه إذا ما أراد أن يكون حاكما مستقلا ــ عن الأتراك ــ في ساحل الاحساء، فان من الضروري جدا للسلطات المحلية البريطانية في الخليج أن تبادر إلى الاتصال المباشر معه، ومع ممثليه المحليين من أجل الاتفاق حول الشؤون التجارية المختلفة، وصيد اللؤلؤ، وايضا لحل الخلافات التي تطرح بشكل دائمي..ولهذا فإن الحكومة البريطانية وفي كل الاحتمالات ستتعامل مع القضية بانحياز لمصالحها وحقوقها، إذا ما تضمنت فقرات الإتفاقية تجاهلا لها ". وفي النقاش الذي تلا ذلك، قال ابن سعود انه سيكون سعيدا بالتعاون مع الحكومة البريطانية في مجال مكافحة القرصنة، ومجال محاربة تهريب السلاح، وفي الحفاظ على السلام البحري، وانه "يوافق أيضاً على أن لا يتدخل في الشؤون السياسية لقطر والساحل المتصالح، وان يسمح للرعايا البريطانيين وممثليهم بالدخول إلى البلاد..وفي الحقيقة فان ابن سعود ذهب ابعد من ذلك، وقال بانه سوف يعمل على إستشارة الحكومة البريطانية في كل الشؤون المهمة ". كل هذه العروض، من أجل أن تعترف به بريطانيا حاكما على الاحساء والقطيف، وتحميه من هجمات تركية متوقعة، مع أن الأتراك بادروا وقدموا عروض الحل التي لا تتناقض مع مصالحه واستقلاله الذي يلح عليه دائما، وقد اخر ابن سعود جوابه منتظرا رد المسؤولين البريطانيين ورأيهم، وقال بصراحة إنه مضطر لاعطاء جواب محدد على العروض التركية في أقرب وقت، وان مبعوثه كان يجب أن يرحل في رمضان ١٣٣١هـ، أغسطس ١٩١٣، ولكنه اخر ذلك على أمل أن يسفر اللقاء المقترح مع المقيم البريطاني عن بعض النتائج. وزيادة على التأخير، طلب المعتمدان البريطانيان "تريفور، وديكسون "من ابن سعود أن يؤخر تقديم جوابه للأتراك اكثر حتى تتاح الفرصة للحكومة البريطانية لدراسة التقرير الذي سيقدمانه.

ولما أوضح لهما بان التأخير قد يكون في غير صالحه، شرح المعتمدان له بان لقاءهما الحالي معه ضروري لايجاد قواعد لحل الخلافات التي قد تنشب بين موظفيه على الساحل وبين السلطات المحلية البريطانية في البحرين وقطر والساحل المتصالح [٧٩].

كما أوضحا له أيضاً، بأن السلطات البريطانية أوضحت لحقي باشا ــ وزير الخارجية التركي آنذاك ــ بان وصول ابن سعود لشاطئ الخليج، يحتم على السلطات البريطانية أن لا تتجاهله، وانه لحماية مصالحها سوف تجد نفسها مجبرة لايجاد حوار معه، على أن تبقى في ذات الوقت على الحياد بين الطرفين التركي والسعودي، وهي تتمنى أن يصل الطرفان إلى حل سريع لمسألة الاحساء والقطيف. وانقضى يوم المفاوضات الأول، ١٩١٣/١٢/١٥.

[79] أنظر الوثيقة السابقة.تقرير قدمه شكسبير وتريفور، في ١٩١٢/١٢/١٨.

وبدأ تسجيل ما دار في مفاوضات اليوم التالي. بدأ النقاش، بأن عاد ابن سعود لطرح وجهة نظره في ضرورة الاعتراف بحكمه المستقل للأحساء، فأجيب بأن الغرض الاولى للزيارة هو تمكين الحكومة البريطانية من الوصول إلى أساس اتفاق معه، بموجب الخطوط العريضة التي أقترحها، وأوضح الطرف البريطاني له، بأن العلاقات التجارية العامة، والعلاقة الخاصة في مجال صيد اللؤلؤ بين البحرين من جهة، وبين منطقة الاحساء من جهة أخرى، مترابطة قوية..وان الرعايا البريطانيين[٨٠]. الذين كانوا فيما مضى في القطيف، تقدموا إلى المعتمد السياسي البريطاني في البحرين من أجل أن يسمح لهم بالعودة إلى القطيف، ولكن المعتمد رفض ذلك، ريثما يستقر وضع المنطقة ووضع ابن سعود الذي استولى عليها حديثا، أو بانتظار أن يتضح رأي ابن سعود المحتمل تجاههم [٨١].

علق ابن سعود على الأمر، بأنه لا مانع لديه ولا اعتراض على قدوم الرعايا البريطانيين للقطيف، وتعهد بتقديم الحماية لهم، وإجراء تحقيق شامل حول شكاياتهم، شرط أن يتعهد الطرف البريطاني بان لا يقدم اية دعوى قبل أن يتأكد من صحتها، وأضاف انه سيكون سعيدا بان يسمح للتجار البريطانيين بالقدوم إلى القطيف وان يحميهم. وقال ابن سعود إن كل الامور مرهونة بحل المشكلة مع الأتراك، وانه لا يعتقد إلاّ بالمفاوضات المباشرة، وانه لأجل ذلك سيتحرك إلى حدود الاحساء الشمالية في الربيع بعد نحو شهرين أوثلاثة، وأضاف ــ مقترحا ــ أن يبلغ وكيله في البصرة وبغداد بشأن محادثاته الحالية مع البريطانيين في العقير، وانها كانت ضرورية لحل المشاكل العالقة بين الطرفين [٨٢].

استمرت المباحثات بين ابن سعود والمعتمد السياسي في البحرين الميجور تريفور لاطلاعه على آخر تطورات المفاوضات التركية ــ السعودية من جهة، وللوصول إلى أسس إتفاق حول العلاقات المستقبلية مع بريطانيا، والتي لم تتنازل عن إبقاء الحوار مفتوحا مع الأمير السعودي..لكن بقيت الحيرة الإنجليزية حول الموقف الواجب إتباعه فيما يتعلق بهوية الاحساء السياسية والقانونية.

فقد كتب كوكس إلى حكومة الهند في الرابع من يناير ١٩١٤، معبرا عن هذه الحيرة، قائلا بان وضع الحكومة البريطانية صعب، فمن ناحية "إعترفنا بتبعية الاحساء للباب العالي، والتي يحكمها ابن سعود حاليا بشكل مستقل، ومن ناحية ثانية فان سيطرة ابن سعود على

---

(80) لا يقصد بالرعايا البريطانيين، حملة الجنسية البريطانية فقط وإنما رعايا كل دولة أو منطقة خاضعة للاحتلال البريطاني المباشر، كما هي البحرين، والرعايا هنا، المقصود منهم " سكان البحرين "،

(81) الوثيقة السابقة.

(82) الوثيقة السابقة، وفي آخرها يلاحظ أن شكسبير كان مفيدا في المفاوضات لوجود معتمد آخر معه، مهمته تأكيد وجهة نظر الخارجية البريطانية، وليس وزارة الهند أو وزارة المستعمرات.

الاحساء ستكون دائمية، أو في الحقيقة غير مؤقتة "..وفي ذات الوقت، فان من المستحيل – فيما يتعلق بمصالح بريطانيا – أن تتعامل مع الاحساء كمنطقة مجهولة التبعية دون معرفة الجهة التي يجب التعاطي معها بشأن هذه المصالح [٨٢].

بعدها يستعرض كوكس الخيارين البريطانيين " هل تعتبر الاحساء تركية ام سعودية "، وفي كلا الحالتين هناك مصالح بريطانية ثابتة.

فالمصلحة في اعتبارها سعودية، أن ابن سعود سيسمح للرعايا الإنجليز بان يستقروا ويمارسوا العمل التجاري هناك، وسيحميهم سيف ابن جلوي، وسيعترف – من الناحية العملية على الأقل – بحقوق بريطانيا في تمثيل مصالح رعاياها، ويقترح كوكس إرسال شخص "تثق به ليمثل مصالحنا " في القطيف.. وهذه المصالح – كما يقول – أكبر مما كانت عليه في عهد الحكم التركي.

وأضاف بانه سمح لمن يرغب من التجار بالذهاب إلى القطيف والاحساء، وانه "كوكس " سمح للمعتمد "تريفور " بان يتابع مسألة إرسال شخص يمثل المصالح البريطانية في القطيف ، على أن يكون الممثل شخصاً من الموطنين المحليين " في البحرين " ويؤدي دوره كنقطة إتصال بين المعتمد في البحرين وبين ممثلي ابن سعود في القطيف والاحساء "ابن سويلم، وابن جلوي "..وشرح وجهة نظرة القائلة بأنه إذا مما أعاد الأتراك احتلال الاحساء، فأنهم سيجدون صعوبة في اتخاذ إجراءات! تجاه الرعايا البريطانيين كما في السابق، لان الممثل الإنجليزي في القطيف سيكون حينها قد خلق أوضاعا جديدة يصعب إلغاؤها.

وأخيرا يقترح كوكس على حكومته بأن تجري تسوية ما مع ابن سعود، فيما يتعلق بإمارة الساحل وحفظ السلام البحري ومكافحة القرصنة، وتهريب السلاح وتجارة الرقيق، على أن يبلغ بان مشكلته مع الأتراك تخصهما وحدهما، وان حكومة بريطانيا هي صديقة الطرفين، وسوف تدعم الحاكم السعودي بأقصى الجهد الذي تستطيعه.

وسبق لكوكس أن اقترح في الثاني من ديسمبر ١٩١٣، أن تبلغ الحكومة البريطانية الحكومة التركية بإعتراضها الشديد على أي عمل عدائي تقوم به عن طريق البحر ضد ابن سعود.

وفي ختام رسالته يحذر كوكس من ترك ابن سعود لشأنه، إذ قد يؤدي ذلك إلى توقيع اتفاق بينه وبين الباب العالي " يضر بالمصالح البريطانية في الاحساء "[٨٤].

---

(83) الوثيقة رقم FO371/2123 من كوكس إلى حكومة الهند في ١/٤ / ١٩١٤ .

(84) الوثيقة السابقة .

وتصرمت الأيام والأسابيع دون أن تصل الحكومة البريطانية لحل افضل من أظهار الحياد بين الطرفين، دون ترك ابن سعود ليوقع على اتفاق يضر بالمصالح البريطانية..وشارفت مدة "الشهرين أو الثلاثة " التي ذكرها ابن سعود أثناء اجتماع العقير مع شكسبير وديكسون في ١٥ـ ١٦ ديسمبر ١٩١٣، على النهاية...فبعث ابن سعود برسالة إلى تريفور في البحرين في الأول من ربيع الثاني ١٣٣٢هـ "١٩١٤/٢/٢٦"يقول فيها إنه لم تصله معلومات حول رد الحكومة البريطانية فيما يتعلق ببنود المقترحات التركية لتسوية مشكلة الاحساء، وانه سيتجه قريبا للقاء الأتراك، للوصول إلى اتفاق..يقول ابن سعود :

" بعد التحيات..يشرفني أن أبلغكم بانه منذ إفتراقنا في العقير، لم استلم أي رسالة منكم، عسى أن يكون المانع من الكتابة خيرا.

وأود أن أخبركم بان المفاوضات بيني وبين الحكومة التركية، قد أخذت مجراها هذه الايام، وان مدة الثلاثة أشهر التي حددت بيني وبين حضرتكم قد قاربت على النهاية.

أطلب منكم إبلاغي حول ما يمكن عمله، لانه من غير الممكن بالنسبة لي تأخيرهم ــ أي الأتراك ــ اكثر من الوقت المعلوم، ولكي أعرف ما يجب علي عمله في المستقبل "[٨٥].

رد تريفور مبررا "أنني لم اكتب لكم لأنه ليس عندي شيء خاص يستحق الكتابة، كما لم أسمع حتى الآن أي شيء من المقيم.وقد كنت عازما في كل الأحوال إرسال رسالة إلى بوشهر، لتذكير المقيم بأن الثلاثة أشهر المشار إليها تمضي إلى نهايتها، والآن، وبعد وصول خطابكم فسوف أرفق محتوياته مع الرسالة، وسأطلب جوابا مبكرا، وحالما يصل الجواب ــ إن شاء الله !ــ أعلمكم بالأمر. لقد سمعت بأنكم قادمون للاحساء في هذه الأيام..أتمنى أن يكون ذلك صحيحا، حيث سنصبح متجاورين قريبين، وستسهل عملية الاتصالات بسرعة فيما بيننا [٨٦].

وعلى الفور يكتب تريفور في ١٩١٤/٣/٨ للمقيم يخبره بأمر الرسالة وان ابن سعود عازم على التوجه شمالا، وقد كان بوده ــ أي تريفور ــ أن يذكره بالأمر في وقت مبكر، ولكن "نسيت ! ".وأضاف بأنه لم يعد بالمستطاع إرجاء المفاوضات التركية السعودية..ثم يسأل عن مستجدات الأمر والتعليمات التي يمكن أن تعطى لابن سعود قبل أن ينقطع حبل الاتصال به بسبب رحيله [٨٧]،

[85] الوثيقة رقم FO371/2123 رسالة من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى الميجور تريفور في ١٣٣٢/٤/١هـ.

[86] الوثيقة السابقة، رسالة من تريفور إلى الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل، في ١٩١٢/٢/٧"١٣٣٢/٤/١٠هـ

"تجدر الإشارة إلى أن احتلال الاحساء سهل لابن سعود اتصالاته مع الإنجليز، وهذه احدى الفوائد، وفي المدة ما بين ١٩١٢وحتى ١٩٢٦لم توقع اتفاقية، أو يتم اجتماع مع بريطانيا أو تحت اشرافها إلاّ في هذه المنطقة، أو ضمن حدودها، ذلك أن نجد واجواءها لم تكن مهيئة لذلك، وكان الملك السعودي يخشى ردود فعل الوهابيين، خاصة الاخوان ".

[87] الوثيقة رقم FO371/2023

والواقع لم يكتب تريفور عن موضوع رسالة ابن سعود فحسب، وأنما كتب لكوكس أيضاً في ١٩١٤/٣/٩ "الموافق للثاني عشر من ربيع الثاني ١٣٣٢هـ"[٨٨]مقترحا انه إذا كان عرض تعيين معتمد محلي في القطيف ليمثل المصالح البريطانية قائما، واتفق على الشخص المطلوب، فإنه يجب المبادرة بسرعة وإرسال المندوب دون تأخير.

وكما أوضح تريفور في رسالته، فان هذه العملية، هي إستباق للأحداث، وإبطال لمفعول أي فقرة قد تتضمنها اتفاقية الحل بين الأتراك وابن سعود، تكون ضارة بالمصالح البريطانية، مثل إشتراط إبعاد الأجانب من المنطقة، أو طرد وكلاء القوى الاجنبية!.

وللعلم فإن في أواخر ١٩١٣، إنتفى تماما خيار الحكومة التركية العسكري لإعادة السيطرة على الاحساء، لضعف هذه الحكومة، ولمعارضة السلطات البريطانية الشديدة للأمر، محتجة بأن تجريد مثل تلك الحملة امر قد لا يخلو من إحداث قلاقل في الإمارات العربية التي هي تحت حمايتها، فاضطرت الدولة العثمانية إلى صرف النظر عن إستعمال القوة [٨٩].

وكانت حكومة الهند قد وافقت على إرسال معتمد إلى القطيف، وقد جاءت الموافقة في ٢٧فبراير ١٩١٤من نائب الملك في الهند، ضمن رسالة ترد على ما عرضه كوكس في التاسع عشر من ذات الشهر.. قال نائب الملك: "درست هذه المسألة بإمعان، نرى أن نستغل لمصلحتنا موقف ابن سعود الودي تجاهنا حاليا، والذي يعود بلا شك إلى وضعه غير المستقر، ولذلك بأن نعين معتمدا لنا من أبناء المنطقة في القطيف على الفور.. هذا العمل لن يؤمن لنا موطئ قدم مرغوب فيه على الساحل فحسب، ولكنه سيمكننا أيضاً من تقديم وساطتنا الطيبة إلى الحكومة التركية في التعامل مع أبن سعود، إذا ما طلبت الحكومة التركية ذلك ــ سبق أن قدمت وزارة الخارجية البريطانية عرض وساطة بين ابن سعود والحكومة التركية في الثاني من أكتوبر ١٩١٣ــ"[٩٠].

ولكن حينما ارسل نائب الملك في الهند إلى وزارة الخارجية طالبا رأيها في مسألة إرسال معتمد إلى القطيف، في برقية مؤرخة في ١٩١٤/٣/١٥، رفضت وزارة الخارجية الأمر وقالت جوابا على ذلك في يوم التالي :"ترى حكومة جلالة الملك بان من المستحيل إرسال معتمد بريطاني إلى القطيف بانتظار المفاوضات مع الأتراك "..فانصاعت وزارة الهند لرأي الخارجية على مضض [٩١].

---

[88] الوثيقة السابقة، رسالة من الميجور تريفور إلى المقيم بيرسي كوكس في التاسع من مارس ١٩١٤.

[89] حسن خلف الشيخ خزعل، مصدر سابق، جزء ٢، ص ١٩٦.

[90] الوثيقة رقم E48437 مؤرخة في ١١/٩/ ١٩١٤.رسالة من نائب الملك في الهند في السابع والعشرين من فبراير ١٩١٤.

[91] الوثيقة رقم FO371/2123/E 12320 مؤرخة في العشرين من مارس ١٩١٤.

صراع من أجل الحل السياسي

كان مقدرا مع بداية شهر مارس ١٩١٤، أن يتحرك ابن سعود شمالا للقاء الوفد التركي ومناقشته في مسألة الاحساء وجها لوجه، وفي هذه الأثناء ــ بداية العام ــ اُستدعي كوكس إلى الهند ليقود بعدها الحملة العسكرية البريطانية التي هاجمت العراق بعد بضعة أشهر، وتولى مقيمية الخليج الميجور نوكس، كما أن الكابتن شكسبير أبعد إلى لندن بسبب إستياء وزارة الخارجية، وعين الكولونيل غري مكانه...وفي هذه الفترة كتب المقيم نوكس لمبارك الصباح يسأله عن أخبار الوفد التركي الذي يفترض وصوله إلى الكويت لملاقاة ابن سعود، فرد عليه الاخير في رسالة مؤرخة في الثالث عشر من جمادى الاولى سنة ١٣٣٢ هــ يقول فيها :

" لا يخفي على حضرتكم السامية بهذه الأيام تجينا مخابرات ــ تأتينا رسائل وخطابات ــ من ولاية البصرة بخصوص نجد وعبد العزيز السعود، ونحن جميع المخابرات التي ترد الينا من المشار اليهما، عينا ــ فورا ــ نعرضها على حضرة محبنا كرنل كري، لئلا تكون خافية على حضرتكم العالية، محبنا قبطان شكسبير جانا منه كتايين، واحد من الزلفي والثاني من الرياض.وتوجه من الرياض مشمل ــ شمالا ــ وانا مثيت معه احد خدامنا يمشي في خدمته، إلى أن يرخصه.وعزم محبنا المشار إليه ــ شكسبير ــ يرخص خادمنا من الجوف، ولا بد من الجوف يجينا مكتوب إن شاء الله يفيدنا عن وصوله وممشاه من الجوف، الله إيسر أمره ــ يسر الله أمره ـــ وبوصله مصر بالصحة والسلامة "[٩٢].

لقد مر شكسبير بالرياض، ومكث فيها حوالي ستة أيام " من ٩ إلى ١٥ مارس "، ومن هناك كتب تقريره المطول إلى المسؤولين البريطانيين واصفا الحالة السياسية والعسكرية في العاصمة السعودية.

يقول شكسبير [٩٣]"وصلت الرياض يوم ٩ مارس، ووجدت استعدادات نشطة يجريها ابن سعود لجمع قوة عسكرية كبيرة، وقد أقمت عنده وسافرت معه حتى الخامس عشر من الشهر نفسه، وخلال هذه الفترة توفرت لي فرص كثيرة للتأكد من حقيقة مشاعره ونواياه..ولما كنت على علاقة ود وصداقة حميمة مع عبد العزيز وعائلته كلها، فقد كان غالبا ما يطلعني على مراسلاته السرية التي تبادلها مع الزعماء العرب الأخرين..وكذلك على مراسلاته مع الحكومة التركية.وقد حاولت أقصى جهدي أن أثنيه على هذه الثقة المفرطة بي، خاصة وأني لا أحمل صفة رسمية، ولكنه أصر عن ذلك، وبهذا فإن أسراره قد تكون الآن مفيدة لبريطانيا "!.

---

[92] تاريخ الكويت السياسي، جزء ٢، ص٢٠٤.

[93] الوثيقة رقم F0371/2124/E 38966 مؤرخة في السابع والعشرين من يونيو ١٩١٤، من الكابتن شكسبير إلى السير آثر هرتزل.نجد مقتطفات من التقرير في كتاب: السعوديون والحل الاسلامي ، ص ٢٥٨ــ ٢٦٠.

وأفاد شكسبير بأن إبن سعود علم بتحرك بعض القوات التركية في العراق من بغداد والى البصرة، فخشي " أن يكون هدف القوة العسكرية الهجوم على القطيف والعقير والاحساء..ولذا أصدر أوامره بالتعبئة " التي تمت أثناء وجود سليمان باشا في الرياض، والذي جاء من أجل ترتيب المفاوضات بين الطرفين..وكان من نتيجة التعبئة أن أرسل ألف مقاتل للتمركز في القرى الساحلية، خاصة القطيف.

لقد كان ابن سعود مضطرا للقيام بهذه الاستعدادات..كما قال هو ـ لانه "لا يستطيع أن يخاطر بالسماح للقوات التركية أن تنفذ عملية إنزال على الساحل دون مقاومة"، ومع أنه كان على أعتاب المفاوضات، إلاّ انه لابد من إتخاذ الإحياطات، وكان في هذه الاثناء " ينتظر بفارغ الصبر، الجواب الذي كان يتوقعه من المعتمد السياسي في البحرين على رسالته المؤرخة في السادس عشر من فبراير ـ الاول من ربيع الثاني ١٣٣٢هـ ـ لمعرفة الخطوات التي يمكن أن تتخذها حكومة صاحب الجلالة البريطانية في حال إنزال القوات التركية للساحل ".

وقال شكسبير إنه ذكر ابن سعود بالوعود التي اعطاها له هو وتريفور أثناء لقاء العقير "١٥و ١٦ ديسمبر ١٩١٣"، وأبلغه بان يضع نصب عينيه هذه الوعود في حال ترتيب إتفاق مع الأتراك..والوعود تتعلق بشيوخ الإمارات المتصالحة، ووضع التجار البريطانيين في ساحل الاحساء والقطيف.

رد ابن سعود بانه " ليست له أي نية بان يلزم نفسه بشكل محدد مع الأتراك، طالما انه لا تزال هناك فرصة للتوصل إلى اتفاق ما مع الحكومة البريطانية، أو الحصول ـ على الأقل ـ على دعمها ومساعيها الحميدة في مفاوضاته. "

واشتكى ابن سعود من تأخر وصول هذه الضمانات الرسمية البريطانية، وانه في هذه الحالة "سيضطر إلى وضع ترتيباته الخاصة به، بهدف تحقيق فترة راحة مؤقتة على الأقل". وذكر شكسبير بأن الأتراك سيصرون على شرطين هما : إعادة تمركز حامياتهم السابقة في الاحساء والقطيف، وطرد كل الأجانب.

حول الشرط الاول قال الامير السعودي، انه لن يوافق عليه مهما كانت النتيجة [٩٤]، ولكنه بقبوله الشرط الثاني، فإنه سيشتري فترة الراحة التي يطلبها، مع علمه أن هذا قد يغلق باب مفاوضاته مع الإنجليز.

---

[94] وافق ولكن على وجود قوات لا تزيد عن ثلاثين جنديا مهمتها الحفاظ على العلم التركي مرفوعا !!.

ويرجع شكسبير تشدد ابن سعود هذا إلى كونه " يشعر بأنه يمتلك من القوة ما يكفي لمقاومة الأتراك، الذين ينظر ابن سعود إلى كل اقتراح يقدمونه نظرة ملؤها أقصى حدود الشك والريبة ".

وقدم تقرير شكسبير الذي كتبه من الرياض معلومات وافية عن الدعم التركي لابن رشيد في بداية سنة ١٩١٤، كما قدم عرضا لضعف النفوذ التركي في اواسط الجزيرة العربية، ومعلومات كاذبة عن تحالف وهمي قام بزعامة ابن سعود، يضم كل حكام الجزيرة العربية، عدا ابن رشيد !.

وقال :" لأنني على معرفة بهذه البلاد، وبصعوبة المواصلات فيها، وصعوبة توصيل الامدادات وما شابه، فإنني أرى ـــ مع بعض التردد ـــ بأن فرقتين عسكريتين تركيتين على أقل تقدير، وكاملتي العدة والعتاد، ومستعدين لحرب صحراوية طويلة الأمد، يمكن أن تكونا قادرتين على إعادة توطيد الاحتلال التركي للاحساء، ثم المحافظة عليها بشكل فعال ".

"إن الاحتلال التركي الاخير لم يكن فعالا بأي حال، وكان قائما بسبب إنشغال ابن سعود وانهماكه في إخضاع مناطق أخرى، وكان بإمكانه أن ينفذ حركته الانقلابية في أي وقت يشاء في الأعوام الخمسة الماضية "[٩٥].

وعن امكانية الأتراك في استعادة الاحساء القول يقول شكسبير : "بقدر ما تسمح لي معلوماتي المحدودة، فإنني استطيع القول بان الحكومة التركية لا تبدو حاليا في وضع يمكنها من القيام بأية حملة عسكرية في الجزيرة العربية، ليس حاليا فقط، ولكن في الواقع لأعوام طويلة قادمة".

أما النتيجة " فإن تركيا لا تملك القوة لإكراه الجزيرة العربية وإزعاجها، وإذا ما وصلت الامور مع ابن سعود إلى مرحلة الصدام حول قضية الاحساء، فإن النتيجة المحتملة ستكون إلتحام القبائل العربية، وطرد القوات التركية والمسؤولين الأتراك من الحجاز واليمن وعسير، وإقامة دولة في الجزيرة العربية في اتحاد كونفدرالي يكون ابن سعود على رأسه "...وفي هذا ذهب شكسبير بعيدا في أحلامه، على الأقل في ذلك الحين...لانه قد تحقق فعلا إيجاد المملكة السعودية على مساحة ضمت معظم المناطق التي أشار إليها، وكان بإمكان ابن سعود أن يبتلع اليمن أيضاً، لولا إنه اعتبره " عش الزنايير"!.

ومع عدم إيمان شكسبير بوجهة نظر وزارة الخارجية، التي تقول بالمحافظة على أملاك تركيا في آسيا، على أمل أن تسقط الواحدة تلو الأخرى في اليد البريطانية، ورغم أن رأيه يقضي بالمسارعة في تصفية الإمبراطورية العثمانية العجوز، أو الرجل المريض، أو

---

[95] الوثيقة السابقة.

الإمبراطورية الذاهبة، أو ماتشئت قسمها، وذلك بالتعاون مع أمراء العرب، خاصة ابن سعود.. مع هذا يلاحظ أن سياق تقرير شكسبير يؤدي في نتيجته إلى رأيه ورأي حكومة الهند ووزارتها، ووزارة المستعمرات.. ومع هذا يقدم هذا الاقتراح الملتوي:

"إذا ما أريد للسياسة البريطانية القائمة على إيجاد تركيا قوية في آسيا أن تتحقق، يجب إقناع الباب العالي بأخطائه، مهما بلغ الأسلوب حدا من الصلافة وعدم الاستساغة، والحل الوحيد الذي أراه، هو تغيير جذري في موقف الباب العالي تجاه الشيوخ البارزين..إن معظمهم على استعاداد لقبول السيادة التركية طالما أنها سيادة بالاسم فقط[٩٦] ولا تستتبع تدخلا في شؤونهم، وفي حالة ابن سعود، فإن كل ما يتمناه هو أن يترك وشأنه كحاكم لنجد والاحساء، وهو كذلك بالفعل الآن، حيث أتيح له جمع الضرائب وعائدات الجمارك، وإدارة الحكم..فإذا ما نصبه الباب العالي متصرفا أو واليا على نجد والاحساء وفق هذه الشروط والأسس، فإنه على إستعداد لأن يدفع له جزية رمزية مرة واحدة كل عام..وانا واثق من تقيده مخلصا بما تفرضه الصفقة كأحد الرعايا الأتراك،..وإبن سعود لا يطمح أن يكون خليفة على الجزيرة العربية، ولا أعتقد بأنه سيقوم بحملة يهدف منها تنصيب نفسه سلطانا على الجزيرة العربية "[٩٧].

من الواضح أن الحل المقترح أعلاه بإعطاء الاستقلال للمناطق العربية ضمن سيادة إسمية للاتراك، يعني أولاً تفكيك الدولة العثمانية.ويعني في المرتبة الثانية إضعاف كل منطقة على حدة بشكل تلقائي، واخيرا يعني فتح الباب أمام البريطانيين للامتداد والسيطرة على هذه المناطق مع إبقاء الاسم التركي مرفوعا، والى حين أيضاً!. وشكسبير الذي رأى أن مركزية الحكم التركي لم تفد كثيراً في مواجهة الإنجليز ونفوذهم، يفهم أن اللامركزية يعني أنتهاء الدولة العثمانية، لا لان أسلوب الولايات سيئ، ولكن لأن الأوضاع وصراع القوى العظمى لم يكن يسمح بولادة مشروع كهذا..لذا يقول شكسبير: "قد يقول البعض أن حُلا على الأسس المقترحة أعلاه سيترك كل الجزيرة العربية مشرعة الأبواب وعرضة لاستغلال القوى الاجنبية، العظمى منها وغير العظمى"، ولكن لا يوجد طامع شرس أكثر خطرا من الإنجليز "وحاليا، ليس هناك من دولة عظمى لها مصالح حقيقية في الجزيرة العربية باستثناء بريطانيا العظمى، والتي تنحصر مصالحها في الشريط الساحلي، مع أنني أعتقد أن ايطاليا تحاول، كما يقال، تنمية مصالحها في عسير واليمن ".

---

(96) وهذا رأي ابن سعود أيضاً، فقد كتب إلى شفيق الكمالي "والي البصرة"، يشرح له وجهة نظره في تقسيم البلدان العربية إلى دويلات مستقلة استقلالا ذاتيا، وتكون في نفس الوقت تابعة، إسميا ــ للدولة العثمانية وتحت سيادتها، أنظر الخليج العربي، جمال زكريا قاسم، الجزء الثاني " ١٩١٤ــ ١٩٤٥" ص ٥.

(97) أنظر الوثيقة السابقة، وقد أخطأت توقعات شكسبير فيما يتعلق بمطامع ابن سعود التوسعية ــ ويلاحظ من هذه الفقرات أن شكسبير يتبنى وجهة نظر ابن سعود بشكل مطلق، لدرجة أن كشك علق بانه، لولا أن السعوديين لم يكن لديهم المال لقلنا أن ابن سعود اشترى شكسبير وجعله يكتب هذا التقرير الجديد بصحيفة لبنانية "انظر كشك ص ٢٦٠.

ولعلم الأتراك بمضار هذه السياسة، فإنهم ما كانوا راغبين في سلطة إسمية على الاحساء، إلاّ لأنها أهون الشرين، وهم يعلمون أن السيادة الإسمية أفضل من ضياع السلطة الاسمية والفعلية معا...كما أنهم يعلمون أن السيادة الاسمية تؤدي بالنتيجة إلى الضياع كما حدث بالنسبة كانت السيادة الاسمية تعني أي شيء مطلقا، حيث أثبت الإتفاق التركي السعودي الذي توصل إليه في أوائل مايو ١٩١٤، إنه يعني بدرجة أساس التخلي كاملا عن المنطقة لابن سعود، وأما بقية المواد فقد ضاعت، ولم ينفذ منها بند واحد من الجانب السعودي، حينما أشتعلت الحرب العالمية الاولى.

ويلخص شكسبير علاج المشاكل التركية، على الأقل في ساحل الاحساء، بالتالي :

((١ـ أن يقبل الباب العالي بالوضع المستقل والقائم فعلا للشيوخ الكبار، في حين يحتفظ الباب بالسيادة الاسمية [٩٨].

٢ـ ان يبدي الباب العالي موقفا أكثر صراحة وصدقا تجاه الشيوخ البارزين.

٣ـ أن يكون الباب العالي أقل ريبة وشكا اتجاه السياسة البريطانية في الجزيرة العربية، مع إعترافه بالموقع الخاص الذي تتمتع به بريطانيا العظمى هناك !.

٤ـ أن تكون هناك دعوى صريحة من جانب الباب العالي للتعاون مع بريطانيا في شؤون الجزيرة العربية [٩٩])).

إن محصلة هذه الإقتراحات، بل الشروط، التي صيغت بلغة إستعمارية استعلائية، هو أن تقبل الدولة العثمانية بأن تعامل كدولة قاصرة، وان تتصرف بريطانيا في ممتلكاتها، وتشرف على شؤونها بالنيابة عنها، ولقد مارست بريطانيا ضغوطا شتى لجعل تركيا تسير في علاقاتها مع ابن سعود فيما يتعلق بمشكلة الاحساء ضمن هذه النقاط.

وقد اشتكى الأتراك أكثر من مرة من تدخل الإنجليز في قضية الاحساء، رغم أن حبر إتفاقية ٢٩يوليو ١٩١٣" إتفاقية الخط الأزرق " لم يجف بعد، ففي بداية مارس ١٩١٤، كان وزير الخارجية التركي ـ حقي باشا ـ ضيفا على المسؤولين البريطانيين في لندن، وفي السابع من مارس التقى حقي مع المستر باكستر، وهناك احتج عليه بأن " التقارير القادمة إلى البصرة تفيد بان الحكومة البريطانية.وعبر معتمديها المحليين في الخليج الفارسي، دخلت في

---

(98) الغريب أن الإنجليز انفسهم لم يكونوا يمارسون سلطة اسمية في المناطق التي يسيطرون عليها، بل كانوا عمليا الحكام الحقيقيين في كل شيء، ولا يتدخلون في الشؤون السياسية الخارجية للشيوخ فحسب، بل في كل القضايا الداخلية، ابتداء من القضاء إلى البلديات، إلى التعليم ،والإدارة والأمن الداخلي، والشرطة والسجون.

(99) الوثيقة السابقة وعلق عدد من كبار المسؤولين عليها، قال احدهم :"تطورات الأحداث بعدها تطورا كبيرا، ويبدو أن الأتراك قد اتبعوا ما اعتبره الكابتن شكسبير أسلم سياسة لهم، فقد عينوا ابن سعود واليا على نجد، ولكننا لم نعرف بعد الشروط الخاصة بعلاقات ابن سعود بالاجانب، ان الكابتن شكسبير يتحدث من موقع الخبرة والمعرفة الاختصاصية، إلاّ انني أميل إلى الاعتقاد بان أي اتحاد كونفدرالي يضم الادريسي والإمام يحيى سيكون أبعد من الخيال !!.

علاقات مباشرة مع إبن سعود... مما سبب الماً وإمتعاضاً في القسطنطينية "[١٠٠].وأشار الوزير التركي إلى أن هذه التصرفات تتعارض مع اتفاقية الخط الأزرق التي تعتبر الاحساء مقاطعة تركية، وطلب أن تتم الإتصالات بابن سعود عبر الحكومة التركية، ما دامت تجري في أراضيها.

برر باكستر هذه العلاقات المباشرة بأن هناك إضطرابا في الساحل المتصالح، وبالقرب من مسقط، وهناك خشية من انه إذا ما عاملت الحكومة البريطانية ابن سعود ببرود، فإنه قد يتخذ خطوات ضد القبائل التي " تحت حمايتنا "..هذا إضافة إلى أن التجار البريطانيين تضرروا لاستثنائهم من دخول القطيف، وان " هذا ما جعلنا نجري بعض الاتصالات بابن سعود "..ومع ذلك فالحكومة البريطانية متقيدة بالحياد التام بين الطرفين !!.

واقترح باكستر أن يلتقي حقي مع كوكس الذي كان يومئذ في لندن، وايضا مع مسؤول آخر عن شؤون الخليج " أ. هرتزل "، وقد رفض الوزير التركي لقاء كوكس رسميا، لانه ليس مخولا بمقابلته، وشدد على " أن الحكومة العثمانية معنية بإعادة تثبيت قواتها في الاحساء، وأنها تستنكر بشدة إذا ما تلقى ابن سعود أي دعم بريطاني ".

كرر باكستر رأي وزارته، وما تريده من شريط الاحساء، كحصول التجار البريطانيين على إذن بالدخول إلى القطيف للتجارة، كما في كل المناطق العثمانية، وقال" لقد سمعنا بأن الأتراك يرغبون في أبعادنا عن القطيف، حتى ولو كان لأغراض تجارية ". وحقيقة الأمر، فان الاتصالات مع ابن سعود، والحديث الذي قيل لحقي في لندن يستهدف التأثير على بنود المعاهدة السعودية التركية التي يزمع الطرفان التوقيع عليها، والتي علم ببنودها الإنجليز من خلال ابن سعود الذي أطلعهم على مسودتها.

لم يكتف البريطانيون، بهذا، بل قدموا مذكرة تفصيلية لحقي باشا، وزير الخارجية التركي، برروا فيها إتصالهم المباشر بإبن سعود، وعرضوا وساطتهم مرة أخرى بين الطرفين، واحتجوا على بنود المعاهدة التي لم توقع بعد، كما وأوضحوا ما يريدونه تفصيلا من إبن سعود، وأبرزوا أخيرا معارضتهم لأي عمل عسكري ضد ابن سعود في الاحساء.

كل هذا أجملته وثيقة تتحدث عن المذكرة التي سلمتها وزارة الخارجية البريطانية إلى حقي باشا، وصادرة في التاسع من مارس ١٩١٤، نستعرض هنا ما جاء فيها [١٠١]:

---

(100) الوثيقة رقم FO371/2123/E 10244 مؤرخة في السابع من مارس ١٩١٤، تقرير عن محادثات حقي باشا مع باكستر، أعده الاخير لوزارة الخارجية.

(101) انظر الوثيقة رقم FO371/2123/E 10569 مؤرخة في التاسع من مارس ١٩١٤، وأنظر جلال كشك، مصدر سابق، ص٢٦٠ــ ٢٦٢.

" إن إبن سعود بسيطرته على القطيف والعقير وساحل إقليم الاحساء، قد دخل في المجال السياسي والتجاري للخليج، وأصبح من المستحيل تجاهله، على ضوء المصالح البريطانية الهامة هناك، مثل استمرار السلام البحري، ومكافحة القرصنة، وتجارة السلاح، وقضايا الغوص والرق..إن الحاجة تفرض علينا إقامة علاقات مع شخص يمارس سلطة فعلية، ولما كان الأتراك قد انسحبوا من الإقليم، فإن علينا أن نتعامل مع إبن سعود، وقد أسعدنا شرح الموقف للأتراك.

" لقد أتسمت مخاطباتنا مع الأتراك بالصراحة الواضحة والموقف الودي، وانطلقت بدافع الرغبة في التصرف معهم بروح الثقة والتعاون..وقد تسلم حقي باشا المراسلة بارتياح وردّ بأن الباب العالي دخل فعلا في مفاوضات مع إبن سعود، وإذا ما ظهرت الحاجة إلى وساطتنا فسيستعين بها ".

لاشك أن جواب حقي هذا يحمل في طياته الرفض للوساطة البريطانية..تضيف الوثيقة " رغم الاستجابة الودية من سعادته "، علمنا من مصادر محلية موثوق بها في الخليج، انه خلال تبادل هذه المراسلات، أو قبلها مباشرة، كانت الحكومة العثمانية تعد شروطا لاتفاقها مع ابن سعود، بعضها موجه بوضوح ضد الحكومة والمصالح البريطانية، وهذه الشروط كما تفيد معلوماتنا، طلب من ابن سعود قبولها كثمن لاستقلاله المحدود..وهي:

١ــ السماح بوجود الحاميات التركية في الإقليم كما كانت في السابق.

٢ ــ تعيين القضاة بفرمانات من السلطان.

٣ ــ يدفع ابن سعود ثلاثة آلاف ليرة تركية سنويا.

٤ــ إحالة جميع المراسلات مع الدول الأجنبية أو ممثليها إلى السلطات التركية للتصرف فيها.

٥ــ إخراج جميع التجارة والوكلاء الأجانب من الإقليم.

٦ــ أخذ تعهد من ابن سعود بألاّ يعطي أي امتياز لأية شركة أجنبية من أجل سكة حديد أو خط للسيارات ".

ويلاحظ أن مسودة الطلبات التركية، قد وصلت إلى علم الإنجليز قبل ثلاثة أشهر من هذا التاريخ، أثناء لقاء العقير بين إبن سعود ومعتمدي الكويت والبحرين في منتصف ديسمبر ١٩١٣..وربما كانت هذه هي " المصادر المحلية الموثوق بها " !. كما أن الإنجليز أبلغوا مرارا من قبل الأتراك عن عدم شنّ حملة عسكرية على الاحساء، ففي الاول من ديسمبر ١٩١٣ــ مثلا ــ أعلنت السلطات التركية بشكل رسمي للحكومة البريطانية أنها لا تنوي إستعادة الاحساء بالعمل العسكري، حيث أبلغ حقي باشا السفير البريطاني في القسطنطينية أن

الحكومة العثمانية " تنوي الاعتراف بالأمر الواقع بتعيين ابن سعود متصرفا على الإقليم "[١٠٢].

وتشرح الوثيقة البريطانية آنفة الذكر الرأي البريطاني في الشروط التركية، وتقرر أن الشروط الثلاثة الاولى تأتي في المرتبة الثانية من الأهمية ويمكن تأجيلها "ولكن إذا صحت المعلومات عن الشروط الثلاثة الأخيرة، فإننا نحتج بشدة وخاصة على البندين الرابع والخامس..ان التفسير الوحيد لهذه الشروط، هو أن الباب العالي يشك فعلا في مصداقية التأكيدات التي قدمناها حول أستعدادنا للتعاون ". أما ما يطلبه الإنجليز من ابن سعود ــ ضمن وضعه القائم مع الأتراك ــ فتعبر عنه الوثيقة بقولها: إنه " ليست هناك أسرار حول مطالبنا..ان ما نريده منه هو احترام مصالحنا بالآتي :

١ــ أن لا يتدخل في أراضي أو سياسة المشيخات العربية في الخليج، بما فيها الساحل المتصالح وقطر.

٢ ــ أن يتعاون كسائر شيوخ الجانب العربي من الخليج، في حماية الهدنة البحرية ومحاربة القرصنة.

٣ــ أن يتعاون معنا في محاربة تهريب السلاح.

٤ــ أن يسمح بدخول التجار البريطانيين إلى القطيف، وان يعاملهم المعاملة اللائقة ".

" ليس في هذه المطالب ما يمكن أن يثير إعتراض الباب العالي أو ابن سعود..وقد سبق للأخير أن طلب منا المساعدة، واستخدام نفوذنا عند الأتراك..ومن جانبنا فليس لنا رغبة في توريط أنفسنا، ولكن الشروط التي سمعنا أن الباب العالي يريد فرضها على ابن سعود، لا تعبر عن صداقة نحونا، ولا يمكن قبولها، ولذلك اضطررنا لإثارة الموضوع ".

---

(102) هذه ليست أول ولا آخر إشارة من الأتراك بأنهم ركنوا الخيار العسكري جانبا. ففي ٢٧مارس ١٩١٤، ابلغ السفير البريطاني في القسطنطينية، القنصل البريطاني في البصرة، بانه اقنع "بان الأتراك لا ينوون القيام بعمل عسكري ضد عبد العزيز..وسمع السفير تأكيدا لذلك من وزير الداخلية التركي في ٢٤مارس بان الترتيبات قد اتخذت عبر شيخي الكويت والمحمرة، وايضا طالب النقيب ــ للوصول إلى حل سلمي ".وحين استفسر القنصل البريطاني في البصرة من طالب عن هذا الأمر، أكد الاخير أن الاتجاه هو نحو حل الازمة سلميا، وقال بانه وشيخ الكويت يحاولان الوصول إلى ترتيبات معينة، وتوقع أن يتم الحل السلمي حتى لو رفض ابن سعود تواجد قوات تركية في الاحساء والقطيف. انظر الوثيقة رقم FO371/2123 .برقية من نوكس إلى حكومة الهند في التاسع من أبريل ١٩١٤. الطريف أن مسؤولي الوساطات التركية هم أصدقاء بريطانيا، وهذا ما دعا جلال كشك للتعليق ساخرا على المفاوضات بان " جورج الخامس يفاوض جورج الخامس.اما شكسبير فقال عن طالب النقيب، إنه ينظر إليه وكأنه حلال كل المشاكل في شبه الجزيرة العربية..ان ابن سعود والشيخ مبارك.والشيخ خزعل يدفعون له جميعا الرواتب والاعانات، شهريا أو سنويا بانتظام، وذلك لحماية أنفسهم فقط من الطلبات الباذخة المسرفة التي ترافقها التهديدات، إلاّ أن احداً من هؤلاء الزعماء لا يثق به مفاوضا بالنيابة عنه "...وهذا القول غير دقيق تماما، كما على ذلك الاحداث فيما بعد..

أنظر رسالة شكسبير في الوثيقة رقم FO371/2124/E28966. المؤرخة في السادس والعشرين من يونيو ١٩١٤.

وأخيرا، يطلب البريطانيون حذف الشروط الأخيرة الثلاثة، والاعتراف بابن سعود حاكما مستقلا، وعدم مهاجمته إلاٌ بعد التشاور معهم.

" نحن أساسا مهتمون بحذف الشروط الثلاثة الأخيرة، وسيسعدنا أن نرى تسوية مرضية يحصدل عليها ابن سعود من الباب العالي، فيعترف به بحكم منصبه متصرفا للاحساء..ومن خلال التعاون الودي معنا لحفظ السلام والنظام في الخليج يوافق الأتراك على الامتناع عن الاعمال العدوانية من البحر ضد ساحل الاحساء بدون استشارتنا مسبقا، وإعطائنا فرصة للوساطة قدر الامكان "[١٠٢].

على انه، وفي أواخر فبراير ١٩١٤، بدأت بوادر تحرك قوات عسكرية تركية من بغداد للبصرة، ورصدت الوثائق البريطانية هذه الحركة وإحتمالات توجهها نحو الاحساء، وعلم ابن سعود من خلال الإنجليز ومن مصادره الخاصة بأمر هذه التحركات فأخذ استعداداته، كما أشار إلى ذلك تقرير شكسبير الذي كتبه أثناء مروره بالرياض والذي أوضحنا تفاصيله في صفحات سابقة.

ولما ابلغ نائب الملك في الهند وزير الخارجية، بان " ٨٠٠جندي تركي وصلوا البصرة توا على ظهر السفينة ــ سار اناو ــ " طالبا الأوامر [١٠٤]، رد عليه بان "وضع ابن سعود هو الآن قيد الدراسة مع حقي باشا ــ الذي لا يزال في لندن ــ والذي أخبرنا بطريقة غير رسمية بان طلباتنا ــ في الوساطة وتعديل الشروط التي ترى بريطانيا أنها مضرة بها ــ تنتظر رأي الباب العالي، يجب ابلاغ ابن سعود بان حكومة جلالة الملك تسعى للتأثير على الترتيبات التركية، وانه يجب عليه الحذر بان لا يتصرف باستقلالية مع الأتراك دون مشاورتنا والتنسيق معنا.ولقد شدد على حقي باشا بأننا لن نسمح باستخدام البحرين أو مياهها لأغراض عسكرية ــ ضد ابن سعود، ". وأخيرا يطلب مراقبة تحركات الجند التركي أولاً باول وإبلاغ وزارة الخارجية بذلك [١٠٥].

وجاءت اللحظة التي لا بد منها..الانطلاق من الرياض باتجاه الاحساء، ومن ثم التوجه شمالا لمقابلة وفد المفاوضات التركي.

ولكن لماذا المرور بالاحساء، ألا يمكن للأمير السعودي أن يتجه مباشرة إلى الكويت ؟. نعم، ولكنه أراد أن يعرف آخر التعليمات من المعتمد السياسي في البحرين..ولذا أراد أن يكون قريبا منها بتواجده في القطيف حيث وصدل إلى الجبيل أولاً ثم إلى القطيف، بحجة انه

---

[103] الوثيقة السابقة من وزارة الخارجية في التاسع من مارس ١٩١٤.

[104] الوثيقة رقم FO371/2123/E12320 مؤرخة في العشرين من مارس ١٩١٤، من نائب الملك في الهند، إلى وزير الخارجية في ١٥مارس ١٩١٤، ومن وزير الخارجية إلى نائب الملك في ١٦ مارس ١٩١٤.

[105] نفس المصدر السابق.

حدثت بعض القلاقل في الأخيرة [١٠٦] وكان الحاكم السعودي وقبل أيام من تحركه، بعث برسالة بيد مبعوثه " يوسف " إلى المعتمد في البحرين، طالبا التعليمات، ويخبره بانه سيأتي إلى " القطيف " ليتسلم الرد قبل أن يتوجه إلى الشمال. أما نص رسالة ابن سعود إلى " تريفور" والمؤرخة في السادس من جمادى الاولى ١٣٣٢هـ، الموافق للثاني من أبريل ١٩١٤ فهو التالي [١٠٧]:

" بعد التحيات..

تلقيت رسالتكم الكريمة رقم ٥١٢، وأود أن أقول بأني فهمت ما ذكرته فيها ـ خاصة إخبارك إياي بأن أوامر وصلتك لإبلاغي بأن الحكومة البريطانية تبذل جهودها لوضع إتفاقية مع الحكومة التركية، وان المباحثات متقدمة، وانه لذلك ليس من المستحسن إتخاذ خطوات مستقلة من جانبي في هذا الشأن.

يسرني إبلاغكم، بأني ممتنٌ لذلك، وان هذا ما أتمناه جدا، ولذا فإنني لن أغير ما تعهدت به لك شفويا ـ أثناء لقاء العقير ـ وإن شاء الله أتوقع من الحكومة البريطانية إتصالات مستمرة حول ما يسر القلب [١٠٨].

كما أود أن أخبرك أيضاً، بأنني سأصل في الحادي عشر من الشهر الحالي ـ جمادى الاولى ـ إلى الجبيل. وفي هذه المرة تلقيت معلومات من المفوض التركي الذي جاء من استانبول مباشرة، واسمه بنباشي سيد عمر فوزي بيك الماريديني، الوالي السابق للبصرة، والوالي الحالي لسوريا، وهو يحمل معه عددا من الرسائل والخطابات، ويعتزم أن يسوي الأمر بيني وبينهم ـ الأتراك ـ. لقد وصل إلى البصرة، ومن ثم سيصل إلى الكويت، أو إنه قد وصل إلى هناك بالفعل، ومن المفترض انه سيقابلني وأقابله قريبا جداً إن شاء الله [١٠٩].

ولكني لم أشأ أن أقابله قبل أن أخبرك بذلك، فلربما أخبرتني بما علي أن أفعله، وفي أي قالب يجب أن يكون...انت تعرف بالطبع أنني ملتزم بكلمتي ومصمم على فعل كل ما يقربني من صداقة الحكومة البريطانية، ويحد من إقترابي من الأتراك... إلاّ في حالة عدم قدرتي على المساعدة، وحينها سأسألك ما فيه الخير لي [١١٠].

---

[106] تاريخ الكويت السياسي، جزء ٢، ص ٢٠٢.

[107] الوثيقة رقم FO371/2124/E22424 مؤرخة في ١٩مايو ١٩١٤ مرسلة من : عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل، أمير نجد، إلى أ.ب.تريفور.المعتمد السياسي في البحرين، تاريخ ٦جمادى الأولى ١٢٢٢هـ ٢أبريل ١٩١٤.

[108] هذا المقطع نجد ترجمته في كتاب السعوديون والحل الإسلامي، ص ٢٦٢، ولقد تساهل المؤلف بشأن الترجمة :

[109] نجد هذا المقطع في المصدر السابق، ص ٢٦٢ .وايضا أنظر كتاب الحدود الشرقية، مصدر سابق، ص ١٧٠ ـ ١٧١.

[110] أنظر كشك، مصدر سابق، ص ٢٦٢، وأنظر تساهله أيضاً في ترجمة هذا المقطع، وحذفه لبعض الجمل وتحوير البعض الآخر.

والآن إن شاء الله تخبرني بما هو ضروري [١١١]، ولقد أخذت كلمتك الأولى بعين القبول، ولكنك تعرف أن رجل الاعمال يرغب في معرفة الحقيقة وتسوية قضيته، والاهتمام معلوم لديك..انا أطلب منك تعريفي عن طريق مبعوثي يوسف الذي أثق به من أجل مناقشة حضرتكم، ولكي أحافظ على مصالحي.

الله يحفظكم والسلام ".

على عجل...ولكي يلحق بسفينة البريد المتجهة إلى بوشهر، كتب تريفور رسالة مستعجلة، إلى المقيم في بوشهر " الميجور نوكس " وأرفق ــ كما يقول ــ ترجمة مستعجلة لرسالة ابن سعود، هذا نصها :

" تسلمت اليوم ــ ١٩١٤/٤/٦ــ رسالة عن طريق رسول خاص لابن سعود، علمت منها أنه يتوقع أن يقابل البعثة التركية في مكان ما حول الكويت في وقت قريب. أما رسول ابن سعود فسيناقش معي الأمر غدا، غير أنني لن أكون قادرا على إعطائه اية تعليمات مرضية لسيده، وفي الحقيقة فأنة يبدو من المحتمل إذا لم يتوفر شيء محدد يمكن إبلاغه لابن سعود في أقرب فرصة ممكنة، فإنه سيجري اتفاقية مع الحكومة التركية، ومثل هذه الإتفاقية ستكون على الأقرب معادية لمصالحنا "[١١٢].

إلاّ أن هذه الرسالة العجلى لم تلحق بسفينة البريد، وبقيت معه ليرفقها مع تقرير عن محادثاته مع مبعوث ابن سعود " يوسف "، ومع رسالته الجوابية لابن سعود. عن محادثاته مع يوسف، قال تريفور مكملا رسالته العجلى برسالة أخرى في العاشر من أبريل ١٩١٤: "أرسل ابن سعود رسولا سريا بهذه الرسالة وقد قابلني، وقال بأن سيده يرغب في أجراء لقاء آخر معي، وسألني عن إمكانية ترتيب موعد لذلك، أجبت بأنني أرحب جدا بلقائه مرة أخرى، ولكن من غير المستحسن بالنسبة لي أن أغادر للقائه الآن بدون إذن من السلطات العليا..وان مثل هذه الخطوة قد تكون مثار إعتراض في لندن [١١٣].."

"قال المبعوث أن ابن سعود تسلم رسالة من الشيخ مبارك تقترح لقاء بينه وبين البنباشي سيد عمر بيك في الكويت، فقلت: على حد علمي بانه ليس هناك ضرورة قصوى للوصول إلى اتفاقية، وطلبت التأخير، قال يوسف إنه لا يعتقد أن ابن سعود سيرفض الذهاب والمفاوضة إذا ما تسلم رسالة أخرى ". ويسجل تريفور انطباعاته وتوقعاته :"انطباعي هو ان إبن سعود عازم على الذهاب ولقاء الأتراك في كل الأحوال..ومن الطبيعي أن يكون متشوقا لمعرفة ما إذا

(111) يطلب إرشاده بشأن المفاوضات المقبلة.

(112) أنظر الوثيقة FO371/2124/E 2242 مؤرخة في ١٩مايو ١٩١٤.

(113) أشارة إلى اعتراض وزارة الخارجية، التي رفضت أن يتم أي لقاء واتصال مع ابن سعود دون لانها سمالا قبة حركة وزارة المستعمرات ووزارة الهند.

كانت الحكومة البريطانية قادرة على فعل شيء من أجله "..بعدها يتساءل تريفور عن إمكانية لقاء ابن سعود على الساحل، فإذا كان الجواب إيجابيا وتسلم إذنا بذلك في وقت مبكر، فإنه يستطيع أن يستقل إحدى السفينتين البريطانيتين "بالينورس أو بحرين "..اما إذا كان الجواب متأخرا، فإنه لا يرحب بالسفر لان ابن سعود سيكون قد اتجه نحو الكويت "وإذا تم ذلك فسيلتقي بلا شك مع معتمدنا هناك ". وقبل أن يغادر المبعوث يوسف البحرين، حمله تريفور هذه الرسالة الجوابية :

"أخشى أن لا اكون أملك تعليمات أخرى أستطيع إبلاغكم إياها..لم أسمع شيئا منذ آخر رسالة كتبتها ". "رسالتكم للاسف لم تلحق البريد إلى بوشهر لسوء الحظ، ولكن سوف أتصل بالمقيم في أقرب فرصة، وحالما أحصل على أخبار جديدة فسأبلغكم بها ". وينصح تريفور ابن سعود :"في الوقت الحالي ليس هناك داع كما يبدو لي للسرعة، وأنصحك بالتريث" أي لا تذهب لتوقيع إتفاق مع الأتراك، رغم أن الإنجليز لم يقدموا البديل لابن سعود خشية على علاقاتهم مع الأتراك. وأقرأ الآن إقتراح تريفور الاخير لابن سعود :"أما إذا كنت ذاهبا باتجاه الكويت، فأقترح أن تتصلوا بمعتمدنا السياسي البريطاني هناك، وذلك قبل أن تلتقوا بالمبعوث التركي "(١١٤).

وهكذا لم يحصل ابن سعود على جواب شاف، ولكنه يعلم أن ظهره مؤمن من أن عملا عسكريا تركيا قد بات مستحيلا. غادر الأمير السعودي القطيف في السادس عشر من أبريل ١٩١٤، برا باتجاه الكويت، والتي سيصلها عمر فوزي والسيد طالب النقيب ومعهما رئيس كبار الموظفين في بغداد، في الثاني والعشرين من الشهر نفسه ــ حسب تعبير إحدى الوثائق ــ (١١٥).

لقد انتخب السيد طالب النقيب رئيسا للوفد التركي، أما الاعضاء فهم عمر فوزي، وسامي بك متصرف الاحساء السابق، وأحمد باشا الصانع، وعبد اللطيف المنديل الذي منح لقب باشا بعد المؤتمر، والذي كان في السابق ممثلا لابن سعود في المفاوضات نفسها !.

وموقف السيد طالب يميل بقوة لابن سعود، وقد أعطاه الاخير بعد توقيع الاتفاق الأموال الكثيرة مقابل دعمه في المفاوضات...التي أصبحت مثارا للسخرية من ابن سعود يفاوض نفسه.

كان بود الحكومة البريطانية، أن تكون هي الوسيطة في المفاوضات للتأثير على نتائجها، لكن الأتراك قرروا المفاوضات لمباشرة مع ابن سعود، فاتجه رأي الإنجليز نحو ضرورة

(114) انظر الوثيقة رقم FO371/2124/E 22424 مؤرخة في ١٩مايو ١٩١٤.

(115) الوثيقة رقم FO371/2123

الحصول على تأكيد من أن الاتفاقية المزمع توقيعها لا تمس مصالحهم، واحتجوا على مسودتها، وفي نفس الوقت ــ ورغم حصولهم على تأكيدات الأمير السعودي بانه سيرفض الشروط التي تضر بالمصالح البريطانية ــ إلاّ انهم أرادوا أن يلتقي بمعتمدهم في الكويت قبل ملاقاته الأتراك، وقد فعل !.

قالت رسالة من حكومة الهند إلى وزارة الخارجية إنه " من الضروري لنا أن نعرف ــ قبل الشروع في المفاوضات إن أمكن ــ ما إذا كانت الحكومة العثمانية ستقدم للحكومة البريطانية تأكيدا مرضيا بان حل التسوية لن يسبب ضررا لمصالح بريطانيا العظمى في الخليج [١١٦]..واذا لم يكن لدى الأتراك استعداد لتقديم مثل هذا التأكيد، فهل من المسموح به اتخاذ خطوة غير رسمية عبر شيخ الكويت، أو معتمدنا السياسي لتأمين ما نريده ؟..نحن نشك في أن الأتراك يعيرون أهتماما لهذه المسألة بالنظر إلى تلهفهم لاجراء مفاوضات مباشرة "[١١٧].

وقبل أيام من المفاوضات، كرر البريطانيون عرضهم للوساطة..فقد أبلغ لويس ماليت، السفير في القسطنطينية، وزير الداخلية التركي طلعت بيك، بان حكومته "مستعدة لتقديم وساطتها، وانه ليس لديها أية أهداف أخرى !..وأجاب الوزير التركي، بأن لحكومته آمالاً قوية للتوصل إلى تسوية نفسها" وألحت برقيات وزارة الهند بوجوب الضغط على الأتراك لقبول الوساطة، خاصة وان وابن سعود لا يمانع في ذلك، غير أن وزارة الخارجية رفضت الأمر لأنه يتعارض مع الأسس العامة لسياسة بريطانيا [١١٨]!!.

تتالت الأحداث قبيل وصول ابن سعود والوفد التركي لأطراف الكويت، حيث حمل الوفد نيشانا تركيا لتقليد مبارك الصباح [١١٩].

---

[116] قالت وثيقة بريطانية صادرة في البصرة بعد إحتلالها إنجليزيا، كان اهتمامنا في ذلك الحين، أي أثناء المفاوضات بين الأتراك وابن سعود ــ منصبا كلية على إتمام المفاوضات التي طالت مع القسطنطينية، والمتعلقة بمصالحنا في منطقة ما بين النهرين وفي الخليج، وهما منطقتان ذواتا أهمية حيوية بالغة ــ يشير هنا إلى اتفاقية الخط الأزرق.وكنا في ذلك الحين أقل ميلا مما نحن عليه الآن، إلى القيام بمغامرة داخل شبة الجزيرة العربية، طبعا يدخل شريط الاحساء ضمن الاهتمام البريطاني، راجع الوثيقة البريطانية المطولة رقم FO371/3044/E3592 والصادرة في الثاني عشر من يناير ١٩١٧ .

[117] الوثيقة رقم FO371/2123 من حكومة الهند إلى الماركيز كراو، برقية في ٢٢ أبريل ١٩١٤ .

[118] الوثيقة رقم FO371/2123/E 18123 مؤرخة في ٢٥ أبريل ١٩١٤ .

[119] أبلغ والي البصرة، شفيق الكمالي، شيخ الكويت، بان الحكومة العثمانية أنعمت عليه بنيشان عثماني درجة اولى، وأبلغه رغبته في زيارة الكويت لتقليده اياه...لكن شيخ الكويت لا يتمنى أن يأتي الوالي إلى بلاده، واقترح مبارك على المعتمد البريطاني...ان يذهب إلى الفاو ليقلد هناك...وقد طلب مبارك رأي الحكومة البريطانية فسمح له بذلك، على أن لا تجري احتفالات بهرجة في حفل التقليد.

انظر الوثيقة رقم FO371/2123 رسالة من المقيم في بوشهر إلى حكومة الهند في الثاني عشر من أبريل ١٩١٤، وايضا رسالة من حكومة الهند إلى الماركيز كراو في ٢٢أبريل ١٩١٤ .

وفي ٢١أبريل ١٩١٤بعث السير ل.ماليت إلى وزير الخارجية برقية تضمنت معلومات كان قد بعثها القنصل البريطاني في البصرة، يقول القنصل :"وصلتني معلومات خاصة وسرية بان لجنة مؤلفة من رئيس الأركان في بغداد، ورئيس الأركان في البصرة، ومتصرف الاحساء السابق، سامي بيك، وبرئاسة طالب النقيب، سترسل إلى الاحساء في الاسبوع القادم، وان طالب سيرتب أمر تسليم المنطقة إلى الحكومة التركية.انا أحاول الحصول على تأكيد هذه المعلومات "[١٢٠].

ولكن ظهرت المعلومات زائفة !.

في ٢٥أبريل أبرق السفير ماليت إلى إدوارد غري، وزير الخارجية، نص برقية بعثها القنصل البريطاني في البصرة إليه تقول :"يقول السيد طالب إنه لا يجري الاعداد لأية ترتيبات، ولكنه على إتصال بالباب العالي، الذي يدرس الآن الشروط التي سيتم الإتفاق عليها بالنسبة للاحساء، وانه بانتظار تعليمات القسطنطينية ".

"...وقد تم الطلب من طالب فعلا، أن يتوصل إلى ترتيب أفضل إتفاق يقدر عليه، وهو على إتصال مستمر مع ابن سعود عن طريق شيخ الكويت، كما سمعت أيضاً أن يتوقع وصول ابن سعود إلى الكويت اليوم أو غدا ــ ٢٣، ٢٤أبريل ــ وانه بانتظار زورق شيخ الكويت ليتوجه إليها على رأس اللجنة..وان يتوصل إلى ترتيب اتفاق بطريقة ودية "[١٢١].

قبل أن يغادر الوفد التركي البصرة، أجرى والي البصرة، سليمان شفيق الكمالي، مفاوضات مع إبن رشيد، بالقرب من صفوان، حيث عشائر المنتفق، وسأل الاول صاحبه " هل تستطيع إذا إحتجنا أن تسترد لنا الاحساء ؟، فأجاب ابن رشيد :إنه يود ذلك ولا يحتاج لأكثر من مائتي عسكري تركي "![١٢٢]..وقد كان السؤال غريبا بمقدار غرابة الإجابة !.

والتقى القنصل البريطاني بسليمان فور عودته من لقاء ابن رشيد، وسمع منه تأكيدا بان طالب سيقلع إلى الكويت "للتوصل إلى تسوية ودية..كما طلبت القسطنطينية ". وأفاد القنصل بان سفينة شيخ الكويت وصلت قبل أيام وستقلُ المفاوضين قريبا، وقال إنه "إنتهز الفرصة لتذكير الوالي سليمان، بان سياستنا أن نفعل جهدنا للابقاء على الإمبراطورية غير مجزأة، وسنكون سعداء لسماع أن مشكلة الاحساء قد حلت بشكل مرض "[١٢٣].

وحينما خيم ابن سعود في "الصبيحة " بانتظار وصول الوفد، ذهب المعتمد البريطاني هناك الليفتانت كولونيل و.ج. غري للقائه، ولتأكيد ما تريده حكومته من تعليمات، وقيل أن غري

---

(120) انظر الوثيقة رقم FO371/2123/E 17501 المؤرخة في ٢٢أبريل ١٩١٤.

(121) الوثيقة رقم FO371/2123/E 18193 والمؤرخة في الخامس والعشرين من أبريل ١٩١٤.

(122) جلال كشك، مصدر سابق، ص ٤٠٤

(123) الوثيقة رقم FO371/2123 برقية من القنصل البريطاني في البصرة، إلى ل..ماليت في ٢٧أبريل ١٩١٤.

سلم ابن سعود رسالة من مبارك تطلب منه أن يكون صلبا مع العثمانيين، ورفض التعامل معهم، وهذا كما توضح الوثائق غير صحيح.

كان اللقاء بين غري، المعتمد البريطاني في الكويت، وابن سعود مهما، فالأخير أراد أن تتدخل بريطانيا في المفاوضات بحجة انه لا يثق في الأتراك، ولكن هؤلاء الأخيرين لا يقبلون وساطة الإنجليز ولا يحتاجونها، وقد أبلغ غري ابن سعود بان بريطانيا لا تستطيع التدخل "وقد لاحظت خيبة أمله..ولكني لم أجد صعوبة في إزالة هذا الخطر، فقد شرحت له أن الحكومة التركية هي التي رفضت وساطتنا، ونحن لا نستطيع إرغامها على قبول مساعدة لا تريدها، وأبلغته بأنه لا مانع الآن من إجراء مفاوضات مباشرة بينه وبين التراك، وان آراء حكومة صاحب الجلالة قد نقلت للباب العالي ".

قال ابن سعود " إنه لا ينوي عمل اتفاقيات منفردة مع الأتراك، لانه لا يثق بهم، وسألني ما هي آراء الحكومة البريطانية التي نقلت إلى الباب العالي ؟.فأجبته بأنها خاصة بالمحادثات التي جرت بينه وبين موظفينا في البحرين، قال ابن سعود إنه لا يملك اية معلومات عن الشروط التي سيطلبها الترك منه، ولكنهم لن يسمحوا بوجود أجانب في القطيف بأية حال، وانه في حالة الوصول لاتفاق معهم، فسيجبرونه بدون شك على إخراج الأجانب من القطيف".(١٢٤)

بعدها سأل ابن سعود عن استعداد الأتراك للحرب فيما إذا فشلت المفاوضات "ففهمت من ذلك أنه يدرس الاحتمال البديل، وقبل أن ينتهي لقاؤنا سألني :هل حكومتنا على إستعداد لاعطائه ضمانة ضد غزو الترك للاحساء من البحر ؟..لانه بهذه الضمانة يستطيع أن يصدهم إلى الابد.وقد أجبت بأنني لا أملك اية معلومات إلاّ ما قدمته له عن البحرين ومياهها "(١٢٥).

كانت المعلومات في الحقيقة كافية ومطمئنة لأكثر من سبب وسبب، ولكن ابن سعود يريد ضمانا صريحا ورسميا، وهذا ما يصعب التصريح به، فالتلميح كاف إن أراد، خاصة في تلك الأوضاع الحساسة التي تحكم العلاقة البريطانية التركية، ولقد حذر الإنجليز الأتراك أكثر من مرة من استخدام العمل العسكري ضد ابن سعود، وحذروا من إستخدام البحرين أو مياهها ضده، ومياه البحرين هي مياه الاحساء !، أضف إلى ذلك حجة الإنجليز التي طالما رفعوها، وهي المحافظة على السلام البحري !. ويعلق غري على لقائه بأبن سعود بالقول "أعترف بأنني عدت للكويت بدون فكرة واضحة عن طريق الذي سيختاره ابن سعود: هل سيستمر في

---

(124) لم تتضمن شروط المعاهدة هكذا شروط بالمرة، بل أن دخول الأجانب من عدمه قد خولت صلاحية البت فيه لابن سعود.

(125) جلال كشك، مصدر سابق، ص ٢٦٢ـــ ٢٦٤.رسالة من الكولونيل غري، المعتمد السياسي في الكويت، إلى المقيم في بوشهر، بتاريخ ٢٩أبريل ١٩١٤.

رفضه لأي إتفاق لا تضمنه بريطانيا بشكل ما ؟، أم سيحاول الوصول إلى تسوية معقولة مع الأتراك في الاجتماع القادم؟، وفي هذه الحالة أعتقد أنه سيبذل كل جهده لتوريط حكومتنا، وذلك بقبول شروط من الأتراك، تحت إدعاء الإكراه، وهو يعرف أننا لا يمكن أن نقبلها بحكم مصالحنا "[١٢٦].

كان التوقع بلا شك في غير محله..فلنتابع تفاصيل وصول الوفد التركي للكويت، وسبب عدم مشاركة ابن صباح فيه، ثم كيف جرت المفاوضات ونتائجها.

"وصل الوفد التركي برئاسة السيد طالب، وعضوية السيد عمر فوزي بك، رئيس أركان البصرة، إلى الكويت يوم التاسع والعشرين من أبريل على ظهر زورق الشيخ مبارك ــ مشرف ــ. وفي نفس اليوم منح الشيخ مبارك وساما عثمانيا بدون أي إحتفال رسمي، وبحضور عدد قليل من الناس، وفي صباح الثلاثين ارسل مبارك في طلب " ملا" المعتمدية عندي، وطلب منه إعلامي بان أعضاء الوفد يصرون على أن يرافقهم في زيارتهم لابن سعود، وقد بعثت برد عن طريق الملا قلت فيه أن حكومة جلالة الملك، وكما كنت قد أعلمته من قبل، لا تعترض على المساعي الحميدة التي تقدم للمساعدة في المفاوضات ولتطمينه، أرسلت إليه رسالة رسمية "[١٢٧].

لقد قيل أن الإنجليز اعترضوا على تدخل مبارك في المفاوضات، وقد أسهبت الكتب خاصة تلك التي صدرت من السعودية في الحديث عن هذا الأمر، بل عدتها أحد أهم الأسباب للخلاف الذي نشب فيما بعد بين مبارك الصباح وإبن سعود،.وهذا غير صحيح بالمرة، فالإنجليز أساسا يريدون الاقتراب من المفاوضات، وأكثر من هذا يريدون التأثير فيها عن قرب، وهل أفضل من مبارك لتأدية هذه المهمة ؟!. ثم ماذا يجني الإنجليز من الانعزال ؟.

فيما يلي نص رسالة التطمين التي بعثها المعتمد غري إلى مبارك وسلمت باليد عبر رسول خاص في الخامس من جمادى الثاني ١٣٣٢هـ "٣٠أبريل ١٩١٤".والتي تسمح له بحضور المفاوضات :

"بعد التحية...

تلقيت معلومات من حكومتي بان أعلم حضرتكم بأنها لا تمانع في استخدام جهودكم لحل الامور وتحقيق التوصل إلى اتفاق بين الامير إبن سعود وبين الحكومة التركية..وأنني أعلمكم برغبات حكومة جلالة الملك حول هذه المسألة :

---

(126) المصدر السابق

(127) الوثيقة رقم FO371/2124/E 25950 مؤرخة في العاشر من يونيو ١٩١٤، رسالة من المعتمد السياسي في الكويت، الكولونيل غري، إلى المقيم نوكس في بوشهر، بتاريخ ٦مايو ١٩١٤.

١ــ على ابن سعود ألاّ يتدخل في مناطق وسياسات الشيوخ العرب على شاطئ الخليج، بما في ذلك قطر.

٢ــ وأن تعاونه مطلوب في قمع القرصنة والحفاظ على السلام البحري عموما.

٣ ــ وعليه أن يتعاون في مجال محاربة تهريب السلاح.

٤ــ وان يسمح للتجار البريطانيين بدخول القطيف، وان يعاملوا المعاملة اللائقة. وإن حكومة جلالة الملك، قد أعلمت الحكومة التركية بالفعل بهذه الرغبات، هذا ما لزم إعلامكم، وليحفظكم الله سالمين مرتاحين البال "[١٢٨].

وقد رد مبارك في اليوم التالي على رسالة المعتمد برسالة أخرى، وقد فضلنا أن نورد النص الأصلي عن أن نترجمه إلى العربية.

"بعد التحية. تلقيت رسالتكم المؤرخة في الخامس من جمادى الأخر، وفهمت مقصدكم[١٢٩].

"منخصوص ــ بخصوص ــ مرسولين الترك لملاقاة ابن سعود، هما ــ هم ــ الآن عندنا، ويتوجهون لملاقاة المشار إليه، وطلبوا مني أتوجه معهم، وتعذرتهم، أما التوسط بينهم وبين ابن سعود، فأنا طبعا ما أتداخل بينهم، أني قبل هذا بينت لهم ذلك، أما مطالب الدولة البهية ــ بريطانيا ــ على ابن سعود لعدم تداخله في بلدان العرب التي على الساحل، وقطر منهم، ــ منها ــ، فحضرتكم العالية بلغتوه عن ذلك، وايضا تجارة رعية الدولة البهية الذي يتصلون إلى القطيف، ويمكن يتصلون إلى الاحساء أيضاً، بلغتوه شفاها بذلك، فأني أتبع إرادة الدولة البهية بحسب ما بلغه حضرتكم العالية، وأنا أيضاً أبلغه، ويمكن ابن سعود يزورنا، وأنا أحضر مع حضرتكم العالية، وجميعاً نبلغه حسبما أمرتم، واما التداخل بين ابن سعود ودولة الترك، أنا قطعا متجنبها ــ متجنبه ــ وبلغت مرسولين الترك في ذلك "[١٣٠].

وهكذا نرى أن الإنجليز ليس لديهم مانع من ذهاب مبارك ومشاركته في المفاوضات، ولكنه يلح على عدم الحضور..لماذا؟.

في الخامس من مايو، وبعد رحيل الوفد وإنتهاء المفاوضات، شرح مبارك للمعتمد البريطاني غري موقفه من هذه المسألة، حيث "عبر عن أسفه لعدم تمكنه من قبول دعوة حكومة جلالة الملك له بالمشاركة في المفاوضات، وقد أخبرني ــ مبارك ــ بأنه لم يكن هناك شيء على الإطلاق يمكن أن يحفز ابن سعود على قبول الشرط المتعلق بعودة القوات التركية إلى ما كان يعتبره ملك أبائه وأجداده.وأضاف مبارك بأنه جرب الأتراك طيلة حياته، وأنه لا

---

(128) الوثيقة السابقة.

(129) هذا المقطع من الأصل الإنجليزي، انظر الوثيقة السابقة.

(130) الشيخ حسين خلف خزعل، تاريخ الكويت السياسي، الجزء الثاني، ص ٢٠٦.

يستطيع أن يحضّ ابن سعود جديا على الخضوع لهم دون ضمانة من الإنجليز، أما فيما يتعلق بالوفد التركي، فقد شعر مبارك بانه كان ملزماً بمساعدة عمر فوزي بيك إلى حد ما، أولاً :لانه ممثل دولة أجنبية ــ يقصد تركيا ــ هو على علاقة ودية معها، وثانيا :لانه كان ضيفه حين زار الكويت.وثالثا: بسبب الصداقة القائمة بينه وبين والد السيد عمر.ولم يكن مبارك يرغب في رؤية والي البصرة في الكويت، لانه كان من الصعب أن ينكر عليه ما يمكن أن يفعله تجاه السيد طالب.وكان مبارك يشعر بأنه غير قادر على تقديم اية مساعدة في موضوع المفاوضات "[١٢١].

على أية حال، بقي أعضاء الوفد التركي في الكويت مدة يومين كاملين في ضيافة مبارك، إنهمكوا خلالهما في مناقشة بنود الاتفاق الذي سيعرض على ابن سعود، وفي صبيحة يوم الثاني من مايو توجهوا إلى الصبحية حيث يعسكر ابن سعود، وانتهت المفاوضات في اليوم الرابع [١٢٢].

وكما يبدو فإن الوفد العثماني وصل بمعية جابر بن مبارك الصباح، الذي سلم ابن سعود رسالة إعتذار من والده، بأنه لم يتمكن من حضور المفاوضات، كما وعد سابقا.

وفي ذات الفترة، أي أوائل مايو ١٩١٤، كان طلعت بيك، وزير الداخلية التركي، يثرثر في السفارة البريطانية في القسطنطينية عن توقعاته حول المفاوضات..وقال أن من المحتمل "تخطيط حدود واضحة دقيقة بين إبن سعود وإبن الرشيد، وتعيين ممثلين للسلطان العثماني في كل من حائل والرياض، والاعتماد على دهاء هؤلاء الممثلين في التحكم والاشراف على تصرفات وأعمال الاميرين دون اللجوء إلى القوة..اما بالنسبة للاحساء، فيعين ابن سعود متصرفا على هذه المقاطعة، على أن يكون استيفاء الضرائب والرسوم الجمركية في يد الأتراك، كما توضع حاميات تركية في الموانئ "[١٢٣]..لكن ما جرى على ارض الواقع مخالف تماما لكل هذه التوقعات، أو الثرثرات !.

لقد تصور ابن سعود أن مبارك الصباح بعدم حضوره المفاوضات، أراد تخريبها، خاصة وان الاول طلب من ابن سعود أن يتصلب في شروطه، واعتبر ابن سعود ذلك دلالة على مكر الحاكم الكويتي الذي يريد أن ينسف المفاوضات من أساسها لصالحه، بسبب غيرته وحسده له لاستحواذه على مقاطعة غنية هي الاحساء..وقد قاد تصور ابن سعود هذا إلى إبعاد جابر بن مبارك عن دائرة المفاوضات، ففي الجلسة الأولى والتي حضرها جابر، شن إبن سعود هجوما

---

(131) الوثيقة السابقة، رسالة من غري، المعتمد السياسي في الكويت، إلى المقيم في بوشهر، في السادس من مايو ١٩١٤.

(132) الوثيقة السابقة.

(133) الوثيقة رقم FO371/044/E 35392 تقرير مطول من الكابتن أ.ب ــ ويلسون، في البصرة، إلى المدير العام لمكتب الاستخبارات العربية، مؤرخ في ١٢/يناير / ١٩١٧.

مفتعلا على الدولة العثمانية، ورفض التعامل مباشرة، ووقعت مشادة ــ مفتعلة مع الوفد التركي بالتنسيق المسبق لتغرير جابرــ.وقد قاد هذا إلى انهاء المفاوضات..

ولكن وبعد هذا بساعات، كان الجانبان المتفاوضان يجلسان سوية وفي إحدى الخيم... وبشكل سري لاعداد الشروط التي اتفق عليها، ثم رفعت الاتفاقية إلى الباب العالي للتصديق عليها.

عاد الوفد التركي من الاجتماع إلى الكويت في اليوم الرابع من مايو، ولم يبلغ الشيخ مبارك بما جرى،..في حين أن كل ما يعلمه هو والإنجليز قد جاء من ابنه الذي شهد نهاية المفاوضات المأساوية، ولم يشهد الجلسة السرية..لذا أشارت تقارير المعتمد السياسي في الكويت لرؤسائه في بادئ الأمر إلى أن المفاوضات كانت فاشلة، إلى أن جاءت الاخبار من إبن سعود ومن الأتراك ومن مصادر أخرى، بأن الاتفاق جرى على نقاط محددة ونهائية[١٢٤].

في الرابع من مايو، التقى المعتمد السياسي البريطاني في الكويت، الكولونيل غري بمبارك، فأبلغه الاخير بما وصله من معلومات عن المفاوضات..قال غري :

"قمت بزيارة الشيخ مبارك حيث أبلغني بما جرى، بروايته التي تؤكدها بصورة عامة التقارير التي وصلتني من مصادر أخرى..أعلن الأتراك لابن سعود أولاً عن مشروعهم للتسوية، والذي كان ينص بأن على إبن سعود أن يقبل إبتداء بإعادة تمركز الحاميات التركية في القطيف والعقير، وتعزيزها بمواقع إضافية في الاحساء، وان يعيد تسليم جميع القلاع الموجودة في العقير والاحساء إلى الأتراك، وان تعاد جميع المدافع والأسلحة الصغيرة التي كان قد استولى عليها ابن سعود، إلى القوات التركية، وان لا تكون له اية علاقة أو صلة مهما كانت بالاجانب أو بالدول الأجنبية ".

"مقابل هذه الشروط، وافق الأتراك على الاعتراف بحق ابن سعود بالحكم الذاتي، والسماح له بجمع الضرائب..الخ.وعلى أن يعطوه إذنا شفهيا بإستعادة قطر وعمان حين يشاء". "بعدها عرض مشروع إبن سعود على الوفد..وهو يقضي بأن يحتفظ إبن سعود بالقطيف والعقير والاحساء تحت السيادة التركية، وان يدفع للاتراك ثلاثة آلاف ليرة تركية سنويا على شكل جزية، وان يكون ابن سعود ورجاله تحت تصرف تركيا، إذا ما ظهرت حاجتها للمساعدة المسلحة ". "تلى ذلك نقاشات تركزت على إعادة تمركز الحاميات التركية، وأصر الوفد التركي على هذا الشرط، في حين رفض ابن سعود القبول به...وبعد مضي بعض الوقت تبادل الاخير كلمات قاسية مع السيد عمر فوزي، ووصل بالاخير حدا من الحماقة بدرجة معها

---

(134) أنظر كشك، المصدر السابق، ص ٢٦٤.وايضا خالد السعدون، مصدر سابق، ص ١٥١.

إنه إذا لم يقبل ابن سعود بهذا الشرط فسيجبر على قبوله..فما كان من الأمير السعودي، إلاّ أن هب واقفا واستل سيفه إلى نصفه، ثم أمر السيد عمر بمغادرة الاجتماع، وهكذا فإن أية أمكانية لمفاوضات ناجحة بدت وكأنها أختفت في تلك اللحظة ".

"عاد الوفد التركي إلى البصرة على زورق الشيخ مبارك مساء الرابع من أبريل، وسيرسل تقريرا إلى القسطنطينية عن إخفاق المحادثات"[١٢٥].

هذه هي المعلومات الأولية عن المفاوضات، وهي تتحدث عن الجلسة الأولى منها التي حضرها الطرف الكويتي ممثلا في جابر بن مبارك الصباح، وقد حدث فيها الشجار المفتعل بغية تضليل الوفد الكويتي، كما اعترف بذلك معظم الكتاب السعوديون..وكما أكتشف مبارك مؤخرا، فانثنى على أبنه يوبخه ويتهمه بالغباء. في العاشر من مايو ١٩١٤، أفاد المعتمد السياسي في الكويت، باذه لم تصله معلومات جديدة عن المشروعات التركية، وقال بان ابن سعود لم يزر الكويت بعد انتهاء مفاوضات مع الترك، وإن المراسلات معه مقطوعة.. ونقل الوكيل رأي ابن صباح :بان الأتراك سيكونون أقرب إلى إعلان الحرب ضد ابن سعود من إعطاء الحكومة البريطانية فرصة للتدخل والتوسط.. لكن المعتمد غري لا يشارك ابن صباح في رأيه، وكذلك المقيم في بوشهر، وقد طلب المعتمد دراسة إمكانية طلب التوسط بين الطرفين التركي والسعودي، مادامت المفاوضات قد فشلت!.

فحتى هذا الوقت لم يعلم الإنجليز شيئا عن الاتفاق التركي السعودي بعد ستة أيام من رحيل الوفد التركي إلى البصرة[١٢٦]، ولم يشأ الحاكم السعودي أن يبلغ الإنجليز، ريثما يوقع السلطان على الإتفاقية وتصبح سارية المفعول، وهو امر حدث بعد نحو شهر من توقيع الإتفاق.

ففي الثامن من يونيو ١٩١٤ارسل ناظر الحربية التركي، أنور باشا، إلى ابن سعود برقية تفيد إبرام الاتفاق :

"نمرة ٤٨

إلى والي نجد وقومنانها، عبد العزيز باشا السعود

---

(135) الوثيقة رقم FO371/2124/E25950 مؤرخة في العاشر من يونيو ١٩١٤، تقرير من المعتمد السياسي في الكويت، وأنظر ايضا الوثيقة رقم fo 371/21233 وهي برقية من القنصل البريطاني في البصرة إلى السفير في القسطنطينة في ١٥مايو ١٩١٤، ومن القسطنطينية إلى وزير الخارجية في ١٥مايو أيضاً الكولونيل غري، ومرسل إلى الميجور نوكس، المقيم السياسي في الخليج الفارسي، بتاريخ ٦مايو ١٩١٤ .

(136) الوثيقة رقم FO371/2124 من المعتمد المقيم في العاشر من مايو ١٩١٤.ومن المقيم إلى كوكس في حكومة الهند، في ١٩ مايو ١٩١٤ .

أعرض التبريكات راجيا من المولي تعالى أن يوفقكم لبذل الخدمات المبجلة في سبيل الدين والدولة.

في ٨حزيران ٣٣٠

ناظر الحربية أنور "[١٣٧]

وسرعان ما وصلت أخبار الاتفاق للإنجليز، فتأثر مبارك لعدم علمه بها مسبقا، سواء من أبنه "الغبي!"، أو من خلال ابن سعود "ولده الوفي!".. على أن توارد أخبار الاتفاق جاء متزامنا مع تقارير فشل المفاوضات، فأوقع لبسا وحيرة.

كتبت حكومة الهند لوزارة الخارجية في ٢٧مايو ١٩١٤، مشككة فيما وصلها من أخبار سابقة عن فشل المفاوضات [١٣٨]، وملمحة إلى إحتمال نجاحها، مؤكدة على أن هناك اضرارا كبيرة إذا ما فرض الأتراك الحل الذي يريدونه، وأطلقوا يد ابن سعود على عمان وقطر!،..وقالت أيضاً بأن وضع إبن سعود لقواته إلى جانب تركيا إذا احتاجت إليها سيسبب مشاكل لبريطانيا في المستقبل، إذا ما غاب التفاهم الودي معه.

وبناء على المعلومات المغلوطة عن المفاوضات التركية السعودية، أبدت حكومة الهند وجهة نظر وزير الخارجية إدوارد غري، بضرورة تجنب أي عمل من شأنه أثارة الشكوك لدى تركيا...وأيدت اقتراحه بانه "إذا " لم يتوصل الطرفان إلى حل سلمي لمشكلة الاحساء، فان تركيا يجب أن تقبل توسط الحكومة البريطانية. وفي الوقت ذاته وإزالة للتناقض في التقارير بين قائل بفشل المفاوضات وقائل بنجاحها، وصل نوكس إلى حل توفيقي فقال: "يبدو أن الوفد التركي قد فشل في الوصول إلى أي تفاهم محدد مع ابن سعود، ولكنهم اتفقوا على هدنة، يستطيع ابن سعود أن ينقضها أو يحترمها في اية لحظة، إلاّ أن الوفد كذب على اسطمبول وأبلغها إنه وصل إلى اتفاقية ملزمة. على أية حال ستكشف الأسابيع القادمة ما إذا كان ابن سعود اتخذ موقفا معاديا من التجار البريطانيين أم لا"[١٣٩].

لنعد الآن إلى الاتفاقية التي وقعها ابن سعود مع الأتراك في الثالث من مايو، وصدق عليها رسميا في الثامن والعشرين من نفس الشهر [١٤٠]..ومما يثير الاستغراب أن احد الكتاب شكك في وجودها أصلا، رغم إيراده نصوصها، وقال ان إبن سعود لم يوقعها "وما ينبغي له "[١٤١]!.وهو قول بالغ الجرأة في التعدي على حقائق التاريخ.

---

(137) تاريخ الكويت السياسي، جزء ٢، ص ٢١١.

(138) الوثيقة رقم FO371/2124 من حكومة الهند إلى وزارة الخارجية في ٢٧مايو ١٩١٤.

(139) كشك، مصدر سابق، ص ٣٦٥.

(140) بعضهم يقول ١٥مايو، غير أن التاريخ المذكور أعلاه أقرب إلى الحقيقة.

(141) كشك مصدر سابق ص، ٣٦٦.

في الثالث والعشرين من يونيو ١٩١٤، بعث السفير البريطاني في القسطنطينية السير ل.ماليت، إلى وزير الخارجية غري، برقية تحوي معلومات بعثها قنصل البصرة تقول :

"قبل أبن سعود منصب الوالي، والقائد العسكري العام لنجد، وان يكون على إتصال مباشر مع القسطنطينية، ويعترف أبن سعود بأنه من الرعايا العثمانيين، وسيرفع العلم العثماني في الاحساء [١٤٢]، وقد فهمت انه هو الذي سيقرر فيما إذا كانت القوات التركية ستتمركز في ولايته ام لا..وقد ارسل السلطان برقية إلى طالب النقيب يهنئه فيها على نجاحه بهذا الخصوص "[١٤٣].

واستلم مبارك الصباح في ١٩١٤/٦/٢٥ رسالة من صديق تركي في البصرة، تحوي تفاصيل الاتفاقية بين ابن سعود وعبد اللطيف المنديل "وكيل ابن سعود في البصرة، وكان يفاوض ابن سعود مع أعضاء الوفد التركي نيابة عن الأتراك "!!.

ويقول غري، المعتمد في الكويت، والذي حصل على هذه المعلومات من مبارك نفسه، أن الرسالة هي عبارة عن وثيقة كان من المفترض ان ترسل من قبل وزير الحرب العثماني "أنور باشا " إلى ابن سعود، ولكن المعتمد لم يثق كثيراً بالمعلومات ما لم يؤكدها ابن سعود، الذي زاره في الرياض عبد اللطيف المنديل نفسه، وأشار غري إلى إنزعاج مبارك من أن ابن سعود عقد الاتفاقية دون مشاورته، وقد بعث برسول إلى الرياض ليسأل عن التفاصيل ولتسلم فيما بعد إلى المعتمد [١٤٤]!.

أما الرسالة التي تسلمها ابن صباح من الصديق التركي فهي :

"ابن سعود..لقد سويت أموره حسب رغبة الدولة، وقد إستتب السلام الآن بين الطرفين، وحقنت دماء المسلمين.لقد عين ابن سعود واليا وقائدا عاما لنجد، دون تدخل من الأتراك، وسيضع قواته تحت الطلب كلما طلب منه، وان يمد الدولة بالمدافع والسلاح أيضاً، على أن يتصل مباشرة مع قسم ــ وزارة ــ الحربية والداخلية، وليس مع والي البصرة، هذا إضافة إلى أن يرفع ابن سعود في كل مدينة وقرية قريبة أو بعيدة في نجد، العلم التركي..وسوف يصدر فرمان بهذا الشأن من القسطنطينية ".

---

(142) في الوثيقة رقم FO371/2144 هناك رسالة من الميجور نوكس إلى حكومة الهند مؤرخة في الثالث من سبتمبر، فقرة "٥٨"، تقول "التقارير التي وصلتنا من القطيف تفيد انه في الجمعة الماضية، وبأمر من ابن سعود، رفع العلم التركي هناك، وانه سيرفع كل جمعة.

(143) الوثيقة رقم E28368 من ل.ماليت، إلى إدوارد غري، برقية في الثالث والعشرين من يونيو ١٩١٤.

(144) الوثيقة رقم FO371/2124/E34347 مؤرخة في ٢٨يوليو ١٩١٤، تقرير من المعتمد في الكويت، إلى المقيم في بوشهر، في ٢٦يونيو ١٩١٤.

وأضاف :"بالأمس وصلت برقية من وزير الحرب ــ أنور باشا ــ... والفرمان سيرسل إلى ابن سعود بواسطة السفينة ــ مارماريس ــ إلى القطيف "[١٤٥].

ووصل إلى علم الإنجليز خبر الاتفاقية من الأتراك أنفسهم، فقد أرسل السفير البريطاني في القسطنطينية، تقريرا يقول فيه :"أن وزير الداخلية التركي أبلغه، يوم الثامن والعشرين من يونيو ١٩١٤، بانه قد تم التوصل إلى إتفاقية مع ابن سعود، الذي عينه الباب العالي حاكما على نجد، وان الحكومة التركية لن تأخذ الضريبة منه، كما أن ابن سعود وافق على تمركز حاميات تركية صغيرة في العقير والقطيف [١٤٦].

وفي نفس اليوم ١٩١٤/٦/٢٨، ارسل المقيم نوكس، إلى كوكس في حكومة الهند، ما وصله من معلومات متعلقة بنتائج المفاوضات، سربها مقبل الذكير، الذي تزوج ابن سعود أبنة أخيه حديثا..وقد وصف تقرير نوكس مقبل هذا بانه تاجر نجدي يقيم في البحرين.."وقد أخبر مقبل المعتمد السياسي في البحرين بانه اجرى لقاء مع كل من طرفي المفاوضات، وكلاهما أبلغه بان الاتفاق تم بينهما "[١٤٧].

ومع أن الشيخ مقبل لم ير نص الاتفاقية "لكنه فهم أن الباب العالي سمح بإبقاء خمسة جنود في العقير وخمسة أخرى في القطيف، وخمسة ثالثة في الجبيل، كي يبقى العلم التركي موفوعا..ولكن لن يكون هناك جنود أتراك في الاحساء ونجد ".

وقال مقبل: " سيتسلم ابن سعود دفعة شهرية تقدر بــ ٢٥٠ ليرة تركية باعتباره حاكما للاحساء..وسيجمع الضرائب والجمارك منها، ثم يخصم مصاريف الادارة ويدفع عشرها للاتراك، ويحق لابن سعود ــ ضمن الاتفاق ــ أن يرفع علمه الخاص ". وعلق المعتمد في البحرين على هذه المعلومات :بان هناك إشاعات مضخمة تقول بان ابن سعود وافق على إبعاد التجار الأجانب، وانه وجه إنذارا إلى قطر!.

وهذا غير صحيح طبعا!.

[145] الوثيقة السابقة، ومما جاء في الفرمان، أن جلال السلطان واثق من محبة ابن سعود وصدق عثمانيته، وانه يمنحه سلطة تجنيد الجنود وتسليحهم والمحافظة على الأمن والنظام في بلاد العرب، ولأجراء العدل بين القبائل، ولاكتساب ولائها للعرش العثماني "انظر الخليج العربي " ١٨٤٠ــ ١٩١٤، ص ٢١٥".

[146] الوثيقة رقم FO371/2124/E31094 مؤرخة في ٩يوليو ١٩١٤، مرسلة من وزير الخارجية البريطاني إلى نائب الملك في الهند ــ الدائرة الخارجية، بتاريخ ٦يوليو ١٩١٤ .

[147] الوثيقة رقم FO371/2124/E 34347 مؤرخة في ٢٨ يوليو ١٩١٤م ومرسلة في نوكس في بوشهر إلى كوكس في حكومة الهند.

وعلق معتمد الكويت على أقوال مذكر، بانه لم يسمع بقصة كهذه ونفاها فورا، ولكنه في السادس عشر من يونيو، كتب لرؤسائه بانه "لا شك قد جرى إتفاق بين الطرفين،..ولكن مبارك لا يعلم شيئا عن الموضوع "(١٤٨).

ومرة أخرى أطلع الشيخ مقبل المعتمد السياسي البريطاني في البحرين على رسالة وصلته في التاسع والعشرين من يونيو ١٩١٤من ابن سعود (١٤٩)، تقول :"أن الاتفاقية مع الأتراك صدقت بفرمان سلطاني، وانه ضمن سلطته الكاملة على كل الاحساء ونجد وأشار عبد العزيز إلى سروره بالنتائج "...وأضاف المعتمد أن " عبد اللطيف المنديل، والذي سلم الفرمان لابن سعود..وصل إلى هنا ــ البحرين ــ أمس قادما من الرياض، وقد أفاد بأن ابن سعود عين واليا وقائدا على نجد، وطلب منه أن يتصل مباشرة بوزير الحربية ــ أنور باشا ــ "(١٥٠).

ليس هذا فقط ما وصل الإنجليز عن المعاهدة التركية السعودية: فقد أرسل المعتمد السياسي البريطاني في مسقط برقية في الاول من يوليو ١٩١٤الى حكومة الهند، والى المقيم في بوشهر في آن واحد تقول، أن سامي بيك، آخر متصرف تركي للاحساء، ظهر على السفينة البخارية ــ كسارا ــ والذاهبة من بومباي إلى القسطنطينية، وانه قال بان : عبد العزيز قد وقع على معاهدة هي في طريقها للتصديق من الباب العالي، وتحوي الاتفاقية :تعيين عبد العزيز واليا على نجد، وقد شمل الحل نجد والاحساء والقطيف، وسيدفع ابن سعود العوائد كأي وال عثماني، وان الولاية الجديدة هي مثل الولايات التركية الأخرى، وقال سامي بان قوات ــ من العرب ــ تحت قيادة ضباط عثمانيين سوف تتمركز في الهفوف والعقير والقطيف "(١٥١).

في التاسع من يوليو ١٩١٤، أصدر وزير الخارجية التركي حقي باشا، مذكرة وقدم السفير التركي في لندن نسخة منها إلى وزارة الخارجية البريطانية تقول (١٥٢):"صدر فرمان إمبراطوري يقضي بتعيين ابن سعود حاكما وقائدا عسكريا عاما لنجد، بحيث يتمتع بصلاحيات الوالي، وبحق إنشاء قوات شعبية محلية لتأمين النظام والأمن العام في نجد، وستتمركز حاميات تركية على الساحل، وستزاد قواتها إذا طلب ابن سعود ذلك، كما لا يحق لابن سعود

---

(148) الوثيقة السابقة، وانظر كشك /مصدر سابق، ص ٢٦٥.

(149) واضح أن ابن سعود هو الذي أوصل خبر نتائج المفاوضات إلى الإنجليز سواء عبر مقبل أو المنديل،

(150) أنظر الوثيقة رقم FO371/2124 برقية من المعتمد في البحرين إلى نوكس في بوشهر في ٣٠يونيو ١٩١٤.ومن نوكس إلى حكومة الهند في نفس التاريخ.

(151) الوثيقة رقم FO371/2124 برقية من المعتمد في مسقط إلى حكومة الهند والى المقيم في بوشهر في الاول من يوليو ١٩١٤

(152) الوثيقة رقم FO371/2124/E 31123 برقية من السير إدوارد غري ــ وزير الخارجية إلى السير ل.ماليت.السفير البريطاني في القسطنطينية، بتاريخ ١١يوليو ١٩١٤ .وانظر الحدود الشرقية، :كيلي، ص ١٧١.

أن يعقد المعاهدات، أو يرتبط بالتزامات مع الحكومات الاجنبية، ولا يحق له أيضاً منح الامتيازات، وان يلتزم دائما باحترام المعاهدات القائمة بين الإمبراطورية العثمانية والدول الأخرى، ويستطيع الأجانب في نجد، وفيما يتعلق بمصالحهم وأعمالهم، وعملا بشروط المعاهدة والاتفاقيات، أن يتقدموا بطلباتهم بهذا الشأن إلى السلطات المحلية، والى إبن سعود بصفته واليا على نجد "[١٥٢]!.

لقد بقى نص المعاهدة التركية السعودية مطويا، حتى سقوط البصرة بيد المستعمرين البريطانيين، حيث عثر على النص الأصلي بين وثائق السجلات التركية التي إستولت عليها القوات المحتلة.. وقد ترجم قائد الحملة العسكرية، الميجور بيرسي كوكس النص من العربية إلى الإنجليزية، وهذا هو النص المترجم من الإنجليزية إلى العربية للإتفاقية المذكورة [١٥٤]، والتي وقعها ابن سعود ووالي البصرة سليمان شفيق بن علي الكمالي:

"معاهدة بين ابن سعود و الأتراك "

مؤرخة في الرابع من رجب عام ١٣٣٢هـ

الموافق ١٥مايو ١٩١٤ [١٥٥]

المادة الأولى ــ وقعت هذه الإتفاقية، وتم العمل بها بين والي البصرة والقائد العسكري فيها سليمان شفيق باشا، المخول بصلاحيات خاصة بموجب إرادة إمبراطورية، وبين سعادة عبد العزيز باشا آل سعود، والي نجد والقائد العسكري فيها، وهذه الإتفاقية معتمدة من قبل الحكومة الإمبراطورية، وتتضمن إثنتي عشرة مادة، توضح مسائل سرية ذكرت في الفرمان الإمبراطوري المؤرخ في "التاريخ غير موجود "حول ولاية نجد، وسيكون نص هذه المعاهدة سريا ومعتمدا.

المادة الثانية ــ تبقى ولاية نجد في عهدة عبد العزيز باشا آل سعود طيلة حياته، طبقا للفرمان الإمبراطوري، وبعده تنتقل إلى أولاده وأحفاده حيث يعينون بفرمان، شريطة أن يكونوا مخلصين لحكومة السلطان ولآبائه وأجداده الولاة السابقين.

---

(153) كان الإنجليز يخشون أن يمنع ابن سعود ــ وبضغط تركي ــ الرعايا والتجار البريطانيين من دخول القطيف، وهذه هي الاتفاقية تتيح له السماح لهم بعد مراجعتهم له. وهكذا لم تكن شروط الأتراك معادية لهم، بسبب رفض ابن سعود ــ كما كانوا يتوقعون، وحتى القوات فلن تزيد عن ١٥ جنديا، يحمون العلم التركي مرفوعا.

(154) نجد نص المعاهدة في الوثيقة FO371/2769- E 236112 مؤرخة في ٢٢نوفمبر ١٩١٦، ومرسلة من قائد الحملة لاحتلال العراق، السير بيرسي كوكس ــ إلى وزارة الخارجية.

ونجد ترجمة بعض بنود المعاهدة في : كشك مصدر سابق، ص ٤٦٧.

(155) في الواقع فان ٤ رجب ١٢٢٢هـ يوافق ٢٨مايو ١٩١٤.

المادة الثالثة ــ يعين مسؤول عسكري فني من قبل الوالي والقائد العسكري المذكور ــ ابن سعود ــ بحيث يقيم حيث يشاء، وإذا رأى الوالي أن من المناسب والضروري استقدام ضباط أتراك من أجل التدريب الأساسي للقوات المحلية، فبإمكانه ذلك على أن يكون تحديد العدد وفقا لرغبة الوالي والقائد العسكري المذكور.

المادة الرابعة ــ يتمركز عدد من الجنود والدرك ــ الجندرمة ــ حسبما يراه الوالي مناسبا، في الثغور البحرية مثل القطيف والعقير وغيرها.

المادة الخامسة ــ كل قضايا الجمارك والضرائب والموانئ والمنائر، تمارس طبقا لحقوق الحكومات الدولية، وتسير طبقا لقواعد الحكومة التركية، وتحت إشراف وتوجيه الوالي والقائد العسكري المذكور [١٥٦].

المادة السادسة ــ إلى أن تصل موارد العائدات إلى مستوى كاف لتلبية متطلبات الولاية والنفقات المحلية والإلتزامات العسكرية طبقا للظروف الحالية والأوضاع العادية في نجد، فإن العجز في الميزانية يسدد من عائدات الجمارك والبريد والبرقيات والموانئ...وإذا ما توفر فائض، فيجب إرساله إلى الباب العالي مع تقرير. وإذا كانت العائدات المحلية كافية لسداد كل النفقات، فيجري تحويل عائدات البريد والبرق والجمارك إلى دوائرها "وزاراتها في استانبول " كل حسب عائديته، وفيما يتعلق بالمدخولات المحلية غير المذكورة أعلاه، وفي حال توفر فائض، فإن يجب إرسال عشرة بالمئة منه إلى خزينة الدولة.

المادة السابعة ــ يرفع العلم التركي على كل مباني الحكومة والأماكن الهامة في البحر والبر، وايضا على كل القوارب العائدة لولاية نجد.

المادة الثامنة ــ يتم اتصال الوالي ــ ابن سعود ــ بوزارة الحربية من أجل تقديم الأسلحة والذخائر بصورة منتظمة.

المادة التاسعة ــ لا يجوز للوالي والقائد العسكري المذكور الدخول في اية علاقات أو مراسلات تتعلق بالشؤون الخارجية أو المعاهدات الدولية، أو منح إمتيازات للأجانب.

المادة العاشرة ــ كل مراسلات الوالي والقائد العسكري، تكون مع الوزارات الإمبراطورية "الداخلية والبحرية " مباشرة ودون وسيط.

المادة الحادي عشرة ــ تقام مكاتب للبريد في ولاية نجد بغرض تسهيل الإتصالات، وتوضع الترتيبات لإرسال الحقائب البريدية الى الأماكن الضرورية بطريقة مناسبة، وتلصق الطوابع التركية على كل الرسائل والطرود.

---

(156) لأمر ما قفز جلال كشك، عن المواد الخمسة والسادسة والثامنة والعاشرة واختزل المادة الحادية عشرة من المعاهدة أنظر ص ٤٦٧.

المادة الثانية عشرة ــ إذا حدث لاقدر الله ــ واضطرت الحكومة لدخول حرب ضد دولة أجنبية، أو إذا ما وقعت اية اضطرابات وقلاقل داخلية في أية ولاية، وطلبت الحكومة من الوالي المذكور ــ ابن سعود ــ قوة عسكرية لمساعدة قواتها، فإنه يتحتم عليه أن يهيئ ويجهز قوة كافية حسب الطلب وعلى الفور، طبقا لقدراته وإمكانياته.

توقيع :

عبد العزيز، والي ولاية نجد، وقائد جيشها

سليمان شفيق بن علي كمالي، والي ولاية البصرة وقائد قواتها

ومن الواضح أن ابن سعود كسب الكثير من الإتفاقية، ولكنه مع هذا لم يكن في نيته الإلتزام بنصوصها، وحين جاء التطبيق العملي لها، لم ينجز منها شيئا، اللهم إلاّ رفع العلم التركي لبرهة من الزمن وفي القطيف والاحساء في شهر سبتمبر ١٩١٤، وما كان ابن سعود، رغم ما تحويه المعاهدة من نقاط عديدة لصالحه، مستعدا لان تكون المعاهدة عائقا بينه وبين علاقاته التي يسعى إلى توثيقها مع الإنجليز، وقد قبل فيما بعد شروطا قاسية، ولكن بصدر رحب، في معاهدته مع الإنجليز المعروفة والتي وقعت في " دارين ــ القطيف " عام ١٩١٥. وجرى أهم امتحان لهذه المعاهدة مع الأتراك أثناء قيام الحرب الأولى، حيث إنحاز ابن سعود إلى جانب الإنجليز خلافا لنصوص المعاهدة بل وساعد على إحتلال البصرة، وهنأ بسقوطها في يد البريطانيين، كما هنأ فيما بعد باحتلال القدس التي دخلتها جيوش اللنبي، وأرسل ولده فيصل إلى لندن عام ١٩١٩، ليقدم تهانيه.

أوضح ابن سعود مرارا وتكرارا للسلطات البريطانية ومعتمديها في الخليج بأنه لا يهتم بالمعاهدة إلاّ من حيث أنها ضمنت له إمتلاك الاحساء والقطيف، وانه لم يقبل ابدا، ولن يقبل في المستقبل باتخاذ أي خطوة تضر بالمصالح البريطانية في الخليج.

وأكد ابن سعود فيما بعد للكابتن شكسبير :"بأنه قبل بشروط المعاهدة مع والي البصرة التركي، لانه طمئن بشكل سري، بانه حتى الجزء الضئيل من السيادة الذي منح لتركيا لن تطالب به أبدا "[١٥٧].

وتساءل الإنجليز بعد أن ألموا بخبر الاتفاقية السعودية التركية وتفاصيلها، عما إذا كانت هذه الاتفاقية ستؤثر على موقف ابن سعود من الحكومة البريطانية ومصالحها في بلاده.

---

[157] الوثيقة رقم FO371/2044/E35392 مؤرخة في ١٤فبراير ١٩١٧.

قال معتمد الكويت الكولونيل غري بان مشاعر الحاكم السعودي لم تتغير، وانه كان مهتما بأن لا تتعرض المصالح البريطانية لأي سوء، وقد أصبح في مقدوره ان يقرر وحده، ودون الرجوع إلى القسطنطينية، كل ما يريده بشأن التجار الأجانب وكذلك الزوار إلى نجد والاحساء،. أما معتمد البحرين فيرى أن ابن سعود لا يعتبر أن الاتفاقية التي وقعها ستؤثر على المصالح البريطانية، وانه يترفع عن القيام بلعبة بارعة باستخدام الإنجليز ضد الأتراك، وتضليل الأتراك ليعتقدوا بانه يدرس احتمالية طلب الارشاد والحماية البريطانية، ليحصل على شروط اتفاقية أفضل مما حصل عليه.

وأضاف بان ابن سعود يريد أن يظهر بمظهر الملبي "لرغباتنا " وفي نفس الوقت لن يعترض على الإساءة للمصالح البريطانية التي إعترف بها في الاحساء.

ويذكر نوكس الذي سأل معتمديه، وأرسل بجوابهما إلى حكومة الهند في ١٥سبتمبر ١٩١٤، يذكر انه يميل إلى رأي معتمد الكويت ويدعو حكومته أن تسمح لمعمتد البحرين أن يرتب إتصالاته بإبن سعود وأحداث الاحساء، حتى لا يذهب الاخير بعيدا في علاقاته مع الأتراك، خاصة وان الخطر الألماني بدأ بالتصاعد ليس في أوروبا فقط وأنما فقط في الممتلكات التركية.

لم تكن هناك فاصلة طويلة بين تاريخ هذا التقرير، وبين قيام الحرب العالمية الأولى التي قلبت كل الموازين رأسا على عقب، وأثبت ابن سعود، إنه لم يكن في يوم ما إلاّ إلى جانب الإنجليز.

الحرب العالمية الأولى وثورة العجمان في الاحساء

بسقوط الاحساء عام ١٩١٣ م في قبضة ابن سعود، واعتراف الأتراك رسميا بحكمه لها عام ١٩١٤، ضم الحاكم السعودي إليه صحراء شاسعة شملت الجافورة وواحة يبرين، وحقيقة كل المناطق الواقعة بين الكويت وحتى عمان والى حدود اليمن الجنوبي، واليوم تعد المنطقة الشرقية "الاحساء والقطيف" أكبر المناطق في المملكة مساحة، وأهمها من حيث الموقع الاستراتيجي، وقلب البلاد الاقتصادي.

وباحتلال الاحساء، أصبح ابن سعود قريبا من صناع احداث المنطقة باعتباره واحدا منهم بعدما كان منزويا في نجد، وصار لزاما على الآخرين أن يعترفوا به كقوة مؤثرة، فارتفعت أسمهه السياسية سواء لدى القوى المحلية "قطر، البحرين، الكويت، إمارات الساحل " أو لدى القوى الدولية "بريطانية وتركيا ".

كان احتلال الاحساء يعني السيطرة على الساحل البحري من الكويت إلى ساحل إمارة " أبو ظبي " بما فيه من موانئ وجزائر كثيرة، وثروات.

وكان يعني أيضاً السيطرة على أصلح المناطق الزراعية في شبة الجزيرة العربية، واكثرها نتاجا ووفرة للمياه.

وجعل الاحتلال ابن سعود متصلا بحدود طويلة مع العراق والكويت وقطر وعمان والإمارات واليمن، "الجنوبي "وإمارة شرق الاردن، إضافة إلى البحرين التي يفصلها عن المنطقة أميال قليلة من البحر.

وضم ابن سعود إليه العديد من الواحات ،ومساحات شاسعة من الصحارى التي تجود بالمراعي الخصبة قبل أن تجود ببحار من الذهب الأسود.

وقدمت الاحساء لابن سعود بقراها ومدنها موارد هائلة عززت مكانته السياسية في نجد والعالم المجاور، وجعلت له ثقلا محسوبا في النشاط الاقتصادي لمنطقة الخليج.

لهذا كله أثار استيلاء ابن سعود على الاحساء القلق والحسد لدى القوى المحلية الصغيرة في الخليج..اما القلق فلخوف هذه الإمارات ان تبتلع بسهولة نتيجة القوة السعودية المتزايدة والقريبة من أبوابها..وهذا ما حدث لحاكم قطر، ولحمدان بين زايد ـــ حاكم أبو ظبي ـــ الذي بدأ فور احتلال الاحساء بتعزيز قواته واستيراد كميات كبيرة من السلاح والذخيرة [١٥٨]..وتشاور حمدان مع شيخ دبي حيث قرر هذا دعوة أتباع الجاذبين من البدو للاحتفاظ بموقع قوي في البريمي لمنع السعوديين من التمدد [١٥٩].

وفي السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الأولى تزايد الهلع، وشمل شيوخ القبائل في البريمي وعمان الذين كانت لهم سلطات واسعة في العهد العثماني..وتزايد الخلاف مع الكويت إلى حد خوض المعارك، وقيام المجازر، كما حدث في الجهراء [١٦٠]، حيث تم بعدها إقتطاع ثلثي مساحة الكويت وضمها لمملكة ابن سعود، وفي الحقيقة فإنه لولا مقاومة الإنجليز، لاستطاع ابن سعود أن يضم إلى مملكته كل الإمارات الأخرى في الخليج، بما فيها عمان والكويت والبحرين وقطر... غير انه يرد على هذا القول: بانه لولا الدعم البريطاني، لما أسس ابن سعود وجودا قويا له في الاحساء، وربما في غيرها أيضاً.

مهما يكن من أمر، فإن الوجود السعودي في الاحساء رفع من شأن البيت الحاكم على الصعيد المحلي والدولي..ورغم التحذير لابن سعود بأن لا يقترب من مصالح الحكومة البريطانية في مشيخات الساحل، فإن المشاكل على الحدود تصاعدت بعد تفجر النفط، ودخول

---

(158) جمال زكريا قاسم، الجزء الثاني / ص ٢٩٦ـــ ٢٩٧.

(159) كيلي / المصدر السابق / ص ١٦٨ـــ ١٦٩.

(160) راجع كتاب معركة الجهراء للدكتور بدر الدين عباس الخصوصي / منشورات السلاسل ـــ الكويت.

قوى دولية "أمريكا " في حلبة الصراع، وقد نتج عنه الصراع على البريمي و غيرها، ولا تزال هذه المشاكل بؤرا تتفجر بين الحين والاخر بين كل الإمارات، وبالنسبة للسعوديين فقد كانت الاحساء في قلب الصراع، فمنها ترسل الأموال لشراء ولاء القبائل ورؤسائها، ومنها يتم إبتعاث الجواسيس وإيصال الإعانات والقوات المسلحة، وبإسمها تبنى المطالبات بضم المناطق الأخرى.

يبد انه كان مهما لابن سعود، أن يهضم الاحساء أولاً، ثم ينطلق لغيرها متحينا الفرص، ومؤكدا على "حقوق الآباء وملك الأجداد! "..والذي حدث أن الحرب العالمية الأولى شغلته إلى حد ما عن التوسع، خاصة وان ابن رشيد لا يزال المنافس القائم في نجد، فضلا عن أن هناك اولويات أخرى "عسير والحجاز " وكانت الاحساء مسرحاً هاما للاحداث التي رافقت الحرب العالمية وتداخلاتها.

كانت بريطانية تسعى قبل إشتعال الحرب العالمية الأولى إلى تهئية الاوضاع لصالحها في المستقبل، فأسست واحتضنت الحركة القومية العربية ووجهتها بالصورة التي تخدم مصالحها، واستطاعت أن تجعلها حركة قومية مقابل الإسلام الذي ترفع تركيا لواءه، رغم أن الأخيرة أساءت إلى العرب بمحاولاتها تتريكهم بالقوة، وراحت في أوقات الخطر ترفع الشعار الجامع وهو "الإسلام ".وأثناء إنشغال الدولة العثمانية في حروب البلقان ١٩١٢ــ ١٩١٣، عقد مؤتمر عربي برعاية بريطانية في مدينة المحمرة، حضره خزعل ومبارك الصباح وطالب النقيب، وذلك للبحث في مستقبل العراق [١٦١].

وعقد مؤتمر آخر إشترك فيه اُمراء العرب في الشرق، وعقد على مقربة من الاحساء، وبرعاية بريطانية أيضاً، وعرف باسم "مؤتمر جزيرة العرب"، وتناقش المؤتمرون في وسائل المحافظة على الإمارات العربية في الخليج، ومن هذا يتضح أن بريطانيا حرصت على احتضان الحركة العربية وتوجيهها الوجهة التي تريدها والتي تتفق مع مصلحتها، خاصة في ظروف ملابسات الحرب العالمية الأولى.

لقد توالت المؤتمرات وتحولت من البحث في الإصلاح ضمن إطار الدولة العثمانية، إلى حركات إنفصالية بفعل الإنجليز، وكان غرض جمع مشايخ الخليج ــ الذين هم من المجتهدين في الحفاظ على مصلحة بريطانيا ــ هو حشد القوى العربية ضد تركيا، والحقيقة أن هؤلاء الزعماء ــ كالرعايا ــ لم يفهموا حينها أي معنى للحركة القومية، بل أن الشعوب لم تسمع فتتأثر بها.

---

[161] جمال زكريا قاسم، الجزء الثاني / مصدر سابق / ص ٤.

أشتعلت الحرب العالمية الأولى في رمضان ١٣٣٢ هـ ــ أغسطس ١٩١٤م، فالتزمت الدولة العثمانية الحياد العملي بين المعسكرين طيلة شهرين كاملين، حتى بدأتها بريطانيا ضدها دون مبرر سوى الشكوك من أن المعسكر الموالي لألمانيا في الحكومة العثمانية يدفع باتجاه المشاركة في الحرب، والواقع أن بريطانيا بيتت النية للقضاء على دولة الخلافة وتمزيقها، وكل تحركاتها السابقة واللاحقة تدل على أنها لم تكن تبحث عن مبرر لإعلان الحرب ضد الأتراك، وإنما عن فرصة لتمزيق دولتهم، يدلنا على ذلك أن إشارات عديدة صدرت من السفارة البريطانية في تركيا ترجح عدم دخول تركيا الحرب، وعدم رغبتها فيها..وحتى استعدادات تركيا على حدود مصر للمحافظة على فلسطين وبلاد الشام..فسرها البريطانيون في السفارة على أنها" ليست بالضرورة معادية ".كان ذلك قبل أن تعلن بريطانيا الحرب على دولة الخلافة بأيام قلائل فقط !.

وبمجرد إشتعال الحرب تحركت بريطانيا بشكل ملحوظ لكسب ود الزعماء إستعدادا للمعركة المقبلة مع الأتراك، والمشكلة لم تكن في الزعماء "فالرؤساء العرب كان معظمهم مهيئا للصداقة البريطانية، ولنذكر منهم ثلاثة هم: خزعل خان حاكم المحمرة، والشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت، وعبد العزيز بن سعود سلطان نجد والاحساء "(١٦٢).

ولكن القضية تتعلق،" بموقف الشعوب وميل الغالبية للدولة العثمانية، وقد تنبه أ.تشيسون، الموكل بالشؤون الخارجية في حكومة الهند، إلى أن معظم سكان الخليج من العرب متعلقون بالدولة العثمانية بحكم العاطفة الدينية "(١٦٣).

ويقدم المقيم السياسي البريطاني في الخليج تقريرا يوضح الخطوة المقبلة بعد أن اشتعلت الحرب، وقبل دخول الأتراك كطرف فيها.. يقول (١٦٤):

"في حال قيام حرب مع تركيا..نستطيع الاعتماد على ولاء رؤساء الخليج في المحمرة والكويت، واعتقد إنه من المفيد لنا إذا قدمت تأكيدات لابن سعود، فسيأخذ نفس الموقف،..اما البحرين فأعتقد أنها لا تضر ولا تنفع (١٦٥)..وستكون مسقط في وضع تستطيع فيه الوقوف لمساعدة القوات البريطانية والتي تعسكر حاليا هناك."

واقترح المقيم أن تهاجم القوات لعربية البصرة، وشرح بالتفصيل طريقة إحتلالها، وكيفية المحافظة على الأوروبيين هناك بإخراجهم قبل أن تعلن الحرب، واقترح المقيم بخبث توزيع رسالة إلى مشايخ الخليج من حكام ورؤساء قبائل، قدم نصها، تقول بان الحكومة التركية تعمل

---

(162) الانيارات السياسية /العقاد /ص ٢٢٢.

(163) المصدر السابق /ص ٢٢٢

(164) من المقيم في بوشهر، إلى سكرتير حكومة الهند، تقرير مطول ارسل برقيا في "١٩١٤/٨/٢٠". انظر _FO.371 2124

(165) بل نفعت فمنها انطلقت القوات البريطانية بعد تحشدها باتجاه البصرة لاحتلالها

ضد التجار البريطانيين المسالمين، وتورط نفسها في حرب مع بريطانيا وفرنسا وروسيا التي دخلت الحرب لحماية "!"أملاك تركيا، وتنصح الرسالة المقترحة بان لا يتورط رؤساء العرب في الحرب إلى جانب الألمان والاتراك لانهم سينهزمون!.

ثم تعدّد الرسالة مساوئ الأتراك ضد الشيوخ الحاكمين وضد "الإسلام!!"وان حكومة بريطانيا لا تتدخل في شؤون المسلمين وعقائدهم، وانها أبقت دائما على السلام والخير في كل مكان وحسن الجوار مع الجيران، ويذكر المقيم الشيوخ باذه :كانت لكم علاقة سابقة وقديمة مع بريطانيا وإذا ما قامت الحرب فانها، "ستحفظ لكم دينكم وحريتكم، فلا تدعوا الحمقى من رعاياكم، والذين لا يعون منافع الحماية البريطانية الكثيرة، للإخلال بالأمن في إماراتكم أو التعرض لمصالح الحكومة البريطانية،...وبالتزام الصبر ستوفرون المشاكل والأضرار التي قد تلحق بالجميع...وستكونون في المستقبل أكثر حرية وقوة من السابق، لا تدعوا الأشخاص الحمقى يرفعوا الكلام السخيف عن الجهاد.

إن هذه الحرب لا علاقة لها بشؤون الأديان، بل أنها لصالح الأديان، هدفها تدمير التعالي والتكبر العنصري، وتقوية الشعوب الصامة التي تحافظ على استقلالها وسلامها مع جيرانها "[١٦٦].

وحينما تقوم الحرب مع تركيا ــ يقول المقيم ــ "سأعد ابن سعود بالاستقلال مع تأمين ضد أي هجوم من ناحية البحر.وسأدفع شيخ الكويت لمهاجمة الحاميات التركية في جفيم 'JAVIM'، ام قصر، صفوان وجزيرة بوبيان، وسأحميه من النتائج المترتبة على ذلك..وسأعطيه وعدا بإعفائه من الضرائب، وسأمنحه حرية تصرف كاملة فيما يتعلق ببساتين النخيل التي يملكها في الضفة اليمنى من شط العرب..اما فيما يتعلق بالمحمرة..فنستطيع إعطاء وعد مطمئن لشيخها، عبرإعلان عام باذه يجب أن يحصل على كامل الحق في التصرف كقوة محلية مستقلة..وله كامل الحرية فيما يتعلق ببساتين النخيل في الضفة اليمنى من شط العرب، مثلما عرض على شيخ الكويت...ومن المحتمل أيضاً أننا نستطيع التأثير على شريف مكة في نفس الاتجاه من خلال ابن سعود "[١٦٧].

كانت هذه البداية، وسرعان ما ووفق على ما طرحه المقيم فأرسلت رسائل إلى الأمراء والشيوخ ــ ومن بينهم ابن سعود ــ تخبرهم بوقوع الحرب، وتؤكد لهم بان الأتراك سيدخلونها، وان بريطانيا تطلب دعمهم ومعونتهم مقابل وعود لهم " بالاستقلال، والحرية والمال!" وأوصت كل شيخ بالمهمة الموكلة إليه، فهذا يهاجم البصرة، وأخر يقطع الإمدادات

---

(166) الوثيقة السابقة

(167) الوثيقة السابقة، وانظر كشك / مصدر سابق / ص ٢٨٦

التي قد تأتي من قبائل المنتفق وغيرها، وثالث مكلف بحماية القوافل العسكرية والتموينية وكذلك الأرواح البريطانية.

وبالنسبة لابن سعود، فإن وزارة الخارجية البريطانية التي كانت على الدوام حريصة على التوازن في علاقاتها معه ومع الأتراك، غيرت رأيها بناء على إقتراح من السفارة البريطانية في القسطنطينية، حيث أرسل السفير إلى رؤسائه قائلا : "إنه من الحكمة بلا شك أن نحاول احياء صداقتنا مع إبن سعود...ربما كان المقيم في بوشهر قد دخل في علاقات سابقة معه، صحيح انه في مطلع هذه السنة "١٩١٤" حين بدا أن الباب العالي كان يعمل بثقة، فاني استنكرت الظهور بمظهر المتآمر مع ذلك الرئيس، ولكن بالنظر إلى ما حدث منذ نشوب الحرب، أظن بأن لدينا مبررا لإعادة علاقاتنا الودية معه "[١٦٨].

وكتب مبارك رسالة إلى ابن سعود ــ بناء على أوامر المقيم البريطاني في بوشهر ــ يبلغه بقيام الحرب ويدعوه للوقوف إلى جانب الإنجليز، قال :

"ولدنا العزيز، دمت بخير وعز وسرور

"الله يسلمك واصلتك هل " هذه " الأحرف التي بالورقة...مضمونها جاينا من باليوز بوشهر السابق كرنل كاكس الذي الآن في سملا، ناظر خارجية الدولت "الدولة " البهية، وهو الرجل المعلوم أولاً أنه محب لنا ولك، والان زمام الامور بيده، وانت الله يسلمك هل "هذه " الاحرف اقرأها بالدقة التامة وتميز إن شاء الله معانيها، ومثلما هو ذاكر على أسباب هذا " هذه " الحرب، هو من حركاة " حركات " الجرمن واغو الترك معه، الله يذلهم جميعهم، والا ياولدي أفكار الجرمن يسلط الترك علينا وعليك وعلى جميع العرب، وانت تعرف عداوة الترك للعرب ظاهرة، والله سبحانة رحم العرب والإسلام بوجود الدولت "الدولة " البهية الإنكليزية، هما "هم " الذين محافظين على الإسلام "المسلمين " الذي عندهم بالهند، ونحنا " ونحن " يا إسلام " مسلمي " العرب، ومنهم أنا وتبعي، وانت وتبعك وعموم العرب، ترا "معروف" حنا الله يسلمك في هيبة الله ثم هيبة الدولت " الدولة " البهية..يلزمنا أن نحافظ على الصداقة مع الدولت البهية، إذا ما ساعدناهم نعرض عن التداخل إلاّ أن نميل لهم، ولا نقبل أن نسمع تضدويهاة " أي دعايات " الجرمن الباطلة، ويلزمنا أن نتبع إرادة الدولت البهية باستراحتنا، ويلزمنا أننا نشكر الدولت البهية، لان ياولدي الدولت البهية غنية عن مساعدتنا، لاكن " لكن " نحنا، انا وانت، ما حنا " لسنا " غنيين عنها..راحتنا وصلاحنا بالله ثم فيهم، والذي " الذين " غيرهم الله لا يوليه يظرنا "يضرنا " وهم الترك، والذي مقويهم الجرمن، الله يذلهم، والدولتِ البهية وحلفائها الآن

---

[168] انظر نص الوثيقة وصورة منها في كتاب خالد السعدون، / مصدر سابق / ص ٢٢٢ــ ٢٢٤ــ برقية مرسلة من القسطنطينية إلى خارجية لندن في ١٩١٤/٩/١ .

هم الغالبين، وبعد إن شاء الله يذهبون الجرمن، وهذه العبارة "العبارات الذي جاءَنا "التي جاءتنا "من كرنل كاكس هي هم من مراحم الدولت البهية، يبينون مقاصدهم الحسنة بنا وبعموم الإسلام، ولالهم راغبة " رغبة " في حرب الترك، ويقولون على الممالك التي للترك، ويمكن أن هذي عقوبة من الله على الترك من سوء نياتهم بالعرب، فعاد "الذن "ياولدي الله يسلمك أنا وانت يلزمنا اتباع نظر الدولت البهية لأجل صلاحنا وهو الواجب منا "[169].

رد ابن سعود على رسالة مبارك الصباح هذه فقال : " ما عرف حظرتكم كان لدى ابنكم " ويقصد نفسه " معلوم..ثم عرف حظرتكم من قبل إثارات الحرب بين هالدول، وان إلى " الذي " مع هالإنكليز يصيرون غالبين، والدولي " الدولة، تركيا " في غايت " غاية " الخوف، نرجو أن الله يجعل الغلبة لمن لنا وياكم فيه صلاح (المقصود بريطانيا).."[170].

في نفس الفترة وبالسرعة المطلوبة استدعي الكابتن شكسبير على عجل من لندن، حيث أبلغته وزارة الهند شفهيا بالمهمة الموكولة إليه، بان يذهب حالا لإبن سعود ويمثل بريطانيا في بلاطه، ويؤثر عليه في حال قيام بريطانيا بمهاجمة دولة الخلافة وإعلان الحرب ضدها، وفي الخامس من أكتوبر ١٩١٤م كتبت له وزارة الهند التالي :

" سيدي

تأكيدا للتعليمات التي نقلت إليك شفهيا، أمرني وزير شؤون الهند أن أبلغك بأنه قد تقرر استدعاؤك للخدمة فوراً، وذلك لتنفيذ الإجراءات (التي أوضحت لك طبيعتها) والتي ستتخذ لحماية المصالح البريطانية في الخليج الفارسي، وفي المناطق التي تسيطر عليها تركيا في الجزيرة العربية.

طبقا لهذه التعليمات عليك أن تتوجه إلى الخليج الفارسي دون أدنى تأخير، وحينما تصل إلى هناك، يجب أن لا تضيع أي وقت، بل تضع نفسك على تماس فوري بابن سعود، أمير نجد..والذي يجب عليك أن تمارس عليه أقصى ما عندك من نفوذ، بهدف تأمين هدفين رئيسيين:

الاول: منع إنفجار الإضطرابات أو القلاقل بين العرب نتيجة الاجراءات التي ذكرت آنفاً.

الثاني: في حالة إندلاع الحرب بين بريطانيا وتركيا، عليك أن تتأكد وتطمئن إلى أن العرب لا يقدمون للجيوش التركية اية مساعدات.

---

(169) وثيقة وزارة المستعمرات O.R,R/15/5/25 NO.C-41 OF 1914 او انظر السعدون، مصدر سابق / ص ٢٢٦.

(170) السعدون، مصدر سابق / ص ٢٢٥

حوّل المحاسب العام في هذه الوزارة صلاحية وضع مبلغ ١٠٠جنيه تحت تصرفك لشراء هدايا (اللقاء مع الأمير) الخ...كما انك مخول بأن تسحب من خزينة بوشهر ما يلزمك من نفقات لرحلتك فيما وارء ذلك الميناء.

وستحسب خدماتك الفعلية طبقاً للأحكام المطبقة على حالات الاستدعاء الإلزامي للضباط أثناء إجازاتهم، بدءا من العاشر من أكتوبر ١٩١٤، وهو التاريخ الذي علمنا أنك ستغادر فيه مبحرا من البلاد على ظهر الباخرة "ارابيا".

ستصلك معلومات في الوقت المناسب عن طريق حكومة الهند، فيما يتعلق براتبك، وعلاواتك خلال الفترة المهمة الخاصة "[١٧١].

ولم تضيع حكومة الهند الفرصة بانتظار شكسبير، بل طلبت من مبارك أن يكتب بإسمها واسمه رسائل لابن سعود تحضه على دعم بريطانيا وحرب الأتراك، وتبلغه بان شكسبير (صديقه القديم) سيصله، وهو الآن في الطريق مبحرا.

قال له مبارك: ((أن الدولة البهية تبغي منا ومنك المساعدة الكاملة في جهدها لابقاء الصلح من تأثيرنا في أصدقائنا وعشائرنا والقبائل المتعلقة منا، وان نعرف شريف مكة وابن شعلان بغواية الدولة الجرمانية حتى لا ينغووا بوعود باطلة..وان الدولة ترسل اليكم كبتان شجسبير)) الكابتن شكسبير (المعروف عند العرب جميعا، حتى يعرفكم بمقاصد الدولة البهية ونياتها، والدولة البهية تبغي منكم انت والشيوخ المقيمين على شط البحر وساحل الخليج إلاّ تفعلوا شيئا من الحركاة (الحركات) حتى بعد تشييب (تشوب) الحرب، إلاّ بعد ما صار (أن تصير) مقاصد الدولة البهية معلومة عندكم بالتفصيل "[١٧٢].

كانت بريطانيا تعد عدتها للحرب، وكانت قواتها تتجمع في البحرين، وكانت مؤشرات بدئها بالحرب واضحة، لهذا طلبت من الجميع لزوم الصمت وعدم القيام بأي عمل، إلى أن تشعرهم هي بما ينبغي عليهم أن يفعلوه.

وكتب مبارك أيضاً لابن سعود طالبا منه الاحتفاء بشكسبير حين لقائه: (فانت الله يسلمك انشا الله تباشره (تحتفي به) وتجاوبه بكلما (بكل ما) يطيب خاطره، والامل يعود من عندكم مسرور، لان ياولدي أنا وانت وربنا واحد على الخير والسرور انشا الله راحتنا واطمناننا (واطمئناننا) باتباع رظاهم (رضاهم، أي الإنجليز) [١٧٣]

---

[171] الوثيقة E 57141 تاريخ ١٩١٤/١٠/٨ رسالة من وزارة شؤون الهند الى الكابتن شكسبير في ١٩١٤/١٠/٥وانظر (E 35392)FO.371/3044مؤرخة في الرابع عشر من فبراير ١٩١٧، وقد ابلغت وزارة الخارجية المقيم السياسي في بوشهر في برقية في ١٩١٤/١٠/١٩موضحة المهمة المكلف بها شكسبير المبينة اعلاه، وانظر السعدون ـ مصدر سابق / ص ١٥٤

[172] برقية من المعتمد السياسي في الكويت الى المقيم السياسي في بوشهر بتاريخ ١٩١٤/١٠/٢١ .وانظر السعدون / ص ١٥٥ـ ١٥٦

[173] المصدر السابق

رد ابن سعود على مبارك مبديا استعداده لمعاونة بريطانيا، وانه تسلم رسائل من المقيم بهذا الاتجاه،...جاء في الرد: "ولا يقطع عقلكم (لا تتصوروا) أن عندنا امر يخالف أمركم بهذا الخصوص، وقد عرفتكم أن أمري تابع أمركم، ومن قبل الدولة البهية، (بريطانيا) تعرف غايتنا عندكم و عندهم (هوانا معكم ومعهم) ،ولا غدينا في امر إلاّ معرفين (أي لم نباشر في عمل إلاّ وعرفنا) صاحبهم الذي بطرفكم (الوكيل البريطاني في الكويت) بشيء ما يخفا (لا يخفى) على حضرتكم، وحنا جانا (ونحن جاءنا) منه (أي المقيم البريطاني في بوشهر، الميجور نوكس) كتاب على طريق البحرين مقابيل خطه هالذي جانا منك (مماثل إلى كتابه الذي جاءنا منكم)، على يد قنصل البحرين (المعتمد هناك)، ورجعنا له جواب لايق، ومبينين (وبينا) له غايتنا [174].

وقبل أن يصل شكسبير إلى جهته، أعلنت بريطانيا الحرب، وأرسلت رسالة إلى ابن سعود تحدد له وقت وصول شكسبير إلى البحرين، وتعترف به حاكما على نجد والاحساء (وتضمن له الحماية ضد اية عمليات انتقامية تأتي من البر أو البحر، إذا تعهد والتزم بالانضمام إلى القائمة المعادية لتركيا) [175] وهو تعهد قدمه ابن سعود بعد إشتعال الحرب بصورة واضحة.

على أنه في ٤/١٠/١٩١٤ بعثت وزارة الخارجية في الهند إلى الميجور نوكس، المقيم في بوشهر، برقية تطلب منه إرسال الرسالة التالية لابن سعود: (سيغادر صديقك الكابتن شكسبير انجلترا متجها نحوك لمقابلتك في أمور هامة، منتدبا من الحكومة البريطانية، وذلك عن طريق البحرين، وهو يرجو أن تجهز له الجمال في العقير حوالي ٤/نوفمبر /١٩١٤..) [176].

وفي ٨/١٠/١٩١٤، أبرقت وزارة الهند لنائب الملك في الهند، ومنه إلى المقيم ومن ثم لابن سعود، لتنقل له هذه الرسالة: (يعلم الشيخ – ابن سعود – أن ألمانيا تستخدم الآن نفوذها على تركيا لتقوم بأعمال عدائية تضطر بريطانيا لخوض غمار حرب تود تفاديها)!،(وحكومة جلالة الملك، وهي مضطرة لاتخاذ احتياطات عسكرية في الخليج،...فهي تبعث الكابتن شكسبير لشرح نواياها) [177].

في ٢٤/١٠/١٩١٤كتب ابن سعود رسالة إلى شكسبير تنتظره إلى حين قدومه في البحرين، يقول فيها (الرسالة مؤرخة في ٤/ذي الحجة ١٣٣٢هـ) بأنه ابلغ عن طريق الميجور نوكس انك (شكسبير) ستصل البحرين في ١٥ / ذي الحجة (٤/نوفمبر /١٩١٤)...وقال إنه لن يكون في الاحساء ولا في الرياض في ذلك الحين، وقد أبلغت أخي

---

(174) خالد السعدون – مصدر سابق / ص ١٥٨ – ١٥٩ رسالة من ابن سعود لمبارك في ١٦/١١/١٩١٤

(175) FO.371/ 3044(E 35392)

(176) قيام العرش السعودي، ناصر الفرج / ص ٥٤

(177) المصدر السابق

(عبد الله بن جلوي) امير الحسا ليتابع اتصالاته بك حول مسألة مقابلتك "...ثم يطلب أن يكون ابن جلوي رابط الاتصال بين الطرفين، لانه موثوق من طرفه ويعرف برنامجه وخططه [١٧٨].

وفي الرابع من نوفمبر (١٩١٤ ١٥ذي الحجة ١٣٣٢)كتب ابن جلوي رسالة لشكسبير يقول فيها إنه " استلم رسالة من (الامام) لترسل اليك [١٧٩].

مهما يكن الجواب فإنني بانتظاره..وإذا كانت الإتصالات بينك وبين الامام أثناء إقامتك في البحرين..او إذا ما أصبحت المقابلة لا بد منها، فأرجوا إعلامي بذلك، مع إعطائي مهلة أيام قلائل لتجهيز الجمال من أجل ذلك..ارجو من الله أن يحفظكم والسلام "[١٨٠].

أما ما جاء في رسالة ابن سعود لشكسبير الملحقة برسالة ابن جلوي فهو :"

عندما علمت من المقيم في الخليج انك قادم، رأيت أن اقترح عليك أمرين لتختار أحدهما، ولكن الافضل في نظري أن تجهز شفرة عربية ترسل الي مفتاحها لتكون المخاطبات بيننا بها عن طريق أخينا عبد الله بن جلوي في الاحساء..بينما تظل انت مقيما في البحرين، وذلك اتقاء للقيل والقال، حذرين إلى حين وصولنا إلى نتيجة، فهذه افضل طريقة بالنسبة لنا ولصالحنا، أما إذا رأيت إنه لابد من المقابلة..فان ابن جلوي يقوم بهذه المهمة..ولكن يجب أن يكون ميعاد سفرك سرا...ولا يستطيع أن يعرف احد اتجاهك.وتلبس الملابس العربية ".

ويفسر أبن سعود في رسالة سبب عدم بقائه في الرياض أو الاحساء، بأنه من أجل إيجاد الأعذار بعدم الاشتراك مع الأتراك في الحرب..قال: (أعلنا الحرب على إبن الرشيد لسببين أولهما لنحول بينه وبين مساعده الأتراك في سوريا، وثانيهما ليكون لنا عذر من عدم مساعدتهم والإنصياع لأمرهم، وظلت رسلهم ــ رسل الأتراك ــ تتوافد علي للصلح بيني وبين إبن الرشيد،...وظللت أبدي المعاذير، وعليه فقد غادرت الرياض إلى منطقة القصيم لتدبير الأمر وتكملة الاعذار)[١٨١].

لكن شكسبير أصر على اللقاء، فالمهمة خطيرة، رغم أن ابن سعود يعلم أن وجوده معه يحول دونه ودون تكملة الاعذار، وسيعرف الأتراك أنه إنحاز علانية للانجليز..هؤلاء لم يهمهم ذلك، فسافر شكسبير إليه والتقى به وأقام عنده أسابيع قلائل استطاع أن ينجز خلالها الكثير، فقد أعد مسودة اتفاقية دارين، وحارب إلى جانب إبن سعود ضد الشمريين وهو يلبس

---

(178) انظر الوثيقة FO.371/2479رسالة من ابن سعود الى شكسبير في ٤ذي الحجة " ٢٤اكتوبر ١٩١٤"

(179) الامام هو ابن سعود، وكان قد تبنى الاتو حركة الاخوان، فاصبح اماما لها وبدا تلقيبه بـ " الامام " منذ ذلك الحين وانتهى بانتهاء الحركة

(180) الوثيقة السابقة

(181) الوثيقة FO.371/ 2479وانظر ناصر الفرج / مصدر سابق / ص ٥٤ــ ٥٥وايضا /ص ٤٥

(البرنيطة) وكامل العدة الحربية البريطانية، وأدار مدفعا ضد العدو، إلى أن قتل في معركة جراب عام ١٩١٥.

رد شكسبير على رسالة ابن جلوي في (١٩١٤/١١/٨"١٩/١٢/١٣٣٢هـ) قائلا [١٨٢]:(وصلت إلى هنا (البحرين) امس ١٨/ذي الحجة ١٣٣٢(٧/نوفمبر ١٩١٤)، واستلمت بيد الصداقة رسالتكم المؤرخة في ١٥/ذي الحجة ومرفقاتها التي من صديقي الإمام عبد العزيز حفظه الله..إنني أجد من المستحيل أن أتأخر هنا لوضع الترتيبات من أجل الوصول إلى الامام في القصيم، ولذلك أعددت الترتيبات للذهاب إلى الكويت حيث سأكون أقرب إليه، وقد طلبت منه، ابن سعود ـ أن يجيب على رسالتي ويرسلها إلى الكويت "

وقال شكسبير إنه يتمنى أن يمر من خلال الاحساء، وأن يقابل إبن جلوي في المستقبل القريب، واخيرا طلب شكسبير من الاخير ان ينقل رسالة رده إلى ابن سعود.

وكان مما جاء في رسالة شكسبير لابن سعود، أنه تسلم رسالتيه (٤و١٥ ذي الحجة ١٣٣٢) وكذلك رسالة إبن جلوي، وفهم المضمون..(الآن يا صديقي فقد استلمت رسالة المقيم في بوشهر وفهمت محتوياتها..ان من الضروري أن أقابلك شخصيا، وليس لدي شفرة عربية، كما لا أعرف كيف أضعها) وأضاف بانه (سيحدث تأخير كثير إذا ما انتظر جواب ابن جلوي، ولذا قررت أن أذهب إلى بوشهر ومنها إلى الكويت، وسأكون قريبا منك، وإذا ما زحفت شمالا بقواتك (لمعاونة الإنجليز) فسألتقي بك أن شاء الله عند أي بئر مياه تحب)..ثم يسأل عما إذا كان بأمكان ابن سعود تحديد مكان وتاريخ اللقاء..وحول ضرورة اللباس العربي التي أشار أليها ابن سعود، أجاب شكسبير، (أنني ممثل رسمي للحكومة الكريمة العظيمة (البريطانية)! عند سموكم، وسيكون من المستحيل عليَّ أن آتي متخفيا)[١٨٣].وكان جزاء عدم التخفي القتل بعد أقل من شهر!.

موقف إبن سعود من الحرب:

في أغسطس ١٩١٤ كتب له المقيم وكذلك قائد الحملة على العراق الميجور كوكس، أن بريطانيا أعلنت الحرب ضد الحكومة العثمانية، وانه طلب التعاون من شيخي المحمرة والكويت [١٨٤]ولذلك فهو يطلب المساعدة منه لمهاجمة البصرة (وتحريرها)! من الحكومة

---

(182) الوثيقة FO.371/2479رسالة من شكسبير لعبد الله بن جلوي في ٨ نوفمبر ١٩١٤م

(183) FO.371/2479 من الكابتن شكسبير الى الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل في ١٩ذي الحجة ١٣٣٢هـ الموافق ٨/١١/١٩١٤ وانظر ناصر الفرج / مصدر سابق / ص ٥٥

(184) ابدى مبارك استعداده للعون حين طلب منه، فقال في رسالة للمتعهد في الكويت، واني يا محبكم معكم ويتبعني جميع العشاير الذي / الذين جنابكم رايتموهم، وبكل اجتهادنا رجالنا وسفائننا تحت امركم " وقد اصبحت الكويت تمثل خط الدفاع الاول عن القوات البريطانية وتحميها من الخلف ـ كما اصبحت مركز تموين وتخزين للقوات الزاحفة لاحتلال العراق، وهذا الانحياز

العثمانية..وطلب كوكس من ابن سعود أيضاً أن يأتي إلى البصرة ليمنع الامدادات عنها وحتى القرنة، حتى تصل القوات البريطانية لتحتلها، وقال كوكس إن (تحرير!) البصرة من الأتراك وفصلها عن ممالكهم هو واحد من الاهداف الرئيسية، ولذا فمن المهم أن يقوم بالتعاون مع الآخرين بمنع الاعتداء على أملاك وأرواح التجار البريطانيين فيها، وطلب منه أيضاً أن يخرج الأتراك من الاحساء والقيطف (وحينها لم تكن هناك إية قوات كما ذكر ابن سعود في رده بغبطة). وطلب منه فيما طلب أن (يستفيد) من سمعة بريطانيا (الطيبة) لدى الاصدقاء كلما تطلب الأمر، وان يبذل كل جهوده لمساعدة حلفاء بريطانيا من المشايخ.

ولقد كان ابن سعود الانزال البريطاني في البصرة في ١٩١٤/١١/٦ومن ثم احتلالها، مفيدا للغاية، إذا انه إستطاع أن يبقي إبن الرشيد وقبيلة شمر، وعجمي السعدون والمنتفق بعيدا عن تهديد الجناح الايسر للجيوش البريطانية حينما تقدمت شمالا لاحتلال الفاو.

تعرض موقف ابن سعود من الحرب العالمية الأولى للغط شديد بين قائل أنه وقف على الحياد ،وبين من يقول أنه وضع كل إمكاناته لخدمة المجهود الحربي البريطاني، وسبب اللغط يكمن في أن المتأخرين من الباحثين والكتاب القريبين من التوجه السياسي السعودي، رأوا أن ما كان أمثالهم يتفاخرون به من حرب لدولة الخلافة وتمزيق لبلاد العرب والمسلمين وموالاة للنصارى، اصبح سبُه عار، فحاولوا إعادة كتابة التاريخ بما يتلاءم مع نتائج الحرب (ونتائج سايكس بيكو!)، فاجتهدوا في إقتناص ما يدعم موقفهم، مع أن الواضح من خلال كلام وأفعال ابن سعود ـــ وبما لا يدع أي مجال للشك ـــ أنه إتخذ سبيل الحلفاء ومؤازرتهم ضد دولة الخلافة.

يقول الاستاذ جمال زكريا قاسم[١٨٥]: (تعرُض موقف ابن سعود في الحرب العالمية الأولى لجدل عنيف، ولاختلاف وجهة نظر الكتاب الذين عرضوا لهذا الموضوع، فهناك من اعتبره

ادى الى اشتعال ثورة اسلامية وطنية ضد الشيخ اواخر ١٩١٤ كادت ان تطيح به، بسبب العواطف الاسلامية لدى الكويتيين تجاه دولة الخلافة، وكان يغذي هذه العواطف رجال الدين الذين حكموا على كل من يدعم الانجليز بأنه مرتد عن الاسلام، وحدث ذات الامر للشيخ خزعل، فقد اعلن استعداده لمساعدة الانجليز الى اقصى حد.وكتب له كوكس في ١٩١٤/١١/٢١ بان الحكومة، ارتني ان ابلغ سعادتكم شكرها بولائكم ولعرضكم المساعدة، وعليكم بعد ذلك ان تحاولوا بالتعاون مع صديقنا الامير مبارك الصباح حاكم الكويت والامير عبد العزيز سعود امير نجد، الهجوم على البصرة وتحريرها من العثمانيين، فاذا كانت هذه المهمة فوق طاقتكم فعليكم ان تجدوا الترتيبات للحيلولة دون وصول الامدادات التركية الى البصرة او القرنة، الى ان يصل الجند البريطانيين الذين سنرسلهم في اقرب وقت ان شاء الله..واني لارجو كذلك ان تصل سفينتان في سفننا الحربية الى البصرة قبل وصول جنودكم اليها.ومع ان هدفكم الاول سيكون تحرير البصرة، الا اننا نرجوا ان تبذلوا كل ما لديكم من جهد لمنع الجنود وغيرهم من سلب بضائع التجار البريطانيين في البصرة، وان تحمي الاوروبيين المقيمين فيها وتؤمنهم ضد أي خسارة واضطهاد.

وثارت الثائرة على خزعل من قبل الشيعة وحاولوا الاطاحة به لولا الدعم البريطاني، وعرفت الثورة تاريخيا باسم " ثورة السادة "، وحاول مبارك مساعدته بالجنود فرفض الكويتيين وثاروا عليه!.

[185] جمال زكريا قاسم / الجزء الثاني / ص ٢٠

التزم جانب الإنجليز، وهناك من اعتبره قد وقف على الحياد.وفي تقديرنا أن ابن سعود انحاز فعلا للانجليز، ".ويؤيد الاستاذ في رأيه هذا السير ريدر بولارد، السفير البريطاني المفوض في جدة، والذي يقول : إن ابن سعود انحاز للانجليز بأن اكد للمبعوث البريطاني شكسبير انه التزم جانب بريطانيا "وقلبه مليء بالسرور من تلك الفرصة التي استوجبت تأسيس علاقات جديدة صحيحة بينه وبينها ".

وهكذا دخل ابن سعود في قائمة الأُمراء الذين ساعدوا انجلترا خلال الحرب، وان الاخلاص الذي ساند به الإنجليز، ليعبر عنه بولارد بقوله: (لقد كانت مساعدة عبد العزيز قيمة، ولو كان تسلم مقدارا أكبر من السلاح لكان حليفا أكثر نفعا).

ويرى كاتب موال: (إن الإنجليز كانوا بحاجة إلى قوة تثبت أو تحيد شمر، حتى لا تعترض على الغزو البريطاني للعراق، أو تدعم الحملة التركية على سيناء، وقد حقق عبد العزيز هذا الهدف، ومن ثم يمكن القول بانه قد ساهم في المجهود الحربي البريطاني) [١٨٦].

وقال كاتب بريطاني (بقي الملك عبد العزيز حليفا دائما لبريطانيا، وعاضد البريطانيين وحلفائهم، ودرب جيشا اشترك في العمليات الحربية ضد الأتراك، سنتي ١٩١٤ــ ١٩١٥) [١٨٧].

كان يفترض ــ ضمن الاتفاقية التركية / السعودية، والتي لم يمض على توقيعها سوى أشهر قلائل ــ أن يدعم ابن سعود الأتراك وفقا لنصوصها، أو لا أقل وفقا لروح الاخوة والدين، أو ثأراً للعرض والكرامة المنتهكة من قبل قوات الاحتلال، وفي أضعف الإيمان كان بإمكانه التعاطف قلبيا دون المشاركة العملية في المعارك، بل كان بإمكانه الوقوف على الحياد ــ وإن كانت ميوله انجليزية ــ مراعاة لمشاعر بقية المسلمين.

لكنه لم يفعل إياً من هذا..

ففي البداية سارع الأتراك للاتصال به قبل أن تعلن بريطانيا الحرب، استعدادا للموقف، تماما مثلما كان الإنجليز أنفسهم يفعلون.

لما اعلن الإنجليز الحرب على دولة الخلافة طلب أنور باشا من ابن سعود ــ وباسم دولة الخلافة، وحسب الإتفاقية الموقعة عام ١٩١٤ــ أن يشترك في الدفاع عن البصرة، فاجابه بانه مشغول في حرب ابن رشيد وسيواصلها إلى أن يخضعه.. وقد اعترف ابن سعود بان الحرب كانت لإيجاد المسوغات والمبررات.ومعلوم أن حرب ابن الرشيد في هذا الوقت ليس فقط تبرر إبن سعود عدم مساعدة الأتراك، بل وتشغل ابن الرشيد عن صد الجيوش البريطانية

---

[186] كشك ــ مصدر سابق / ص ٢٤٦

[187] ناصر الفرج ــ مصدر سابق / ص ٤٥

القادمة من سيناء أو البصرة، وتقول وثيقة بريطانية سطرتها وزارة الهند في ١٩١٥/١/٣١: "إن موقف ابن سعود حاليا سليم تجاه بريطانيا، لانه لم يف بالتزاماته لتركيا بموجب معاهدته معهم بإرسال قوات مسلحة لمساعدتهم، بل انه منع ابن رشيد من مساعدته للاتراك "[١٨٨].

وانظر للمفارقة: فقد عرض شكسبير في لقائه الاول على ابن سعود أن يعاون الإنجليز في إحتلال البصرة، فأجاب انه " من طرف الإنجليز، وانه يود من صميم قلبه تحرير البصرة من الحكم التركي، ولكنه يرى أن تعقد بينه وبين انجلترا معاهدة صريحة محددة الشروط والاهداف كي يستطيع القيام بعمل حاسم "..واعترف ابن سعود لشكسبير بانه تلقى عرضا تركيا للدفاع عن البصرة..شأنه في ذلك شأن كل حكام الجزيرة، بإعلان الجهاد الإسلامي ضد البريطانيين، وقد كان المخطط التركي قائما على تخصيص قوات ابن سعود للدفاع عن البصرة وبغداد ضد أي هجوم بريطاني من الجنوب "[١٨٩].

ويبرر احد الكتاب سبب عدم وقوف ابن سعود مع الأتراك في العراق للدفاع عن ارضها، بان ذلك لن يغير من المعادلة شيئا، وان الاسطول البريطاني كان سيحتل الاحساء!! ويضيف " هل كان بوسع ابن سعود أن يغير التاريخ، لو انضم للاتراك في العراق ؟"ويجيب " لا..فقد كان الاسطول البريطاني سيحتل الاحساء ".

وهذا كلام أصحاب مصالح وليس أصحاب مبادئ..ثم إن إمام اليمن لم يتحالف مع الإنجليز ولم يفقد شيئا..وكان بإمكان ابن سعود أن يفعل الكثير ــ تماما مثلما فعل للبريطانيين ــ ولو غير موقفه لتغير موقف كل سكان الجزيرة العربية وحتى حكامها..فالشعوب كانت متحفزة وثائرة على حكامها (حدث ذلك في الكويت وعربستان وغيرها)، وكان بإمكان الأتراك ضرب خاصرة الجيش البريطاني وتطويقه، وتكون الاحساء منطلقا لمهاجمة الإنجليز في البحرين والكويت،..وكان بإمكانه على الأقل التحالف مع ابن الرشيد، أو تجميد المعارك ــ ليتفرغا للعدو الأكبر، أو الحياد كأضعف الإيمان.. لم يفعل ابن سعود أيا من هذا، وحين طلب منه أنور باشا في محرم ١٣٣٢هــ نوفمبر ١٩١٤بالتخلي عن حملته ضد ابن الرشيد، وان يجمع القوات تحت قيادته ويتوجه بها شمالا للدفاع عن البصرة، لم يستجب للطلب، بل وزاد على ذلك بان " سجن ضابطا تركيا في الاحساء كان قد ارسل إليه لتدريب قواته...واعتقل اربعة من علماء بريدة من الذين يعيشون في كربلاء وبغداد، ارسلتهم الحكومة التركية للحض على الجهاد "[١٩٠].

---

(188) FO.371/2479

(189) من تقرير شكسبير في ١٩١٥/١/٤

(190) FO.371/2479 تقرير شكسبير عن لقائه مع ابن سعود في ٤/١/ ١٩١٥ .وانظر كشك ــ مصدر سابق / ص ٤٦٢.

على أن الأتراك لم يبعثوا الضابط بصورة ساذجة..فابن سعود كان يراوغهم ويتحجج بحجج مختلفة.خاصة وان المادة الثالثة من المعاهدة الموقعة معه، اشارت إلى إستقدام ضابط لتدريب القوات المحلية، وان المادة ١٢أشارت إلى وجوب محاربة ابن سعود إلى جانب الدولة.

والطريف أن شكسبير هو الذي امر ابن سعود باطلاق سراح الضابط التركي فأطلقه!. كان وضع الأتراك محرجا بسبب مواقف ابن سعود، فهي إذا كانت قادرة على الاستغناء عن جهوده، فإنها لا تستطيع الإستغناء عن قوات وجهود ابن الرشيد والقبائل الأخرى "المنتفق، عنزة " وغيرها..لهذا فان حالة الحرب بين الطرفين (السعودي والشمري)، كانت كافية لتضييع الجهود الأخرى، وقد حاول الأتراك جهدهم إيقاف الحرب، لكن ابن سعود ــ وهو البادئ بالحرب ــ "قام بأعمال مكشوفة ضد خصمه.وحاول أنور باشا عبثا حث ابن سعود على التخلي عن الصراعات الشخصية، وأرسل له هدية من الاموال كنفقات لتعاونه مع جيوش السلطان، واخيرا عهد إلى سيد طالب ــ الذي كان يجري في ذات الوقت صفقة فاشلة مع الإنجليز ــ القيام بمهمة تحقيق وفاق..فغادر البصرة إلى معسكر ابن سعود عن طريق الزبير، فاحتج الزعيم الوهابي بانه لا يستطيع الاستغناء عن أي قوات لإرسالها إلى العراق قبل أن يعيد ابن الرشيد إلى حجمه الحقيقي والى الخضوع والعبودية "[١٩١].

ولهذا السبب امتنع ابن الرشيد (في الوقت المناسب عن مساعدة الترك، ويعزى الفضل في ذلك لابن سعود، الذي قدم مساعدة بطريق غير مباشر، فقد رفض الدعوات المتكررة عليه من الترك للإعلان الجهاد، والانضمام إلى جانب تركيا، واعتذر بأنه يجب أن يصفي حسابه مع ابن الرشيد، وان نشوب القتال بين ابن الرشيد وابن سعود قد جعل الاول وقبائله يدافعون عن اوطانهم ولا يستطيعون معاونة الأتراك)[١٩٢].

وقام ابن سعود بتجنيد العديد من القبائل لصالح الإنجليز / مثلما فعل بالنسبة لقبيلة عنزة القوية..وطلب من عجمي السعدون زعيم المنتفق أن ينضم للانجليز، فاستغرب ورد عليه بان الشرف والدين يمنعانه من ذلك، وانه كان يتوقع منه (من إبن سعود) أن يتخذ نفس الموقف.

جاء في وثيقة بريطانية ان ابن سعود قال لشكسبير، "انه ما يزال يعتقل اربعة مبعوثين ارسلهم الاتراك لحثه على الانضمام لابن رشيد في الجهاد ضدنا، ولكن بعد استشارة الكابتن شكسبير، اطلق سراح البعثة لتنقل رده..وفي ١٩١٥/١/١٧، وصل رسول من مكة يحمل رسالة من ابن الشريف حسين " عبد الله" يقول فيها إنه قد طُلب من الشريف إعلان الجهاد /وانه ما يزال يطيل الاخذ والرد والمماطلة كسبا للوقت الى ان يعرف في أي اتجاه سيتجه ابن سعود.رد ابن سعود بانه لا يرى فائدة للعرب يجنونها من الانضمام الى الحكومة، وانه هو شخصيا قد طرد وفدا تركيا..انظر (FO.371/3044(E35392

(191) (FO.371/3044(E 35392 وثيقة مؤرخة في ١٩١٧/٢/١٤

(192) الوثيقة FO.371/2446

ولم تفقد الحكومة العثمانية أملها في جلب ولاء ابن سعود، فارسلت له وفدا من اعضائه محمود شكري الالوسي مع عشرة الاف ليرة ذهباً، وطلب منه أن يتخذ جانب الدولة، فاكد انه لا يمكن مقاومة الإنجليز [193].ومنذ نوفمبر ١٩١٤بدا واضحا أن ابن سعود انحاز كليا للانجليز، وذلك حينما ارسل له المقيم كوكس في ١٣٣٢/١٢/١٤هـ (١٩١٤/١١/٣م) رسالة يدعوه فيها لحرب الأتراك وتحدد له بالتفصيل ما هو مطلوب منه، وتعهد كوكس له :

*حمايته من انتقام العثمانيين.

*حمايته من أي هجوم يقع عليه بحرا أو برا

*الاعتراف به حاكما على الاحساء والقطيف ونجد ضمن معاهدة.[194].

رد ابن سعود: " انني من اعظم المساعدين لحكومة بريطانيا العظمى، وإن شاء الله سوف تحصل على نتائج مرضية، بالنسبة للجنود العثمانيين لم نسمح لاي واحد منهم بان يبقى في الاحساء والقطيف بعد احتلالنا، وطردتهم كلهم ".

وبالنسبة للتعهدات البريطانية الثلاثة المذكورة أعلاه فسيعتمد ذلك على قدومه إلى الكويت للبحث في المعاهدة..(سوف اغادر موقعي في هذا اليوم متوجها للكويت، وسنقوم بالمفاوضات الضرورية)"[195].

في التاسع من نوفمبر ١٩١٤ كتب شكسبير ــ قبل أن يلتقي ابن سعود ــ إنه طلب من ابن سعود (أن يزحف شمالا مع كل قواته) لمحاربة الأتراك.

وأضاف :"ما أعرفه عن هذا الرجل، فانني اعتقد انه سيربط مصيره بنا.انا اعتزم الوصول إلى الكويت باقصى سرعة ممكنة، وحالما اسمع بمنطقة ما استطيع أن اقابل عبد العزيز فيها، فانني اعتزم التحرك فوراً للحاق به، ولبذل كل مجهود ممكن لتأمين تعاونه الكامل معنا "[196].

والتقى الكابتن شكسبير بابن سعود في معسكر الاخير بـ " الخفس "يوم الحادي والثلاثين من ديسمبر ١٩١٤ الموافق ١٣٣٣/٢/١٤هـ وسجل أول انطباع هو موقف النجديين من الحرب في تقرير مسجل بتاريخ ١٩١٥/١/٤جاء فيه: " على ضوء ما رأيته في المخيم يمكنني القول بان الشعور العام وسط الجزيرة العربية متعاطف جدا مع بريطانيا العظمى..ومعادٍ لالمانيا وكاره للترك ".

---

(193) جمال زكريا قاسم ــ الجزء الثاني / ص ١٩ــ ٢٠

(194) خالد السعدون ــ مصدر سابق / ص ١٦٠

(195) FO.371/2479 رسالة ابن للمقيم كوكس في ٩محرم ١٢٢٢هـ / ٢٨نوفمبر ١٩١٤

(196) E 5353 في ١٥يناير ١٩١٥ ،هناك تعليق على الوثيقة يقول : " من الواضح الجلي ان ابن سعود قد انصاع لنا..ونحن محظوظون في اننا استطعنا استخدامه ضد ابن الرشيد، باعتباره ساعدا من سواعد الاتراك.

ومما ذكره شكسبير في تقريره الذي بعثه لرؤسائه من مخيم ابن سعود في الخفس، أن الاخير " سيكون مستعدا للقيام بدور وال بريطاني " مقابل " طلب الحماية من الغرب والشمال " ذلك أن الأتراك قد خسروا للتو البصرة ولا تزال قواتهم معسكرة في الشام والحجاز "مكة والمدينة ".

وقال الكابتن بان ابن سعود "قدم دليلا واضحا على رغبته الصادقة في معاداة العثمانيين، وجعل من نفسه قدوة للعالم العربي في التعاطف مع بريطانيا "[١٩٧].

وكان ابن سعود قد ارسل في ٣١ديسمبر ١٩١٤، وهو اليوم الذي التقى فيه بصديقه شكسبير، رسالة إلى المقيم في بوشهر (كوكس) يعلن فيها انه يقف إلى جانب بريطانيا، وان تحرير البصرة من الحكم التركي، يعتبر من اهم أهدافه.

على انه لا يمكننا تقييم الموقف السعودي هذا تقييما صحيحا بدون معرفة خارطة الاوضاع السياسية وموقف المسلمين من الحرب، وانحيازهم التام إلى جانب دولة الخلافة في مقابل الهجمة الصليبية على بلاد المسلمين.

لنستعرض بشكل سريع الموقف في الخليج وإماراته.

بمجرد أن اعلنت بريطانيا الحرب كانت تعلم أن دولة الخلافة سوف تعلن النفير للجهاد الديني ضد (قوى الكفر) رغم ما شاب العلاقة بين دولة الخلافة ورعاياها من سوء..بالخلافة بين العرب والعثمانيين كان داخليا إصلاحيا، أي انه خلاف ضمن المحيط والدائرة الإسلامية...هكذا رأته الشعوب الإسلامية التي كانت تشعر بعدم الرضا عن الحكم التركي، إلاّ أنها لم تفكر بأكثريتها الساحقة في الانفصال عن دولة الخلافة [١٩٨].

كان هدف الإنجليز هو الاستعداد ــ حتى قبل الحرب ــ للتشكيك في مشروعية الجهاد الديني الذي رفعت لواءه دولة الخلافة، وكان من رأي السير بيرسي كوكس، قائد الحملة على العراق وبطل الاحتلال، انه (يمكن التغلب على حركة الجهاد الديني بـــ :

*احكام السيطرة البريطانية على الخليج.

*واستغلال الخلافات المذهبية.

([197]) انظر مقتطفات من تقرير شكسبير المؤرخ، في ١٩١٥/١/٤في كتاب السعوديين والحل الاسلامي / ص ٢٧٤وص ٤٦١.وانظر السعدون ــ مصدر سابق / ص ١٦٢

([198]) دراسات في تاريخ الخليج العربي المعاصر ــ د. مصطفى عبد القادر النجار / ص ٧، يذكر سليمان فيضي احد اقطاب الحركة العربية في كتابه " في غمرة النضال " ص ٢١٨ــ ٢١٩، انه التقى ولورنس في البصرة في ١٩١٦/٤/٧ في مكتب مور من دائرة الاستخبارات العسكرية، وقال فيضي انه رفض ان يقوم بثورة ضد الاتراك، مما ادهش لورنس حينما قال للاخير، انني شخصيا لست ارى مبررا الى الانفصام من الترك، اما نضالنا في السر والعلن ضد الحكومة العثمانية، فكان في نطاق الشؤون الداخلية، ولغرض الحصول على بعض الحقوق المشروعة التي كانت الحكومة قد انكرتها على الشعوب العربية وللمطالبة بالاصلاح الداخلي.

وتأجيج الخلافات المذهبية / السياسية القائمة بين فارس والدولة العثمانية من سبيل منع تدفق القوات العثمانية إلى المقاطعات الفارسية في الجنوب "[١٩٩].

لهذا أرسلت بريطانيا حملة عسكرية إلى شط العرب لحصر تأثير دعوة الجهاد الديني، خاصة بين ابناء الطائفة الشيعية ذات الاغلبية السكانية هناك، فخوفا على نفوذها من هذه الدعوة أن تؤثر على الكويت والمحمرة، ارسلت حاميات عسكرية في شمال الخليج، ساعدها على ذلك أن الرؤساء العرب ـــ ومنهم ابن سعود ـــ كانوا مهيئين للصداقة البريطانية [٢٠٠].

أما موقف حكام الخليج وامرائه، فلم تكن منسجمة مع آراء الشعوب ومشاعرها، فهذه الشعوب "وبدافع من شعورها العاطفي والروحي يميلون إلى الدولة العثمانية باعتبارها دولة الخلافة الإسلامية..ومما يؤكد ذلك أن معظم القبائل في جنوب فارس والعراق لم تقبل التعاون مع الإنجليز، كما تعرض كل من شيخ الكويت والمحمرة لردود فعل عنيفة من قبل مواطنيهم، الذين ساءهم ولاشك إنضمام شيوخهم صراحة إلى جانب الإنجليز)[٢٠١].

واشتعلت النقمة على بريطانيا والعطف على تركيا من المحمرة وفارس إلى اليمن، ومن ليبيا ومصر والشمال الافريقي حتى الكويت والهند وباقي ديار المسلمين، وبهت الإنجليز أمام تضامن الشيعة في العراق ضدهم والحقوا بهم هزائم متتالية، ومن هنا كانت بريطانيا بحاجة إلى اسماء عربية للانضمام إليها، فقد كان المطلوب ـــ بالدرجة الاساس ـــ التشكيك في مشروعية الجهاد التركي)[٢٠٢].

وكان مشايخ الخليج أن يتلقوا درسا قاسيا على يد شعوبهم لولا الحماية البريطانية.. ففي المحمرة ثار الشيعة ضد حاكمها الشيخ خزعل في ثورة عارمة أججها رجال الدين الشيعة، وعرفت الثورة باسم ثورة (السادة)، وخاف مبارك أن تنتقل الثورة إلى الكويت، فسارع لدعم صديقه بالقوات، ولكن الكويتيين رفضوا القتال والذهاب للمحمرة، واشتعلت بوادر ثورة وطنية اسلامية شارك فيها الشيعة والسنة، فاضطر مبارك إلى التراجع وتبرير مواقفه، وقام بنفي العديد من القيادات السياسية المحلية والدينية إلى الهند ومناطق أخرى، وأخيراً اضطر إلى اغراء بعض الصحفيين بالمال لنشر المقالات التي تدافع عنه في الصحف المصرية، وتمكن في النهاية من التغلب على ميل غالبية السكان، خاصة وان بلاده اصبحت محطة التموين لحملة العراق وتركز فيها ثقل بريطاني غير قليل، أما حاكم المحمرة فاستسلم للمعارضة

---

(199) جمال زكريا ـــ الجزء الثاني / ص ٦
(200) المصدر السابق / ص ٢
(201) المصدر السابق / ص ٥
(202) كشك ـــ مصدر سابق / ص ٢٨٦

وامتنع عن حضور مؤتمر الكويت الذي دعت إليه بريطانيا في نهاية سنة ١٩١٤ [٢٠٣].في حين أضاف مبارك إلى مساوئه أن قرر فرض ضريبة فادحة على الذين تزعموا التمرد ونفاهم، واستدعى نفرا منهم بحضور المعتمد السياسي البريطاني في الكويت وأهانهم لاعتبارهم الخروج على الدولة العثمانية بمثابة إرتداد عن الإسلام [٢٠٤].

وفي البحرين التي كانت تجمع القوات البريطانية المسلحة، والقاعدة الهامة التي استخدمت في الاعداد لحملة العراق، كان موقف شيوخها وديا تجاه الإنجليز، وقلدهم الاخيرون العديد من الاوسمة خلال الحرب وبعدها، أما موقف السكان (فقد كانوا متأثرين بعاطفتهم تجاه دولة الخلافة) [٢٠٥].

ولمكافحة عاطفة السكان ــ وكما اراد بيرسي كوكس ــ مارس آل خليفة اثناء الحرب الأولى اشد الاهتمام الطائفية ضد اغلبية السكان الشيعة سياسيا واقتصاديا لشغلهم عن الاهتمام بمجريات إحتلال العراق والمقاومة التي نظمها العلماء والمراجع الشيعة فيه وفي مناطق عديدة من جنوب إيران،. وقد ارتحل العديد من العلماء وطلاب العلوم الدينية إلى النجف وانضموا إلى حملة المقاومة، واضطر البريطانيون بمعاونة حاكم البحرين لمنع رجال الدين الشيعة من دخول البحرين، وطرد بعضهم، خوفا من أن يتضخم نشاط المعارضة ضدهم وضد الإنجليز على حد سواء...

ورغم كراه إمام اليمن للاتراك إلاّ أنه ظل اثناء الحرب مواليا، لعدم رغبته في الوقوع في تبعية الإنجليز [٢٠٦].. والإمام يحيى شأنه شأن بقية المسلمين، وقف إلى جانب دولة الخلافة ــ رغم مساوئها ــ حفاظا على بيضة الإسلام من الإنجليز وأعوانهم...وهو موقف صحيح لا غبار عليه.

أما في نجد والاحساء اللتين يحكمها ابن سعود فلم يحدث شيء مهم.

فالاحساء والقطيف كانتا اثناء الحرب تئِنّان من ثقل الضغط الطائفي الوهابي الذي شمل كافة مجالات الحياة، وكان الشيعة قد فقدوا للتو " منتصف عام ١٩١٤" زعيمهم السياسي المرحوم الشهيد عبد الحسين بن جمعة الذي قتله ابن سعود بحجة التعامل مع دولة الخلافة، وقد هد ذلك من عزمهم للنفير من أجل حماية العراق ــ بلد المقدسات الشيعية ــ سيما وان سيف ابن جلوي كان مصلتا على رقاب الشعب.

---

(203) العقاد ــ مصدر سابق / ص ٢٢٤/ لمزيد من التفاصيل عن العصيان الكويتي راجع كتاب عبد العزيز الرشيد" تاريخ الكويت " وكتاب الشيخ خزعل "تاريخ الكويت السياسي "

(204) جمال زكريا ــ الجزء الثاني /ص ١٢

(205) المصدر السابق / ص ٢٠٢

(206) فاسيلييف ــ مصدر سابق / ص ٢٦٧

لذا لم يكن هناك أكثر من تعاطف الشيعة مع اخوانهم في العراق الذين يقاومون الاحتلال جنبا إلى جنب القوات التركية، وقد شارك بعض طلبة العلم ورجال الدين القطيفيين والاحسائيين المتواجدين في الاماكن المقدسة (النجف الاشرف، كربلاء) في حمل السلاح دفاعا عن البصرة وغيرها، كما فعل المرحوم العلامة المجتهد حسن علي البدر، والعلامة المجاهد حسن القطيفي، والشيخ موسى تقي آل زاير، الذين كانوا قيادات عسكرية في الحرب ضد الإنجليز الغزاة، واستطاع بعض افراد الشيعة من السفر خفية إلى العراق لذات الغرض.

وإذا كانت دعوة الجهاد قد آتت ثمرتها في الكويت والمحمرة والعراق وغيرها دون الاحساء، فليس ذلك راجع إلى أن شيعة القطيف والاحساء أقل حماسا وحمية من الآخرين، وانما لأن الضغط الحكومي الممارس بحقهم كان كبيرا..ومعلوم كم هي قسوة الوهابيين على الشيعة دونما سبب، فكيف إذا ما اتخذ هؤلاء موقفا مؤيدا وصريحا لعدو ال سعود اللدود " دولة الخلافة "؟.

لقد ساد الحزن ــ مثلا ــ جميع الاوساط الاسلامية (خاصة الشيعة) حين بلغهم خبر الانزال البريطاني في البصرة وسقوطها (١٩١٤/١١/٢١). فارسل إبن جلوي لزعماء الشيعة ــ في القطيف ــ مهددا ومتوعدا من إقامة مراسم عزاء وحداد بالمناسبة، بل وزاد بان فرض غرامات باهظة لدعم ما أسماه (قوات الإمام وجيش التوحيد)!. أما نجد، ففي المناطق الواقعة تحت حكم ابن الرشيد، كانت هناك محاولة شبه يائسة لمساعدة دولة الخلافة بسبب تحرشات ابن سعود العسكرية، أما في المناطق الخاضعة للحكم السعودي، فانها لم تستنكف التعاون مع الإنجليز، ولم تعترض على موقف ابن سعود، ولم تر أن الإسلام يهاجم، بل شمت حكامها بدولة الخلافة، واعلنوا عن كامل إستعدادهم لمساعدة بريطانيا التي يصفها كبير الاستعماريين كوكس أنها (الدولة الوحيدة المحبة لرقي البشر على إختلاف اجناسهم ومذاهبهم) كما كتب مرة لابن سعود.

وفي الوقت الذي مات فيه الناس كمدا وحزناً على سقوط البصرة، كان ابن سعود يطير برقية تهنئة ليبرسي كوكس، ثم يزورها برفقة المحتلين، ويطلع على المعدات الحديثة!

وفي الوقت الذي كان فيه علماء العراق يحشدون العشائر وسكان المدن لقتال الإنجليز الزاحفين نحو بغداد..كان ابن سعود يتوسط للإنجليز في إستمالة فهد الهذال، أكبر زعماء عنزة، للانجليز، ويطلب في نفس الوقت من شيخ المنتفق عجمي السعدون أن ينضم مع البقية في محاربة دولة الخلافة.

وفي الوقت الذي كان فيه إبن سعود لا يرى غضاضة من محاربة عموم المسلمين، بتهمة الكفر والشرك، ويصف الأتراك بانهم في نظره أسوا من الكفار، كان لا يجد غضاضة ــ هو ومشايخه ــ من التعامل مع بريطانيا وتسلم المال والسلاح منها. بماذا نفسر كل هذا!.

على أقل التقديرات، لابد أن يقال أن المفاهيم لدى عموم مشايخ الوهابية كانت مقلوبة، و إلاّ بأي منطق يمر تعامل ابن سعود مع الإنجليز دون إثارة ضجة أو إعتراض ؟!.

وكيف يسكت هؤلاء عن إقامة معاهدة مع بريطانيا تجعلهم وبلادهم خاضعين للنصارى دون أن ينبسوا ببنت شفة ؟!.

وهذا ما حدا بأحد الباحثين للقول مستغربا: [٢٠٧]

"لم يصادف ابن سعود نفس تلك المشكلات حينما مال إلى التعاون مع البريطانيين، فان ارتباط دولته بالحركة الوهابية جعلها منذ القدم خصما تقليديا للدولة العثمانية، وهي ترفض زعامتها الروحية رفضا باتا ".. ويضيف: " هل كانت هذه الملابسات تبرر لابن سعود أن يضع بلاده مختارا تحت الحماية البريطانية ؟...وكيف يثير إعلان التبعية للعثمانيين ضجة عند الوهابيين في عهد عبد الله الفيصل في القرن التاسع عشر، بينما لا نكاد نسمع إعتراضا واحداً على معاهدة دارين التي وضعت الدولة السعودية في مصاف إمارات الخليج الواقعة تحت الحماية البريطانية ؟."

وكان شكسبير قد ارسل ذات مرة إلى حكومته رسالة مرضية ــ كما يقول نائب الملك في الهند ــ يقول فيها " أن ابن سعود قد أعد العدة للقيام بغارة هائلة ضد ابن الرشيد والذي تفيد التقارير أن ضباطاً اتراكا يرافقونه مع قواته "[٢٠٨].

وقدم شكسبير ضمانات الحماية والاعتراف والاستعداد لتوقيع معاهدة إلى ابن سعود وهي" مشروطة بتعاونه مع شيخي الكويت والمحمرة لاحتلال البصرة، وإذا لم ينجح في ذلك فهي مشروطة بتدبير عملية منع المساعدات التركية من الوصول إلى البصرة، وبحماية أرواح الأوروبيين وأملاكهم هناك "[٢٠٩].

([207]) العقاد ــ مصدر سابق / ص ٢٢٤ــ ٢٢٥، وانظر ايضا جمال زكريا قاسم ــ مصدر سابق / ١٨ــ ١٩ الذي اشار ايضا الى ان ابن رشيد صارح ابن سعود بانه " من رجال الدولة المخلصين " /يحارب اذا حاربت، ويصالح اذا صالحت "

([208]) برقية من نائب الملك في الهند مؤرخة في ١٢/ ١/١٩١٥م

([209]) FO.2479E 9973 وثيقة مؤرخة في ١٩١٥/١/٢٧.وانظر قيام العرش السعودي، ناصر الفرج / ص ٢٦.

وفي ١٩١٥/١/٢٦ ابرق كوكس يقول ان معاهدة مؤرخة في ١٩١٤/٥/١٥ بين تركيا وابن سعود قد وجدت بين الملفات والوثائق التركية التي استولت عليها القوات البريطانية بعد احتلال البصرة، وقد قام كوكس نفسه بترجمتها من العربية الى الانجليزية، وعلق البريطانيون على شرط مساعدة ابن سعود لتركيا اثناء الحرب بقولهم "يبدو ان دخول تركيا في حرب ضد دولة صديقة لابن سعود ــ المقصود بريطانيا ــ ودون أي مبرر او استفزاز "!!؟" سيكون مبررا كافيا لعدم التزامه بهذه المعاهدة، ومحاولته الدخول في معاهدة جديدة مع الحكومة البريطانية !!

بعد هذا شرع الكابتن في اعداد المعاهدة بين بلاده وابن سعود، فقدم ابن سعود عروضه، وقدم الإنجليز عروضهم، وفي هذه الاثناء يقتل شكسبير في معركة جراب [210]، وفي الثاني من فبراير ١٩١٥ م وافقت الخارجية على بنود المعاهدة، ثم جاء كوكس إلى دارين ليوقعها مع ابن سعود في السادس والعشرين من ديسمبر سنة ١٩١٥م.

وما يهمنا من نصوص معاهدة دارين، الإشارة إلى أن اهم نص اراد ابن سعود أن يثبته فيها، هو أن يعترف به حاكما للحسا والقطيف والجبيل وتوابعها!، وهذا ما نصت عليه المادة الأولى: (تقر الحكومة البريطانية وتعترف بان نجد والحسا والقطيف والجبيل وملحقاتها وموانيها على شواطئ الخليج الفارسي، هي بلاد ابن سعود وآبائه من قبله وبناء عليه تعترف بإبن سعود المذكور كحاكم مستقل لها). ولم تكن هناك مشكلة بالنسبة لنجد فهي موطن السعوديين، أما الاحساء فان اعتبارها ملكا لآبائه فيه مغالطة للتاريخ والواقع، وهو ما أثبتناه في مواقع سابقة من هذا الكتاب.

وتضمنت المادة الأولى أيضاً أن يكون ورثة ابن سعود هم الحكام شرط أن لا يكون الشخص الوريث معاديا للحكومة البريطانية بحال من الاحوال.

وتعهدت بريطانيا في المادة الثانية بالدفاع عن ابن سعود ضد اية دولة اجنبية، بحيث تحدد هي مقدار الدعم والعون والدفاع.

ونصت المادة الثالثة على أن تتولى الحكومة البريطانية شؤون ابن سعود الخارجية، بحيث لا يعقد معاهدة ولا يراسل أي دولة إلاّ بإذنها، وان يطلعها على ما يرد من مراسلات، وان يتعهد ابن سعود على وجه الإطلاق بأن لا يمنح ولا يبيع ولا يؤجر ولا يرهن ولا يتخلى عن

(210) انطلق شكسبير مع قوات ابن سعود لمقابلة ابن رشيد، وان يركب جملا الى جانب الامير السعودي، وفي المساء طلب الاخير من الكابتن ان يغادر خوفا على حياته، لكنه اصر على البقاء وكتب الى كبيرة الاستعماريين غيرترود بل في العراق، "لن تكون مفاجأة لي اذا وصلت الى حائل خلال الشهر القادم" فبراير " او نحو ذلك كمستشار سياسي لابن سعود.

وتقول احدى الروايات ان ابن سعود رجا صديقه المسيحي ان يرتدي على الاقل ملابس عربية ولكنه رفض ذلك، وارتدى زيه العسكري الخاكي البريطاني في صبيحة ٢٤/١/١٩١٥وركب جمله الى ميدان المعركة "جراب "، وشارك في ادارة المدافع ضد ال الرشيد، وراح يرقب العدو لآل سعود بمنظاره، حتى دهموه ومزقوه بالرصاص، وحمل ال الرشيد خوذته الشمسية وسلموها للاتراك فعلقوها امام احد ابواب المدينة المنورة كإثبات على ان ابن سعود يتعاون مع الكفار، وفيما بعد حينما سئل ابن سعود عن اروع رجل – غير مسلم – تعرف عليه، فاجاب بلاتردد – شكسبير " ابو حنيك " الكابتن غلوب باشا من اطلاع ابن سعود الكبير على الادب الانجليزي، متصورا ان ابن سعود يقصد " وليم شكسبير " ولكن اتضح له ان الامير انما يقصد الصديق العزيز" المرحوم " الكابتن شكسبير، انظر كتاب المملكة – مصدر سابق / ص ٨٠– ٨١، وعلق تقرير بريطاني على نتائج معركة جراب " وثيقة رقم (FO 371/3044(E 35392 ومؤرخة في ١٤/٢/١٩١٧بالقول : ان ابن سعود، وان لم يكن قد وجه ضربة مؤلمة ومدمرة لابن رشيد، فقد استطاع على الاقل اخراجه من المعركة وتعطيله ومنعه من الانضمام الى الاتراك، كما كان سيفعل حتما لو انتصر، ربما كان يكون اشتراك ابن رشيد في الحرب في المراحل الاولى من حملة العراق قد زاد من مصاعبنا الى حد كبير ومع ذلك فان موت شكسبير كان ثمنا باهظا دفعناه مقابل شل قوات ابن رشيد.

الاراضي المذكورة أو أي جزء منها، ولا يعطي إمتيازات لرعايا دولة اجنبية دون موافقة بريطانيا، وأن يتبع نصائحها في ذلك.

ونصت المادة الرابعة على حفظ طرق الحج، والخامسة على عدم الاعتداء على البحرين وقطر والكويت وساحل عمان [٢١١].

وترتب على هذه المعاهدة بان حصل ابن سعود ــ كما يقول ديكسون، المعتمد السياسي في الكويت ــ على :

*الف بندقية لمحاربة ابن رشيد والعجمان.

*تسهيل إستيراد الذخيرة لحسابه الخاص من البحرين، حتى يستطيع أن يفي باحتياجات الحملة الموجهة ضد العجمان [٢١٢].

كما تعهدت بريطانيا بان تقدم له راتبا شهريا مقداره خمسة الآف جنية، غير المعونات من الاسلحة ودفعات مالية كلما تطلب الموقف السياسي والعسكري ذلك. والظريف أن ابن سعود اعتبر هذه الاموال ــ تمويها على عوام النجديين ــ أنها جزية يدفعها المسيحيون للمسلمين، وقد أثار أكثر من مسؤول بريطاني لهذه النقطة في الوثائق والكتب [٢١٣].

أما مبررات هذه المعاهدة، فقد إعتاد السعوديين القول بأنها شرا لا بد منه، وانه لولاها لاحتل الإنجليز الاحساء والقطيف.. بل ارجعوا موقف ابن سعود المتطرف في حربه لدولة الخلافة بانه كان يستهدف الحفاظ على الاحساء والقطيف ضمن ممالكه (المستقلة)!.

ياله من مبرر، وياله من إستقلال!. [٢١٤]

ويلاحظ أن كل المعاهدات (تقريبا)عقدت بالقرب من ساحل الاحساء والقطيف، خشية أن يطلع عليها النجديون، ولقربها من مواقع الاستعمار البريطاني...بيد أن اهم ما حققته هذه المعاهدة، معاهدة دارين :

إنها وقعت في القطيف، وهي أول معاهدة رسمية تحتوي نصوصا واضحة، يوقعها ابن سعود مع الإنجليز.

([211]) انظر نصوص المعاهدة في كتاب كشك ــ السعوديون والحل الاسلامي /ص ٢٦ ٤ــ ٤٢٧

([212])جمال زكريا قاسم ــ الجزء الثاني / ص ٢٠ ،وتجدر الاشارة الى ان ابن سعود واثناء توقيع المعاهدة، اكد لكوكس حرصه الشديد على المصالح البريطانية وان الولاة يعتبون في القطيف والهفوف لديهم تعليمات مشددة برعاية هذه المصالح / ص ٢٤

([213]) قال المؤرخ والمستشرق الروسي فاسيلييف ــ مصدر سابق / ص ٣٤١" ان ابن سعود ابان الحرب العالمية الاولى وافق على الحماية البريطانية، واستلم معونات شهرية، وادعى بان ذلك مجرد جزية كالتي كان المسيحيون يدفعونها للخلفاء الاوائل "

([214]) اعتبر كشك المعاهدة المخزية هذه انها ثمرة الاستراتيجية السعودية ــ في فرض التحالف فرضا على بريطانيا مشيرا الى ان ابن سعود كان يطاردها منذ دخوله الرياض وحتى الحرب العامة من اجل توقيعها ــ في حين نعتها فؤاد حمزة " مستشار ابن سعود " بانها معاهدة جائرة، وقال الزركلي عنها انها على غرار المعاهدة التي كان الانجليز يعقدونها مع امارات الخليج".

وإنها اعطت الشرعية لاحتلال ابن سعود للمنطقة.

ومهما تكن تبريرات الكتاب المتعاطفين، من أن الإنجليز لن يعترفوا باحتلال الاحساء والقطيف وسائر الساحل بدون المعاهدة، وان موقف ابن سعود بعد وقعة جراب وحروب العجمان لا يساعده على التصلب والعناد، فإن هذه المعاهدة لا تشرف السعوديين، وكل التبريرات لم تقنع اقرب المقربين من ابن سعود (مستشاريه) "[٢١٥].

ثورة العجمان في الاحساء

شغل ابن سعود طيلة عامي ١٩١٥ــ ١٩١٦، بقمع ثورة اشعلتها قبيلة العجمان التي تتخذ من بادية الاحساء مقرا لها، وهي قبيلة قوية وصعبة المراس، إعتاد البدو على اطلاق صفة (المان العرب) على افرادها.

لم تكن هناك مشكلة بين ابن سعود وهذه القبيلة حتى احتل الاخير الاحساء، وضرب نفوذهم وقضى على إمتيازاتهم فيها، وكانوا قد تضايقوا من خياناته لهم، حينما امرهم بالاتجاه شمالا لمحاربة اعدائه حتى يقتنص الفرصة لاحتلال الاحساء بعيدا عنهم.

ويرى ابن سعود أن التمرد العجماني كان بتحريض أبن الرشيد، وهذا غير صحيح، ولم يصدقه الإنجليز حين قالوا: "ولكن يشك كثيراً في صحة آرائه ".

وشكك شيخ الكويت أيضاً في كلام إتهام ابن سعود قائلا بأن المشكلة بدأت يوم إحتلال الاحساء..." فقد بقيت تلك القبيلة على علاقة جيدة مع ابن سعود حتى ذلك الوقت، وكانت تعترف به سيدا لها بصورة عامة. إلاّ أن إمتداد سلطانة المباشر إلى الاحساء، وهي المقر الرئيسي لها، قد أساء إلى ولائها له، وقد سعى لفرض ضرائب على كل فرد من افرادها (ضرائب شخصية) ومنعها من استيفاء الرسوم على القوافل التجارية المارة عبر اراضيها ــ لانه قد فرض ضرائب باهظة على هذه القوافل ــ "[٢١٦].

وبدأ إبن سعود بالتعرض لقبيلة العجمان بعد ستة اشهر من معركة جراب التي شارك فيها افراد القبيلة من دون إقتناع وببرود، مما جعله ناقما على خذلهم إياه وانسحابهم من المعركة، ونهبهم معسكر ابن سعود نفسه [٢١٧].لذا اصبح حريصا على كسر شوكتهم بأسرع وقت.

([215]) يدعي حافظ وهبة ان كوكس قال في القاهرة سنة ١٩١٨، ان ابن سعود يعرف جيدا ان الاحساء والقطيف، وهما خير ممتلكاته تصبحان تحت رحمتنا، اذا مارس لنفسه سياسة معارضة لمصالحنا فضلا عن ان نجداً نفسها ستورد جميع حاجياتها من موانئنا وموانئ الانجليز المقصودة هي " البحرين والكويت "

([216]) FO.371/3044(E 35392) مؤرخة في ١٤/٢/١٩١٧

([217]) خالد السعدون ــ مصدر سابق، ص ١٧٢، وانظر كتاب المملكة / ص ٨٦ــ ٨٧

قدم ابن سعود من الرياض في يونيو ١٩١٥/ شعبان ١٣٣٣هـ، إلى منطقة الاحساء، وجند بعض قبائلها خاصة بني هاجر، وحشد اربعة الآف رجل، بينهم (٥٠٠) جاؤوا معه من نجد، ثم طارد القبيلة الثائرة حتى موقع يقال له "كنزان " الذي يقع على بعد ٢٠ميلا غرب الهفوف.

وقبل المعركة بقليل جرت مفاوضات بين الطرفين، اقنعت ابن سعود بالعدول عن القتال، غير أنه قبل يوم من توقيع الاتفاق المزمع، اقنع (سعد بن عبد الرحمن) اخاه ابن سعود بان يغدر بالعجمان ويهاجمهم ليلا ويفاجئهم على حين غرة، غير أنهم تلقوا تحذيرا مسبقا، فاستعدوا للمعركة، ولقي سعد عقاب الغدر ــ كما قال الكاتب البريطاني روبرت ليسي في كتابه /المملكة ــ فقتل هو وعدد كبير من القوات السعودية، حيث ذبحوا بلا رحمة بعد أن اصلوهم نارا حامية، وقد اصيب ابن سعود بجراحات بالغة، فقد اصابته رصاصة في كتفه الايسر، بقيت حتى تاريخ توقيع معاهدة دارين في ١٩١٥/١١/٢٦م [٢١٨].

ولحسن حظ أبن سعود انه استطاع الفرار إلى الهفوف طلبا الامان، ومعه عدد من الجنود يكفي بالكاد للدفاع عن البلدة، تاركين بقية المدن والقرى تحت سيطرة المهاجمين، واصبح ابن سعود من الناحية العملية اسيرا في الهفوف حتى وصلته الامتدادات البريطانية من البحرين والكويت..حيث اعتبرت وقعة كنزان أكبر هزيمة تحل بعبد العزيز على الإطلاق [٢١٩].

واوضح تقرير بريطاني ماهية الدعم الذي قدم لابن سعود وهو محاصر في الهفوف بقوله (خلال العمليات وهذا الصراع قمنا نحن بتسهيل شحن وتوريد الذخيرة لابن سعود ــ وفعلنا كل ما كان باستطاعتنا للجم شيخ ابو ظبي ومنعه من دعم العجمان، وقدمنا عن طريق البحرين الف بندقية كما قدمنا له مبلغا قدره عشرين الف جنيه استرليني..وفي هذه الاثناء لم يكن الأتراك قد يئسوا بعد من استمالة ابن سعود لجانبهم، فارسلوا له في شهر يوليو ١٩١٥مبعوثا ــ هو صالح الشريف الحسني ــ، الذي اتصل به وعرض عقد اجتماع معه، لكن طلبه رفض) [٢٢٠].

كان هذا الدعم قبل توقيع المعاهدة، أما بعدها (فقد اصبح عنده الآن دعم دولة عظمى لتعزيز سلطته الداخلية، إذ ارسل له البريطانيون ٣٠٠بندقية تركية، وعشرة الاف روبية عام

([218]) ليسي ــ مصدر سابق، ص ٨٧، والسعدون ــ مصدر سابق / ١٧٢

([219]) انظر الوثيقة السابقة (FO.371/3044(E 35392 وافتخر الشاعر العجماني "نعيش" بالانتصار الكاسح فقال :

ليلى على ابن سعود يا ليل اندم   ذبح الاصايل والعسار الغالية

لخوك ياعزيز من الموت انكتم   وراك تهرب منه وانت اتخايله

صابك وصاب لخوك من الموت السهم   بالليل الاظلم..لينا بالقابلة

عقب الخنجر ما تفكون اللازم   وارقابكم من ضرب الايدي مايله

([220]) الوثيقة السابقة

١٩١٥، والف بندقية إضافية و٢٠٠الف رصاصة، وعشرين الف جنيه استرليني عام ١٩١٩ م، وتمكن بهذه المساعدة من إخضاع العجمان وإعادة النظام في الاحساء "[٢٢١].

وأشار هاري جون فيلبي الذي خلف شكسبير في تمثيل بلاده لدى البلاط السعودي، إلى أن ما حصل عليه ابن سعود عام ١٩١٦من السلاح فقط هو : "٤مدافع ميكانيكية ــ ١٠٠٠بندقية عيار ٣٠٣ــ ٢٠٠بندقية اوتوماتيكية) هذا غير الذخيرة والمال [٢٢٢].

أما المساعدات التي قدمت من الكويت، فهي عبارة عن حملة قادها ابن الشيخ مبارك (سالم) من بضع مئات من المقاتلين، ساهمت مساهمة فعالة في فك الحصار عن ابن سعود الذي دام ستة اشهر،.. وفي ذات الوقت ارسل مبارك إمدادات بالذخيرة والسلاح بحرا، وبعد وصول كل هذه الامدادات والمقاتلين تراجع العجمان..ولم تمض الايام الأولى من شهر ذي الحجة ١٣٣٣هــ / اكتوبر سنة ١٩١٥حتى كان العجمان يولون الادبار شمالا وجنوبا ــ كما قال ابن سعود في رسالته ليبرسي كوكس في العاشر من اكتوبر ١٩١٥ــ. وتمكن الحاكم السعودي في ١٣٣٣/١٢/٢٢هــ/ الأول من نوفمبر ١٩١٥من محاصرة القسم الذي توجه شمالا من ثلاثة جوانب، بمساعدة القوة الكويتية وبعض القبائل المؤيدة، وذلك عند نقطة من ساحل البحر إلى الشمال من القطيف [٢٢٣].

ولاحق محمد بن عبد الرحمن ــ اخو ابن سعود ــ ومعه بعض بني خالد، العجمان حتى اضطرهم إلى اللجوء للكويت، وبقوا هناك حتى اواخر العام، أي حتى وفاة مبارك في ٢٩ نوفمبر ١٩١٥ [٢٢٤].وكان مبارك قد استقبل قيادات العجمان في العشرين من نوفمبر وقبل لجوءهم، وعزم ابن سعود على مهاجمة مبارك والعجمان على حد سواء، ولكنه تراجع حفاظا على علاقاته مع بريطانيا، واكتفى بارسال رسول لحليفه في ٢٢/ ١٩١٥/١١، راجيا مبارك عدم التعامل مع اعدائه، ولكن الاتفاق بين مبارك والعجمان قد ابرم ولم يكن من الممكن التراجع عنه.

لم يكن امام ابن سعود إلاّ الشكوى من حليفه ووالده (مبارك) لدى المعتمد السياسي البريطاني في البحرين في ١٩١٥/١١/٢٧م، لكن المعتد السياسي في الكويت، اشار إلى دعم مبارك لابن سعود في حرب العجمان وانه لولا ذلك الدعم ما استطاع هزيمتهم، قال: (على الرغم مما يبدو في عمل مبارك من قسوة تجاه ابن سعود، إلاّ أن الاخير كان سيصبح بدون مساعدة الكويت، عاجزا عن مواصلة عملياته الحربية بعد تلك الهزيمة التي تعرض لها، كان

([221]) ابسي ــ مصدر سابق / ص ٨٨

([222]) كشك ــ مصدر سابق / ص ٤٢٨

([223]) السعدون ــ مصدر سابق / ص ١٧٥

([224]) المصدر السابق وانظر الوثيقة (FO.371/3044(E 35392

أن الوعود التي قطعها العجمان لمبارك، والمتضمنة تعهدا بالخضوع لسلطة ابن سعود، تمثل تنازلا كبيرا من جانبهم)[٢٢٥].

بعد وفاة مبارك الح ابن سعود على ابنه وخليفته جابر بان يطرد شيوخ العجمان من الكويت، فجاء رد جابر معتدلا، ونصح إبن سعود بان ينهي عداءه الشخصي معهم، ذلك أن طردهم قد يجعلهم يلجأون ويدعمون ابن الرشيد وعجمي السعدون، لكن ابن سعود رد باذه لن يسامحهم واصر على اخراجهم، فاضطر الشيخ جابر إلى طردهم في فبراير ١٩١٦، وكما توقع جابر، فقد طلبوا الحماية من (عجمي) ثم من ابن الرشيد، ولكنهم في مايو ١٩١٦طلبوا من شيخ الزبير أن يوافق على إقامتهم قرب (صفوان) فوافق بناء على طلب الإنجليز لمراقبتهم، ثم ما لبث أن تعاون زعماء العجمان معهم، حيث "قدم عدد من كبار الشيوخ ولاءهم لنا..ولم تكن رغبة ابن سعود الجامحة في توجيه كل طاقته لاستئصال جذور هذه القبيلة بالامر الذي يمكن أن يلقى أي تعاطف منا في هذه الفترة من الزمن "[٢٢٦].

استمرت مشكلة العجمان طوال عهد جابر، ثم تفاقمت في عهد سالم الصباح الذي زاد من هوة خلافه مع ابن سعود، الاختلاف المذهبي، وفي تلك الاثناء كانت قبائل ابن سعود تهاجم قبيلة العجمان وتسلبها، فيما يرد اتباع هذه الأخيرة بهجمات مماثلة..وعقدت أكثر من هدنة كان مصيرها الفشل لحقد إبن سعود وإصراره على إستئصال شأفة العجمان.

ولم يرضخ العجمان إلاّ في عام ١٩١٩م، حيث قسمهم ابن سعود إلى عشرين قسما، ووضع كل قسم في إحدى هجر الاخوان، وبهذا شتت شمل القبيلة ومزقها إلى الابد، وقضى على أكثر زعمائها وقتل الالاف من افرادها تشفيا منها لقتلها اخيه في كنزان، وليس فقط لانها متمردة عليه.

في هذه الاثناء لم يتوقف ابن سعود عن مشاركته ــ قدر ما تتيح الظروف الداخلية ــ في دعم انجلترا ضد دولة الخلافة، وراح ينسق مع الشريف حسين حاكم مكة الذي انضم للتوّ إلى القائمة المعادية لدولة الخلافة، وابلغ ابن سعود الكابتن شكسبير (إن الخلافة من جهة نظره، يجب أن تعود إلى آل الرسول، والتي كان الشريف يمثلها، إذا افلتت تلك الخلافة من يد سلطان تركيا).

وكتب ابن سعود للشريف في اغسطس ١٩١٦ بعد أن طرد الاخير الأتراك من مكة، إنه مستعد أن يقدم له كل المساعدة، وفي سبتمبر من نفس العام تلقى ابن سعود رسالة من علي حيدر، الضابط العسكري التركي في الحجاز، والمقيم في المدينة، تبلغه بان الشريف خان

([225]) السعدون ــ مصدر سابق / ص ١٧٧

([226]) الوثيقة السابقة ــ وانظر السعدون / ص ١٨٦ــ ١٨٧

الاسلام وارتمى في احضان الإنجليز، وقال لابن سعود بان السلطان مستعد لتعيينه شريفا على مكة، شرط أن ينضم للجهاد، إلاّ أن ابن سعود عبر في رده عن غضبه واستيائه الذي يكنه لعلي حيدر والاتراك [٢٢٧].

ولقد شغلت ثورة العجمان ابن سعود عن مطاردة ابن الرشيد إلى حين، وقام ابنه تركي بحملات فاشلة على حائل، واعترف طبيب ابن سعود في اكتوبر ١٩١٦ في رسالة حملها من سيده للمعتمد البريطاني في البحرين بانه ــ أي ابن سعود ــ لا يستطيع فعل أي شيء ضد قبائل شمر ــ طالما بقيت قبائل عجمان المتمردة عليه تطوق جناحه، وانه لا يشعر بالامان والسلام داخل مناطق حكمه.

وفي ربيع وصيف عام ١٩١٦، زادت مصاعب ابن سعود، حيث شغل بإخماد ثورة أخرى قامت بها قبائل، (المرة) التي تسكن بادية القطيف، وكانت جذور هذه الثورة مرتبطة بما جرى للعجمان، وقد اخذ افراد القبيلة يهددون طرق المواصلات ــ ويتعدون على الأهالي وممتلكاتهم،..وفي تلك الاثناء سارع ابن رشيد وقبائله لاتجاه شمالا للاشتراك مع قوات دولة الخلافة ضد الإنجليز الذين يزحفون شمالا لاحتلال بغداد، منتهزا فرصة إنشغال ابن سعود باخماد ثورة قبيلة المرة.

وفي سبتمبر ١٩١٦ كتب ابن سعود للسلطات البريطانية، بأنه سيكون سعيدا بلقاء شخصي مع كبير المعتمدين السياسيين (المقيم كوكس) لمناقشة موضوع التعاون مع الشريف حسين للقيام بهجوم ضد ابن رشيد..وعاد فكرر الطلب بالحاح في اكتوبر ١٩١٦م. وإذ ذاك رأى كوكس أن يلتقي بابن سعود بعد حوالي ١١ شهرا من لقائه الاول..وجاء اللقاء هذه المرة أيضاً على شاطئ الاحساء في (العقير) في الحادي عشر من نوفمبر ١٩١٦، وهناك شكا ابن سعود لصديقه كوكس المصاعب المالية التي تجتاحه واشار إلى خسائره الكثيرة من الرجال والمعدات، في حروبه مع العجمان ثم ضد آل مرة، واوضح أن الحصار والتجويع الذي فرض على تركيا وحلفائها قد اضر بالنجديين الذين يقيمون علاقات تجارية مع الشام..وبعد ذلك ناقش الطرفان خططهما لحرب ابن رشيد ،والوسائل التي تمكنهما من تجهيز حملة قوية ضده [٢٢٨].

ويدعي حافظ وهبة أن كوكس حاول أن يغري ابن سعود بالحرب ضد الأتراك، فقال له سأكفيكم أنا ابن رشيد، وقد وافق كوكس على ذلك،...ويضيف وهبة،.." ويقول المرحوم الملك عبد العزيز، أن كوكس قد اعطاني القمر بيد والشمس باليد الأخرى"!.

([227]) الوثيقة السابقة FO.371/3044

([228]) الوثيقة السابقة، وانظر جمال زكريا قاسم ــ الجزء الثاني / ص ٢٢ـــ ٢٤، وانظر ايضا الوثيقة رقم FO.371/2769 رسالة من كوكس لحكومة الهند في ١٩١٦/١١/٢١

وفي العقير عبر ابن سعود لكوكس عن رغبته لزيارة قصيرة للشيخ جابر قبل أن يعود للرياض، وقد احب كوكس الفكرة وشجعها بمزيد من الود، وحمله على ظهر السفينة البريطانية الذي اسعده ركوبها لاول مرة، واوصى كوكس بان يمنح ابن سعود وسام (K.C.I.E)اثناء الاجتماع الذي سيعقد في ٢٠ / ١١/ ١٩١٦ في الكويت، والذي دعا كوكس لحضوره كلا من شيخ المحمرة وشيخ الكويت وحوالي (١٠٠) شيخ قبيلة، بمن فيهم فرعان من قبيلة شمر (أسلم، والظفير). وكان المؤتمر برئاسة كوكس، حيث القى كلمة إفتتاحية، اظهر فيها حسن نوايا بلاده إتجاه العرب، ورغبة بريطانيا في أن يستعيدوا مجدهم الغابر(!!)، واعلن عن استعدادها وحرصها على وحدتهم لصد أي اعتداء خارجي[229].

وقد القيت خطب عديدة في المؤتمر كان أقساها وأشدها على الترك خطبة ابن سعود، فبعد خطاب كوكس، القى خزعل خطابا حماسيا مؤيدا لبريطانيا وتبعه ابن سعود حيث " ضرب على الوتر الرئيسي، في خطاب كان عفويا بقدر ما كان مفاجئا. قال إن الأتراك وضعوا انفسهم خارج الإسلام بسبب المظالم والجور الذي ارتكبوه ضد المسلمين الآخرين. ثم اظهر ابن سعود الفوارق بين سياسة الأتراك وسياسة بريطانيا العظمى، مبينا أن الأتراك كانوا يسعون إلى إضعاف العرب عن طريق تأجيج الخلافات بينهم، في حين تشجع بريطانيا العظمى العرب على الإتحاد لما فيه مصلحتهم، وامتدح تصرف الشريف حسين (في ثورته ضد دولة الخلافة) مؤكدا على إلتزام كل العرب بالتعاون معه في دفع القضية العربية إلى الامام، وحين انتهى من خطابه إلى خاتمته البليغة، اقسم الزعماء الثلاثة: زعيم الكويت، وزعيم المحمرة وابن سعود، على أن يعملوا معا يدا بيد من أجل تحقيق الهدف المشترك "[230].

ولم يخف ابن سعود مواقفه ومشاعره ضد دولة الخلافة أينما حل وارتحل، وقد شهدت الوثائق البريطانية انه " خلال حفلات الاستقبال التي اقيمت في الكويت، برهن في كل كلماته وأقواله عن مدى إستيعابه الكامل للمبدأ الذي يسير علاقاتنا مع شبه الجزيرة العربية، وقدم مثالا على سياستنا الكريمة والسخية نحو القضية العربية حقيقة وهو كوننا على إستعداد

([229]) جمال زكريا قاسم ـ الجزء الثاني / ص ٢٤ـ ٢٥.وانظر الوثيقة FO.371/2769

([230]) انظر الوثيقة FO.371/3044 وايضا الوثيقة (FO.371/2769) ونجد في الاخيرة برقية موجهة من كوكس في ٢١نوفمبر ١٩١٦ حول ذلك الاجتماع، وقال فيها بالنص، ان الشيوخ الثلاثة اقسموا على العمل من اجلنا لتحقيق الهدف المشترك .

وتحوي برقية كوكس مقتطفات من خطاب ابن سعود الذي القاه مساء ٢٠نوفمبر ١٩١٦،وانظر ايضا ـ جمال زكريا قاسم ـ الجزء الثاني ـ ٢٤ـ ٢٥،وكشك ـ مصدر سابق / ص ٤٦١، وايضا فاسيلييف ـ مصدر سابق / ص ٢٦٢

لتشجيع وفاق بينه وبين ابن رشيد إذا تخلى الاخير عن مواقف العداء التي يظهرها حاليا ــ إتجاه بريطانيا ــ " [٢٣١].

وأشار حافظ وهبة ــ مستشار ابن سعود واول سفير له في لندن فيما بعد ــ إلى أن ابن سعود كان بعد المؤتمر شديد التهجم على الأتراك، في أن عواطف الكويتيين والمسلمين معهم، مما اسخطهم وخرجوا غاضبين.. يقول في كتابه (جزيرة العرب في القرن العشرين): (عندما زار عبد العزيز الكويت في سنة ١٩١٦م/١٣٣٥هـ، واجتمع كبار أهل الكويت لتحية الامير، كان كل حديثه أو خطابه تشديد النكير على الأتراك والحط من شأنهم، وانهامهم بما اصاب الإسلام من ضعف، وتأييدهم لكل بدعة، ثم ختم حديثه بأنه لو كان في بدنه قطرة من دم تميل إلى الأتراك لبذل كل وسيلة لإخراجها من جسمه.." فما كان من أهل الكويت إلاّ أن "استاؤوا من تصريحاته هذه، لانهم ككثير من المسلمين في ذلك الوقت كانت عواطفهم مع الأتراك والالمان، وكان الالمان منتصرين على الحلفاء في جميع الميادين، ولقد انصرف اعيان الكويت من مجلس ابن سعود غير راضين عن خطابه "[٢٣٢].

ويعلق كشك مبررا سبب ميول النجديين وآل سعود لبريطانيا خلافا للغالبية العظمى من المسلمين بقوله: " إن الشعور في نجد كان مختلفا..فالمناطق التي كانت ترزح تحت الإحتلال البريطاني مثل مصر والكويت كانت كراهيتها منصبة على الإنجليز، وعواطفهم مع عدو عدوي..اما نجد فلم تر انجليزيا، والعدو التاريخي والحالي المستقر في الاذهان هم الترك، والنجديون واليمنيون هم احدث العرب عهدا بمقاتلة الترك عشية الحرب العالمية [٢٣٣]..ومع حركة البعث الوهابية، كان الاعلام الديني السعودي يركز بالطبع على خطايا الحكم العثماني"[٢٣٤].

وقبل أن ينفض مؤتمر الكويت حدثت تظاهرة، الأولى بطلها ابن سعود وحده، والثانية بطلاها (جابر شيخ الكويت ــ وابن سعود زعيم الوهابيين)..

التظاهرة الأولى كانت حينما قدم ابن سعود بصورة تظاهرية ٧٠٠جمل لدعم القوات البريطانية، استولى عليها من تاجر دمشقي يدعى محمد توفيق بن فرعون، كانت الدولة العثمانية قد ارسلته ــ هكذا يقول الإنجليز ــ لشراء الجمال لحسابهم، وتقول وثائق الإنجليز أن ابن فرعون(صديق شخصي لابن سعود) وكان قد زار نجد لنفس الغرض ــ شراء الجمال ــ في العام السابق. لكن في هذه المرة ضغطنا على الامير بإلحاح لمينعه من الحصول على

([231]) الوثيقة رقم " FO.371/3044 مؤرخة في ١٤/٢ / ١٩١٧

([232]) انظر ايضا كشك ــ مصدر سابق / ص ٤٦١ وجمال زكريا قاسم ــ الجزء الثاني / ص ٢٥

([233]) ولكن الامام يحيى لم يقف مع الانجليز مثل ابن سعود ؟

([234]) كشك ــ مصدر سابق / ص ٤٦١

الجمال. وبناء على ذلك، قام ابن سعود باعتقال ابن فرعون، وصادر ٧٠٠جملا كان قد اشتراها من الداخل، وارسلها إلى الكويت) [٢٣٥].

وكانت للرعايا النجديين معاملات تجارية قوية مع سورية(والقبائل ـــ في الجزيرة العربية ـــ اعتادت أن تبيع جمالها لتجار دمشق، ولهذا فإن الحصار الذي فرضه ابن سعود (ضد الأتراك) ـــ حيث جاءت مصادرة جمال ابن فرعون شاهدا على حقيقته ـــ اصبح مصدر سخط متزايد ـــ فالنجديين يتذمرون والقبائل قلقة مضطربة، والكل يسأل: اين تكمن الفائدة من موافف زعيمهم "[٢٣٦].وجاء وصول الجمال المنهوبة أو المصادرة إلى المسؤولين الإنجليز في الكويت، وكلها موسومة بوشم ذلك التاجر المعروف، ليعطي تجمع الشيوخ خاتمة درامية واكتمالا عظيم الاثر [٢٣٧].

التظاهرة الثانية: اقامها الإنجليز حينما قلد كوكس ابن سعود والشيخ جابر وشاح نجمة الهند، وما لبث أن ابرق الشريف حسين للمؤتمرين مباركا للمؤتمرين حماسهم وغيرتهم على القضية العربية، وليعرب في برقيته عن أسفه لانه لم يتوفر له الوقت الكافي لإرسال ممثل عنه للكويت.

ولقد اعطى تجمع الكويت، وزيارة ابن سعود للبصرة بعدئذ، اعطى قوة للانجليز، بل جعلهم في موقع فريد في قوته ـــ كما يعترفون ـــ أما النتائج الفورية للاجتماع فهي :

(أولاً: وافق الجميع على حجم وطبيعة حصة ابن سعود من اية اعمال عسكرية ضد ابن رشيد، وقد تعهد ابن سعود بوضع ٤٠٠٠رجل تحت السلاح في حال استعداد دائم، فاذا تحرك

([235]) الوثيقة FO.371/3044 تاريخ ١٤/٢/١٩١٧

([236]) المصدر السابق.وانظر فاسيلييف ـــ مصدر سابق / ص ٢٦٢، انظر ايضا " FO.371/ 2769 رسالة من كوكس لحكومة الهند في ٢٦/١١/١٩١٦ .

لم نحصل على نص رسالة ابن سعود لعجمي السعدون، ولكن نستطيع ان نتنبأ بمحتواها من خلال جواب عجمي على ابن سعود والذي نشرته غروترد بل " الشهيرة بمس بل ـــ او الخاتونة " في كتابها" فصول من تاريخ العراق القريب والذي نصه، " لخي المبجل، من المعلوم جيدا عندي بدرجة لا يتطرق اليها الشك، ان موقفي هو موقف من يسعى لمرضاة الله العلي العظيم، ولا علاء اسم العرب باظهار الولاء لهم، واي ولاء اعظم من ان اسارع بالاخلاص الى ما امر به الله في كتابه المجيد بالجهاد ضد الكافرين اعداء الله اعداء الدين، ؟ولا يمكن ان تأخذني في الله لومة لائم، انا الذي اسعى لحب الله ونبيه وبلادنا ولحمايتها من ان يدنسها الكافرون، وقد كان لي امل كبير بتدينكم وحميتكم العربية ان توافقوني رايي، وتؤيدوني فيما اقوم به من اجل اعلاء كلمة العرب، وليس هذا بفضل الله تمردا، انما هو موقف بسيط معروف، واذا كانت الحكومة التركية تذب عن حوزة الاسلام فهي عضدي وعضد قبائلي، وانا حاكم مطلق بامر الله وامر الحكومة، واني مقتنع ومعتقد باني سائر في الطريق السوي الذي يرضي اللهو العرب، سيرا مستمرا لا يثنيني عنه شيء، وهذه هي الروح الاسلامية، وهذا هو الوضع ،واُختم ما وجب عليَّ قوله مستشهدا بكلام الله " انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء" اذا كنت قد اعطيت أي وعد لهم ـــ الاتراك ـــ في الماضي، فيجب ان اتقيد بتنفيذ ما وعدت به، لكنني اعطيت عهدا بخدمة ديني وحكومتي وحميتي، والله تعالى احسن من يكون في عوننا ـــ واذ حاججتموني بترك الدين جانبا ـــ فالواجب يدعوني الى الوفاء بالعهد الذي قطعته على نفسي من قبل لحكومتي، وهذا ما تقتضيه شيمة العرب، وهذا ما وجب بيانه ".

([237])

ابن رشيد بقواته باتجاه العراق، يتحرك ابن سعود شمالا أيضاً وبخط مواز له باتجاه الزبير، وهناك ينضم للقبائل الصديقة ــ لبريطانيا ــ والى فيصل عسكري من الكويت. وقد اعلم ابن سعود الشيوخ الاصدقاء انه سيساعدهم ويؤيدهم إذا هددهم ابن رشيد، وسيشن عليه هجوما بقوات كبيرة، أما إذا بقى ابن رشيد في حائل فإنه سيضايقه ويهاجمه كلما سنحت له الفرصة،.(ومقابل هذا) ونظرا للضائقة المالية التي عانى منها خلال العامين الماضيين، منحت بريطانيا ابن سعود ٣٠٠٠ بندقية مع ذخيرتها، إضافة إلى اربعة مدافع رشاشة، كما منح راتب دعم مقداره خمسة الاف جنيه شهريا، ليغطي نفقات الابقاء على رجاله في ساحة المعركة).

"ثانيا: كتب ابن سعود رسالة باسم الزعماء الثلاثة إلى عجمي السعدون، يبين له فيها مدى الاذى والضرر الذي يلحقه بالقضية العربية نتيجة مواقفه الحالية، ويدعوه إلى الدخول في حوار معهم، ويعده بدراسة وجهات نظره دراسة ودية، كما ويعرض عليه إعلان خضوعه ــ للانجليز ــ باسلوب كريم مشرف "[٢٣٨].

ومن نتائج مؤتمر الكويت أن مشكلة العجمان قد حلت اثناء الحرب، وتم الاتفاق على هدنة باشراف بريطانيا، اثناء وجود ابن سعود في البصرة بعد انفضاض مؤتمر الكويت مباشرة في اواخر نوفمبر ١٩١٦، وقد وضع الإنجليز مسودة التعليمات التي تحدد مواقع شيوخ العجمان، ولما وصل كوكس في نفس الفترة إلى البصرة استدعى قادة العجمان الذين كانوا بالغي القلق والخوف من ظهور ابن سعود قربهم، معتقدين بان ذلك سيسبب لهم الشر والاذى، لكن الرؤساء الكبار للعجمان التقوا بكوكس في الزبير، وقبلوا ببنود الهدنة المقترحة، ومقابل ذلك وعدوا بعلاوة شهرية بحيث يكون الراتب مقاربا للراتب الذي يتلقاه شيوخ قبيلة الشامية، على انه كان بعض الشيوخ من العجمان معترضين، ومن بينهم اثنان كانا لا يزالان مع عجمي السعدون، ولم يكن الذين قابلوا كوكس واثقين من أن البقية ستنضم إلى (الركب) بمجرد أن يسمعوا بالخبر السعيد ![٢٣٩].

وكان ابن سعود قد توجه للبصرة المحتلة بعد الكويت مارا بالمحمرة، وقد وصلها مع الشيخ خزعل مساء ١٩١٦/١١/٢٦م، وفي ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي، قام كبير الضباط السياسيين، يرافقه ممثلان عسكريان كبيران للقائد العام لقوات جيش العراق بزيارة اليخت. وهناك قدمت هدية لابن سعود عبارة عن سيف تكريمي، والقيت كلمة ترحيب من قائد

---

(238)

FO.371/3044(E 35392) (239)

الجيش، وامضى ابن سعود طيلة يوم ١٩١٦/١١/٢٧ في إطلاع على معسكرات القاعدة ونظامها، وآخر آلات الحرب والقتال بما فيها الطائرات التي اظهر إهتماما شديدا بها [240].

في البصرة التقى ابن سعود مع ضاري بن طواله، وحمود السويط (شيخا اسلم والظفير) وعددا من وجهاء السنة في البصرة، كما التقى بالشيخ ابراهيم شيخ الزبير، وفي تلك اللقاءات حث ابن سعود الملتقين به على دعم بريطانيا، والعمل على كسب شيوخ القبائل الآخرين إلى جانبها.. وقد كتب ابن سعود بنفسه رسالة إلى فهد الهذال ــ شيخ عنزة ــ تعلمه بلقاء الكويت وتدعوه للانضمام إلى جامعة الزعماء العرب لطرد الأتراك، وكان كوكس قد تدخل بنفسه وطلب من الامير السعودي أن يعمل على كسب فهد الهذال إلى جانب الحلفاء، وان يجمعه به.ونجح ابن سعود بمساعدة الشيخ خزعل أن يقنع فهد الهذال بالامر، ولكون هذا العمل مهم للغاية لان قبيلة عنزة تسيطر على الطريق الصحراوي بين بغداد ودمشق، فقد قررت حكومة الهند أن تصرف لابن سعود مرتبا سنويا يصل إلى ١٠٠ الف جنيه [241].

سعى الإنجليز في بدايات عام ١٩١٧م لاحتواء ابن رشيد ــ على غرار ما فعلوا مع القبائل الأخرى ــ فكتب ابن سعود رسالة إليه في ٢٢ رجب ١٣٣٥هــ / ١٥مايو ١٩١٧م عارضا فيها شروطه للسلام، التي لم يكن بينها شيء يتعلق باستعادة ارض أو ما شابه، وانما ربطت كلها بالولاء لبريطانيا وحلفائها العرب..قال ابن سعود :

"إن السلام يمكن أن يتحقق بثلاثة شروط :

١ــ أن تقطع كل صلة لك بتلك الحكومة الوضيعة التي سببت الخسارة لديننا ودنيانا، وأعني بها الحكومة التركية التي لم تترك إثما لم ترتكبه.

٢ــ أن تصبح صديقا مع الحكومة التي نحن حلفاء لها ــ يقصد الحكومة البريطانية ــ وإخوانك العرب ونحن متعاهدون على توحيد العرب.

([240]) الوثيقة السابقة، وانظر جمال زكريا قاسم ــ الجزء الثاني / ص ٢٦، والذي يقول ان غرونترد بل " مس بل " كانت في استقبال ابن سعود.

([241]) المصدر السابق، والغريب انه في كل هذا المعمعان، كانت المقاومة الاسلامية في العراق تتصاعد ضد هجمة الاحتلال البريطاني، ودفع عشرات المسلمين ارواحهم في الدفاع عن الاسلام ومقدساته، وكانت اغلب القبائل العربية تعمل تحت قيادة مراجع الدين في العراق ضد الاحتلال مما ادى في سنوات الحرب الاولى الى هزيمة الانجليز في الشعيبة، وعلق كيرزون، لقد كانت لنا افضل الصداقات مع العرب، ولذا بدا محيرا ان ينضم هؤلاء في بداية الحرب للترك، ويجب ان يكون في مقدمة عملنا الدبلوماسي ابعادهم عنهم واستئناف علاقتنا الطيبة معهم، وكان ابن سعود احد الادوات الدبلوماسية المهمة في هذا المضمار فيما بعد، وناقش مجلس اللوردات في ١٩١٥/٤/٢٠ سر نجاح الاتراك في تجنيد القبائل العربية، وقال وزير الدولة لشؤون الهند، في معركة الشعيبة اشترك مالا يقل عن عشرة آلاف تركي ومثلهم من العرب، وربما كان سبقا للاحداث، توقعنا ثورة كل العرب على الاستغلال التركي فور إنضمام تركيا للالمان وبالنسبة لبدو الصحراء، كان صحيحا ولكن ليس من السهل القول الى أي مدى ينطبق هذا الموقف على قبائل الحضر الذين يشكلون القوة العربية المقاتلة الآن..ومن الحكمة القول بأن نسبة كبيرة منهم ابدت رغبة في الإنضمام للترك، لأن هؤلاء اوحوا لهم بأن الإسلام يهاجم..)، انظر كشك ــ ص ٤٥٨ ــ ٤٥٩، وبالطبع لم يكن ابن سعود يرى ان الإسلام يهاجم من قبل الكفر، بل صرح كما رأينا بان دعم الانجليز نصر للاسلام وعز مكين للعرب!.

٣ــ أن تكون صديقا للشريف وتساعده، فأي عربي لا يساعده يجب أن نتجنبه، لان الشريف هو عضو في تحالفنا."

رد إبن رشيد الذي كان مخلصا في ولائه لدولة الخلافة، باختصار شديد، وذلك في ٢٨رجب ١٣٣٥هـ ــ ٢١مايو ١٩١٧م قائلا :

" لقد تلقيت رسالتك.. وفهمت ما بها، أن الشروط التي ذكرتها غير مقبولة، لا لصالح ديننا ولا دنيانا، ولذا فالامر على ما هو عليه "[٢٤٢].

ولما أعيت بريطانيا الحيلة في إحتواء قبيلة شمر، لم يكن امامها إلاّ تمويل حملة عسكرية ضدها في عام ١٩١٨م.

وحين طلب الإنجليز من ابن سعود القيام بالمهمة، طلب اربعة مدافع ميدان وعشرة الاف بندقية، وذخيرة كافية، وعشرين الف جنيه كدفعة عاجلة لشراء الطعام وجمال للركوب، إضافة إلى خمسين الف جنيه كمرتب شهري لعشرة الآف رجل.

وأضاف ابن سعود إلى طلباته الكثيرة هذه، طلبا آخر وهو تقليم اظافر قبيلة العجمان القاطنة جنوب العراق، واجبارها على الخضوع له...وقد تم ذلك له، حيث إنصاعت القبيلة للأوامر الانجليزية في بداية العام التالي ١٩١٩.

وافق الإنجليز على الطلبات وارسلوا له بعثة تحمل صناديق الذهب والسلاح بقيادة (جون فيلبي).. إلاّ أن (الاخوان) وهم جيش ابن سعود، والذين بدأ دورهم العسكري بالتصاعد السريع، رفضوا القيام بحملة على رأسها مسؤول بريطاني وممولة بشكل فاضح من قبل الإنجليز..وطالبوا بمحاربة الشريف حسين (حليف بريطانيا).

رفض عبد العزيز الطلب، وحاول تقديم التبريرات حول قبوله المساعدات من (الكفار)، ثم مالبث أن استصدر فتوى من العلماء...فجاء علماء الوشم وافتوا أن ابن رشيد هو العدو، وعندها أجهش الاخوان بالبكاء..واستغفروا الله على (شكهم!) في الإمام ابن سعود. وانطلقت الحملة العسكرية بقيادة ابن سعود وفيلبي لحصار حائل عام ١٩١٨، ولكنها فشلت بسبب عدم قناعة (الاخوان) بالقتال، إذ يشير فيلبي نفسه إلى ذلك بقوله:(كان الشعور في اوساط الاخوان، أن تعاون عبد العزيز مع بريطانيا يحيد به عن طريق الإسلام "[٢٤٣].

الشيعة والاخوان (١٩١٥ــ ١٩٣٠)

تأسست حركة الاخوان على يد الشيخ عبد الكريم المغربي الذي كان المعلم الاكبر لفالح باشا السعدون، شيخ المنتفق، وذلك قبل احتلال ابن سعود للاحساء، ولكنه بعد احتلالها

([242]) كشك ــ مصدر سابق/ ص ٢٤٦ــ ٢٤٧...وحين حصلت غروترديل على الرسالتين من ابن سعود وزعتهما على المختصين البريطانيين في ٢/٨/١٩١٧ ــ ١٥شوال ١٢٢٥هـ

([243])الاسلام والوثنية السعودية ــ فهد القحطاني / ص ٩٧ــ ٩٨وانظر كشك ــ مصدر سابق ــ ص ٢٨٩.

استرعت انتباهه فاحتواها واعطاها الشكل والمضمون الذي يناسب توجهاته واطماعه السياسية، وذلك في عام ١٩١٥.

ففي اواخر عام ١٩١٥ راع ابن سعود تضخم هذه الحركة مما وضعه امام حلين : اما ان يقضي عليها، او يصبح زعيما لها، وبالتالي تتاح له فرصة إستغلال حماسة اتباعها في تدعيم نفوذه في الجزيرة العربية وسواحل الخليج، وقد اختار ابن سعود الامر الثاني، رغم تحذيرات عبد الله بن جلوي حاكم الاحساء، الذي نصحه بالتخلي عن هذه الحركة التي سبَّبها بالنار تلتهم كل شيء امامها، وفي عام ١٩١٦ اصدر ابن سعود امره القاضي بانخراط جميع قبائل نجد في صفوف الحركة الجديدة، وان يدفعوا له الزكاة بصفته إمامهم الشرعي.[٢٤٤]

ومنذ احتواء هذه الحركة بدأ تلقيب ابن سعود بلقب الإمام، وانتهى بانتهائهم وانتفاء الحاجة إليهم.

ولقد اراد الحاكم السعودي من إحتواء هذه الحركة السيطرة على البدو وجعلهم قوة عسكرية ضاربة تلبي مطالبه التوسعية مع إعطائه غطاء دينيا، ذلك ان الحركة الاخوانية حملت صفتها الدينية..وفي خلال سنة واحدة وجد ابن سعود لديه جيشا كبيرا قويا متحمسا من رجاله يعتبرونه اداة الله المختارة، وجنودا يمكن ان يثق باستمرار ولائهم له، وتلبية ندائه كلما نادى للحرب، وقد جعلت طبيعة الاخوان القلقة وعدم تسامحهم الديني، توافين الى شن الحروب على الكفار "ولان الكافر في عيونهم، كان تقريبا كل من ليس من الاخوان، فان حركتهم اصبحت سلاحا في يد ابن سعود، يستطيع ان يشهره في وجوه اعدائه ".[٢٤٥]

واصبح واضحا ان كل منطقة يراد احتلالها، تتهم بالكفر والشرك والزندقة، ثم يأتي المطاوعة بالفتاوى الداعية للحرب و" الجهاد " الى ان تسقط تحت اقدام الغزاة، ويوضح امين الريحاني، استغلال ابن سعود للاخوان في سبيل اطماعه بالقول :" ان عنده لكل من الاخوان وظيفة ومقاما، :المعتدل للخدمة، والمتساهل للتجارة والسياسة، والمجنون للقتال "[٢٤٦].

على اية حال كان الملك بحاجة الى " مجانين " كثر، مشحونين بالعاطفة العمياء، والقسوة التي لا يحيط بها وصف..وقد تولى مشايخ ابن سعود ــ ووفق توجهاته وتوجيهاته ــ تقديم شحنات " التكفير والتفسيق " للمسلمين كمقدمة لقتلهم واستحلال دمهم ونهب ممتلكاتهم وطردهم من البلاد، وان كان عبد العزيز نفسه لا يؤمن باغلب افكار الاخوان.

---

(244) جمال زكريا قاسم، ج ٢، ص ٨٩.

(245) توحيد المملكة العربية السعودية، محمد المانع، ط ١ ١٤٠٤هـ ص ٧١ــ ١١٢.

(246) ملوك العرب، الجزء الثاني، امين الريحاني، ص ٥٧٢.

ويرى المعتمد السياسي في الكويت " ديكسون " ان ابن سعود ينتقي العلماء المتجولين في " هجر " الاخوان من الموالين له.."ومن التعاليم التي يرسخها هؤلاء العلماء في أذهان القبائل، ان الاخوان هم المسلمون الحقيقيون، وان بقية المسلمين كفرة وهراطقة "[٢٤٧].

واشار الريحاني الى افكار الاخوان وتكفيرهم هم لغيرهم، ولكنه تحاشى الاشارة الى دور الموجه "ابن سعود "..فقال :" وهم في غلوهم يعتقدون ان من كان خارجا عن مذهبهم ليس بمسلم، فيشيرون الى ذلك في سلامهم بعضهم الى بعض ــ السلام عليكم يالاخوان، حيا الله المسلمين ــ".

وكان محمد اسد في كتابه " الطريق الى مكة " صريحا الى حد ما حينما حمل ابن سعود ومشايخه هذا الغلو..فبعد ان يتحدث عن ان حماسة الإخوان وقوتهم الحربية اصبحت اداة فعلة في يد ابن سعود، يشير الى ان تمسكهم كان " تماسكا لا يعرف اللين او المهاودة...وكثيرا ما كان يستحوذ عليهم شعور مغالي فيه من التقى والورع الشخصيين..صحيح ان كثيرا من مفاهيمهم كانت بدائية، وان حماستهم الدينية كثيرا ما قاربت الغلو..ولكنهم لو اتيح لهم ارشاد وتعليم صحيحان، فان ورعهم الديني كان خليقا به ان يمكنهم من توسيع افقهم..الا ان ابن سعود بقى قانعا بتعريف الاخوان الى ابسط مبادئ الثقافة الدينية والدنيوية، الحق انه لم يعرفهم الى شيء من هذا الا بالمقدار الذي بدا ضروريا للحفاظ على حماستهم وغيرتهم. بكلمة أُخرى لم ير ابن سعود في حركة الإخوان الا وسيلة لبلوغه القوة واستتباب الحكم "[٢٤٨].

ما نريد ان نصل اليه هو ان ممارسات الاخوانن التي ترتبت على عقيدتهم وافكارهم، يعتبر ابن سعود مسؤولا عنها بشكل جلي، فنوعية الافكار والتوجيهات التي قدمت لهم، كانت تجري حسب اوامره بالدقة، وهنا فان محاولة الصاق اسباب تطرف الاخوان وغلوهم ــ خاصة بعد ان قضي عليهم ــ بالعلماء وحدهم هو امر خاطئ.لاننا رأينا ان الملك هو الذي يختارهم، وهو الذي يحدد التوجيهات، وقد قال مرة لديكسون، ان الاخوانية هي اصفى وانقى الديانات في العالم " [٢٤٩]!.

وبعد عشر سنوات من هذا القول رمي الإخوان بكل ما هو بغيض ومستنكر، وان كان اغلب ما قيل فيهم صحيح، والسبب انهم تحولوا الى قوة متمردة على الدولة، وهذا ادى الى تصفيتهم بشكل مريع..لقد اصبحوا بعد عشر سنوات، هم، الغلاة الجفاة الذين يكفرون الآخرين، والمتزمتين الجهلة الذين يحاربون العلوم والمخترعات الحديثة..ألخ.. "وكل هذا كان تبريرا لتصفيتهم بعد ان اسسوا الدولة السعودية الحالية.

---

(247) الكويت وجاراتها، هـ.ر.ب ديكسون، المعتمد البريطاني في الكويت.

(248) الاسلام والوثنية السعودية، ص٥٦ــ ٥٧.

(249) الاصلاح الاجتماعي.ص ١٥٤.

والان لننظر الى افكار الإخوان التي زرقهم اياها ابن سعود ومشايخه، والتي برأ الكتاب ابن سعود منها إن اهم فكرة حملها الاخوان بزعامة ابن سعود هي تكفير الاخرين،..وهذه الفكرة، ابتدعها الوهابيون في القرن الثامن عشر الميلادي..فمن ليس بوهابي يدخل في عداد المشركين الكافرين الواجب محاربتهم وقتلهم.

وافكار الاخوان في هذا المضمار وغيره، هي افكار الوهابية فالملك ابن سعود راى ان يكفر الذين يحملون اراء لا تتعارض مع الوهابية من ابناء القبائل البدوية حتى تستوطن في الهجر.. وشدد على ان من لا يستوطن فهو كافر..هذا التكفير هو من اجل دفع القبائل نحو الاستيطان، لضبطها والاستفادة منها كوقود للحرب.

اما تكفير ابناء الإسلام في البلدن الاخرى المحيطة بالجزيرة العربية، فهو من اجل اعطاء مشروعية للتوسع والاحتلال...وقد ادى هذا التكفير دوره، فاخضعت حائل والحجاز وعسير واجزاء من اليمن على يد الإخوان، الا ان الاخيرين ــ وحسب المفاهيم التي شبعوا بها ــ طالبوا باحتلال العراق والاردن واليمن والكويت، وهاجموها، لانها بلاد كفر يجب اخضاعها " لدين التوحيد " الذي لا يحده حدٌ، مما اضطر ابن سعود المحكوم بالمعادلات السياسية الدولية الى اخضاعهم وانهائهم من الوجود..وفيما بعد راحت الكتب السعودية تشهر بالإخوان، انهم يكفرون الأخرين!، التكفير لا يزال عقيدة رسمية للحكم السعودي، حتى الان، وان خفت بعض حدته...كما تناسوا ان آل سعود هم الذين اعلنوا هذا التكفير، وتأجيج مشاعر التعصب لتبرير احتلالاتهم.

وقد إستاء احد الكتاب، ورد بأن الاخوان يكفرون ــ فعلا ــ الاخرين، والا بأي مبرر قتل الناس واستحلت دماؤهم،...يقول كشك بصلافة :

(تعليمهم أن غير الإخوان كفرة؟!).

نعم!.

والا فبأي حق يستحل دمهم ومالهم، ويجندون لقتالهم؟!، وكيف يستشهد الاخ ــ مفرد اخوان ــ خيال التوحيد الا في قتال الكفرة والمشركين...هل لو علموهم أن غير الإخوان مسلمون، وهم يعرفون أن القاتل والمقتول في النار. وكن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل.. وكن في الفتنة كابن لبون، لا ضرعا فيحلب، ولا ظهرا فيركب.. اكان يقوم جيش الاخوان، او تتحرر وتقوم مملكة ؟...الم يتساءل الاخوان، إن كان اهل الكويت كفارا فلماذا لا تقاتلهم، وان كانوا مسلمين، فلماذا تقاطعهم ؟.[٢٥٠].

---

[250] جلال كشك، مصدر سابق، ص ٦٠٧.

لقد كان الاخوان يعتبرون العالم وسكانه فريقين: مؤمنين ـــ الاخوان ـــ، وكفارا ـــ سائر الناس ـــ، ويرون ان جميع الكفار يجب ان يعتنقوا الاسلام بحد السيف، وهذا التصور للعالم وسكانه خدم مقاصد ابن سعود من حيث تبرير وتوسيع سلطانه [٢٥١].

ان هذا تاكيد على ان دولة السعوديين لم تقم الا على تكفير المسلمين، وهذه هي عقيدتهم حتى اليوم، وكتبهم تطفح بذلك.. وحدث اثناء احتلال الطائف في السابع من صفر ١٣٤٣هـــ ـــ ١٩٢٤ م، ان اقام الاخوان مجزرة كبيرة قتل فيها النساء والاطفال [٢٥٢].ورجال الدين والاعيان، فبعد دخولهم مباشرة، يتحدث امين الريحاني، عن شهود عيان [٢٥٣] بالقول انهم: "طفقوا يطلقون بنادقهم في الاسواق وهم يطوفون المدينة..وراح العربان والاخوان يطرقون الابواب ويكسرونها فيدخلون البيوت ثم يعملون فيها ايدي السلب، وكانوا يقتلون في سبيل السلب..وقتل مفتي الشافعية الشيخ الزواوي وابناء الشيبي..اما الشيخ عبد القادر الشيبي، سادن الكعبة، فقد نجا من الاخوان بحيلة ظريفة..بكى عندما وقع في ايديهم، فساله احدهم وقد استل السيف فوق راسه، وليش تبتسي " تبكي " يا تسافر " يا كافر "؟. فاجابه الشيخ : ابكي والله من شدة الفرح، ابكي يا اخوان لانني قضيت حياتي كلها في الشرك والكفر، ولم يشأ الله ان اموت الا مؤمنا موحدا.. الله اكبر! لا اله الا الله، وقد اثر هذا الكلام في الاخوان، فبكوا لبكاء الشيخ، ثم طفقوا يقبلونه ويهنئونه بالإسلام ". ولذا يقول الريحاني ان ما يسمعه في الحجاز ـــ قبل احتلاله ـــ وفي العراق والشام ومصر عن الاخوان وابن سعود هو: " ابن سعود بدوي جاهل، ابن سعود جلف، لا قلب له ولا دين له، هو من الخوارج، بل من الذين يخدعون وينافقون، باسم الدين، والاخوان رجاله ذئاب تعصب ضارية، يذبحون ويحمدون الله، يسلبون وينهبون ويكفرون من لا يقتدى بهم، يشنعون بالقتلى في الحرب، ويرتكبون من الفضائع ما تقشعر منه الابدان...ان دعوة ابن سعود مذهبية، لذلك لا تنجح خارج نجد)..اما ما تقوله دار الوكالة البريطانية في بغداد عن الحاكم السعودي فهو " ابن سعود رجل كبير، هو نابغة بلاده، هو السياسي المحنك والقائد الباسل، والحاكم العادل) [٢٥٤]!!.

---

[251] الدين والدولة في المملكة العربية السعودية، ايمن الياسيني، ص ٦٢

[252] ذكر ديكسون في كتابه عرب الصحراء، أنه (لم تعامل المرأة طيلة التاريخ العربي، إلاّ لفترات قصيرة، خلافا لقواعد الشهامة، والاحترام،)،ثم يتحدث عما فعله الاخوان إلى أن يقول (ووصلوا إلى ذروة قوتهم، واخذوا يغيرون على العراق والكويت وقبائل شرق الأردن، ويذبحون الفئات المتفرقة من عشائر المنتفق ورعاة الخزاعل في الصحراء الجنوبية للعراق، وكان الاخوان يذبحون في هجماتهم بلا رحمة أو شفقة الاعداد الكثيرة من النسوة والاطفال، وقد يقال تخفيفا عن جرائمهم: أن معظم النسوة والاطفال، كانو يقتلون عندما يطلق الاخوان اول رصاصهم على المضارب، تمهيدا للهجوم عليها، كما كانت عادتهم بالسيوف والخناجر) . انظر جي. بي. كيلي، مصدر سابق ص ١٧٨ .

[253] الريحاني، مصدر سابق، ص ٢٢٢.

[254] ملوك العرب، الريحاني ص ٥١١.

وهنا تبدو المقارنة مهمة بين هذه القسوة التي نقرأ عنها، وبين موقف الوهابيين ــ وبالخصوص ال سعود ــ من المسلمين، وبين موقفهم من المسيحيين الكفار.. فقد سجل والين منذ اكثر من قرن دهشته ،ودهشتنا معه !!ــ من تسامح الوهابيين مع المسيحيين، وتشددهم مع المسلمين المخالفين لاجتهاداتهم.. وعاد فيلبي فسجل نفس الظاهرة على لسان ابن سعود في الحوار الذي اجراه معه في صيف ١٩١٨ فقد قال ابن سعود لفيلبي :" اذا قدمت انت الانجليزي ابنتك لي كزوجة، سأتزوجها..ولكني لا اتزوج ابنة الشريف، ولا بنات اهل مكة، ولا غيرهم من المسلمين الذين نعتبرهم مشركين، وآكل اللحم الذي ذبحه المسيحيون دون تردد، ولكن المشرك الذي يعبد مع الله إلها آخر فهذا هو ما نبغضه [٢٥٥].

انظر هذه الصفاقة، وهذه العقلية المتزمّتة والمتحجرة التي طبقوها بحرفيتها على المسلمين جميعا، وشددوها على الشيعة بوجه خاص، ثم راجع التبريرات التي تستثني ابن سعود من الغلو والتطرف وحصرها بالاخوان والمشايخ الذين لقنوهم ذلك فحسب.

فهذا حافظ وهبة، مستشار الملك ابن سعود، واول سفير له في لندن، يصف الاخوان بـ " سيوف الإسلام " أثناء إحتلال الحجاز واقامة مجازر الطائف وتربة [٢٥٦]، يعود فينتجهم على مبادئ الاخوان " الوهابية " ويصفهم بالتالي :" لقد نال بعضهم ــ الاخوان ــ من الامام عبد

---

[255] جلال كشك، مصدر سابق، ص ٦٠٨، تجدر الاشارة إلى أنه في مطلع عام ١٤٠٩هـ عممت وزارة البلديات والشؤون القروية السعودية قرارا على المسالخ في المنطقة الشرقية من البلاد، فتوى الشيخ إبن باز القاضية بمنع الشيعة من الذبح واخراج العاملين من المسالخ، وقد نفذت هذه الفتوى في الحال، وكتب أعيان الشيعة عدة رسائل شكوى إلى الملك فهد، تستغرب هذه العقلية الساذجة التي تبيح اكل اللحوم المستوردة من بلاد الكفار، بينما تحرم ذبيحة المسلم الشيعي الذي يقر بالشهادتين.

[256] ينقل الريحاني وصفا لمذبحة تربة التي وقعت في ليلة ٢٥شعبان ١٢٢٥هـ في كتابه نجد وملحقاتها ص ٢٥٦نقلا عن شاهد عيان هو الشريف عودة بن هاشم الذي قال : (رأيت الدم في تربة يجري كالنهر بين النخيل، وبقيت سنتين عندما أرى الماء الجارية اظنها والله حمراء، ورأيت القتلى في الحصن متراكمة قبل أن اقع من الشباك).ووصف احد السعوديين المجزرة بقوله :(بعد ساعات من السير نزلت وادي تربة.. وهناك فوجئت بالمشهد الذي لم تمحه من ذاكرتي عشرات السنين، ..لم اكن قبل تلك اللحظة قد رأيت جثة قتيل، فاذا بي امام الوادي وكأنما بحثت بجثث القتلى متناثرة بين شجر العشر الذي يملأ الوادي والدماء متجمدة حولها، ولم يكن هناك جذع شجرة إلاّ وبجانبه جثة أو جثتان!!.. وكلما توغلت في الوادي ازدادت اعداد الجثث، وقد بدأ السواد يغطي جلدها من حرارة الشمس.

وواصلت السير، وقد تملكتني الرغبة في الهروب من المكان!!.. ولكن إلى أين ؟..وجاء الفرج..شاهدت قافلة من بضعة عشر جملا، ما أن شاهدتها حتى اسرعت اعدو وكأنني اطير حتى لحقت بها، وكادت كل جمالها مردوفة عدا واحدا، ورغم أني لم أكن في حياتي ــ حتى تلك السن، قد علوت جملا إلاّ بمساعدة رجل أو حبل، إلاّ أني في تلك اللحظة استطعت أن اعتلي الجمل في لمح البصر بدون مساعدة، ونظر إليّ صاحبه نظرة حانية مهدئا من روعي.

ورحت وقد استويت فوق ظهر الجمل انطلع لارى المزيد من الجثث في كل مكان.

وعندما وصلت القافلة إلى معسكر تربة وجدناه مليئا بالجثث المكدسة بعضها فوق بعض، كما وجدنا جثثا أخرى فوق أسرتها لم يستطع أصحابها مغادرتها عندما فوجئوا بالهجوم، واخرى شاهدناها حول المدافع التي لم يستطع اصحابها اطلاقها، وبعد أيام قليلة انتقل عبد العزيز السعود إلى تربة وكان لابد أن يقوم الرجال بحفر حفر كبيرة لدفن بعض الجثث لاخلاء مكان لنصب الخيام ومنعا للروائح الكريهة المنبعثة من الجثث المهترئة المتعفنة "..انظر كتاب أسود ال سعود، ابراهيم عبد الرحمن ال خميس، ص ١٤٩ــ ١٥٠.

العزيز، فرموه بموالاة الكفار والتساهل في الدين، وانكروا عليه تطويل الثوب والشارب ولبس العقال، الى غير ذلك من ضروب الجهالة، وان سريان هذه الروح المتمردة يرجع الى هؤلاء الجهلة، انصاف المتعلمين الذين انتشروا في قرى الاخوان باسم العلم، ولقنوهم هذه التعاليم، وحببوا اليهم التعصب الذميم [٢٥٧].

وبين ٢٩ يناير ١٩٢٠ والعشرين من فبراير من نفس العام، كان الميجور ديكسون، المعتمد السياسي البريطاني في البحرين، ثم في الكويت، في زيارة للاحساء، وقدم دراستين رائعتين عن حركة الاخوان ــ عن قرب ــ، اعتمد فيهما على المقابلات العديدة مع البدو وبعض الاخوان، وعلى العديد من الشخصيات السياسية والتجارية السنية، مثل.. عبد العزيز القصيبي، فهد البسام، سليمان الحواس، وابراهيم بن جمعة، الذي يعمل خادما شخصيا لابن سعود، (ورجاله المعتمد.. وأيضاً افراد الحرس الشخصي الذين وضعهم ابن سعود) تحت تصرف ديكسون، ومحمد افندي، وهو كردي، كان مسؤولا في العهد التركي، ثم اصبح مسؤولا في خزينة ابن جلوي في الاحساء، وادعى انه اعتنق الاخوانية "وقد استطعت ان اقدم له خدمة كبيرة، وزارني خمس مرات على الاقل بعد حلول الظلام، وكان افضل مخبر لي) كما يقول ديكسون [٢٥٨]!.

وأشار ديكسون الى ان الاخوان يتألفون بصورة رئيسية من الطبقات الجاهلة من قبائل البدو، وان ابناء المدن النجدية، وهم وهابيون، لا يوافقون على بعض عقائد الاخوان، خاصة في فترات تعصبها ومراحل عدم التسامح في تاريخها، الا انهم يعتبرونها هبة من الله.

ويرى ديكسون ان التعصب خفت حدته " صحيح ان الحركة الاصلية اخذت شكلا بالغ التعصب..ولكنها في ظل توجيه ابن سعود فقدت معظم تعصبها الاعمى..بينما لم تكن افكارهم في الماضي تتجه إلاّ الى تغيير معتقدات الناس بالقوة، والتدخل في حياة الاخرين).

ان التعصب نسبي، والحقيقة، فان تطرف الحركة لم ينته الا بزوالها، وان ابن سعود كان دائما يظهر بمظهر المعتدل المنفتح امام الزوار الاجانب..وهو، وإن خضع لمعتقدات الاخوان ظاهريا، وهم وإن كانوا قد انكروا عليه بعض الممارسات بين الحين والآخر، فإن خضوعه لها يرجع إلى ان الافكار السيئة هذه لا تحد من سلطاته السياسية، وحينما وصلوا الى الخط الاحمر، قصّهم إبن سعود ــ كما يسخر جلال كشك ــ.

اما افكار الاخوان، فيلخصها ديكسون بالتالي :

---

[257] حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين.

[258] انظر الوثيقة (E 6289/9/44) صادرة في ١١يونيو ١٩٢٠، ومرسلة من وزارة شؤون الهند إلى وزارة الخارجية بلندن، أعد الدراسة ــ الوثيقة، الميجور ديكسون اثناء زيارته للاحساء في الفترة ما بين ٢٩ يناير و ٢٠فبراير من عام ١٩٢٠.

١ــ تدخين التبغ خطيئة مميتة، واذا رأى الاخ شخصاً يدخن، فانه يعتدي عليه بالضرب، وربما قتله.

٢ــ يجب ان تكون المنازل من طابق واحد!.

٣ــ يجب ان يحافظ على بساطة العيش واللباس.

٤ــ يجب ارتداء عمامة بيضاء بدل العقال كعلامة على انك من الاخوان، " وكل اتباع الامام الذين رايتهم مؤخرا في الاحساء كانوا يرتدون العمامة البيضاء.اما الامام نفسه وحرسه الشخصي من العبيد فيرتدون العقال، وكذلك يفعل عسكر حامية الاحساء، مع ان هؤلاء إعترفوا لي حين سألتهم انهم جميعا من الاخوان الصادقين ".

٥ــ لا يرد السلام والتحية الا لاخ آخر :" وكان هذا واضحا جليا في الاحساء، فقد كان مرافقيُ من المسلمين السنة البحرانيين يلقون التحية والسلام بانتظام على أي اخ يقابلونه في الشوراع، ولكني لم الحظ إلاً مرة واحدة ردا بــ " وعليكم السلام " وفي العادة كانت التحية تتجاهل تماما".

٦ــ اذا التقى كافر او مشرك ــ حسب تصنيفهم ــ بجماعة من الاخوان في الشارع، فان الاخيرين يغطون وجوهم بايديهم، بدل ان يفسدهم ويلوثهم المشهد، "وقد حدث هذا لي في العديد من المناسبات في الهفوف، وحتى داخل منزل الامام نفسه، ومن قبل افراد حرسه الشخصي، وكان هذا اكثر من باعث على الدهشة، لان الإمام نفسه كان دائما بالغ الود واللطف، وكان يرد على تحيتي امام جميع الناس ". " وفي كل مرة ادخل فيها مجلسا كان فيه اخوان، كان هؤلاء يغادرون الغرفة فورا وعلى شكل جماعة، ان التعصب الاعمى لا يزال ظاهرة طاغية بين بعض الاخوان، ولو لا نفوذ الإمام الذي كان يحميني، لكنت عانيت من اوقات عصيبة وانا في الاحساء، وكم من مرة، حينما كنت امر بقرب اخ كنت اسمعه يهمهم ويدمدم في سره ــ لا حول ولا قوة الا بالله ــ...".

٧ــ يعتبر الاخوان الوهابيون، اقامة القبور والاضرحة على قبور الموتى حرام ومنكر يجب ازالته، كما ان تقديم النذور، كما يمارسه الشيعة وبعض السنة حرام وخطيئة لا تغفر.

٨ــ لا يجوز التوسل والاستشفاع بالنبي وآله وصحابته، كأن يذكر مثلا اسم الحسن والحسين.. ويعتبر مرتكبه مشركا كافرا، تحل امواله ودمه " حياته " ونساؤه مباحة " أي يستحل عرضه "، ويقع الشيعة ضمن هذا التصنيف، كما يقول المعتمد البريطاني [٢٥٩] .

وبالطبع تزايدت مع الزمان فورات التعصب في آراء الوهابيين، وفي شتى المجالات، فسرعان ما حرموا التصوير بكافة اشكاله، وحرموا استخدام السيارات والتلفونات والدراجات

---

[259] الوثيقة السابقة.

التي اعتبروها "حصان ابليس!". وافتى ابن باز في وقت متأخر بكفر من قال بكروية الارض وغير ذلك كثير.

والذي يدرس آراء الوهابيين اليوم سيكتشف بسهولة ان ما ذكر من افكار خاصة بالاخوان لا تعدو افكار المذهب الوهابي، إذ ليس للاخوان افكار خاصة بهم، وإنما هي افكار الوهابيين وآرائهم المتشنجة، ولئن اخذ على الاخوان في كونهم اداة متربصة لاجبار الناس على اعتناق عقائدهم بالقوة، فقد اوجد آل سعود اداة اخرى موازية قبل فناء الاخوان، وهي هيئة الامر بالمعرف والنهي عن المنكر، سيئة الصيت، والتي تطارد المواطنين في الشوارع بالعصي للأدء الصلوات وغلق المحلات، وقص شعر من اطال شعره، وما أشبه.

ولئن كان الوهابيون ــ الاخوان، بفكرهم المتزمت هذا قد كفروا كل المسلمين، فإن خصومتهم مع الشيعة داخل البلاد اشد واقسى واعنف..ولقد عاش الشيعة اعواما مضنية اليمة، خاصة اثناء لمعان نجم، الاخوان، جيش ابن سعود. إن ما راه الاخوان ضد الشيعة، يعتقد به الوهابيون ومشايخهم اليوم، كما يعتقد به آل سعود انفسهم، وإن كان الاخيرون يغلبون المصلحة السياسية على المعتقد في غالب الاحيان. يوم جاء ابن سعود واحتل الاحساء والقطيف، لم يطلب شيئا من الشيعة، لان اهم ما كان يريده هو اقتصاد المنطقة وثروتها، وكان علماء الشيعة هم الذين قدموا طلباتهم، فجرت العهود التي وقعها إبن سعود نفسه، وهي تنص على ان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وان ينشر العدل والاستقرار، وأن يرسي اسس الامن المفقود، وأن لا يتدخل في شؤون الشيعة العقائدية، وأن لا يجبرهم على اعتناق ما لا يعتقدون به، ويتيح لهم حرياتهم في اداء شعائر الدين، وفق اجتهاداتهم، وكل ذلك مقابل الامتثال والطاعة له. في هذه الاثناء ظهر الاخوان، واضطر الحاكم السعودي الى مسايرتهم، فطلب من الشيعة، كما غيرهم، ان يدخلوا في سلك الوهابية، بمعناها الاخواني، واعلان كفر من ليس بأخ، وأنه يحل ماله ودمه وعرضه،...كان ذلك سنة ١٩١٦.

ورغم ما يقال ان اشد الناس على الاخوان، كان عبد الله بن جلوي، حاكم الاحساء، الذي نصح ابن عمه الملك بأن لا يتبنى حركتهم..فإن الاخوان كانوا يمارسون اعتداءاتهم على الشيعة ويقتلونهم في بيوتهم، وفي الاسواق العامة دونما سبب، اللهم الا تدخين سيجارة!!.

يقول حافظ وهبة، انه سمع عبد الله بن جلوي "يقرٌع رؤساء بني خالد وال مرة والعجمان على شدتهم وغلوهم، ويقول : ان حالتهم الاولى على ما فيها من شرور، خير من حالتهم هذه، وأن الدين ليس في العمائم "[٢٦٠].

(260) حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين.

ولا ينكر إلاّ مكابر ان ابن سعود، وابن جلوي، سمحا للاخوان بأن يضغطوا على الشيعة بقسوة بالغة، مراضاة لهم، واعترافا بموقعهم المتميز في الدولة،

"ومن الثابت – كما يقول ديكسون – ان حركة الاخوان حين ظهرت لأول مرة في شوارع الهفوف، عاصمة الاحساء، اعتدى افرادها وجلدوا كل امرأة وجدوها في الشارع، واطلقوا النار على العديد من المواطنين الشيعة واردوهم قتلى، دون أي خوف او وجل، ولم يكن ذنب هؤلاء سوى انهم شوهدوا يدخنون السجائر "[٢٦١].

وعلى ذكر التدخين، فإن الوهابيين لا يزالون يرون انه يحرم تعاطيه، ولهم الحق في ان يعتقدوا ما يرونه صحيحا..ولهم الحق بان لا يروا رأي الغالبية من المسلمين التي ترى كراهيته لضرره..لكن ليس لهم الحق أبدا ان يبيحوا دماء المسلمين في امر تافه كهذا، خصوصا ان وجهات النظر الدينية تختلف بشأنه.

على ان من الغريب ان المقربين من ابن سعود يدخنون، دون ان يمنعهم الملك من ذلك، فهذا مترجمه النجدي يقول : " كان من الصعب جدا على قادم جديد مثلي ان يبقى بعيدا عن المشاكل.. ولسوء حظي كنت ادخن كثيرا، وكانت رؤية الاخوان لسيجارة في يد إنسان تعني جلده على الاقل، وكانت السجائر في جدة تباع في السوق السوداء، وبقليل من الحذر استطعت ان انغمس في رذيلتي..الخ [٢٦٢].

وينتقل ديكسون في كتابه " الكويت وجارانها " التالي: " إن احداً من الذين عرفوا إبن سعود لا يستطيع ان يتهمه شخصيا بالتعصب الوهابي، او بالهيجان والاندفاع الديني الاعمى، الذي كان يحقن به اتباعه من الاخوان، فقد كان في المناسبات – وحسب ما يلائم اغراضه – يتظاهر امام اتباعه بأن له نفس نظرتهم.

فعندما يجتمع بشيوخ القبائل في كل المناسبات، وحتى في حضوري، كان ابن سعود يندد بالاجانب ويتكلم ضدهم، ومثلا على ذلك قال مرة: إن المساعدة الشهرية ومقدارها ٧٥ الف روبية، التي كانت تقدمها له الحكومة البريطانية، والتي حملت قسطا منها اليه اثناء زيارتي، هي جزية كان يدفعها المسيحيون الى قادة الاسلام الاوائل، بدلا من الخدمة العسكرية"... (وحذرني في المجلس ان التبغ حرام وخطيئة مميتة.وان من يدخنه في نجد يكون قد خرق القانون، وبذلك يعرض نفسه للاذى، ومع ذلك ارسل إليّ ابن سعود الموقر – بعد حلول الظلام – علبتين من افخر السجائر المصرية بيد الدكتور عبد الله الدملوجي، طالبا مني ان ادخنها في غرفتي". [٢٦٣]

---

[261] الوثيقة السابقة.

[262] محمد الامالح، مصدر سابق، ص ١٢٥.

[263] الاسلام والوثنية السعودية، ص ٥٥.

ويصف الريحاني الحالة في بلاد ابن سعود والحساسية تجاه التدخين بقوله "التدخين ممنوع في نجد، بل في ملك ابن سعود كله، ولا احد يدخن علنا في الاسواق، لا في الحسا، ولا في العارض، ولا في القصيم،...ولكنهم في الحسا وفي القصيم يدخنون في بيوتهم، والمشايخ يتساهلون احيانا، وقد رأيت في الرياض من يدخن سراً وحتى في اقرب الناس الى السلطان، ذلك لانهم لا يرون في الدخان ما يراه المتعصبون من العلماء ".

" وفي الرياض حي يسكنه العلماء، وللعلماء حاسة شم تخترق الجدران فتعرف ما وراءها من دخان، وتميز بين الحلال منه والحرام.لذلك لا يجرؤ احد في ذلك الحي ان يشعل سيكارة، لا سرا ولا في غرفة مظلمة تحت الارض، وإذا خاطر بنفسه واستهتر، فاكتشف امره يحاكم امام الشيخ، وعند اثبات الجرم يبسط في الحال لا محاله، فــ " يطقُه " ــ يجلده ــ العبيد بين ٤٠الى ٨٠ جلدة حسب خطورة الذنب فيه "[٢٦٤].

والدخان حرام تدخينه، ولكن الغريب ان بيعه حلال!. وأكثر من هذا ان الضرائب المحرمة في الشرع اساسا تعتبر حلالا بالنسبة للدخان وغيره.

فبعد إحتلال جدة في مطلع ١٩٢٦، اصدر خالد بن لؤي، احد قيادات الجيش السعودي المحتل، امرا بحرق الدخان الموجود في مخازن جدة، ولكن التجار شكوه للملك وابلغوه بان قيمة الدخان المراد حرقه تقدر بمائة الف جنيه، فاستعظم الملك المبلغ، وهو الذي يطالب بإعادة الراتب البريطاني الذي قطع عام ١٩٢٤ والبالغ خمسة آلاف جنيه شهريا، وهو الذي اعطى امتياز نفط البلاد كلها بالفي جنيه ــ كما يقول كشك ــ فسمح لهم ببيعه، بعد ان اوضحوا له ما سيجنيه من ضرائب، وبيعه يعني تدخينه "فلما لان الجو تشجع التجار فتحدثوا عن إيرادات الحكومة من الدخان والضرائب المستحقة لحكومة الملك علي، والتي اصبحت الآن من حق الإمام! ".وبينوا له انها تشكل موردا اساسيا من موارد الدولة " لذلك افتى بعضهم ــ بعض الوهابيين ــ بأن الدخان مكروه وليس من الكبائر " ويعلق فاسيلييف على الامر "وسمح مرة ثانية باستيراده، ولكن استمر إيقاع العقوبة بالمدخنين "[٢٦٥].

في حين علق آخر ساخرا: " شرب الدخان في جدة لتمويل الهجر في نجد...او لدعم ميزانية الدولة التي بناها راعي البعير ــ نوار ــ الذي كان كلما رأى الدخان في يد مشرك..تلا: قل اعوذ برب الفلق "[٢٦٦].

غير ان الاخوان سارعوا الى اجبار الشيعة بالقوة على اعتناق المذهب الوهابي، وكان الاخوان ــ كالوهابيين في القديم والحديث ــ يكنون كرها شديدا للشيعة عموما، خاصة في

---

(264) ملوك العرب، ص ٥٦٦ــ ٥٦٧.

(265) فاسيلييف، مصدر سابق، ص ٢٠٠.

(266) جلال كشك، مصدر سابق، ص ٦٢٤.

الاحساء التي يعتبرونها مركزا للاتراك والعجمان ــ الذين حاربوا افكارهم ــ وظلوا متمردين عليها، ولان سكان الاقليم الحضر غالبيتهم من الشيعة، الذين اعتبرهم الاخوان من الكفرة، ولذا فان عليهم ان يبايعوا من جديد على دين الإسلام، أي ان يجددوا إسلامهم، وأن يمنعوا من ممارسة شعائرهم الدينية في المساجد والحسينيات، بل ويجب إجبارهم على الصلاة في مساجد السنة خلف ائمة لا يثقون بعدالتهم، وهو شرط ضروري لصحة الصلاة عند الشيعة، كما منع الشيعة من التدخين حتى في بيوتهم، وقتل منهم الكثير [٢٦٧].

في العشر سنوات التي تلت احتلال الاحساء من قبل السعوديين، ادخل السعوديون الوهابية إليها، وحاولوا إجبار السكان الشيعة والسنة على اعتناقها، وكانت للاخوان اليد العليا فيها، وقد حرموا على الشيعة ممارسة عبادتهم الدينية، ومن إقامة الاجتماعات، وتشير بعض المصادر المحلية والاجنبية الى ان عددا من الذين استمروا في الاجتماع في حسينياتهم قتلوا، وحتى التدخين، بصفة شخصية في المنازل كان ممنوعا.. لقد اخذ الاخوان القانون بيدهم..وعاقبوا من رأوه مذنبا سواء من الرجال ام النساء [٢٦٨].

ويبرر ابن سعود لديكسون ممارسات الاخوان بانه " لم يكن يرضى بهذه الاعمال ابدا منذ البداية، ولكنه لم يكن قادراً على إيقاف الاخوان عند حدهم حتى نهاية عام ١٩١٩..اما اليوم، "١٩٢٠ " فكل إجبار على الاعتناق بالاكراه، وكل محاولة لنشر الوهابية بحد السيف قد تم التخلي عنها تماما..وأخبرني ابن سعود ــ الحديث لديكسون ــ انه اضطر لتنفيذ حكم الاعدام بعدد من الاخوان لعصيانهم اوامره بهذا الخصوص، وقال: إن الاخوان هم اليوم افضل واسلس انقيادا‌ا مما كانوا عليه قبل عامين " ١٩١٨" بمقدار ٩٠%..ويقول إبن سعود ان شعبه النجدي يعتنق اصفى وانقى اشكال الدين في عالم اليوم، وكل ما في الامر ان الذين انصاعت افئدتهم لهذا الدين هم اكثر البشر جهلا ووحشية "[٢٦٩].

إن هذا التبرير غير واقعي، فقد اجبر الوهابيون اهالي حائل وعسير والجنوب بأكمله ثم الحجاز "بين عامي ١٩٢٢ــ ١٩٢٦" على الخضوع للمذهب الوهابي وبحد السيف ايضا، واذا تنصل من اعمالهم قبل عام ١٩٢٠، فسنراه فيما بعد يطلب الشيعة ان يجددوا اسلامهم مرة ثانية، وان يدفع بابن جلوي لاجبار الشيعة وعلمائهم على الخضوع للتعاليم الوهابية.

وفي حين إعترف ديكسون في تقريره المؤرخ في يونيو ١٩٢٠ "بانه يحرم على السكان الشيعة ان يدخنوا حتى داخل منازلهم، او ان يتلوا الذكر في الحسينيات، وأن من يخالف هذه

---

[267] الاصلاح الاجتماعي، ص ١٥٥.

[268] Shi`ism and Social Protest
,Edited by Juan R.I ,Cole &Niki R.Keddie
Yale University Press 1986,P233.234

[269] الوثيقة السابقة، (E6289)

الاحكام يستتبعه عقوبة قاسية "...ورغم انه يعترف " بأن العديد من الشيعة اغتيلوا من قبل الإخوان "...إلاّ انه مع هذا يزعم بان " الاحوال تغيرت الآن، وصار الشيعة يتمتعون بحرية وحماية كاملة، شريطة التزامهم بأحكام تحريم الدخان "...ويبالغ ايضا في مزاعمه حين يقول: "إن حال الشيعة افضل بكثير مما كان عليه الحال تحت حكم الاتراك [٢٧٠]، لأنهم اليوم يتمتعون بالحماية من إعتداء البدو عليهم، بينما في عهد الاتراك لم يكن الشيعة يستطيعون ان يسموا حيانهم ملكا لهم، وأقل من ذلك بكثير املاكهم "[٢٧١].

ولا بد ان ديكسون راجع افكاره ومواقفه، فبعد اشهر قلائل من زيارته للاحساء في المرة الاولى، كتب في شهر يوليو ١٩٢٠ تقييما للاوضاع في نجد والاحساء، وبعث به الى المقيمية في بوشهر، والى حكومة الهند، جاء فيه(ان تقريرا وصل الى الكويت مؤخرا، يقول: إن الاحساء تعيش حالة من الثورة والتململ وانها تستعد للثورة على إبن سعود ". ثم ينفي صحة الخبر، او على الاقل ــ قدرة الاهالي ــ على الثورة يومئذ، فيقول: " إن حاكم الاحساء، عبد الله بن جلوي مستمر في ممارسة حكم تعسفي، وهو بهذا يدير الامور بشكل حسن !!..ربما يكون منشأ الخبر هو امر ابن جلوي بان يجلد احد اهالي الهفوف من الشيعة، بالضرب حتى الموت، لانه سبب ابن سعود والإخوان وعقيدة الإخوان علنا ". ولكي يخفف ديكسون من وقع هذه الحادثة يأتي بحادثة اخرى للمقارنة مع فارق كبير في نوعيتها، فيضيف: " في نفس الوقت ــ ومن باب الانصاف لابن جلوي ــ، فاننا نذكر انه خلال نفس الاسبوع امر بقتل احد الاخوان بنفس الطريقة لانه ضبط وهو يحاول الاعتداء على امرأة متزوجة)!.

ويتابع: " في القطيف، ونتيجة لتصرف بعض الاخوان الذين طالبوا بان يتوقف الشيعة عن قراءاتهم في الحسينيات، هناك غضب واستياء عظيم، وغليان ضد الاخوان، وقد عاد الامير عبد الرحمن بن سويلم، ــ امير القطيف ــ من الرياض ويمكن الوثوق من ان ساعده القوية ستبقى على الامور هادئة ".

وكان الشيعة في القطيف، بوجه خاص، قد اعتادوا الاحتجاج لدى السلطات المحلية ضد افعال الاخوان، والممارسة الظالمة التي يقوم بها موظفوا الدولة الطائفيون، ولمّا لم تنفع هذه الشكاوى في تخفيف غلواء الاعتداءات، شكلوا الوفود الى الرياض لملاقاة الملك والاحتجاج لديه، باعتبار ان السلطات المحلية اصبحت طرفا في القضية، وليست حكما فيها، لكن الملك ايضا، لم يول الامر اهمية، وكان في تلك السنين الخوالي يحاول ارضاء الاخوان، فتحرك الشيعة للشكاية والاحتجاج عند المعتمد السياسي البريطاني في البحرين، باعتبار ان بريطانيا

---

[270] راجع فصل العهد التركي، للتعرف على حقيقة الاوضاع يومئذ

[271] الوثيقة السابقة

حليفة وصديقة للحكم السعودي، وهناك وجدوا ان الانجليز ليست لهم الحماسة ولا القناعة في التدخل من اجل صيانة حقوق الشيعة، او التخفيف من الضغط الممارس بحقهم، فما زال الحقد الانجليزي على شيعة العراق قائما ومعروفا حيث الثورة الإسلامية التي قادها المراجع ضدهم "ثورة العشرين "، كما ان الكثير من المشاكل واجهوها من شيعة البحرين، غالبية السكان، الذين كانوا يعانون من اضطهاد طائفي مماثل بتشجيع من الحكومة البريطانية مباشرة.

وهكذا وبدافع الحقد ضد الشيعة، وبدافع مصلحتهم ومصلحة حلفائهم السعوديين، رأى الانجليز فرصتهم للتشفي من الشيعة بشكل عام، ويضاف الى هذا لم يكن البريطانيون على استعداد للدفاع عن " الضحية " فالضحايا لا يثيرون في الغالب وفي اقصى الحدود، سوى الشفقة، وليس اكثر، فضلا عن ان الحكومة البريطانية لم ترد ان تتدخل في قضية تؤثر على علاقاتها، ولو بنسبة ضئيلة مع الحاكم السعودي، دون ان تحقق لها فائدة ما، او تدفع عنها ضررا ما.

لذا يوضح ديكسون موقف بلاده من شكاوى الشيعة بعد ان يستعرض ما ذكرناه آنفا بقوله :" من الممكن ان يحاول شيعة القطيف، وهم المعتادون على الايذاء والازعاج، تقديم مذكرة الى هذه المعتمدية ـــ المعتمدية السياسية البريطانية في البحرين ـــ توضح هذه المظالم التي لحقت بهم، وانني آمل الا يفعلوا! "(٢٧٢).

ومن الثابت ان افعال الاخوان ادت الى تململ واسع بين السكان في الداخل، ليس في صفوف الشيعة فحسب ـــ بل في الحجاز وعسير ايضا، هذا إضافة إلى ردود الفعل الإسلامية القوية في الخارج، خاصة من مسلمي الهند ومصر والعراق وإيران..فقد كان تمادي الاخوان في الحجاز ـــ على سبيل المثال ـــ في معاقبة السكان واجبارهم على الخضوع لمعتقداتهم شديدا، نتج عنه تأسيس معارضة وحزب شارك فيه الوجهاء قبل ان يقضى عليه ويسجن زعماؤه بعيد إنهاء ثورة الاخوان، وادى كل هذا الى إيجاد بلبلة إدراية في الاقليم (٢٧٣).

وتعدى نشاط الاخوان هذه الحدود، فحاولوا قتل ثلاثة قناصل مسلمين في جدة " القنصل الروسي، والايراني والاندونيسي، ثم هاجموا المحمل المصري، وادى الى مقتل عدد من الاشخاص، وزاد السعوديون بان افسحوا المجال لثائرة الاخوان وتعصبهم، بان تدمر تراث المسلمين الجامع، فهدموا قبور ائمة اهل البيت وصحابة الرسول وزوجاته واولاده واعمامه والكثير من التابعين، ووصل الامر الى محاولة هدم قبر الرسول عليه السلام، اسوة بما هدموه من مساجد وبيوت الهاشميين في المدينة، لولا ضجة العالم الإسلامي في مصر وإيران والهند،

---

(272) المصدر السابق.

(273) الاصلاح الاجتماعي، ص ١٥٥

ويرى لورنس ان الاخوان لو تركوا الى اقصى الحد " لدمروا كل ما اقامه الفن العربي في الجزيرة العربية ولأ شعلوا النار والدماء فيها "[٢٧٤]...والحقيقة فإنهم فعلوا ذلك، فلم يبق الا القليل من التراث الإسلامي الجامع، اما الدماء فسالت اودية باعتراف الكتاب السعوديين انفسهم!!.

غير ان هناك من يحاول ان يبرر قسوة الاخوان، التي تذمر منها حتى حضر نجد، وهم وهابيون، بانها " الوسيلة الوحيدة لحفظ الامن ".ومع ذلك " فابن جلوي حمى الشيعة من قسوة الاخوان، بالقسوة في الاجراءات ضدهم، حتى سمي جبار ال سعود "[٢٧٥].وهذا قول متساهل حيث اصبح الامن والحفاظ عليه شمّاعة تعلق عليها اردية الاستبداد والديكتاتورية.

ليس هناك من ادلة تثبت ان ابن جلوي او ابن سويلم، عامل الاخوان بالقسوة نفسها، وهو إنما سُمي" جبار آل سعود، " فلقسوته على اصحاب الجرائم الجنائية ــ وهم من غير الشيعة ــ حتى اصبح اسطورة في حياته، حيث انام الرأفة، وايقظ العقاب، يهيئ النطع قبل صدور احكامه، وتقوم الشبهة عنده مقام اليقين، حتى باتت الامهات تخوف اطفالها به [٢٧٦].

إن الحكام السعوديين لا يحتاجون الى من يسبغ عليهم شرف "حماية" و"الدفاع" عن الشيعة، فمواقفهم المنشورة تثبت انهم يرون ما يراه الاخوان، من كفر وزندقة الشيعة، وللعبرة نسوق هذه الحادثة :

كان امين الريحاني عام ١٩٢٢يزور مملكة ابن سعود، وحضر معه إجتماع العقير الشهير، الذي التقى فيه الحاكم السعودي مع السير بيرسي كوكس.وكان ديكسون ايضا من بين الحضور، حيث روى حرص ابن سعود اثناء المؤتمر " على الدعاية لنفسه، وذكر انه لا يشجع ما يقوم به متطرفو الاخوان من غارات..ولكنه لا يستطيع إيقافهم..وان الاخوان قتلوا الكثيرين من البحارنة الشيعة الذين يقطنون القطيف، ولكنه استطاع السيطرة على الموقف تماما، حتى اصبح مسموحا للشيعة بالتدخين، وممارسة شعائرهم الدينية في اماكنهم الخاصة، طالما ابقوا على النظام في الاماكن العامة، واشار الى ان الشيعة في مناطق الحكم السعودي اسعد حالا بما كانوا عليه في عهد الحكم التركي "[٢٧٧].

بعد المؤتمر اراد الريحاني توضيح سياسة ابن سعود المذهبية، فكتب: " سألت ذات يوم احد رجال السلطان ابن سعود، الاذكياء، ان يصدقني الخبر، او يجهر لي برأيه الخاص، فقلت : لا انكر صدق عقيدة الشيوخ ــ ابن سعود ــ الدينية، فهو امام الموحدين، ولكني حائر يا

---

[274] المصدر السابق، ص ١٥٦

[275] جلال كشك، مصدر سابق، ص ٦١٠

[276] الزركلي / مصدر سابق، ص ٤٦٠ــ ٤٦١.

[277] جمال زكريا قاسم، الجزء الثاني، ص ٨٢

صديقي في امر الاخوان فهل تظنه يعتقد ان على الإمام ان يحارب المشركين في كل مكان ؟..ان يجاهدهم حتى يدينوا ــ بدين الاخوان ــ ؟).

" في نيتي ان اسأل عظمته هذا السؤال، فقال صديقي : لا تفعل، والذي أراه ان السلطان يعتقد ذلك من الواجب. لم يرضني جواب الرجل، فتطرقت ذات ليلة الى الموضوع، ومما قلت للسلطان على ما اذكر، اني في حيرة لا يزيلها سواه، واذا سافرت من الرياض احملها ساكتا لا اكون راضيا عن نفسي، وقد اسيء إليه فيما اكتب، فقال عظمته : إسألني كل ما تبغي، وانا اجيبك عليه. ولا اسامحك إذا سافرت من عندنا وفي نفسك حاجة تقضيها، او مسألة نجلي غامضها، فقلت، هل ترون ان من الواجب الديني محاربة المشركين حتى يدخلوا في دين التوحيد ؟".

"اجاب على الفور: لا..لا..وضرب الارض ضربتين بعصاه، ثم قال : هذا الحسا، عندنا اكثر من ثلاثين الفا من اهل الشيعة، وهم يعيشون آمنين لا يتعرض لهم احد، الا اننا نسألهم الا يكثروا من المظاهرات في احتفالاتهم..كن مطمئن البال يا استاذ، لسنا كما يرانا بعض الناس. فقلت اسمحوا لي بسؤال آخر ــ وكان يجب ان يكون سؤالي الأول ــ: هل ترون من الواجب الديني...وهل ترون من الواجب السياسي ان تحاربوا المشركين حتى يدينوا؟.. فأجبني قائلا : السياسة غير الدين..ولكننا اهل نجد لا نبغي شيئا لا يحلله الدين، فإذا حلل الدين ما نبغيه، فالسياسة التي نتخذها محللة، وإذا عجزت السياسة فالحرب، وكل شيء في الحرب يجوز [٢٧٨].وقد فسر حافظ وهبة الجملة الاخيرة للملك بأنه يأخذ بسياسة " الغاية تبرر الواسطة".

لقد اوقع الملك نفسه في اكثر من مشكل، فلقد اراد ان يدافع عن سمعته الملوثة باضطهاد الشيعة، فصنفهم في خانة المشركين، ثم ما لبث ان اجاز لنفسه حربهم والسيطرة عليهم، اما بالدين او بغيره، وكانت ممارسات الاخوان وشيوخ الوهابية دعاية سيئة للدولة في الخارج، خاصة عند سكان العراق والخليج وبلاد الشام ومصر، وكثيرا ما كان السكان يهاجرون من امكانهم اذا ما سمعوا بقدوم الاخوان.[٢٧٩]

وذكر الملك ان عدد الشيعة ثلاثون الفا، في حين ان مستشاره حافظ وهبة قدرهم في كتابه "جزيرة العرب في القرن العشرين" بثلثي سكان الاحساء الحضر، حيث اشار الى عدد الحضر

---

(278) الريحاني، ملوك العرب، ص ٥٨٨ـــ ٥٨٩.وانظر
Juan R ,Cole & Nikki R.Keddie ,p236
(279) الاصلاح الاجتماعي ص، ١٦٦، وحافظ وهبة، ص ٢٩٢.

بانهم ٩٠ ألفا يينهم ٦٠ ألفا من الشيعة الإمامية..والتنقيص له دلالة على التهميش والتحقير[٢٨٠].

استمرت اوضاع الشيعة على سوئها، حيث عطلت المآتم والحسينيات ومجالس الذكر والمساجد، واضطر الاهالي الى إقامة التعزيات في منتصف الليل، في السراديب، ولا تزال آثار السنوات المظلمة تلك على حالها. ففي تاروت ــ مثلا ــ، كان الاهالي يرقصون العرضة ــ رقصة حرب ــ في المجلس، للتغطية على ما يجري من التعزيات تحت السرداب، وفي صفوى والقطيف وغيرها، كان الاهالي يقرأون التعزيات في الازقة المظلمة، ويضعون عند بوابات ــ دروازات ــ المدن والقرى رجالا يراقبون القادمين، وقد ساعد وجود الاسوار القديمة المحيطة بالمنازل على ترتيب اوضاع امنية كافية لاداء الشعائر والوعظ والارشاد.

ارسل المعتمد السياسي في البحرين في الثالث والعشرين من ابريل ١٩٢٠، الى المندوب السامي في بغداد تقريرا، جاء فيه تسجيل لحوادث ثلاث وقعت خلال اسبوع واحد، لم يعلق المعتمد عليها اهمية كبيرة، رغم انها ــ كما قال ــ سببت الكثير من الاقاويل في البحرين. واعتبر الحوادث الثلاث، تعبيرا عن روح التعصب الشديد لدى الاخوان [٢٨١].

الحادثة الاولى : " في العاشر من ابريل ١٩٢٠، وفي بلدة الهفوف، كانت زوجة اخ ابن جلوي، وهي فتاة صبية، تغادر البلدة بعد زيارتها لشقيقتها، وهي ترتدي ثوبا حريريا ملونا، فما كان من احد الاخوان البدو، الذي كان جالسا عند بوابة البلدة، الا ان ضربها بالعصا ضربة افقدتها الوعي، حيث لبس الحرير جريمة لا تغتفر، وما ان سمع ابن جلوي بالحادثة حتى طوق جميع الاخوان الموجودين في الهفوف، وكل الذين لهم علاقة قريبة او بعيدة بالشخص الذي ارتكب ذلك الاعتداء، وصادر جميع جمالهم، وجلد المجرم ".

الحادثة الثانية: " وفي القطيف، شاهد بعض الاخوان يوم ١٤ابريل ١٩٢٠، فتاة شيعية تغسل الثياب على البحر،وقرروا إنها لم تكن تلبس ثياباً متواضعة ــ تنبئ عن تقشف ــ بما فيه الكفاية، فانهالوا عليها بالضرب، اجتذبت صرخات الفتاة اقرباءها ووقع شجار عنيف،

---

(280) الغريب أن كشك تعرض للحادثة من بعيد، واعتبر جواب الملك رغم خشونته، " تطبيقا متسامحا للتعايش بين مختلف الاديان، وإدراك ضروريات السياسة وحكمة التعدد، أو على الاقل قبول الامر الواقع بحتمية التعدد"!.

وكان الملك قد اشار إلى عدم الاكثار من المظاهرات في احتفالات الشيعة، فقال كشك " وعنده حق كرجل دولة، فكل الحكومات تخشى المظاهرات، لانها فرصة للطائفيين والمتعصبين والمندسين لاثارة المتاعب والاحتكاكات، وان المصلحة أن لا يتحدى الشيعة الشعور العام ""انظر ص ٤٨ــ ٤٩.

لقد تصور كشك بان المظاهرات " العزاء "هي مظاهرات سياسية يحق للحاكم أن يخاف منها، وهي التي تجري في الاغلب داخل الحسينيات والمساجد، واعجب من ذلك حديثه عن تحدي الشعور العام في مناطق شيعية خالصة كالقطيف ونواحيها، وكالاحساء حيث اغلب القرى ونصف المدن على الاقل من الشيعة، فأي تحدي مزعوم هذا؟!.

(281) الوثيقة رقم FO 371/526/ E 8538 مؤرخة في العشرين من يوليو ١٩٢٠، مذكرة سرية رقم ١٠٦ وتاريخ ٢٢ ــ ٢٦ ابريل ١٩٢٠ ومرسلة من المعتمد السياسي في البحرين إلى المندوب السامي في بغداد.

ويقوم ابن جلوي بمعالجة القضية!، وهناك ستة وثلاثون شخصا ــ اكثرهم من الشيعة ــ في السجن بسبب الحادثة!".

الحادثة الثالثة: "في الجبيل، حضر بعض الاخوان من المجمعة يوم ١٥ابريل ١٩٢٠ لشراء الارز من البلدة، فلم يعجبهم منظر رجل من البحرين ارخى شاربيه ولم يرخ لحيته، فالقوا القبض على الرجل وقصوا الشارب المؤذي، وعندها تحرك اهل الجبيل في "فزعة " لنجدة الرجل، وبدأ باطلاق الرصاص، الخسائر: اربعة قتلى من جبيل ابو العينين، بمن فيهم شقيق شيخ البلدة، بينما توفي اثنان من الاخوان متأثرين بجروحهما، استمر تبادل اطلاق النار، ولكن اقتراب قوات ابن جلوي، اجبر الطرفين على تناسي خلافاتهما الى وقت يستطيع الأمير فيه الفصل في القضية، ربما لم يكون ابن جلوي لطيفا في اساليب الحل التي سيلجأ إليها"[٢٨٢].

وازداد تطرف الاخوان بعد احتلالهم الحجاز وتسليمه لابن سعود، الذي اعلن نفسه ملكا بعد حوالي اسبوعين من سقوط جدة في يناير ١٩٢٦..ومنذ ذلك الحين بدا في الافق بوادر صدام بين الملك وجيشه الاخواني الذي يدين له كاملا في بناء مملكته، ذلك ان الملك احتل اخر منطقة اريد له احتلالها، فلا يمكنه التوسع شمالا حيث إمارة شرق الاردن الوليدة والعراق الخاضعتان للنفوذ البريطاني المباشر...ولا يمكنه التوسع شرقا على حساب المحميات البريطانية في الساحل، وفي الغرب وصل الى البحر الاحمر، اما الجنوب فلم يبق سوى الشمالي منه اما الجنوبي فخاضع للاحتلال البريطاني، في حين ان اجزاء من الشمالي اقتطعت منه، ولم يكن ابن سعود متحمسا لاحتلاله كاملا، لقناعته بانه " عش الزنابير " كما قال مرة للجاسوس البريطاني جون فيلبي. ونشأت المشكلة بسبب ان ابن سعود لم يعد بحاجة الى تطرف الاخوان من حيث هم قوة مقاتلة، بل ان تطرفهم غدا خطرا محتملا على نظام حكمه، ومن جهة اخرى كانت العقائد التي تربى الاخوان عليها تقول بوجوب إدخال الآخرين في معتقدهم واحتلال بلادهم باعتبارهم كفرة، ولذا طالبوا بإتاحة الفرصة لهم لإنهاء إمارة شرق الأردن، ودولة العراق وإمارة الكويت، وهي مناطق لا يسمح الإنجليز للحاكم السعودي بالوصول إليها، وهو امر لا يأبه به الاخوان، رفض الملك ذلك، بل أنه سبق له أن وبخهم لأنهم اقتربوا ذات مرة من الحدود الأردنية عام ١٩٢١، فسجن المهاجمين الذين لم يأخذوا رأيه وقال للاخوان وبمحضر من المسيحي الريحاني، الذي كان يسجل الحديث " لا تظنوا يا اخوان أن لكم قيمة كبيرة عندنا، لا تظنوا انكم ساعدتمونا، وإننا نحتاج اليكم...ولا تنسوا أن ما من رجل منكم الا وذبحنا اباه أو أخاه أو إبن عمه، وما ملكناكم الا بالسيف، ترى الصحيح..والسيف لا يزال بيدنا، إذا كنتم لا ترعون حقوق الناس.لا والله، لا قيمة لكم

---

[282] الوثيقة FO 371/526 E8538 مؤرخة في العشرين من يوليو ١٩٢٠

عندنا..انتم مثل التراب..انتم ما دخلتم في طاعتنا رغبة بل قهرا، واني والله اعمل بكم السيف إذا تجاوزتم حدود الله "!! [٢٨٣].

بدأ الملك يظهر تحرره عن الاخوان بعد أيام من احتلال الحجاز، ودخل عليه ذات مرة في مجلسه بالحجاز سلطان بن بجاد قائد الجيش الذي احتل الطائف ومكة، وشهر السيف بوجهه، وتقدم الاخوان بطلبات عديدة من الملك مثل إلغاء الضرائب، والسماح لهم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقطع علاقاته مع الانجليز، ولكن اياً من هذه المطالب لم تلبى. رجع الاخوان من الحجاز ساخطين إلى نجد وعقدوا مؤتمرا اواخر العام، في الارطاوية، في ديسمبر ١٩٢٦، وجهوا للملك فيه تهما عديدة حصروها في سبع نقاط منها : اعتراضهم على سفر الامير سعود – الملك فيما بعد – لبلد الشرك مصر، وسفر فيصل – الملك فيما بعد – إلى بلد الشرك بريطانيا، واستخدام التلفون والتلغراف والسيارة.

واعترضوا ايضا على فرض رسوم جمركية على " مسلمي نجد " [٢٨٤].

كما اعترضوا على ما اسموه تسامح الملك مع الشيعة في الاحساء والقطيف، وكان اعتقادهم أنه كان ينبغي أما أن يعتنقوا الوهابية واما أن يقتلوا[٢٨٥]واتهموا الشيعة بانهم من " الخوارج " وان الملك تغاضى عن إدخالهم في دين الجماعة.

ومن الاعتراضات، عدم وضع حدود لبدو العراق الشيعة، والسماح لهم بالرعي في بلاد المسلمين.

كما طالب الاخوان، بهدم المسجد المقام على قبر عم النبي الحمزة بن عبد المطلب، باعتباره مزار شيعيا !!.، كما طالب الاخوان بمنع استخدام السيارات والتلفون ومنع المحمل المصري من دخول الاماكن المقدسة، وطالبوا بتفسير المقاطعة الاقتصادية للكويت، فأن كانوا كفارا فلماذا لا يحاربون ؟. وان كانوا مسلمين فلماذا يقاطعون ؟ [٢٨٦].

حاول إبن سعود الالتفاف على مطالب الاخوان، فعاد مسرعا إلى نجد خشية انقلاب الاوضاع ضده وإعلان الاخوان الثورة المسلحة، وحالما وصل، دعا لمؤتمر في الخامس والعشرين من رجب ١٣٤٥هـ ـ يناير ١٩٢٧، انتهى باصدار فتوى تستجيب لمطالب الاخوان، عدا مسألة اللاسلكي، أما الضرائب فأعيدت إلى النجديين فقط، ولقد وقع على الفتوى المؤرخة

---

(283) الريحاني، ملوك العرب، ص ٥٧٦.

(284) فاسيلييف / مصدر سابق، ص ٢٠٥، ٢٠٦ وانظر كذلك مصدر سابق، ص ٦٢٢، ٦٢٢

(285) ابن الياسيني، مصدر سابق ص ٦٤

(286) الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن ناصر بن حسن ال بشر، ولد في الرياض سنة ١٢٧٥هـ ونشأ بها، ولاه إبن سعود قضاء بريدة سنة ١٢٢٧هـ، ثم نقله إلى اقليم الاحساء سنة ١٢٢٩هـ، ومكث بها حتى سنة ١٢٥٧هـ أنظر مشاهير علماء نجد ،ص٢٢٥.

في الثامن من شعبان ١٣٤٥هـ، اربعة عشر شيخا وهابيا، منهم محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ، وسعد بن عتيق، وسليمان بن سمحان، وقالوا فيها :

"..اما بعد، فقد ورد على الامام سؤال بعض الاخوان عن مسائل فطلب منا الجواب عنها، فأجبناه بما نصه:

..اما مسألة البرق والتلغراف فهو امر حادث في آخر هذا الزمان، ولا نعلم حقيقته، ولا رأينا فيه كلاما لاحد من اهل العلم، فتوقفنا في مسألته، ولا نقول على الله ورسوله بغير علم، والجزم بالاباحة والتحريم يحتاج إلى الوقوف على حقيقته.

...واما مسجد حمزة وأبي رشيد فأفتينا الإمام، وفقه الله، بهدمهما على القوم.

...واما الرافضة – الشيعة في الاحساء – فأفتينا الإمام أن يلزمهم البيعة على الإسلام، ويمنعهم من إظهار شعائر دينهم الباطل، وعليه أن يلزم نائبه على الاحساء أن يحضرهم عند الشيخ إبن بشر [287] ويبايعونه على دين الله ورسوله، وترك الشرك من دعاء الصالحين من اهل البيت وغيرهم، وعلى ترك سائر البدع في اجتماعهم على مآتمهم وغيرها، مما يقيمون به شعائر مذهبهم الباطل، ويمنعون من زيارة المشاهد – في العراق – ويلزمون بالاجتماع على الصلوات الخمس، هم وغيرهم في المساجد، ويرتب الإمام فيهم أئمة ومؤذنين ونوابا من اهل السنة، ويلزمون بتعلم الثلاثة الاصول، [288] وتهدم الاماكن المبنية لإقامة البدع فيها [289] ويمنعون من إقامة البدع في المساجد وغيرها، ومن ابى قبول ذلك ينفى عن بلاد المسلمين.

..واما رافضة القطيف :فيلزم الامام ايده الله الشيخ إبن بشر، أن يسافر اليهم ويلزمهم بما ذكرنا.

..واما البوادي والقرى التي دخلت في ولاية المسلمين، فأفتينا الإمام بأن يبعث إليهم دعاة ومعلمين، ويلزم نوابه بمساعدة الدعاة على إلزامهم بشرائع الإسلام.

...واما رافضة العراق الذين انتشروا وخالطوا بادية المسلمين، فأفتينا الامام بكفهم عن الدخول في مواطن المسلمين وارضهم [290].

..واما المكوس، فأفتينا إنها من المحرمات الظاهرة، فأن تركها من الواجب عليه، وان امتنع فلا يجوز شق عصا المسلمين والخروج عن طاعته من اجلها "

" حرر في٨ شعبان سنة ١٣٤٥هـ "

---

[287] وهي تمثل الرؤية الوهابية المختصرة في العقائد، وهي رسالة من تأليف مؤسس المذهب الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

[288] المقصود بالبدع هنا هو قراءة التعزية وسيرة الرسول وأئمة اهل البيت، وكذلك قراءة المواعظ الدينية المعتادة والمعروفة.

[289] المقصود بالمسلمين هم الوهابيون لا غيرهم، ويستدل من هذا انهم لا يعترفون بإسلام من خالفهم في المذهب.

[290] ليس هناك أي دليل على أن الاخوان كانوا ممنوعين من دخول الاحساء.

هذا نموذج من فتاوى الوهابيين، الذين يتوقفون في حكم التلغراف لانه حادث، ولانهم لايريدون القول على الله ورسوله بغير علم،..ولكنهم في نفس الوقت يتساهلون في المحرمات الظاهرة كالمكوس بحجة شق عصا المسلمين...وان هذا الورع الذي يدعوهم للتوقف في حكم التلغراف، لم نر له اثرا في إستباحة دماء المسلمين وتكفيرهم، وطردهم من البلاد، وهدم بيوت الله على رأس المتعبدين فيها..استنادا على أمور إجتهادية قابلة للخطأ، وكان حريا بهم أن يناقشوا الاخرين، ويردوا الحجة، وان يقبلوا في ذات الوقت باجتهاد بقية المسلمين. فالمسائل التي خالفوا فيها بقية المسلمين ليست ضرورية، ومن اصول الدين، والاجتهاد مفتوح للوهابيين ولغيرهم، الا أن الذي نراه في الفتوى، هو امضاء اجتهادهم بالعسف والقتل ونفي المواطن من دياره، كما هو واضح في نص الفتوى....ولقد قال الشيعة في الاحساء لابن جلوي على اثر تطبيقها : إن كان مذهبكم يجيز الاجتهاد في دماء الناس واعراضهم واموالهم، فدعوا علماء المسلمين الاخرين يجتهدون كما اجتهدتم، وفي امور اقل من التكفير، وأقل من استباحة دم المسلم..دعوهم يؤدون شعائر الدين حسب اجتهاداتهم، لان مذهبكم لا يحوي الحق كله، وليس قرآنا ولا وحيا منزلا، وإنما هو اجتهاد من الاجتهادات، قد يخطئ وقد يصيب.

ومع هذا التكفير الصريح، والتهديد بالقتل والنفي لكل من لا يعتنق المذهب الوهابي، ترى رجلا مثل رشيد رضا، الذي نصب نفسه محاربا للشيعة، وداعيا للمعادين لاهل البيت، يقول: "إن السلطان إبن سعود لم يتعرض هو ولا عماله لحرية رعيته من الشيعة في الاحساء، ولا لتفضيل اهل السنة عليهم في الحقوق، "..وجاء آخر بعده بأكثر من نصف قرن معلقا على الفتوى قائلا :" ليس من الإنصاف إتهام عبد العزيز أو آل سعود باضطهاد الشيعة، فالصحيح أن عبد العزيز هو الذي حماهم، وإليه إبن جلوي كان يحظر دخول الاخوان للاحساء، ولولا النظام السعودي لتفك الاخوان " برافضة " القطيف [291].

كما كانوا يسمونهم عن خطأ بالطبع..اما التفرقة والاتهامات المتبادلة، فهي ظاهرة عمرها سابق على النظام السعودي بألف سنة، وليس موقف المجتمع السعودي منها بأسوأ من أي نظام آخر في المنطقة كلها "[292].

إن هذا القول ما هو الا تبرير للحكم السعودي باضطهاد الشيعة، اذ ليس في الإنصاف إتهام المشايخ والاخوان وحدهم بممارسة هذا الاضطهاد وكأن الحاكم لا دور له في هذا، وهو الملك المطلق الصلاحيات، ولا يخامرنا شك في أن إبن سعود كان حين طرح المواضيع

---

[291] تجدر الاشارة إلى أن لفظة الرافضة، هي اسم الرسمي الذي تطلقه الحكومة السعودية على شيعة اهل البيت.

[292] جلال كشك، مصدر سابق، ص ٦٢٥

لفتوى علمائه يدرك سلفا موقفهم منها، ولهذا لم يطرح موضوع علاقاته مع الانجليز، ولا زيارة ابنائه لما يسمى بلاد الشرك، ولا المقاطعة الاقتصادية للكويت وأهلها.

ثم إن من طبق هذه الفتوى ضد الشيعة، وأخرجها إلى حيز الفعل والواقع، هو إبن سعود وعامله على الاحساء عبد الله بن جلوي، الذي قيل أنه ضد الاخوان، وحامي حمى الشيعة!.. تماما مثلما نرى اليوم من خلفاء إبن سعود، فالفتاوى تصدر، وعمال آل سعود وامراؤهم في الاقاليم، ووزراؤهم ينفذونها ويضيفون عليها ايضا..ومن يدعي بان طائفية النظام السعودي اقل من الانظمة الأخرى في العالم الإسلامي فهو كاذب على نفسه وعلى غيره، لأن (معظم) الحروب الطائفية التي نشهدها في كل مكان في العالم، إنما مولت بأموال النفط السعودي، بل أن الحروب السنوية في الباكستان، لم تذرها الا الجماعات المتحالفة والمدعومة من السعودية، وقد وصل اعلام ال سعود الطائفي إلى كل الدنيا، اذ أن مهمة المؤسسات الدينية الرسمية السعودية، ومهمة اعلام السعوديين، هو إثارة الفتنة والبلبلة في صفوف المسلمين، لكي يدعوا بعدئذ إنهم حماة "السنة" وما هم كذلك. وللأسف، فإن مستشرقا فهم مضمون الفتوى ومؤداها بأفضل مما فهمها الداعون للانظمة الطائفية فقال " إن الوهابيين لا يعتبرون الشيعة مسلمين "، والحقيقة انهم لا يعتبرون غيرهم مسلما، سواء كان سنيا ام شيعيا، واضاف في موقع آخر، : "كانت اوضاع الشيعة ــ في الاحساء والقطيف ــ صعبة في دولة وهابية خالصة، وفي ١٩٢٧، اصدر العلماء الوهابيون بضغط من الاخوان فتوى تطالب عبد العزيز بمنع الشيعة من اداء الصلاة في الاماكن العامة، والدعاء لاهل بيت النبي، والاحتفال بذكرى وفاة النبي وأهل بيته، وزيارة كربلاء والنجف، وارغامهم على اداء الصلوات الخمسة في الجوامع ــ خلف مطاوعة الحكومة ــ وأن على الشيعة أن يدرسوا دين الله على كتاب محمد بن عبد الوهاب ــ الاصول الثلاثة ــ... ودعت الفتوى إلى هدم الاضرحة الشيعية، واعتبر الوهابيون شيعة المنطقة الشرقية كفارا ومن اهل الذمة...."[٢٩٣].

على اثر هذه الفتوى مباشرة، هدم في "أُحد" خارج المدينة المنورة، مسجد عم النبي الحمزة بن عبد المطلب، رغم أن المسجد لا يخص الشيعة وحدهم، بل المسلمين جميعا، كما هدم مسجد ابي رشيد، ومنع دخول المحمل الشامي والمصري، الذي كما اشارت الفتوى بمنعه، رغم التظاهر بعدم اقتناع الملك بالفتوى والمنع.. إذ يشير حافظ وهبة إلى حادثة المحمل المصري، وما تبعها من قتل وقطع علاقات بين مصر والسعودية يومها، فيقول :" لقد امضيت اكثر من اسبوع بين الملك وبين امير الحج المصري، محمود عزمي باشا، في نقاش وجدال،

(293) فاسيلييف مصدر سابق، ٢٠٦ــ ٢٥٠

دفعا لفتنة جديدة، فالاخوان عقولهم ضعيفة، وهم يملأون الحرم وطرق مكة، وهم ممتلئون حنقا على المحمل وأهل المحمل ".

" إذا صاح النفير قالوا :إن هذه دعوة للشيطان، فهاجوا وماجوا ".

" طلب مني أن اطلب من امير الحج أن يوقف صياح النفير، لا اعتقادا من الملك أو من رجال حكومته، بان ذلك كان لدعوة الشيطان، وانما كان ذلك دفعا لإثارة فتنة جماعة الاخوان الجهلاء، وإذا ادخل المحمل الحرم، كما كان معتادا، قامت قيامة الاخوان : كيف تأذن الحكومة بإدخال الاصنام إلى الحرم، وهنا تقوم أزمة" [٢٩٤].

أما شق الفتوى المتعلق بإجبار الشيعة على قبول المذهب الرسمي " الوهابي " فعلى أثرها كتب الملك لعبد الله بن جلوي مشددا على تنفيذها بحذافيرها دون إبطاء، وان تطلب الامر استخدام الشدة والقسوة والطرد من البلاد، مع أن عدداً غير قليل من المواطنين هجروا البلاد بمجرد أن سمعوا بها، واتجهوا إلى البحرين والعراق والكويت.

وهكذا اجبر اعيان ووجهاء وعلماء الشيعة أن يحضروا بمجلس إبن جلوي ومجلس امير القطيف إبن سويلم، لكي يثبتوا اسلامهم على يد المطوع إبن بشر، ويكرروا قول الشهادتين كإقرار بالاسلام، وان يتعهدوا بممارسة الطقوس وفق المذهب الوهابي...ثم سيق الرجال فردا فردا لعدة أيام ليعيدوا ويجددوا اسلامهم، ويعترفوا بانهم فيما سبق كانوا من المشركين !وان الله هداهم من جديد!.

ومع الضغط، لم تخل الامور من بروز مشاكل، فقد بادر وجهاء وعلماء القطيف إلى الكتابة إلى الملك يذكرونه بعهوده والقسم الذي اقسمه بأغلظ الايمان على كتاب الله المجيد، بحفظ حقوقهم وحدث نفس الامر بالنسبة لبعض وجهاء الاحساء، لكن تلك المكاتيب كانت عديمة الفائدة، لان الملك اوصى إبن سويلم وابن جلوي بتطبيق ما جاء في فتوى المشايخ في الحال، وكانت الاتصالات يومها صعبة حيث لا توجد وسيلة سوى الجمال.

ويتناقل الرواة، بان السيد ناصر السيد هاشم السيد احمد الاحسائي، احد كبار علماء الشيعة في الهفوف، ووالد السيد على السيد ناصر، إمام الجمعة في الدمام حاليا...ان السيد هذا رفض الاوامر، وجاء إلى مجلس الجلاد إبن جلوي محتجا، وبمعيته زعيم شيعة الاحساء آية الله الشيخ موسى بوخمسين..فلما دخلا المجلس وجدا الشيخ إبن بشر جالسا إلى جانب الامير، وحانت التفاتة من الاخير، فأراد إهانة السيد ناصر وخاطبه :

" ليه مابايعت..إنت فيك خفٌ وحافر"!

---

[294] حافظ وهبة، مصدر سابق، ص ١٤٥

كان إبن جلوي يريد استثارته، حتى يقتله، أو ينفيه من موطن آبائه وأجداده، ولما هم السيد بالرد، امسك الشيخ موسى يده مهدئا له، وهو يقول: إهدأ..إهدأ، قم وبايع، مافينا خفٌ ولا حافر، وسحب يده ليبايع خوفا على حياته من بطش الطاغية. ثم التفت الشيخ موسى وخاطب إبن جلوي بقوله،: " الان ضع في أذنيك قطنا "، أي لا تستمع لكلام المغرضين والطائفيين.

وعلى اثر الفتوى سير اميرا القطيف والاحساء بعض الجنود ومعهم المطاوعة، للقيام بجولات داخل المدن والقرى الشيعية، للتعرف على اماكن المساجد والحسينيات، تمهيدا لحصرها وهدم ما يراد هدمه منها، الا أن الاهالي ــ في الغالب ــ تحايلوا عليهم فأسكنوا بعض المواطنين في الحسينيات والمساجد، وحولوا بعض البيوت إلى مساجد وحسينيات وغيرها من الحيل، حتى استطاعوا تجنيب دور العبادة الضرر، الا النزر القليل منها، في بعض قرى الاحساء. وجاءت الخطوة التالية، حيث امر الملك بناء على طلبات مشايخه، بان يفرض على كل قرية ومدينة شيعية مطوعا يصلي بالناس، وفرض على تلكم القرى والمدن، أن يتكفلوا بنفقات المطوع وسكنه ومعاشه ورواتبه الشهري، في حين أن أئمة الشيعة في الصلوات لا يتقاضون أي مقابل، وعملهم في هذا تطوعي ديني محض.

وكما حدث لمعظم مساجد الشيعة، جيء بمطوع يقال " إبن زرعة " ليصلي في مسجد الشيخ موسى بو خمسين في الهفوف،..وحدث ذات يوم أن الشيخ موسى كان مسافرا إلى احدى القرى الاحسائية، فرفض إبن زرعة بطائفيته المشهورة، إمامة الناس في الصلات، الا بحضور الشيخ موسى، ولما وصل الاخير، خاطبه إبن زرعة باستهجان " انت لا تريد الصلاة وراء المسلمين ".

ويقصد بالمسلمين نفسه !. لم يتحمل الحاج ابراهيم بوخمسين [295] اهانة زعيم الشيعة، فجاوب إبن زرعة بالشتم له ولحكومته، وانقض عليه يريد خنقه، لكن الاخير هرب من المسجد طالبا النجاة، ولحق به الحاج في الشوارع ليظفر به، ولم يتدخل الشيخ موسى في الامر، بل امر المصلين بأن يتركوا الحاج، قائلا: "دعوه..فهذه آخرمرة يأتيكم فيها إبن زرعة".

بعدها بادر الشيخ موسى بإرسال جماعة لابن جلوي لشرح الموقف..فسألهم : من تريدون ليحل محل إبن زرعة؟ قالوا: إذا كان الكلام موجها لنا، فما نريد غير شيخنا، قال لكم شيخكم!.

لم يكن مفاجئا جواب إبن جلوي، ففي تلك الايام، بدأت ثورة الاخوان المسلحة بالتفاقم ضد إبن سعود، وبدأت في الاوساط النجدية والحجازية، وحتى في الاوساط الحكومية وبعض الاوساط الدينية حالة من الارتداد ما لبث أن تعاظمت، ضد الافكار الوهابية المتعصبة التي

---

[295] توفي إلى رحمة الله في محرم ١٤٠٨هـ

يحملها الاخوان، وعدد من المشايخ، حتى وإن كانت هذه الافكار تمثل ُأسس الفكر الوهابي..لهذا تجاوز إبن جلوي، كما غيره الضغط الاخواني، متجاوبا مع الاستياء العام في البلاد، وكلما تنامت الثورة المسلحة، بدأت مؤشرات هذا الارتداد والنكوص ضد تلك الافكار، وبدأت ملامح الحاجة إلى التخلص من ازعاج الجيش السعودي الوهابي، الذي يمثله الاخوان، والذين التصقوا عميقا بالفكر الوهابي.

لقد تنبه الملك إلى أن توجيهاته القديمة للاخوان المتماشية مع الفكر الوهابي ومصلحته السياسية في تكفير المسلمين، والتي كان يطلب من العلماء تلقينها للبدو في المساجد، عن طريق الخطب في الصلاة والارشادات، والدروس المذهبية التي تعقد بعد الصلاة، حتى يصبح الحماس الديني من اقوى الوسائل لتعزيز قوته السياسية والعسكرية [٢٩٦]..هذه التوجيهات تنبه الملك بعد أن حقق أهدافه، بأنها بدأت ترتد ضد مشروعه السياسي فشن هجوما على المشايخ، واصما أياهم بالتطرف، أو كما وصفهم مستشاره بانهم " انصاف مثقفين"، واضطر إبن سعود، أن يغير العلماء – اداة التثقيف الاخواني – بآخرين اكثر استجابة لاحتياجات الدولة ومصالحها السياسية [٢٩٧].

وحين رأى الملك أن استجابته لطلبات الاخوان لم تمنع ثورتهم، حيث شعروا بانه استخدمهم للوصول إلى اهدافه [٢٩٨]، ولم يقطع علاقاته مع بريطانيا، دولة الكفار، وهو احد اهم المطالب الاخوانية، ولما وجد أن الشيعة بالغي الاستياء من تصرفاته في إطلاق العنان لكل من اراد اهانتهم والاعتداء عليهم...هنا وبدون قرار رسمي بدئ بتجاوز المسائل القديمة إلى حد ما، بحيث لا يعطي مستمسكا للنجديين بأنه لا يعمل جاهدا من اجل إستئصال الشيعة، وما لبث أن قارن الملك بين ضغط الشيعة والحاجة إلى إسكاتهم ليتفرغ لحركة الاخوان التي تهدد ملكه.

ضج الشيعة من قرارات إبن سعود بتطبيق فتاوى مشايخه لادخالهم في السلك الوهابي، وكان المطاوعة المتواجدين في القرى والمدن الشيعية من عديمي الثقافة والوعي، وكثيرا ما كان افراد الشيعة العاديين يحاججونهم ويفحمونهم، لكن سلطان القوة بيد المطوع، فما أن يتغلب احدهم عليه بالحجة والاقناع، حتى يبادر إلى القوة متهما الطرف المقابل بالزندقة والكفر وتعكير الامن..الخ.. سأل احد الاهالي مطوعا ذات مرة، : ما حكم من اخرج ريحا في الصلاة ؟.

فأجابه ببيت من الشعر العامي يقول :

---

[296] الاصلاح الاجتماعي، ص ١٤٨

[297] المصدر السابق، ١٦٩

[298] المصدر السابق ١٥٩

طقع بطقع فلا   طقع بمرشاق ابطلا!

فصار ذلك البيت من الشعر، حديث المجالس، يذكر التندر المشحون بالغضب. وينقل أن اهالي قرية بني معن الاحسائية بزعامة عمدتهم علي الحاج العطية، كانوا صعبي المراس، فكلما جيء لهم بمطوع، فإنه لا يلبث أن يفارقهم بسبب " المقالب " العديدة التي يدبرها الاهالي ضده..فكان هؤلاء الاخيرون يرون بأن المطوع لابد وان يشقى ويتعب ويكد على نفسه وعياله، لا أن يعيش على اعطياتهم وعلى راتب من عندهم، ولذا فانهم يدفعون بالمطوع إلى تجهيز الحمير والاشراف على نقل السماد للنخيل، اضاف إلى الاحتطاب وتوفير العلف للحيوانات، مقابل اطعامه وسكنه،...وبالطبع فأن هذا النوع من العمل غير مريح البتة!.

كما وينقل أن المرحوم الحاج محمد علي المرزوق في الهفوف، دبر اكثر من مقلب للشيخ العليمي، امام مسجد العليمي في دروازة الكوت، وكان سيء السيرة والسريرة، وكان ابنه يعتدي على البيوت وحرماتها، وفي ذات مرة قبض عليه مواطنان "احمد الباشا"، ومحمد السدران"، متلبسا بالجريمة، وجيء به إلى زعيم الشيعة الشيخ موسى، واضطر إبن جلوي أن يسجنه بضعة اشهر فقط، لانه محسوب على الشيوخ، ولان والده شيخ وحارس دروازة الكوت [٢٩٩].

وفي ذلك الاثناء، وبعد حوالي سنة كاملة من انفاذ الفتوى، سافر وفد ضم ثلاث شخصيات بارزة هي " الشيخ منصور السيف من تاروت، والشيخ محمد علي الخنيزي من القطيف، ومحمد حسين الفرج من العوامية، "...سافر الوفد إلى مكة المكرمة، والتقى هناك بالملك، فأظهر لهم الودّ والاحترام، خاصة وان الفرج كان قد اكرم الملك أواخر عام ١٩١٣بعد احتلال القطيف، وأقام له وليمة ضخمة يومئذ.

تقدم الشيخ منصور السيف، وخاطب الملك قائلا:إذا كنا كفارا، فالمطلوب أن تأخذوا منا الجزية فقط، فلماذا تأخذون الزكاة، وضرائب الجهاد، والخمس، وما معنى أن يأتي المطاوعة فيفرضون علينا تجديد الإسلام والإئتمام بهم في الصلاة ؟. قال إبن سعود، بعد أن وصلت له اخبار تذمر الاهالي وتحفزهم للثورة ــ التي اندلعت فعلا ذلك العام ــ قال مبررا موقفه بكلام غريب قائلا : "انتم اسلام ــ أي مسلمون ــ وانا لم اسمح لهم بان يصبحوا أئمة عليكم، وإنما في منطقتين فقط هما : المنيف " البدراني" والميناء " دارين "...ثم إن حاجتكم مقضية منتهية، وسأكتب لابن سويلم حول الموضوع "[٣٠٠].

---

[299] لقاء مع " م.ب.خ " في السابع عشر من صفر ١٤١٠هـ

[300] هذه المعلومات الخاصة حصل عليها المؤلف من خلال مقابلات عديدة اجراها مع شخصيات عاصرت تلك الاحداث

وبالفعل تم الامر كما وعد الملك، فسحب المطاوعة الباقون، لان العديد منهم انسحبوا من تلقاء انفسهم، حيث وجدوا أن الارض الشيعية لا يمكن أن تنمو فيها بذور الوهابية.

بقيت مناطق الشيعة في اضطراب، رغم انصراف الذهن الرسمي إلى عدو اكثر خطورة، هم الاخوان،..وكانت الاحساء والقطيف قاعدة قوية للحكم السعودي في حربهم، خاصة وان زعماء الثورة والقبائل الثائرة اتخذت من الحدود الشمالية للمقاطعة الشرقية مركز انطلاق وتموين للاغارة على وسط نجد...وبذا فأن عبد الله بن جلوي كان احد أعمدة الحرب ضد الاخوان، فارسل قوات بقيادة ابنه فهد لقتال العجمان، حيث غدر بزعيمهم ضيدان بن حثلين وقتله، وهذا ادى إلى مقتل فهد نفسه بطلقة عجمانية. والقصة كما يرويها مترجم الملك "عبد العزيز محمد المانع" أن العجمان قرروا التفاوض مع الحكومة، وبعث رئيسهم ضيدان بن حثلين إلى معسكر فهد بن جلوي يخبره بانه يرغب في لقائه..واتفق الطرفان على أن يأتي إبن حثلين إلى معسكر فهد في مكان يسمى الصرار، وظل الرجلان يتحادثان خلال معظم ساعات النهار، ولكن الليل حل وهما لم يصلا إلى اتفاق.

فطلب فهد من ضيدان أن يبقى عنده تلك الليلة، لكن إبن حثلين قال له : ارجوك أن لا تبقيني، لاني قد ذكرت لاتباعي إن لم اعد اليهم عند منتصف الليل فليأتوا الي.

ولكن فهد الغادر، امر خدمه بان يقيدوا إبن حثلين ويبقوه في إحدى الخيام، ومرة أخرى انذر ضيدان فهدا بان تصرفه معه غير حكيم، ولا يمت إلى الشرف العربي والمروءة، وقال له: أن قبيلة العجمان برمتها ستهجم عليك، لانهم سيظنون أن شيئا ما حدث لي. أجاب فهد: دعهم يأتوا.

وبعد منتصف الليل بقليل أتى العجمان فعلا...وكانوا في حالة نفسية عنيفة جدا لا يرتدون الا مآزر، مستعدين للموت من اجل رئيسهم، واستيقظ فهد منزعجا بأصوات النيران اثناء الهجوم على معسكره، فارتدى ملابس المعركة بسرعة، وفي فورة من الغضب امر بفك قيود أبن حثلين وقطع رأسه. أما فهد نفسه فقد اسرع إلى حصان وامر خادمه بإن يفك رباطه، لكن الخادم العجماني، الذي شهد الخيانة، بدلا من إطاعة امره، التفت إليه واطلق عليه الرصاص فأرداه قتيلا[301].

وكان من رأي المقيم البريطاني في بوشهر ضرورة تقديم المساعدة لابن سعود للفتك بالاخوان بإرسال قوات هندية تتقدم من الاحساء [302].وفي يونيو ١٩٢٩كتب فيصل الدويش ــ احد ابرز قيادات إبن سعود العسكرية ثم تحول إلى الثورة عليه ــ كتب إلى امير الكويت

[301] محمد المانع، مصدر سابق، ص ١٦١ــ ١٦٢

[302] جمال زكريا قاسم، الجزء الثاني، ص ٩٦

رسالة يخبره فيها أنه ترك هجرة الارطاوية، وانه يتجه إلى شمال الاحساء، ويطلب منه التصريح له بان يعسكر في الصديحة مع قواته لاتخاذها قاعدة لمحاربة إبن سعود في الاحساء، كما طلب منه أن يبلغ المعتمد السياسي البريطاني في الكويت أن لا يتدخل في الثورة، لكن المعتمد أوعز لشيخ الكويت بأن يرفض هذه الطلبات جملة وتفصيلا.[٣٠٣]

وفي أيلول سبتمبر من نفس العام، دعا إبن سعود امراء القطيف والاحساء وغيرهم إلى تزويده بالمال والسلاح والرجال، وتعرض الشيعة إلى حملة تجريد من كل ما يمتلكونه من اموال وخيول واسلحة بحجة الحرب، وفي نفس الفترة وعد الانجليز الملك باربع طائرات لقتال الاخوان يقودها طيارون انجليز، وقد وصلت بالفعل إلى سواحل الاحساء في نهاية عام ١٩٢٩.[٣٠٤]

وقصة نهاية الاخوان محزنة إلى ابعد الحدود..فؤلاء لم يكونوا يفقهون في السياسة شيئا..والملك عقيم، تستباح من اجله الدماء، وتنهب الاموال، وتنتهك الاعراض، إذا ما قرر المنتصر ذلك، وهو ما حدث بالفعل..الم يقل إبن سعود: كل شيء في الحرب يجوز؟!.

ضربة معركة السبلة الشهيرة عام ١٩٢٩ لم تقض على الدويش، فبعد استسلامه لم يستطع إبن سعود إعتقاله، وحسب مترجم الملك الذي شهد الواقعة فإن ما منع إبن سعود من إعتقاله، ليس تقرير طبيب الملك بان الدويش لن يعيش الا قليلا، ولكن لان جماعته كانوا يحيطون بمعسكر الملك.

وكما في قصة فهد بن جلوي، والخيانة التي ارتكبها، حدث ذلك الامر مع الدويش الا أنه كان حذرا فنجا، أما سلطان بن بجاد، فاتح الحجاز، فيحكي مترجم الملك قصة إعتقاله وإنهاء دوره في الثورة الإخوانية، بالشكل الذي تبرز منه الخيانة والغدر،...قال: "ارسل عبد العزيزالى إبن بجاد يطلب منه أن يقابله في بلدة شقراء، وحينئذ اتجه هو وحاشيته إلى المجمعة حيث بقينا يومين..وقد نزل الملك هناك لدى الشيخ ابراهيم العنقري، الذي كان احد العلماء المشهورين وقاضي منطقة سدير، ثم سرنا إلى شقراء التي كانت تبعد حوالي خمسين ميلا جنوبا بغرب، وانتظرنا بصبر لنرى ما إذا كان إبن بجاد سيستجيب لطلب الملك ام لا، وكان إبن بجاد رئيس قبيلة عتيبة التي تمتد مناطقها من الرياض إلى مكة المكرمة، والتي كانت اكبر كثيرا من قبيلة الدويش..وقد تلقى الطعم وقدم إلى شقراء مع حوالي خمسين رجلا من قبيلته..فأخذ عبد العزيز يوبخه بقوله :انت لست شيئا يا إبن بجاد..ثم القى القبض عليه ومن معه وارسلوا مقيدين إلى الرياض، وهناك قتلوا.."[٣٠٥]!.

---

[303] المصدر السابق، ص ٩٧ــ ٩٨

[304] فاسيلييف، مصدر سابق، ص ٢١٥

[305] محمد المانع، مصدر سابق، ص ١٥٢ ــ ١٥٢

ويعلق ديكسون، المعتمد السياسي البريطاني، وهو احد اهم من شاركوا في إنهاء الاخوان من الوجود، يعلق على هذا الامر وعلى الطريقة التي حورب بها الاخوان، بقوله في كتابه " الكويت وجاراتها " :"ثمنت إبن سعود اتباعهم بعمل وصفه اصدقاؤه بانه عقاب حق، ووصفه اعداؤه بانه الغدر بعينه، ويمكن إرجاع ثورة الدويش التالية التي كلفت إبن سعود كثيرا إلى هذه الحيلة الملكية لأن العربي لا ينسى "[٣٠٦].

ومع هذا نهض الدويش من كبوته وتشافى من جراحه، وقاد المعركة من جديد ودارت معارك عديدة قتل في إحداها عزيز إبن فيصل الدويش ففت ذلك في عضد والده..وفي هذه الاثناء اتفق الانجليز مع إبن سعود على محاصرة الاخوان في المثلث الشمالي الشرقي من حدود المملكة، بحيث لا يستطيعون الهرب إلى الأردن، ولا الالتجاء إلى العراق والكويت، وقد وصف غلوب باشا من موقعه في إمارة شرق الأردن تفاصيل عديدة وطويلة جدا لنهاية الاخوان، من حق القارئ على الاقل الإشارة إليها. لقد جاءت نهاية الاخوان على يد قوات غير الملك، وذلك في صباح التاسع والعشرين من ديسمبر ١٩٢٩حيث هاجم محسن الفرم ومشعل إبن طوالة والعجيمي بن سويط معسكر الدويش الذي كان هادئا قبل الفجر بساعتين.

يقول غلوب باشا " في اللحظة التي كان فيها رجال قبائل المطير يقفزون واقفين، كان اول ما خطر ببالهم، أن مهاجمهم هو إبن سعود، الذي كانوا يعرفون أن اعداد قواته تفوق اعدادهم بكثير...وربما لم يكونوا ينوون قتاله اصلا..وبغريزة البدو الاولى، اندفع رجال المطير إلى جمالهم، وسرعان ما كانت ثرواتهم وقطعانهم تهوي باتجاه الباطن بأقصى سرعتها، تاركين خيامهم للاعداء..ولم تكن هناك مقاومة تذكر..ومن هنا فقد كانت المذابح محدودة، ربما لم يزد عدد الذين ذبحوا ــ دون مقاومة ــ على خمسين رجلا وصبيا "![٣٠٧].

هرب الدويش واعوانه إلى العراق، وخيم الملك عند الدبدبة قرب الكويت مطالبا تسليم المتمردين، وتوسط ديكسون الذي اخذ يتنقل بين الدبدبة والبصرة، حيث وضع قادة الاخوان على ظهر البارجة لوبن، واخيرا عقد إجتماع بين إبن سعود والمقيم السياسي في منطقة

---

[306] ويقول ديكسون عن خيانة فهد بن جلوي لزعيم العجمان ضيدان بن حثلين، أنه حين التقى الاخوان من العجمان بقوات فهد بن جلوي في موقع يقال له، الصرار، ارسل الاخير إلى ضيدان كتاب امان بخط يده، وطلب منه موافاته في معسكره من اجل البحث سلميا لانهاء النزاع، وحين استشار ضيدان جماعته، اشاروا عليه بالا يذهب، وعلى حد قول ديكسون، ، :نصحوه بعدم الذهاب إلى عواينة، معسكر إبن جلوي، لان رائحة الغدر تفح من الرسالة.

ولهذا اتفق معهم على الذهاب ليعود في وقت محدد، والا فليعلموا أنه غدر به، وهكذا " ذهب ضيدان ومعه اثنا عشر رجلا، فاستقبله، فهد بحفاوة بالغة، ولكنه عندما نهض ليغادر المكان القى القبض عليه وكبل بالاصفاد، واضاف ديكسون " وانتشرت انباء الاغتيال كالنار، وحركت المشاعر في شمال شرقي الجزيرة العربية، وانقلب الكثيرون على إبن سعود،

[307] تقرير سري مطول اعده غلوب باشا /مؤرخ في ١٦ابريل ١٩٢٠ يغطي الفترة الواقعة بين الأول من ديسمبر ١٩٢٩، وحتى منتصف يناير، أي حتى نهاية الثورة، انظر الوثيقة، E 2578/1/91 مؤرخة في ١٩مايو ١٩٢٠ ومرسلة من وزارة شؤون الهند إلى وزارة الخارجية.

الخليج، ورئيس اركان القوة الجوية البريطانية في بغداد، تقرر فيه تسليم قادة الاخوان إلى إبن سعود، وطرد قبائل المتمردين اللاجئين في العراق أو الكويت، وإعادتهم إلى حدود نجد عند المنافيش، وقد تم الطرد في شهر فبراير ١٩٣٠.

ويقول غلوب باشا في تقرير مطول له بتاريخ ٢٠ فبراير ١٩٣٠ " لقد اثار قرار تسليم الدويش ونايف بن حثلين وجاسر بن لامي لابن سعود دهشة كبيرة بين قبائل العراق، فليلون أن وجدوا، هم الذين كانوا يتصورون أو يخطر على بالهم أن الحكومة البريطانية يمكن أن تسلم اولئك الذين سلموا انفسهم لها راغبين وبملء إرادتهم.الرأي العام يميل إلى الاعتقاد بان الزعماء المتمردين ربما كانوا سينفون أو تسجنهم الحكومة البريطانية، مع القبول بان القبائل نفسها قد تعاد إلى نجد بعد أن يكون قد اخذ منها كل جمال وماشية الكويت والعراق التي كانت بحوزتها".

ويعود غلوب باشا في تقريره المؤرخ في الأول من مارس ١٩٣٠ ليكمل الحكاية..يقول :" بعد أن انتهى المؤتمر بين المقيم السياسي البريطاني في الخليج الفارسي وابن سعود، بدأت القوات البريطانية بسوق القبائل الهاربة ــ استعمل كلمة سوقها، كما تساق القطعان ــ باتجاه حدود نجد، وقد مرت القبائل ببطء قرب الجهراء باتجاه منطقة المنافيش، حيث سلمت إلى ممثلي إبن سعود ".

وبعد أن يتحدث غلوب باشا عن مصادرة ما يمتلكه ابناء القبائل من ماشية وجمال وخيول، يقول "أن فيصل الدويش ونايف بن حثلين وجاسر بن لامي، حين وصلوا إلى معسكر إبن سعود عن طريق الجو، سيقوا جيمعا لاستعراضهم امام الملك، وعلى مرأى من المجلس الحاشد، وقد احضر كل واحد منهم امامه ليسألهم عن سبب تمردهم.قال الدويش بصراحة وجرأة أن هدفه كان الإطاحة بحكم عائلة إبن سعود.اما إبن حثلين فيقال أنه هز كتفيه وأجاب : قسمة ونصيب، واما جاسر بن لامي، فقد اشار إلى الدويش قائلا :هذا هو الرجل الذي ضيعنا"[٣٠٨].

---

[308] من المجازر التي ارتكبت بحق القبائل المستسلمة التي سيقت من الكويت ما اورده احمد عبد الغفور عطار في كتابه "صقر الجزيرة" ص ٥٩٢، اذ يحكي هذه المأساة :

"وكان إبن سعود في طريقه يؤدب كل من صادف من العصاة أو اتباعهم، حتى كان في اليوم العاشر من شعبان في " دنية عيفان " راكبا سيارته الخاصة، وكان معه الشيخ يوسف يس، والشيخ عبد الله بن حسن ال شيخ، والدكتور مدحت شيخ الارض، وسائق السيارة الهندي، ..ابصر سربا من الظباء يبلغ الخمسمائة، فأمر السائق بان يعدو بالسيارة خلفها، وصاد اربعة منها وطار الخامس، فطارت خلفه السيارة، إلاّ أن الظبي المذعور مال في عدوه إلى اليمين منحرفا عن طريق السيارة المطاردة، فمالت هي ايضا، فرأى إبن سعود جمعا كثيرا، ولم يحقق فيه لاشتغاله بالظبي الفار، حتى اصابه وصاده، ثم انثني يرقب الجمع، فظنه في بادئ الامر بعض جنده، غير أنه التفت إلى جانب منه فرأى نساء واطفالا واغناما مما نفي ظنه، لانه ليس مع جنده نساء واطفال.

ولم يكن احد معه غير رفاقه الذين هم بالسيارة وغير سائقها، فخشي من كثرتهم فارتد بسيارته إلى الوراء فأبصر سيارة ابنه محمد قادمة اليه، فاركب فيها احد رجال مطير ــ قبيلة الدويش ــ ليكشف له الامر،

ويمضي غلوب باشا ـــ ابو حنيك ـــ فيكمل الرواية المؤثرة "وضع السجناء في سيارة وارسلوا إلى الرياض وهم مقيدون بالسلاسل والقيود، ويقال أنه لدى وصولهم ادخلوا إلى الزنزانة واحدا بعد الاخر، حيث وجدوا سلطان بن حميد ـــ إبن بجاد ـــ مقيدا بأغلاله وقيوده، فطلب منهم أن يحيوا صديقهم، تقول الروايات أن الدويش وابن حميد تعانقا وهما يبكيان، لكن نايف بن حثلين رفض دخول الزنزانة إلى أن اجبره الحرس ودفعوه داخلها بالقوة، وبعد هذا المشهد، عزل السجناء عن بعضهم ووضع كل منهم في زنزانة منفردة ".

وبعد أن يصف غلوب مشاهد الاستيلاء على ممتلكات الثوار، يضيف هذه الفقرة المزرية، ":وكآخر علامة من علامات الانتصار، فإن إبن سعود نفسه تزوج وهو في "قرية" زوجة المرحوم عزيز ـــ إبن فيصل الدويش ـــ الذي قتل في معركة دارت بينه وبين قوات إبن مساعد ـــ بن جلوي ـــ قبل ستة اشهر ـــ يبدو أن اخذ زوجة العدو عادة مألوفة يمارسها إبن سعود، لانه بعد إستيلائه على حائل اخذ زوجة إبن رشيد بنفس الطريقة "[309]!.

لقد اراد الملك قتل سجنائه قتلا بطيئا، بالتعذيب والتجويع، الا أن حياتهم كما يبدو طالت بالنسبة للملك، فأرسلهم إلى إبن جلوي لينهي وجودهم، دون أن يعلم احد اين قبورهم. وبالنسبة للانجليز فأن تقارير المعاملة السيئة للسجناء تتردد عليهم. إلاً انهم لم يحركوا ساكنا، ولم يكلفوا انفسهم حتى مخاطبة الملك بالنسبة لوعوده اليهم بإبقاء السجناء أحياء.

في الثاني من سبتمبر عام ١٩٣٠، زار الشيخ إبن مقراد، شيخ فرع المحفوظ من قبيلة العجمان، المعتمد السياسي في الكويت ـــ ديكسون ـــ وابن مقراد مقرب من إبن سعود نفسه ومن حاكم الاحساء الجزار عبد الله بن جلوي، وقد علم ديكسون من إبن مقراد " أن حالة

راح المطيري وإذا بالجمع اطفال ونساء قبيلة الصفهان، احد بطون العجمان، وكانت قد خرجت على إبن سعود، وفر الرجال إلى الكويت.

وما كاد الامير محمد إبن جلال الملك يسمع جواب الرسول حتى تحمس لقتالهم، فمنعه ابوه، ولكنه اصر وقاد رتلا من السيارات المسلحة وعليها بعض ال سعود الشجعان، واسرع اطفال ونساء الصفهان ومطير فقابلوه لضيافته، وما هي إلاً دقائق، ليبيد بعدها النساء والاطفال.

وكان إبن سعود في المعسكر يهيئ المدد لنجدة ابنه، ثم اسرع بسيارته إلى المعركة يشهد سيرها، ولكنه وجد ابنه محمد راجعا ومعه قلة ضئيلة من النساء والاطفال والغنائم، وكان عمر محمد حينئذ ثمانية عشر عاما.

وكان كل ما تبقى من الاطفال والنساء اطفال ذكور، وثلاث نساء واربع فتيات اعمارهن بين التاسعة والعاشرة...ولكي يواسي إبن سعود الاطفال، اعطى لابنه محمدا فتاة وامرأة..وتزوج الملك بالبنات الثلاث، وتسرر أمرأتين..ووضع الذكور الخمسة في خدمته الخاصة، وصادر الاغنام والابل وعددها ألف رأس..اما ضحايا المعركة فكان ٧٤٢".

[309] هل يمكن تهنئة أبن سعود على هذا النصر ام الانجليز، ام الاثنين معا؟!.. لقد بعث القائم بالاعمال البريطاني في جدة، "و. ل. بوند " رسالة تهنئة للملك لقضائه على الثورة، وذلك بتاريخ ٢٩فبراير ١٩٢٠ جاء فيها :لقد سرني كثيرا أن أقرأ عن الفرحة الغمرة والشاملة التي ملأت قلوب رعايا جلالة الملك إبن سعود المخلصين لانتهاء الاضطرابات الاخيرة في نجد، واسمحوا لي بان اضيف تهانئ إلى جلالته على النجاح الذي توج جهوده لتحقيق هذا الغرض..واني على ثقة من أن الامة البريطانية تردد صدى هذا الامل ـــ امل توطيد السلام والامن، "انظر الوثيقة E1380/1/90 مؤرخة في ١٧مارس ١٩٢٠

الدويش وابن حثلين وابن لامي تزداد قساوة وشدة يوما بعد آخر، وانهم يعاملون بقسوة أشد من المعاملة الماضية بكثير، وان المعتقلين لم يعودوا قادرين هذه الايام على الحركة وممارسة التمارين الرياضية كما كان سمح لهم من قبل، وبالاضافة إلى تقييدهم بالاغلال والسلاسل، فقد ربطوا إلى ادوات تعذيب خشبية ثقيلة ". ويعلق ديكسون على هذه الاخبار، بقوله: مع أن الحذر مطلوب في قبول هذه الرواية، فإنها تحمل خاتم الحقيقة والصدق، خاصة وان إبن مقراد من المخلصين والموالين المعروفين لابن سعود، ومن اصدقائه ايضا..كما المح إبن مقراد إلى أن الوقت قد حان لتحرك الحكومة البريطانية، ودفع إبن سعود لكي يعامل سجناءه باحترام اكبر، خاصة وانه معروف في جميع انحاء نجد أن الملك قد وعد الحكومة البريطانية، وعدا خطيا بان يعامل هؤلاء بطريقة انسانية ".

وعلم ديكسون منه أن إبن مقراد جاء برفقة والد زوجة فهد الحثلين، واسمه حسين ــ أو حزين ــ الحثلين، وخالد المحمد " من فرع سمحان " والذي التجأ إلى العراق، وقد أبلغ حزين المعتمد السياسي أن عائلة خالد موجوده في الرياض حاليا، وان إبن سعود قد تزوج اثنتين من شقيقاته، تماما كما فعل هو ــ أي إبن سعود ــ واخوه حين اخذا زوجات العزيزي إبن الدويش بعد مقتله..اما هدف حسين الحثلين، فهو إعادة عائلة فهد الحثلين، والمؤلفة من شقيقته ووالدته وطفلة، إلى الرياض، لكن السيدتين رفضتا مرافقته، وقد نصبتا خيامهما خارج مدينة الكويت، قرب آبار الشامية.

ماذا كان تعليق الخارجية البريطانية على هذه الاخبار.

قال باكستر من وزارة الخارجية :قرار، لا يتخذ أي اجراء !.

وشرح الامر بقوله :"إذا كانت رواية إبن مقراد صحيحة، فأن إبن سعود لا يكون من الذين يقدرون الحفاظ على الوعد والوفاء به.

واضح أن من مصلحتنا أن يوفي إبن سعود بوعده، ورغم أن الدليل يثبت العكس، فإنه لا يكفي لتقديم مبرر لنا لنقدم أي احتجاج رسمي لحكومة الحجاز، إلاّ أنه يمكن للمستر هوب جل أن يذكر المسألة في احدى المناسبات "[310]!!.

في النصف الثاني بدأت الاخبار ترد إلى الانجليز عن موت فيصل الدويش، الذي قيل أن السرطان أصاب حلقه، وقيلت إشياء أخرى، لكن تبين في النهاية أن الملك سلم قادة الاخوان لابن عمه عبد الله بن جلوي فأعدمهم.

---

[310] الوثيقة رقم E5776/1/91 مؤرخة في ٢٤ اكتوبر ١٩٢٠.ومرسلة من وزارة شؤون الهند إلى وزارة الخارجية، وتتضمن الوثيقة نص تقرير المعتمد ديكسون المرسل إلى المقيم في بوشهر بتاريخ ١٩٢٠/٩/٢

في الرابع من نوفمبر ١٩٣١ارسلت المعتمدية البريطانية في الكويت نبأ عن مقتل الدويش في السجن، وحينما استفسر الانجليز بشكل عابر عن الامر، روى السعوديون ظروف موته بانها كانت طبيعة واعتيادية، وحتف أنفه !.

وفي الثاني عشر من الشهر نفسه ارسل هوب جل من جدة تقريرا إلى وزير الخارجية البريطانية يحمل عنوان " إعتقال عدد من اهالي الحجاز في الرياض "تضمن فقرة تصف سجن قادة الاخوان شاهدها عن قرب احد المعتقلين، تقول الفقرة: أن السجون السعودية "تذكر بسجون الملك حسين، فهي سجون كلها تحت الارض، بلا نوافذ، وهي على نوعين، نوع له حفرة صغيرة تقوم مقام المدخل، تفتح مرة واحدة في اليوم لإدخال الطعام، أما النوع الآخر فلها باب يفتح خمس مرات في اليوم في مواعيد الصلاة..ويعتقد بان فيصل الدويش قد وضع في سجن من النوع الأول، وانه لم يعش بعدها إلاّ خمسة أيام..اما إبن بجاد وثلاثة من رفاقه، وكذلك ابو كلاب التركي ـ نايف بن حثلين ـ فيعتقد بأنهم ما يزالون على قيد الحياة في سجن من النوع الثاني".

أبدت وزارة الخارجية دهشتها للتقرير، لماذا؟.

"الموضوع ذو اهمية قليلة، لأن وزارة المستعمرات كانت تعارض تسليم قادة المتمردين النجديين، ولم توافق على ذلك إلاّ بعد إشتراط حصولنا على تأكيدات من إبن سعود بانهم لن يعاملوا معاملة بربرية " كما يقول مسؤول قسم السعودية في وزارة الخارجية، ج. و. رندل الذي طلب تفاصيل أخرى.

رد جل في ١٤نوفمبر، بأن وقت وفاة الدويش غير معروف، ربما بعد ثمانية اشهر من إعتقاله، ولكن وصف سجون الرياض لم يكن فيه اية مبالغة.

"لقد وضع فيصل الدويش في أظلم وأحلك الحفر، وانه كان مقيدا بالاغلال الحديدية، وان أوامر إبن سعود تقول بالا يسمح لمثل هذه السجين بالخروج من تلك الحفرة ولو للحظة واحدة لقضاء حاجة طبيعية، ولكن إذا كان فيصل قد بقي على قيد الحياة حتى ثمانية اشهر، فلا بد أن تكون القيود والاوامر قد تم تخفيفها ".

وأضاف جل: "كما أن إبن حثلين وابن لامي وغيرهما، وجميعهم من شيوخ عجمان، موجودون في زنازين من النوع الثاني والاغلال في اعناقهم واقدامهم، ولكن يسمح لهم بالخروج في أوقات الصلاة..اما إبن بجاد، فقد كان من كبار زعماء قبيلة العتيبة حين ثارت في عام ١٩٢٩..وقال الشيخ باجبير ــ احد السجناء الحجازيين الذين افرج عنهم ـ أن إبن

بجاد موضوع ايضا في الاغلال الحديدية، لكن باب زنزانته يبقى مفتوحا، ويستطيع التجول في ارجاء السجن.[٣١١]

وفي سبتمبر ١٩٣٣تأكد البريطانيون أن إبن سعود قتل جميع المعتقلين السياسيين...فشتموه ولكن في اوراقهم الخاصة فقط، ولم يتقدموا بأية إحتجاج أو إعتراض، أو حتى إشارة.

من تقرير الكويت الاستخباري لشهر اكتوبر ١٩٣٣وردت المعلومة التالية قدمها احد افراد قبيلة العجمان إلى شيخ الكويت " افاد هذا الشخص العجماني بانه اصبح من المؤكد أن سجناء الرياض الذين عمت شهرتهم الآفاق الآن، وهم :نايف بن حثلين، وابن لامي، وابن حميد، قد قتلوا بناء على اوامر إبن سعود، يظهر انهم ارسلوا في ثلاث سيارات شاحنة، ظاهرا إلى الهفوف، وذلك إستجابة لطلب تقدم به إبن جلوي منذ طويل، بان يترك له امر التصرف بالمساجين، ولكن يبدو أن السيارات الشاحنة لم تصل إلى الهفوف ابدا، ولكنها عادت فارغة إلى الرياض في اليوم التالي، ولقد شاع في كل مكان في الرياض أن السجناء قد اطلق عليهم الرصاص، ثم دفنوا في رمال الدهناء على يد جماعة ارسلها إبن جلوي لاستلام السجناء ". وعلق احد الانجليز بالقول: " إن قصة قتل هؤلاء البؤساء سيئي الحظ، قد وصلت إلى الكويت من عدد كبير من المصادر خلال شهري سبتمبر واكتوبر إلى درجة لا يسعني معها إلاّ التوصل إلى النتيجة المؤسفة وهي أن هذه القصة صحيحة. أما قبائل عجمان والمطير، والتي كانت ما تزال تأمل بان يكون زعيماهما: إن إبن حثلين وابن لامي، على قيد الحياة، فقد رفضت أن تصدق أن يسمح إبن سعود لنفسه باقتراف عمل جبان خسيس كهذا، إلاّ أنه حتى تلك القبائل قد استسلمت لتصديق ما يبدو أنه الحقيقة اخيرا."

وأضاف التقرير الاستخباري "يقال لم يرافق السجناء سوى حرس إبن سعود الشخصي من العبيد حين انطلقوا في الشاحنات، وانه حتى سائقو السيارات كانوا من العبيد، ولهذا لم يكن هناك شهود عيان عرب على هذه الفعلة، فالعبيد لا يتكلمون ابدا، وعلى كل حال فأن هناك ثلاثة اشياء مؤكدة، تأكدت ايضا من تقارير قبائل عجمان والمطير العديدة، هذه الاشياء هي:

١ــ أن السجناء انطلقوا فعلا صوب الهفوف وانهم شوهدوا.

٢ ــ المرأة العجمانية المسنة التي كانت تطبخ طعام السجناء وترسله اليهم في السجن يوميا، اخبرت بانه لم يعد هناك حاجة لخدماتها، لان السجناء توجهوا في اليوم السابق إلى الاحساء.

٣ــ أن السجناء لم يصلوا إلى الهفوف ابدا.

[311] انظر الوثيقة E5264/62/25 من المستر هوب جل، جدة إلى وزير الخارجية بلندن، في ١٩ سبتمبر ١٩٢٢، ومن ج. و. رندل من خارجية لندن في ٢٧ إلى هوب جل في جدة، ومن هوب جل إلى رندل في ١٤نوفمبر ١٩٢٢

"لقد اقسم إبن جلوي عدة مرات، وأمام الملأ، بأنه سيقضي على حياة نايف إبن حثلين، للدور الذي لعبة في مقتل ابنه فهد إبن جلوي عام ١٩٢٩، وان يعدم إبن لامي وإبن حميد إذا ما وقعا يوما في يده..كما أنَّ ترفُّق الملك بحال هؤلاء السجناء(!!). قد سبب فتورا في العلاقات بين حاكم الاحساء وسيده ".

"وبالنظر إلى التعهد الخطي الذي قدمه إبن سعود إلى حكومة صاحب الجلالة البريطانية، بواسطة الراحل بيسكو، في خباري وضحة في أعقاب إنهاء تمرد الاخوان، والذي يقضي بالا يقتل إبن حثلين أو إبن لامي، وان يوضع فيصل الدويش في السجن لفترة معقولة، إذا ما سلمت الحكومة البريطانية هؤلاء له، فإنني آمل أن تولي السفارة في جدة إهتمامها وتجري استفسارات دقيقة وشاملة حول حقيقة القصة المدونة اعلاه، فالحادثة ذات اهمية عظمى في انظار البدو، إذ أن الكل يعرفون الوعد الذي قطعه الملك للحكومة البريطانية وستتهم انجلترا بانها خرقت عهدها بشكل خطير إذا ثبت أن هؤلاء السجناء قد صفوا جسديا "[٣١٢].

ويتحدث تقرير الكويت الاستخباري عن شهر نوفمبر ١٩٣٣، والذي اعده كما يبدو ــ المعتمد البريطاني في الكويت ــ عن معلومات تلقتها المعتمدية من سائق الملك إبن سعود ويدعى جمعة.

يقول التقرير[٣١٣] الذي يحمل عنوان "مصير السجناء السياسيين في الرياض": "زارني سائق سيارة إبن سعود الثانية، وهو صومالي يدعى جمعة محمد يحيى يوم السادس والعشرين من نوفمبر وقدم لي المعلومات الهامة التالية، والتي اعتقد انها موثوقة :

غادر جمعة الرياض في ١٥نوفمبر بالسيارة ومعه إبن ابراهيم بن معمر، في اليوم السابق لذلك، غادر إبن سعود الرياض متوجها إلى ركبة فيما بدا انها رحلة لصيد الغزلان، ولكنها كانت في الواقع زيارة لمناطق العتيبة، في طريقه للاطلاع على ما يمكن عمله لتهدئة تلك القبيلة التي يقال انها مهتزة الولاء، وأن الإمام يحيى قد استمالها. واخبرني جمعة أنه كان حاضرا حين نقل السجناء من سجن الرياض، قبل اسبوع واحد من وصول شيخ قطر إلى العاصمة الرياض في الأول من سبتمبر..الظروف كانت كالتالي :

ست سيارات شاحنة، وسيارة شيفروليت واحدة وصلت إلى الرياض من الهفوف، وهي تحمل زوجة الامير فيصل ــ الملك فيما بعد ــ وهي حفيدة إبن جلوي.

---

[312] الوثيقتان E6693/884/91,E7560/884/91 مؤرختان في ١١/٢، ١٩٢٢/١٢/٧ ومرسلتان من وزارة شؤون الهند إلى وزارة الخارجية.

[313] الوثيقة E185/185/25 مؤرخة في الثالث من يناير ١٩٢٤

اغتنم إبن سعود الفرصة لارسال السجناء التالية اسماؤهم إلى الهفوف بالسيارات نفسها، وهم : سلطان إبن حميد، ونايف إبن حثلين، وابن لامي، و١٤شيخا عريبا اخربن من شيوخ القبائل.

خلال عملية النقل مورست اقصى السرية المطلقة، وجرت في الساعة الحادية عشرة والنصف ليلا..وقد وضعت حراسة مشددة على كل الطرقات المؤدية إلى السجن، ومنع السائقون من استخدام ابواق سياراتهم سواء في الرياض أو في الهفوف حين الوصول.

حين اخرج السجناء من زنازينهم بدا عليهم المرض والاعياء الشديد، وكانت ذراع إبن حثلين اليسرى ما تزال في الجبائر نتيجة ما تعرض له من الضرب والجلد حين اشتبه بان له ضلعا في محاولة هروب شيخ العتيبة في الصيف الماضي [٣١٤].

تحركت السيارات عند منتصف الليل تحت حراسة ثمانية عشر من العبيد المختارين بعناية، من عبيد إبن جلوي، حيث سارت سيارة الشيفروليت في المقدمة، والسيارات الشاحنة الاربع في الوسط، ثم سيارة بيويك كبيرة في المؤخرة.

دخلت القافلة الهفوف عند منتصف الليل ايضا وبسرية مطلقة، حيث وضع السجناء في سجن القلعة "الكوت" في زنازين تحت الارض.

تلقى جمعة تفاصيل اخبار الرحلة من السائق الصومالي لسيارة البيويك الكبيرة، وهو صديق جمعة، والذي عاد إلى الرياض بعد ثمانية أيام من مغادرتة الرياض، وذلك برفقة عبد الله بن ثاني، شيخ قطر.

وقد اخبر السائق جمعة أن السجناء إن لم يكونوا قد اعدموا سرا من قبل إبن جلوي – ويرى الحرس من العبيد انهم سيعدمون – فانهم لن يبقوا على قيد الحياة لعدم قدرتهم على تحمل حياة زنازن السراديب، حيث لا يدخل ضوء على الاطلاق إليها. يرى جمعة أن الملك اراد لهم أن يصفوا جسديا بالسر، ولهذا ارسلهم إلى إبن جلوي". ويعتقد معد التقرير أن هذه القصة هي من أوثق ما وصل اليه عن سجناء الاخوان، " كما انني اعتقد أن هؤلاء السجناء لا يمكن أن تتوفر لهم فرصة من الامل، مهما قلت، بمجرد أن يقعوا بين يدي إبن جلوي، امير الاحساء غير الكريمتين ".

وكما يبدو فإن آخر تدخل من قبل الانجليز في القضية هو ما قام به اندرو رايان، الوزير البريطاني المفوض في جدة، والذي ابدى رأيه في الموضوع بانه لا يعتقد أن إبن سعود سيخلف وعده للانجليز بعدم قتل السجناء، ومع هذا سأل فؤاد حمزة، مستشار الملك، في

---

[314] المقصود هنا هو شيخ صغير، احد افرع قبيلة العتيبة، وكان قد اودع في سجون الرياض ضمن قادة الاخوان، وقد حاول الهرب من السجن، لكن محاولته باءت بالفشل، إذ انقطع الحبل الذي استخدمه للهبوط من اعلى السور، وحينها قتل الشيخ رميا بالرصاص امام الجميع في الساحة العامة، انظر الوثيقة E1780/884/91 والمؤرخة في الرابع من ابريل ١٩٢٢

٢٩ديسمبر ١٩٣٣، عنهم، فرد عليه بان وعد الملك لا ينطبق على " إبن بجاد " وإن إبن سعود لا يقدر على الاخلاف بوعده.

وفي العاشر من يناير ١٩٣٤حمل فؤاد حمزة لاندرو رايان تطمينات الملك بان إبن لامي وابن حثلين فقط لا يزالان على قيد الحياة..ورفض أن يؤكد اخبار نقل السجناء إلى الاحساء..حيث أن الاخبار تقول بانهم نقلوا إلى سجن العبيد بالهفوف.الذي يعتبر الداخل فيه مفقود.

ونصح رايان بعدم متابعة القضية "لان عملا كهذا قد يؤدي إلى ظهور برود واضح في العلاقات بين إبن سعود وبين حكومة صاحب الجلالة..وانا شخصيا لا احب هذا.. واشك إلى حد ما بأنهما نقلا إلى الهفوف، واعتقد أن إبن جلوي سجان قاس وظالم.وفي رأيي فأن ما فعلته حتى الان سيكون كافيا.واثناء احاديثي مع فؤاد استغللت الفرصة لاقترح بأن الملك، وبعد مضي هذه الفترة الطويلة من الزمن، يمكن أن يخفف من قسوته وبطشه، وان يعامل هؤلاء السجناء كما يعامل الكثيرين الذين يوضعون تحت نوع من انواع الاعتقال المفتوح ــ الاقامة الجبرية ــ ولكني لست متأكداً أن ينقل فؤاد للملك هذا الاقتراح، وإن احسن امل لهؤلاء الرجال سيئي الحظ هو في أن يخفف إبن سعود من غلواء قسوته بعض الشيء..لقد اخبرني فؤاد بشكل عفوي بان استعطافا قد رفع إلى الملك من اجل إبن بجاد، ولكن هذا الاستعطاف لم ينجح "[٣١٥].

لقد كانت بريطانيا مسؤولة بشكل مباشر واساسي عن إفناء الاخوان، فقد رأت أن ثورتهم اخذت شكلا مزعجا لها وللسلطات المحلية في الكويت والعراق وشرق الأردن، فاتخذت موقفا متشددا منها، وساعدت الملك إبن سعود في ضرب فرق الاخوان بقنابل طائراتها، كما انها رتبت تعاونا مع شيخ الكويت من اجل استعماله القوة ضد الثوار، كما أن القائد البريطاني غلوب باشا، قائد جيش شرقي الأردن، قدم خدمات عسكرية لحكومته وللعراق وللسعودية ضد الاخوان، واتفقت بريطانيا مع إبن سعود على محاصرة الثوار من الحدود الكويتية والعراقية، ولما دخل الثوار حدود العراق مستسلمين، سلمتهم بريطانيا للملك عن طريق الكولونيل ديسكو وديكسون، وارسلت رسالة تهنئة للملك بعد نجاحه في القضاء على الثورة.

"والواقع أن ثورة الاخوان كادت تعصف بحكم الملك لولا مساندة بريطانيا له باستخدامها قواته الجوية ووضعها قوة كبيرة على الحدود الكويتية، ولولا هذه الاعمال لما تمكن الملك من

---

[315] الوثيقة رقم 85/25 / E983صادرة في ٢٥يناير ١٩٢٤، ومسجلة في ١٢فبراير ١٩٢٤، وهي مرسلة من الوزير المفوض في جدة السير اندرو رايان إلى السير جون سيمون في خارجية لندن، وتحمل الوثيقة عنوان : اعدام سجناء الدولة في الرياض ".

سحق الثورة بهذه السهولة، ولتعرض البيت السعودي لاخطر النتائج..وقال الملك لما قضى على الثورة: من اليوم سنحيا حياة جديدة "[316].

وفعلا بدأت المملكة حياة جديدة، وتخلص الملك من بعض التعصب الذي هدد كيان الدولة الناشئة.

غير أن الشيعة الذين هم اول ضحايا الاخوان لم يبدأوا مسيرة جديدة تتسم بالعدل والانصاف والتسامح المذهبي..صحيح أن حدة التعصب خفت إلى حد ما، لكن اساس التعصب الذي حمل الاخوان لواءه ضد الشيعة، يعتقد به الملك ومعظم مشايخ المؤسسة الدينية الرسمية..ولو أن الاخوان لم يتجاوزوا الخط السياسي الاحمر، لما تعرضوا للتصفية.

وستوضح الصفحات التالية أن مسألة التعصب المذهبي ضد الشيعة لم تكن وليدة الاخوان فانتهت بانتهائهم، وانما تكمن بذورها في مختلف طبقات المجتمع النجدي المشبع بالمعتقدات الطائفية، كما هي مكرسة في عقول الحكام ايضا، مما جعل المسألة الطائفية تثور بين الفينة والاخرى، وتأخذ مداها الواسع حسب إرتضاء الحاكم.ورؤيته، الناقصة في الغالب، لمصلحته ومصلحة النظام الذي يتولاه.

---

316 الاصلاح الاجتماعي، ص ١٦٢ـــ ١٦٤.

شيعة المملكة والفتنة الطائفية في البحرين (١٩٢٣)

يعتقد عدد من الباحثين أن المشكلة الطائفية في البحرين ترجع في جذورها إلى تاريخ غزو ال خليفة وحلفائهم من القبائل "السنية" للبحرين التي قطنتها غالبية شيعية على مر التاريخ..ومن ثم قيام "الغزاة" ولأكثر من قرنين باحتقار الشيعة سكان الجزر الأصليين، لاعتبارات قبليّة في الاساس، ذلك أن الغزاة اعتبروا الجزر غنيمة تعود عليهم بالربح الوفير، ويحق لهم بمنطق المنتصر التصرف في ارضها وأهلها، بأي شكل كان.

ويبدو أن " المسألة الطائفية " لم تكن واضحة يوم غزا آل خليفة البحرين وسيطروا عليها في العقد التاسع من القرن الثامن عشر الميلادي.. على الاقل بالنسبة (للغزاة).. ذلك أن البدو أقلّ إلتصاقاً بالإسلام ــ فهماً وممارسة ــ من الحضر فضلا عن انهم كانوا بعيدين عن فهم مسائل الخلاف بين المذاهب الاسلامية.ولذا يرجح أن الفرز الطائفي لم يتحقق إلاّ بعد الاستيلاء على البحرين، حيث استخدم كوسيلة من ضمن الوسائل الأخرى لتبرير سيطرة الاقلية على مقدرات (الجزر) واضطهاد اهلها.

وعلى الارجح ــ ايضا ــ فإن ال خليفة لم ينتبهوا إلى "الخلاف " المذهبي إلاّ بعد أن احتل الوهابيون البحرين، بعد نحو ثلاثة عقود من سيطرتهم على البحرين، بقيادة ابراهيم بن عفيصان، وبعد أن فرض على عدد من ال خليفة الاقامة الجبرية في العاصمة السعودية الاولى " الدرعية " وحين عادت السيطرة على البحرين لال خليفة، وجدوا عددا من القوانين التي وضعها الوهابيون على اساس طائفي بحيث يخدم مصالحهم، فتوسّعوا في تطبيقها رغم الحروب الطويلة والدامية مع السكان الاصليين، إلى حد أن نحو نصف السكان هجروا مدنهم وقراهم إلى الساحل الآخر للخليج، وقدرت المدن والقرى التي أزيلت من الخارطة بنحو ١٥٠ قرية ومدينة.

ومع أن ال خليفة لا يعتبرون ــ بنظر الوهابيون ــ من المسلمين الصادقين، بل كانوا بنظر اولئك ــ شأنهم شأن الشيعة ــ كفرة ومراطقة،..الا أن الروح الطائفية التي مورست في البحرين كانت مغالية في التطرف خاصة إذ كانت ممارسة من قبل الاقلية ضد الاكثرية.

لقد حرم الشيعة في البحرين من كل حقوقهم، فلم تبق لهم ارض إلاّ وصودرت، وكان حصادهم الاكبر، :"ضرائب " مختلفة الاشكال والالوان، بل لم يسلم المواطنون على ارواحهم، حيث تعرضوا لهجمات متتالية اوقعت بينهم العديد من القتلى دونما سبب.هذا غير العمل بالسخرة وتعرضهم للطرد من "الوطن!" وتمييزهم في القضاء، وغير ذلك. ومع ارتباط البحرين بالانجليز وخضوع الاولى للثانية منذ عام ١٨٢٠، تغاضى البريطانيون عن ممارسات حلفائهم الطائفية، إن لم يكونوا قد شجعوها...حيث اكد الانجليز في تقاريرهم انهم تدخّلوا وقمعوا ثورات الشيعة بالسلاح..يقول المقيم السياسي البريطاني في بوشهر مخاطبا الملك عبد

العزيز في يونيو ١٩٢٣، أي بعد وقوع الفتنة الطائفية، ردا على إتهام الاخير بأن الانجليز وقفوا مع الشيعة ضد النجديين والشيخ المعزول عيسى بن علي: " من المعروف جيدا لسموكم أن موقف ومركز بريطانيا العظمى في البحرين هو مركز الخصوصية والصعوبة.. فمركزها هناك يعود إلى ما قبل تاريخ الذاكرة الحية..ولكن يكفي أن اذكر سموكم بهذا الخصوص بالحقيقة القائلة، بان الحكومة البريطانية هي التي اخمدت الاضطرابات اثناء القتال الضاري وما تبعه من فوضى، وهي التي دعت الشيخ عيسى ال خليفة ــ وكان يومها فارا طريدا ــ إلى تسنم مشيخة البحرين قبل خمسين عاما...فقد قتل والده في ذلك القتال الذي ادى إلى تدخل حكومة صاحب الجلالة تدخلا عسكريا لاخماده ".

"وخلال تلك الفترة الطويلة من الحكم والتي استمرت خمسين عاما، كانت الحكومة البريطانية هي التي ابقت الشيخ عيسى شيخا للبحرين، وهي التي لجأت إلى قوة السلاح في اكثر من مناسبة لتحقيق ذلك..وليس سرا أن حماية الحكومة البريطانية للشيخ عيسى، هي التي ساعدته، واكثر من مرة، ليس ضدّ الاعتداءات الخارجية فحسب، وانما ضد رعاياه انفسهم، أي البحارنة ــ الشيعة ــ الذين يتعرضون منذ زمن طويل للاضطهاد والقمع، ويشعرون بالاستياء المطلق من الاوضاع. بين ١٨٢٠ ــ ١٩٢٠ وعلى امتداد قرن كامل، لم يتدخل الانجليز مرة واحدة لصالح غالبية السكان المضطهدين في " جزر " البحرين..ولكن مع تطور حركة المعارضة ضد حكم ال خليفة، وانعكاس ذلك على البريطانيين انفسهم، حاول الاخيرون اصلاح الوضع لتدوم سيادتهم..وبدأت الدعوة إلى الاصلاح تظهر منذ عام ١٩٢٠ تقريبا، وكان الانجليز حريصين على اصلاح الوضع الطائفي بالطرق السلمية، وان كان بصورة غير جذرية، اذ لا يمكن أن يستمر حكم الاقلية بالصورة الطائفية المركزة إلى الابد..ولكن شيخ البحرين، الكبير في السن ــ لم يدرك ما ادركه الانجليز، الذين أرجعوا الاسباب التي تدفعهم للإصلاح إلى تنامي وعي الشيعة الذين كانت تصلهم الانتاجات الثقافية من مصر والعراق، والتي تدور حول الديمقراطية.. والى أن حكام البحرين هم اكثر جهلا من كثير من رعاياهم، والى أن الحكام يمارسون ابشع الممارسات الطائفية التي ضاق منها السكان. زار المقيم السياسي البريطاني في بوشهر "تريفور " البحرين في ديسمبر ١٩٢١، وهناك تقدم اليه الشيعة بشكوى قالوا فيها: " أن طائفة الشيعة تعيش حياة ملؤها الذلّ، وهي عرضة للمذابح الجماعية، وليس لها من ملجأ..كما أن شهادة أي من افرادها لا تقبل في المحاكم، إضافة إلى أن ممتلكاتها عرضة للسلب والنهب، عدا عن كون افرادها معرضين للمعاملة السيئة في أي وقت"..

وقال تريفور، أن الشيعة اخبروه بانه إذا لم يكن البريطانيون على استعداد لإقناع الشيخ بإيقاف الاضطهاد الذي يتعرضون له، وبتشكيل حكومة أكفأ من الحالية، فإن من واجبهم خلعه. وإقناع الحكام العرب الاخرين بحكم البلاد بدلا منه.[1]

وفي نفس الفترة ــ اواخر عام ١٩٢١ــ ازدادات المظالم، وإزداد التذمر والشكوى، بل أن عدداً من الشيعة لجأوا إلى المعتمد السياسي في البحرين الكولونيل " ديلي "..وكان "فداوية " الشيخ خالد بن علي (اخ الحاكم) وحاكم سترة وتوابعها، قد قاموا بمهاجمة عائلة شيعية، فقتلوا الاب، وجرحوا الابن الذي تعافى وطلب الحماية !!.مع أن هذا المعتمد كان في واقع الامر، " حاكم الجزيرة ــ البحرين " الاوحد!.

مع بدايات عام ١٩٢٢، تأكد لدى شيعة البحرين أن الانجليز لن يتدخلوا فصمم زعمائهم على القيام بمبادرة ضغط، اسفرت عن تقديم مطالب لشيخ البحرين ــ عيسى ــ في ١٩٢٢/٢/١٦، كان من بينها تعديل اجراءات القضاء وإيقاف العمل بنظام السخرة، والغاء ضريبة " الرقبية " المفروضة على الشيعة وحدهم، وإصلاح السجون، وحين تشاور الشيخ مع افراد العائلة الحاكمة، وافق من حيث المبدأ على المطالب مع تحفظات على "وضع السجناء " وعلى " ضريبة الرقبية " التي قال انها يجب أن تستمر "حسبما جرت العادة في زمن أسلافه" والتي يستلمها أخوه الشيخ علي [2].

لم تقبل النخبة السنية بمساواة المواطنين في الضرائب، ولا بإعادة ــ ولو جزء قليل ــ من الاراضي المنهوبة، ولا حتى بتعديل القضاء.

"قبيلة الدواسر المستقلة في البديع عارضت الفكرة منذ بدايتها، ولم تكن تقبل في أي حال بدفع الضرائب...حتى الشيخ حمد ــ إبن الشيخ عيسى ــ لم يكن راضيا..وبدا للكثيرين من السنة أن فكرة المساواة في جباية الضرائب تدخل بريطاني في شؤون البلاد...وبدأت قبيلة الدواسر بالاتصال بابن سعود "[3].

وابن سعود نفسه كان من اشد المعادين للإصلاح، خوفا من انعكاس ذلك على شيعة الاحساء والقطيف الذين يعاملون على قدم المساواة مع اخوانهم في البحرين.. تقول وثيقة بريطانية أن مطالبة السنة في البحرين بعدم التدخل البريطاني في الشؤون الداخلية (الاستقلال الداخلي) يعني بالنسبة لرجال القبائل غير المتعلمين صلاحية القيام باشياء كثيرة لانوافق عليها..انه يعني ادارة هذه الجزر لما فيه فائدة ومصلحة زعماء القبيلة التي ينتمي إليها هؤلاء، وهو يعني استغلال الشعب ــ الشيعة ــ لصالح الحكام..ويعني بالنسبة للسني المتعصب،

---

[1] د.رميحي ــ مصدر سابق / ص ٢٧٩

[2] المصدر السابق / ص ٢٨٠ ــ ٢٨١

[3] المصدر السابق / ص ٢٨٤

معاملة الشيعة، وكأنهم طبقة لا حقوق لها..وهو ما نشاهده اليوم في بلاد إبن سعود، التي لا تبعد اكثر من خمسين ميلا عن البحرين، ويعني أيضاً التلاعب بالعدالة بهدف خدمة مصالح القبائل الحاكمة ومركزها[٤].

وتشير وثيقة أخرى إلى اسباب عدم سرور إبن سعود بمطالبة شيعة البحرين بالانصاف، فتقول [٥]:" من المحتمل أن يكون الموقف الاخير والاكثر حسما والذي وقفه شيعة البحرين لرفع الاضطهاد عن انفسهم لا يسر إبن سعود...واعتقد أن هذا هو موقف وكيله هنا ــ القصيبي ــ بالنسبة للمسألة..ذلك أن لابن سعود رعايا من الشيعة في القطيف، على علاقة قوية بالبحرانيين، ويفرض إبن سعود ضرائب عليهم لا تتناسب ابدا مع ثروانهم، بل تستنفد معظمها، وقد تلقينا تقارير في مناسبة أو مناسبتين ماضيتين، تثبت أن رعاياه الشيعة مستاؤون من هذه المعاملة، وفي احدى المرات التي ابلغناكم عنها، وابلغنا المندوب السامي في العراق، حاول رعايا إبن سعود الشيعة، الاتصال بي، لكني ثنيتهم عن ذلك، لانه لم يكن لدينا رغبة في التدخل في شؤون سلطان نجد..ويتضح بصورة متزايدة، أن إبن سعود راغب اشد الرغبة في أن يدس انفه في شؤون البحرين، واعتقد أن المعتمد السياسي في الكويت قد لاحظ نفس الموقف، ولذلك فسيكون من مصلحة إبن سعود أن تستمر الإدارة غير الكفوءة في البحرين، لان هذا يمكنه من إقامة تحالفات مع القبائل المستقلة، مثل الدواسر..اما الاصلاحات التي تستتبع فرض ضرائب متساوية، فإنها تعني دعم حكومة البحرين في السيطرة على القبائل السنية والشيعية على حد سواء..".

لهذه الاسباب تحالف إبن سعود مع الدواسر، وقد انغمس في الشأن البحراني طيلة عامي ١٩٢٢و١٩٢٣...

ومن الثابت أنه منذ طرح موضوع الاصلاح على بساط البحث في الاروقة الرسمية البريطانية، تكثفت الاتصالات بين إبن سعود وزعماء الدواسر في البحرين عبر وكيله، عبد الله القصيبي،..وأشار المعتمد السياسي في البحرين (ديلي) في إحدى رسائله لرؤسائه في السادس عشر من يوليو ١٩٢٢، إلى أن شيخ الدواسر قام بزيارتين لابن سعود..الاولى كانت اثناء المباحثات التي كانت تجري بخصوص الاصلاحات، والثانية بعد ذلك بقليل..واشار إلى أن شيوخ البحرين لم تصلهم اخبار تحالف إبن سعود مع الدواسر إلاّ متأخرا. وانهم ما كانوا يعتقدون أن السنة سيعارضونها بشدة، خاصة وانها قائمة على اساس وضعهم في موضع مساواة كاملة مع الشيعة.

[٤] الوثيقة (FO.406/60(E4499 مرسلة من الكولونيل ل.هوارث في بوشهر إلى سكرتير حكومة الهند في ١/٩/١٩٢٧
[٥] الوثيقة FO.371/7721/E8918 مرسلة من المعتمدية البريطانية في البحرين إلى المقيم في بوشهر في ١٢/٧/١٩٢٢م.

وفي ١٩٢٢/٧/١٣م ارسل (ديلي) مرة أخرى إلى رؤسائه تقريرا مطولا عن وضع الدواسر وعلاقتهم بابن سعود جاء فيه [6]:

"كما افدتكم سابقا، قام شيخ الدواسر، يرافقه شخص يدعى احمد اللاحق، وهو مختار قبيلة سنية صغيرة أخرى ودساس مشهور، بزيارة إبن سعود منذ مدة.

ليس من الممكن طبعا معرفة ما دار بينهم، لكن الشيخ حمد بن عيسى اخبرني سرا بما يبدو أن إبن سعود عرضه، وبما علمه هو، وما سمعه من مصادر عليمة أخرى، يبدو أن إبن سعود عرض مساعدته لهم في اية مقاومة يبدونها ضد محاولة حكام البحرين فرض الضرائب عليهم، أو اخضاعهم للسيطرة الفعالة، ويقال أنه وعد باحد خيارين :

١ــ استخدام نفوذه لدعمهم ومساندتهم في حال مقاومتهم للحكام.

٢ــ أو، إذا كانوا يفضلون، تقديم موقع إقامة لهم في اراضيه، بحيث يستطيع الدواسر التهديد بمغادرة البحرين، وان ينفذوا تهديدهم إذا اقتضى الامر.

الوضع بالنسبة لهذه القبيلة هو كما يلي: مع انها تعترف اسميا بسلطة الشيخ عيسى، فقد رفضت دائما في الماضي الاعتراف بالشيخ حمد خلفا حتميا له.ويعتقد أن افرادها يأملون في السيطرة على البحرين بانفسهم في المستقبل، ربما لا يعلم إبن سعود بهذه المخططات، قبل عدة سنوات كان الدواسر يدفعون ضريبة غوص صغيرة مخففة، ولكن حتى في تلك الحالة رفضوا دفع الضرائب المباشرة، وتوقفوا عن دفع تلك الضريبة البسيطة منذ عدة اعوام.والحاكم يخشى من مغبة الضغط والالحاح عليهم.

كان الحاكم في الماضي يعتمد على الدواسر والقبائل السنية الأخرى في ممارساته القمعية ضد البحارنة الشيعة، وكان يطلق يدهم بدون حدود في تعاملهم مع الاخرين، في العام الماضي، حين اصبح البحارنة في حالة قلق واضطراب متزايد الح الدواسر على الشيخ حمد مرارا بإتخاذ إجراءات قمعية ضدهم، إلاّ أن الشيخ اخذ منهم الجزع كل مأخذ، وكانوا يخشون من دفع الامور إلى المدى الذي كان يطالب به الدواسر، وقد طلب هؤلاء السماح لهم بتصفية الحسابات مع بعض البحرانيين بانفسهم، لكن الشيخ حمد رفض ذلك.. فحتى مركزه هو حساس وهش بسبب مؤمرات ودساس (اخيه) عبد الله، وهو يدرك تماما أن الاضطرابات إذا وقعت فسيعد هو المسؤول، وسيستفيد عبد الله من ذلك الوضع فائدة كبيرة. انتقد الدواسر بمرارة هذا الموقف، لكنهم كانوا يخافون أيضاً من اخذ زمام الامور بايديهم، لانهم لا يثقون بالشيوخ، ويعتقدون أو يظنون أنه إذا سبب عملهم هذا اضطرابات وقلاقل، فسينحى باللائمة عليهم لتبرئة الشيوخ وتبييض صفحتهم، وهم يحاولون منذ ذلك الوقت الضغط على الشيخ حمد

[6] الوثيقة FO.371/7721(E8918)

عن طريق خلق الشجارات مع البحارنة، ومن أمثلة ذلك حادثة، "بربر" التي أبلغناكم بها في حينه، ولم تحل هذه القضية حتى الان، ومع أن الحكام لا يتجرأون على الاعتراف بهذا، فإنهم يعلمون جيدا أن الدواسر هم الذين تعمدوا خلق هذه الحادثة، وآل خليفة على أتم الاستعداد للتضحية بالبحارنة للصدق التهم بالدواسر الذين لا يتوقفون عن المطالبة "بالانصاف " ولكنهم (أي ال خليفة) يخشون أن يؤدي مثل هذا العمل إلى ثورة بين الشيعة، ولهذا فإنهم يؤخرون باستمرار إجراء تحقيق كامل. لقد مر على استقرار الدواسر في البحرين زمن طويل، حتى صار يعترف بهم كرعايا بحرانيين، أما في علاقاتهم بالشيوخ فإنهم لا يحصلون على الوساطة الحميدة للمعتمدية، التي يتمتع بها كل رعايا إبن سعود المعترف بهم..وبما انهم مستقلون عمليا تقريبا فانهم لا يحتاجون إلى المساعدة. ولقد تبنى حكام البحرين مؤخرا موقفا اكثر عدلا تجاه الشيعة، ربما نتيجة التحذيرات والإنذارات التي قدمتها الحكومة (البريطانية) للدواسر، ولكن يبدو انهم بدأوا في الفترة الاخيرة يختبرون قوتهم ويستعرضون عضلاتهم في هذا المجال، وعملا بتعليمات الحكومة تحاشيت أنا التدخل قدر الامكان، وهم لذلك يشعرون بثقة متزايدة بالنفس، أما البحرانيون " الشيعة، انفسهم، فمنقسمون، وبعض قادتهم يشعرون بخيبة الامل وهبوط العزيمة لفشلهم في الحصول على دعم حكومة صاحب الجلالة بناء على العرائض والمرفوعات التي قدموها، بينما ينادي قادة اخرون بإعلان ثورة مكشوفة في حال تصاعد القمع والاضطهاد مرى أخرى، وقد علمنا انهم استوردوا الاسلحة من الخارج.

معظم افراد القبائل السنية يعملون " نواخذه، " صيد لؤلؤ، وهناك اضطهاد كبير في قطاع الغوص لصيد اللؤلؤ، ومعظم المضطهدين المظلومين من الشيعة...وترفض القبائل السنية كل اشكال الاصلاح، خشية أن تؤدي البدايات الصغيرة إلى اصلاحات في قطاع الغوص أيضاً.

واود أن اشير هنا إلى أن الاصلاحات التي ادخلها الشيوخ ربما تكون شيئا مفيدا بالرغم من النقص في تصميمها وتنفيذها، وسيكون الامر مختلفا إذا ادخلت تلك الاصلاحات تحت ضغط حكومة صاحب الجلالة، ففي تلك الحالة سيتم اكتشاف كل خطأ وكل هفوة، وسيجري استغلالها استغلالا واسعا، وبناء عليه فإنني اقترح أن اعطى وقتا كافيا، قبل الشروع في تنفيذ مثل هذه السياسة، لأقوم بدراسة دقيقة للاوضاع الضريبية الحالية، وطبيعة آثار التحسينات التي قد تدخل عليها، خاصة تلك التي اقترحها الشيوخ اصلا.

سنكون في وضع لا نحسد عليه إن نحن اصررنا على اصلاحات لا تزيل الظلم والاضطهاد فعلا، في حال تطبيقها.

باستثناء مسألة الضرائب، هناك حاجة ماسة لإقامة نظام ما يحقق العدالة والانصاف بين السنة والشيعة، فهذه المظالم هي التي يحتمل أن تؤثر على الآراء والمواقف في الأقطار الشيعية المجاورة.نحن الان في موسم صيد اللؤلؤ، وان اية استفسارات تجري الان، مهما كان

مبلغ حذرها وحصانتها، لابد وان تثير أعظم الشكوك بين صيادي اللؤلؤ السنة، واعتقد أنه بالإمكان إجراء دراسة كاملة لهذه المسائل بعد إنتهاء الموسم بدون إثارة الشبهات وردود الفعل.

وكما ابلغتكم سابقا، فانا على وشك الانتهاء من المفاوضات التي آمل أن تتوج بمصالحة بين الشيخ عبد الله والشيخ حمد ــ ابناء الشيخ عيسى ــ وسيكون من المفيد إختيار موقف عبد الله مدة من الزمن، فإذا برهن على أنه مستعد فعلا لمساعدة حمد على إدخال الاصلاحات، فأن إجراءها سيصبح اكثر سهولة نوعا ما، والا فسنكون مضطرين، مع الاسف، لان نصفّي حسابنا معه، لانه سينضم إلى القبائل السنية ضد حمد لمقاومة الاصلاحات، وسيؤدي ذلك إلى الشقاق داخل العائلة الحاكمة، ويجعل من المستحيل إمكان ممارستهم للسلطة الفاعلة..". وفيما كان البريطانيون يعدون الاسرة الخليفية الحاكمة لقبول الاصلاح، اشتعلت الفتنة الطائفية بين النجديين المقيمين في البحرين، الذين يبلغ عددهم ٥٠٠شخص، وبين الشيعة..ثم توسعت لتتحول إلى صراع بين آل خليفة والسنة البحرينيين والنجديين من جهة، وبين الشيعة من جهة أخرى.

وقيل أن سبب المشكلة التي وقعت في بداية شهر رمضان تعود إلى خلاف بين نجدي وإيراني حول " إصلاح " ساعة لا تزيد قيمتها عن ثلاثة ريالات...بينما يدعي النجديون أن الايراني (مصلح الساعات) سرق ساعة النجدي، وهكذا وقعت الفتنة وعم الشغب الذي أججه وكيل إبن سعود عبد الله القصيبي، ووقع بسببه عدد من القتلى والجرحى، وأدى إلى تدخل عسكري بريطاني ففرض الإصلاح بالقوة، وعزل الشيخ عيسى ــ شيخ البحرين ــ ليتولى ابنه حمد الحكم [7].

كما نتج عن الفتنة طرد وكيل إبن سعود من البحرين، والى هجرة الدواسر للاراضي السعودية، حيث قام الحاكم السعودي بالاستفادة منهم في مخططه تجاه البحرين التي كان يأمل أن يسيطر عليها في يوم من الايام.

معظم الباحثين يؤيدون الرأي القائل بأن الفتنة الطائفية كانت مفتعلة وانها قامت بتخطيط من القصيبي، وكيل إبن سعود السياسي والتجاري في البحرين، وهم بهذا يؤيدون الإتهامات البريطانية للحاكم السعودي الذي انتقم من " اعدائه " بضرب رعاياه الشيعة في القطيف والاحساء!.

يقول الاستاذ جمال زكريا قاسم [8] : إن صراعا وقع بين اهالي قرية عالي وقرية البديع، نظر اليه على أنه صراع بين العرب والفرس: "والحقيقة فأن هذه الصراعات قد تكررت ليس

---

[7] (E 10914)(E11004) FO.371/8947(E8476)

[8] الخليج العربي. الجزء الأول / مصدر سابق / ص ٢٢٧ــ ٢٢٨.

باعتبارها صراعات عنصرية، ولكن بكونها صراعات مذهبية، لان سكان عالي من الشيعة، وقد تعرضوا في هذه المناسبة لاعتداءات الدواسر، ومن المؤكد أن ذلك كان بتحريض من إبن سعود، كما كثرت اعتداءات الدواسر أيضاً على البحارنة ــ الشيعة ــ خلال موسم صيد اللؤلؤ.**وكانت الاسلحة والذخائر تصل اليهم من القطيف والعقير ــ أي من الحكومة السعودية ــ وتشير التقارير البريطانية بصدد ذلك إلى أن إبن سعود امر بإتخاذ وسائل القمع ضد شيعة القطيف الذين كانت تربطهم عرى الصداقة والتحالف مع شيعة البحرين ".**

لقد استمر الشغب لثلاثة أيام، بين ١٠ــ ١٣مايو ١٩٢٣م، نتج عنه مقتل خمسة أشخاص،..وفي ١٥مايو وصل الكولونيل نوكس ــ نائب تريفور في مقيمية بوشهر ــ إلى البحرين على ظهر سفينتين حربيتين هما (هاترايد وكروكوس) وقام بأول خطوة، وهي الاعداد لطرد القصيبي إلى مملكه إبن سعود[9] وعلى الرغم من أن وكيل إبن سعود اعترف بمسؤوليته عن الاضطرابات التي نشبت في سوق المنامة وعمت كل البحرين، وأبدى استعداده لدفع تعويض عاجل، إلاّ أن بريطانيا انتهزت الفرصة لطرده، وكان من رأي نوكس (ضرورة القبض على القصيبي وترحيله إلى الكويت، وتسليمه هناك إلى وكيل إبن سعود التجاري، لان الخطر الحقيقي في البحرين يأتي من القبائل الموالية لابن سعود). وسبق لنوكس أن ارسل لابن سعود يبلغه أن وكيله، " سبب إضطرابا في البحرين، وانه مسؤول عن إراقة الدماء التي وقعت هناك ".[10]

وصل الكولونيل تريفور، المقيم في بوشهر، والذي كان في رحلة، إلى البحرين للتحقيق في الاضطرابات، فاستدعى القصيبي، وسلمه رسالة إلى إبن سعود شرح فيها الاحداث التي وقعت، وحمل القصيبي مسؤولية إثارة الفوضى، وطلب من إبن سعود أن لا يرسل وكيلا إلى البحرين دون إستشارة الحكومة البريطانية .[11] وفي ٢٦ مايو ١٩٢٣، دعا نوكس إلى إجتماع حضره رجالات المجتمع البحراني قدر عددهم بين ٢٠٠ــ ٣٠٠شخص،..وفي الاجتماع أعلن نوكس " خلع!! "الشيخ عيسى رسميا عن الحكم، وعين ابنه حمد..الذي قال في الاجتماع، :" انني نزولا مني عند أوامر الحكومة العلية، اصبح على عاتقي اليوم مسئولية حكم هذا البلد "..ثم قام نوكس يعظ ويحذر جميع الاطراف..بدأ حديثه فقال :" أن الاحداث البغيضة التي جرت مؤخرا قد أكدت دون شك، وزادت من حدة الحاجة إلى إصلاح الإدارة على أُسس عصرية..وارجو صادقا أن تفلح إجراءات الإصلاح التي نتوخاها الان في احداث تقارب بين طائفة السنة وبين بقية فئات المجتمع ــ الشيعة ــ ". ثم التفت إلى قاضيي السنة والشيعة

---

[9] الرميحي ــ مصدر سابق / ص ٢٨٩

[10] جمال زكريا قاسم ــ الخليج العربي الجزء الأول : ص ٢٢٥ــ ٢٢٧

[11] المصدر السابق / ص ٢٢٦

محذرا:" إذا سمح أي منكما بتدخل ذوي النفوذ أو تابعيهم في مسائل الشرع، فسوف يفصل من عمله، سواء كان سنيا أم شيعيا "..

ثم خاطب نوكس إلى خليفة فقال وكأنه يؤدب أولاده الصغار :" إن من واجبي أن أحذركم أن كونكم في موقع الحكم هذا، لا يجيز لكم العيش على حساب بقية فئات المجتمع، سواء عن طريق منح تأخذونها من العائدات الجمركية في البلاد، أو باستغلال الفقراء والبائسين "!. ثم توجه مخاطبا زعماء الدواسر مهددا بان يتركوا الجزر: "فاذا كنتم عازمين على ذلك، فاذهبوا بحق الله، ولكن لا تندهشوا إذا رأيتم اراضيكم ومنازلكم يحجز عليها، وتعطى لأناس اخرين غيركم "..ويلاحظ أن الكثير مما لدى الدواسر من اراضي واملاك، انما نهبت من السكان الأصليين الشيعة.

واخيرا أخذ نوكس بتهديد أعيان الشيعة في المجلس، وحذرهم انهم لن يحصلوا على المساواة، وان هم طالبوا بها فيسفقدهم ذلك ما سيحصلون عليه من فوائد في العهد الجديد..قال: " انني لا أؤيد الفكرة القائلة بان سوء الإدارة مؤخراً، كان أكثر ظلماً أو أكثر فظاعة مما كان عليه في الماضي، ويجب أن لا تتوقعون مساواتكم بالسنة بشكل تام (!!!)، لان إمتيازات السنة لا يمكن إلغاؤها إذا كان ذلك ممكناً بالمرة..ولقد أصبح لكم مؤخرا صوت مسموع، دأب الواعظون الأجانب (!!) على تعليمكم كيفية استغلاله..ولكن عليكم أن تحذروا من أن تخسروا الفوائد التي يمكن أن تحصلوا عليها مع بدء نظام الحكم الجديد، وذلك من خلال مطالبتكم بالمساواة "!!.[١٢]

ورغم الوعود بالإصلاح، إلاّ أن الأمور لم تمر بسلام..

ففي ١٩ مايو ١٩٢٣ قام عدد من الدواسر بمهاجمة قرية عالي الشيعية وقتلوا شخصين من اهاليها، وحين طلبت الحكومة منهم دفع غرامة (١٥ألف روبية) رفضوا وشكوا لــ " تريفور " جور الحكم..وبعد عدة أشهر جرت حادثة مماثلة، حيث قام احد اتباع الشيخ خالد بن علي بقتل شيعي في جزيرة سترة، فغرم خالد مبلغ " ألفي روبية " فقط. ومع أن الاصلاحات بدئ بتطبيق شيء منها في يناير ١٩٢٤م إلاّ أن حوادث القتل للشيعة استمرت..ففي ليلة ٨ يناير سنة ١٩٢٤ قامت مجموعة من الرجال يحميهم الشيخ خالد بن علي ال خليفة، بالهجوم على قرية (واديان) قرب سترة، وقتلوا رجلا وامرأة، ثم جاءت حادثة توبلي التي قتل فيها عدد من الشيعة، فكانت الغرامة (ألفي روبية)، رفض الشيعة المعتدى عليهم استلامها.[١٣]

---

[12] الرميحي ــ مصدر سابق / ص ٢٢٩، ص ٢٩٠ ــ ٢٩١

[13] المصدر السابق / ص٢٩٢، ص ٢٠٤

أما الإصلاحات الموعودة، فلم تبدأ ــ كما قلنا ــ إلاّ في يناير ١٩٢٤، حيث أصبح مسؤول الجمارك بريطانيا، ثم في عام ١٩٢٦عين ديلي شخص " بلجريف " ليكون مستشارا للأمير وبقي في منصبه نحو ثلاثين عاما، كان خلالها حاكم البحرين الأوحد، وكان بلجريف يتمتع بسلطات واسعة، ثم عين الإنجليز شخصا بريطانيا ليصبح مستشار الحاكم مالياً، كذلك أصبح المشرف على البوليس بريطانيا، في حين تخطت صلاحيات بلجراف كل الحدود، حتى أن احد الكتاب البريطانيين الذين زاروا البحرين في الخمسينات كتب عن سلطاته قائلاً: "كان باستطاعته القبض على أي شخص باعتباره رئيساً لسلك البوليس..ومحاكمته في المحاكم القضائية باعتباره رئيس سلك القضاء. وأصدار الحكم عليه، والنظر في طلب الاستئناف المقدم منه ضد الحكم باعتباره رئيس الاستئناف "!.

أما موضوع الإصلاحات نفسه، فقد لخصه المقيم البريطاني في بوشهر " تريفور " في رسالة إلى حكومته في مايو ١٩٢٣، حين قال بأن الموقف لم يتحسن، فالمظالم واقعة على الشيعة البحارنة من قبل الشيخ وأعضاء أسرته، وهذا يؤدي إلى إثارة النفوس ضد الأسرة الحاكمة، وهي أمور تستغلها فارس للتدخل في شؤون البحرين..ولخص تريفور المشكلة على النحو التالي :

*عدم العدالة في توزيع الضرائب بين السنة والشيعة.

*إن الشيعة يتعرضون للسجن أو أية عقوبة أخرى بمجرد إشارة بسيطة من الحاكم أو احد افراد أسرته.

*علاج نظم الغوص.

لقد قام مشروع الإصلاح على أساس نزع فتيل الثورة من الأغلبية السكانية الشيعية، والحفاظ على سمعة الإنجليز في الأماكن التي لهم نفوذ فيها، ففي ٧ديسمبر ١٩٢٢، أعلم مكتب الشؤون الخارجية في لندن، اعلم مكتب الهند برغبته، "في اتخاذ الاجراءات اللازمة فوراً ــ !!ــ لتنفيذ الإصلاحات الكفيلة بمعاملة الشيعة على قدم المساواة مع السنة ".وذلك بعد أن سكت الإنجليز اكثر من قرن على ذلك الاضطهاد..فما هو السبب ؟...تشرح حكومة الهند دوافع تلك الرغبة للمقيم في بوشهر من اجل تنفيذها، بالقول :" أن اضطهاد السنة للشيعة قد يؤدي إلى إثارة المشاعر ضد بريطانيا في إيران أو في أي مكان آخر، ولذلك يجب اتخاذ الاجراءات لمواجهة مثل هذا الاحتمال "[14].

وفي يناير ١٩٢٣ أوضح المقيم في بوشهر أن أسباب عدم الاستقرار في البحرين عديدة منها :

[14] الرميحي ــ مصدر سابق، ص ٢١٠، ص ٢٨٥

*الازدياد الكبير في ثورة العائلة الحاكمة من جراء زيادة الرسوم الجمركية والاستيلاء بالقوة على ممتلكات الشيعة.

*إن الاحداث التي جرت مؤخرا في العراق ـ ثورة العشرين ـ والهند ومصر، قد ولدت المزيد من الافكار الإيجابية حول الديمقراطية.

*إن الحكام اكثر جهلاً واقل خبرة من كثير من رعاياهم [١٥].

ولهذا رأى تريفور" أن الادارة في البحرين بحاجة ملحة إلى التحسين، وذلك لحفظ مصالح طائفة الشيعة، وللإبقاء على إسمنا محمودا هناك ".

والجملة الاخيرة، هي بيت القصيد، وبقاء الاسم محمودا ضروري ليس في البحرين وحدها، وإنما في إيران المحتلة، وفي العراق الذي تديره " الخاتونة " المس بل والتي تدير الملك فيصل الأول.

ولذا اتفق تريفور مع ديلي على أن يشمل الاصلاح :

*المساواة في جباية الضرائب بين الشيعة والسنة.

*إنشاء المحاكم المناسبة (شيعية وسنية) لتحقيق عدالة القضاء.

*وضع قوانين للغوص.

ويضاف إلى هذا، تسجيل ملكية الأراضي..حيث" ظهر أن هذه الخطوة تستهدف تجريد أسرة ال خليفة وأثرياء السنة من ملكية الأراضي، باعتبار أن مساحات كبيرة منها انتزعت من البحارنة الأصليين ـ الشيعة ـ وقد صدر قانون يقضي بانه إذا استطاع أي شخص أن يثبت ملكيته لمدة عشر سنوات سابقة، فإن حقه في الملكية يصبح نافذا، والا صودرت الأراضي "[١٦].

على هذا قام مشروع الإصلاح البريطاني الهادف إلى نزع فتيل الثورة من الشيعة، وتخفيف السخط العام المتأجج، إلاّ أن هذا لم يكن ليعني تحقيق المساواة الكاملة بين المواطنين، ولا تزال البحرين وحتى اليوم تمارس فيها الأقلية الحاكمة اضطهادا وتمييزاً طائفياً بحق الأكثرية " الشيعية "، وحتى الجزء القليل الذي تحقق، ما كان ليتم لولا " طرد " أو " هجرة " الدواسر من البحرين إلى حيث استضافهم إبن سعود في مقاطعة القطيف..ولولا تخلص الشيخ حمد بمساعدة ديلي من زعماء معارضة الإصلاح الذين جمعوا المال للمقاومة، حيث جرى ترحيلهم إلى بومباي وعدن.

---

15 المصدر السابق / ص ٢٨٦

16 جمال زكريا قاسم ـ الجزء الأول / ص ٢١٩

أما احمد الدوسري، زعيم الدواسر، فإنه حين قرر الرحيل، وبدأت قبيلته بزيادة اعتداءاتها، أنذرهم تريفور أواخر نوفمبر ١٩٢٣باخلاء قرية (البديع) تماما خلال عشرة أيام، والا قصفها بمن فيها، وقد انصاعت القبيلة ورحلت ــ كما هو مخطط ــ إلى الاراضي السعودية، وكان إبن سعود يأمل في استغلال الدواسرللتدخل في شؤون البحرين [١٧].

وبرحيل الدواسر بدأت المشاكل تأتي من الخارج ــ أي من الاراضي السعودية ــ ليس فقط مهددة البحرين، وإنما قطر أيضاً..فقد كان الغواصون الدواسر يقومون بأعمال قرب البحرين، وهناك كانوا يمارسون اعتداءاتهم على الشيعة..كما أن إبن سعود حرض الدواسرــ رغم التحذيرات البريطانية ــ على مهاجمة مشيخة قطر والبحرين، واقترح المقيم البريطاني في الخليج "قصف " الدمام، لوقف التهديدات السعودية، ولكن وزارة المستعمرات عارضت ذلك" ما لم تكن هناك ضرورة قصوى "[١٨].

في عام ١٩٢٤، أذاع الدواسر من مجلئهم بالدمام، أن إبن سعود أخبر زعماءهم بانه لن يسمح بمصادرة ممتلكاتهم أو بيعها، وانه سيعمل على إعادتهم إلى البحرين من جديد..فأرسل المقيم البريطاني "تريفور " إلى إبن سعود يعلمه بمؤامرات لدواسر وان " الحكومة البريطانية علمت أن بعض رؤساء هذه القبيلة، أجروا إتصالات معكم، وأخذوا يشيعون أنكم وعدتموهم بان ممتلكاتهم لن تباع أو تصادر، وانكم تؤيدونهم في العودة وهذا شجعهم على التهديد بغزو البحرين، "..وذكر تريفور الحاكم السعودي بنصوص معاهدة القطيف (دارين)، وطلب منه : ١/أن لا يستخدم الدواسر الدمام، وان أي إغارة سيكون هو مسؤولا عنها مباشرة،...٢ / أن يرحل الدواسر إلى الجبيل، لان الدمام قريبة من البحرين، وبإمكانهم مفاجأتها بالغزو [١٩].

وقبل إبن سعود بالنصيحة ــ أو التحذير ــ " لذلك بدأ يتخاذل عن قضية الدواسر " الذين شعروا بعد أن نقلهم إبن سعود إلى المناطق الداخلية بحراجة موقفهم، خاصة وانهم كانوا شبه مستقلين في البحرين ولا يدفعون اية ضرائب، بينما عانوا الكثير من المتاعب التي سببتها الضرائب التي سنها إبن سعود وفرضها عليهم، مما دفعهم للمطالبة بالعودة إلى البحرين، وذلك عام ١٩٢٧، بعد أن اعلنوا استعدادهم لدفع الضرائب المترتبة عليهم منذ خروجهم في نوفمبر ١٩٢٣، ووافق الإنجليز على عودتهم شرط أن يكونوا مواطنين عاديين، يستردون ممتلكاتهم ويؤدون ما عليهم.

ومنذ ذلك الحين انتهت مشكلة الدواسر..وان لم تنته المشكلة الطائفية !.

---

[17] المصدر السابق / ص ٢٢٨

[18] المصدر السابق/ ص ٢٧٤

[19] المصدر السابق/ ص ٢٢١

مفاوضات إبن سعود والمقيم في بوشهر حول أحداث البحرين

بعد وقوع الفتنة الطائفية في البحرين، ارسل إبن سعود ممثلا له للقاء (نوكس) المقيم في بوشهر نيابة عن " تريفور " وكان ذلك الممثل هو السيد هاشم إبن السيد احمد الرفاعي، وذلك بهدف الشكوى ضد تصرفات الميجور ديلي، المعتمد السياسي البريطاني في البحرين، ولتبرير تصرفات ممثله القصيبي والمطالبة بعودته.

فيما يلي نص تقرير رفعه الميجور نوكس لوزير المستعمرات البريطاني، والذي حوى نصوص رسائل الاتصالات بين الطرفين، والمواضيع التي نوقشت، والتي كان من بينها موضوع الجواز " النجدي " وموضوع "الدواسر " [٢٠].

*اولا : تقرير عن المفاوضات مع السيد هاشم، مبعوث سلطان نجد، والتي جرت ما بين ١١و ٢٠ يونيو ١٩٢٣.

"قبل أن أغادر الكويت في الرابع من يونيو الماضي، تلقيت برقية من المعتمد السياسي في البحرين تفيد بان سلطان نجد ارسل مبعوثا موثوقا يدعى السيد هاشم، ليتباحث معي بخصوص المسائل الناشئة عن الاضطرابات التي وقعت مؤخراً في البحرين، وبقدر ما تؤثر هذه الأحداث على رعاياه المقيمين في تلك الجزر، واستفسر المعتمد السياسي عما إذا كنت ارغب في أن يلحق بي السيد هاشم إلى الكويت على الفور، وإذا لم يكن ذلك ممكنا، فما هي التوجيهات التي يجب على المعتمد السياسي إعطاءها للسيد هاشم لكي تتوفر له الفرصة لمقابلتي ؟.

كنت على وشك مغادرة الكويت للقيام برحلة مستعجلة إلى المحمرة والأهواز، وكنت اتوقع أن اعود إلى مقر القيادة في بوشهر خلال الايام الثلاثة أو الأربعة التالية.وبناءاً على ذلك فقد طلبت أن يتوجه السيد هاشم إلى بوشهر على الفور وينتظرني هناك، كما أبرقت إلى سكرتيري في بوشهر أطلب منه أن يقدم كل مظاهر الكرم والاعتناء بمبعوث سموه حال وصوله وبإنتظار عودتي.

عدت إلى بوشهر مساء يوم الثامن من يونيو وأجريت مقابلتي الاولى مع السيد هاشم صباح يوم الاثنين، الحادي عشر من يونيو ١٩٢٣.

السيد هاشم، شاب يتراوح عمره بين الثلاثين والخامسة والثلاثين عاماً، وهو من اصل كويتي، وعلى صلة قرابة قوية بصديق لي في الكويت، هو الشيخ موسى بن عبد الرزاق، وهو تاجر ثري ومحترم من تلك البلدة، كان قد توفي قبل بضع سنوات.

---

[20] الوثيقة رقم (FO.371/8947(E8476 مؤرخة في ١٩٢٢/٨/٢٢

أبلغني السيد هاشم أنه كان صبياً صغيراً حين كنت أنا مسؤولا في الكويت، ولكنه يتذكرني جيداً ويتذكر زيارتي لديوانية الشيخ موسى في مناسبات العيد، وللقاء هناك بالشيخ مبارك الصباح.

ونظراً لوجود هذه الحلقة من الصلة بيننا، فقد ذاب الجليد على الفور، ووجدت السيد هاشم رجلاً مهذبا وكفئاً وسريع الفهم والبديهة ومدركاً لمصالح سيده، وتواقاً في نفس الوقت لان يقيم علاقات تفاهم ودية، والإبقاء على علاقات طيبة معنا.

*** ثانيا :رسالة من : الشيخ السير عبد العزيز بن عبد الرحمن ال فيصل السعود، أمير نجد الخ..**

إلى: سعادة المحترم س.ج. نوكس

المقيم السياسي في الخليج الفارسي

بتاريخ :الخامس من شوال ١٣٤١هـ

(٢٢مايو ١٩٢٣)

بعد التحيات

لي الشرف بان اعلمكم بأنني تكاتبت مع سلفكم المحترم، الكولونيل تريفور، حول موضوع الجواز (جواز السفر) الذي كنت أعتزم تعميمه على رعاياي بواسطة المعتمد السياسي البريطاني في البحرين، الميجور ديلي، وافق ديلي على ذلك، وقد تلقيت أخيراً رسالة مؤرخة في ٢٣شعبان من ديلي يطلب مني فيها أن ارسل له ١٢نسخة من ذلك الجواز، حسب رغبة حضرتكم، وقد أرسلتها له بالفعل، ولما كان قد مر زمن طويل دون أن أتلقى اية نتيجة نهائية، ولما كان السيد هاشم، الذي تربطني به القرابة، وهو احد أتباعي الخاصين، سيتوجه لمقابلة سعادتكم، فقد رأيت من الضروري أن أذكركم بالمسألة. آملاً أن تعطوها كامل عنايتكم واهتمامكم، وإني على ثقة من انكم ستعطون المذكور رسالة مرضية حول هذه القضية التافهة حال عودته إلى بلاده. وتقبلوا فائق شكري واحترامي سلفا والله يحفظكم..

ثالثاً : رسالة من : عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود إلى : حضرة الليفتنانت ــ كولونيل س.ج.نوكس، المقيم السياسي في الخليج الفارسي

بتاريخ :الخامس من شوال ١٣٤٢هـ

(٢٢مايو ١٩٢٣)

بعد التحية

لي الشرف بان ألفت انتباهكم إلى المشاكل التي حدثت بين الفرس المقيمين في البحرين وبين رعاياي هناك، والتي قتل وجرح من جرائها الكثيرون، وقد تأكد لي من مصادر موثوقة يمكن الاعتماد عليها، أن المعتدي والمدبر لهذه المشاكل كان الفرس، وذلك بدليل اشتراك

وجهاء الفرس في هذه الفتنة، وعلى رأسهم محمد شريف، الذي لا يخفى عليكم موقعه الرسمي، لانه رئيس بلدية البحرين، وهو الذي يشرف على قوات الشرطة، خلافاً لرجال نجد المعروفين الذين امتنعوا عن المشاركة في هذه الاضطرابات، ومارسوا ضبط النفس والحياد التام رغم الخسائر التي تكبدوها، والقهر الذي تعرضوا له، وقد برهن ذلك على رغبتهم الأكيدة بالسلام والهدوء.

لكن القضية المدهشة هي أن رجال الشرطة، الذين أوكل إليهم حفظ القانون والنظام، قد انحازوا، كما يبدو، إلى الجانب الفارسي بسبب تعصبهم الديني وجنسيتهم الفارسية، وأطلقوا النار على النجديين، أثناء ذلك، كان المعتمد السياسي لبريطانيا العظمى في البحرين، الميجور ديلي، يتفرج على هذه الاضطرابات بلا اكتراث، ولم يكلف نفسه عناء إيقافها وكأنها لا تهمه. إن موقفه هذا هو الذي أثار دهشتي واستغرابي، وكنت آمل على الاقل بأنه سيطمئنني، ولو برسالة واحدة، حول هذه المشاكل التي اندلعت في مطلع شهر رمضان.

وتظهر آخر الاخبار التي تلقيتها حول الموضوع انها لم تحل، ولا أعرف ماذا حصل وماذا ستكون النتائج، ولكن يؤسفني أنه لم يفعل ذلك، ولذلك ارجو أن تعذروني حين أذكر لسموكم بأنني مستاء جدا من موقفه ذاك، وإنني آمل من صديقتي بريطانيا العظمى ــ التي لم ولن اتوقف أبداً عن المحافظة على صداقتي المخلصة لها، والتي نطمع بصداقتها وحبها ــ أن تعين وسيط وحدة بيننا وبينها يكون حريصا و غيوراً على مصالحي، كما كانت بريطانيا دائما.

هذا وقد قررنا أن نرسل هذه الرسالة مع السيد هاشم، احد اتباعنا المخلصين، نيابة عنا، لتسليم الرسالة لسموكم، والتحقيق والاستفسار عن تلك الاضطرابات، آملاً من سموكم أن تعينوا احد رجالكم الموثوقين الذين تعتمدون عليهم، لكي يرافق تابعي المذكور إلى البحرين، حتى يقوما بالتحقيق والاستفسار والتأكيد معا من الأسباب، لكي تأخذ العدالة الحقة مجراها الطبيعي، ولي وطيد الأمل بان تنظروا سموكم في هذه المسألة، كما هو متوقع من بعد نظركم وحكمتكم، وان تعطوها ما تستحق من الانتباه والعناية.

*رابعاً: رسالة من المقيمية والقنصلية العامة البريطانية

بوشهر

١٥يونيو ١٩٢٣م

إلى : سمو الشيخ السير عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود.

سلطان نجد وملحقاتها.

بعد التحيات...

سمو السلطان،

يسرني أن أعلمكم أنني، وانا اكتب رسالتي هذه، أتطلع إلى زيارة سكرتير سموكم، السيد هاشم، الذي يتوقع وصوله إلى هذه المقيمية خلال نصف ساعة من الان.

لم أعد إلى بوشهر إلاّ منذ يومين فقط، لأنني وجدت نفسي مضطراً للتوجه إلى الكويت ومنها إلى المحمرة والأهواز.

كل هذه الاسفار جعلت من المستحيل علي، حتى الان، إطلاع سموكم على الاحداث التي وقعت في البحرين منذ أن كتبت رسالتي لسموكم المؤرخة في ١٨مايو ١٩٢٣.اما الان، وبعد أن توفر لي الوقت اللازم، فإنني أسارع لإبلاغ سموكم بهذه المسائل التي أعلم يقينا أنها ذات أهمية بالغة بالنسبة لكم..وإنني أميل ميلاً اكبر لاطلاعكم عليها الان، بسبب وجود سكرتير سموكم الخاص الذي سينقل بلا شك رسائلي إلى سموكم بطريقة موثوقة وسريعة.

على امتداد فترة طويلة في الماضي، كانت الاحوال في البحرين غير مرضية، فسن الشيخ عيسى الكبير جعل من المستحيل عليه ممارسة الإشراف اليقظ على تسيير الأمور، وهو امر بالغ الضرورة في دولة عربية، ونظرا لهذا الضعف تمكن العديد من الطغاة عديمي المسؤولية من النمو والترعرع في البحرين، خاصة أولئك الأفراد عديمي المسؤولية من عائلة ال خليفة، الذين اضطهدوا البحارنة (الشيعة) اضطهاداً عظيماً. والأكثر من ذلك، أن الذكاء المتنامي عند الطبقات الأدنى التي تقرأ الصحف باستمرار، والتي يحرضها العديد من المحرضين لغاياتهم الذاتية، قد جعل هذه الطبقات أقل صبراً في ظل الحكم السيء والاضطهاد الذي تعاني منه مما كانت عليه في الماضي، وهذه الطبقات كبيرة العدد، وكان هناك خطر دائم في أن تستغل كبر عددها هذا وتثور على اسيادها، حين يصبح التعاطف الاجنبي، خاصة التعاطف الفارسي والشيعي، عائقا يجعل من الصعب على بريطانيا تقديم الدعم لآل خليفة، خاصة وانه لم يكن هناك أدنى شك في أن البحارنة (الشيعة) كانوا يعانون من مظالم حقيقية، ونظراً لضعف حكم الشيخ عيسى، فأن حقوق شيخ البحرين كانت تتلاشى تدريجياً، أو تتهاوى وتختفي عن طريق اقتسامها بين أشخاص عديدين لا يحق لهم ممارسة تلك الحقوق بأي حال.

لم تتمكن الحكومة البريطانية من تحمل هذه الاوضاع أو السكوت عليها، وكان من العقيم جدا، أن نتوقع من الشيخ عيسى، نظرا لتقدمه في السن، أن يطرق الطريق الوعر، طريق الاصلاح، وكانت لدى الحكومة البريطانية الرغبة القوية المخلصة، في أن يدرك الشيخ عيسى، لما فيه مصلحته هو، الحكمة من تنازله عن الحكم، ولكن من سوء الحظ أن صديقنا القديم لم يقتنع بذلك، فكان لا بد لي، وبتوجيه من حكومتي، أن أبلغه بانه، في حين يستطيع البقاء في البحرين والاحتفاظ بلقبه الاسمي كشيخ لها، فإن عليه أن يتنحى ويسمح لولي عهده، الشيخ حمد، بمحاولة تصحيح الاوضاع في البحرين، ويرفع مستوى تلك الحكومة إلى مرتبة الحضارة الحديثة بدون تدخل أو إملاء من أي نوع يمليه عليه والده.

هذا هو الوضع..ما يزال الشيخ عيسى شيخاً للبحرين، ولكن تسيير الأمور انتقل إلى الشيخ حمد باعتباره وكيلا كامل الصلاحيات لوالده الذي هو غير ملزم باستشارته باية صورة من الصور.

لقد اثقلت على سموكم بهذا الوصف المطول، على امل أن تعتمد الحكومة البريطانية على صداقتكم المخلصة والدائمة في قبولكم للأوضاع الحالية، وفي إيضاح الأمور للآخرين ذوي الاهتمام والمصلحة فيها، وإننا نعتقد إعتقاداً راسخاً بإن الخطوات التي إضطرت الحكومة البريطانية لإتخاذها، بعد تردد، ستؤدي في نهاية الامر إلى تحقيق إستقرار حكم ال خليفة، وسيحول دون التدخل الاجنبي (!!)، وستبقى على النفوذ السني السائد في إدارة الجزر (!!)، وتحافظ على تقدم وإزدهار كل العناصر السنية بين السكان، وإنني على ثقة من أن سموكم ستؤيدون الأهداف والمرامي التي تسعى الحكومة البهية لتحقيقها، وأنكم ستمارسون نفوذكم المعنوي بالغ القوة والقيمة للمساعدة على تحقيق تلك الاهداف.

خامساً : رسالة من المقيمية والقنصلية العامة البريطانية في بوشهر ١٨يونيو ١٩٢٣.

إلى: سمو الإمام السير عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ال سعود سلطان نجد وملحقاتها

بعد التحيات

إيها الصديق العزيز !.

لقد تباحثت مطولاً مع مبعوثكم السيد هاشم، حول موضوع جوازات السفر، وقد تدارسنا كل الابعاد والإمكانيات، ولكننا لم نستطع إيجاد مخرج أو التوصل إلى اية إتفاقيات أو ترتيبات يمكن أن اعتبرها أنا مرضية تماما لكم.

سنكون بالغي السعادة لو أمكن التوصل إلى مثل هذه الترتيبات، ولكن من سوء الحظ يجب علينا أن نفكر في هذه المسألة، ليس فقط من اجل اصدقائنا، ولكن من اجل منتقدينا أيضاً.

أنا لا امانع في توقيعكم انتم وتوقيع من تخولونهم على جوازات سفر النجديين المقيمين في البحرين، شريطة أن يتم ذلك ضمن اراضيكم التي تحكمونها، أما الذين يسافرون من بلادكم مباشرة إلى الاقطار الأخرى فلا يحتاجون إلى تأشيرة المعمتد السياسي في البحرين.

واما الذين يمرون عبر البحرين فلا بد من وضع تأشيرة المعتمد السياسي في البحرين على جوازات سفرهم، وسيتقاضى المعتمد من حامل جواز السفر النجدي ما يتقاضاه مقابل تلك التأشيرة من حامل اية جنسية أخرى، إذا كان النجدي يريد المرور والسفر إلى اية ممتلكات أو مناطق بريطانية، أو إلى بلدان تمارس بريطانيا العظمى حق الانتداب عليها.

ولا مانع لدينا أيضاً في أن يرسل النجديون المقيمون في البحرين طلبات الحصول على جوازات سفر، بواسطة رسول كفء ومؤهل، إلى سموكم أو إلى معتمديكم المخولين في

الحسا، سيقبل المعتمد السياسي مثل هذه الجوازات، شريطة أن تتفق الاوصاف مع اوصاف حامل الجواز، بدون أي إعتراض، وسيمنحه التأشيرة، وإذا كنتم تفضلون، فأن المعتمد سيرفض اعطاء أي جواز سفر أو تأشيرة إلى أي نجدي لا يحمل جواز سفر موقع من قبل سموكم أو من قبل معتمديكم المخولين أصولاً.

وبهذا الخصوص، حين يتعامل المعتمد السياسي مع الاجانب، فإنه من بالغ الأهمية أن يعامل الجميع، مهما كانت جنسيتهم، على قدم المساواة.

*سادساً : رسالة من : عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود

إلى: حضرة الليفتنانت ــ كولونيل س. ج.نوكس، المقيم السياسي في الخليج الفارسي

تاريخ : ١٠ شوال ١٣٤١هــ.

(٢٧مايو ١٩٢٣)

بعد التحية

نرسل لجانبكم هذه السطور لنبلغكم بأنني أرسلت قبل خمسة أيام من إرسال هذه الرسالة، احد رجالي الخاصين، هو السيد هاشم، ليحمل رسالة منا إليكم بخصوص المشاكل التي وقعت بين الفرس المقيمين في البحرين وبين جميع رعايانا، وقد أوضحت الحقائق لكم، وكنت أمل أن احصل على القناعة الكاملة منكم بخصوص هذه الحادثة الخطيرة المتعلقة برعاياي، والتي جعلت من الكثيرين منهم، "شهداء " (كذا) .نعم، ولقد كنت آمل أن احصل على هذا الاقتناع الحق، وذلك لمعرفتي بقدرات رجال بريطانيا العظمى على تقدير موقفي الذي يستحق الثناء، وصداقتي القلبية المخلصة، وروابط المحبة التي نبذل اقصى ما في وسعنا للمحافظة عليها.

ولكني، مع بالغ الأسف، علمت وفهمت من فحوى رسالتكم المحترمة المؤرخة، في ١٨ مايو ١٩٢٣ان سموكم اجبرتم وكيلي ومعتمدي عبد الله القصيبي، على التغيب عن البحرين، متهمين إياه بإشعال نيران هذه الاضطرابات البغيضة، واستخدمتم ضده كلمات محقرة مهينة لا اعتقد انكم تدركون كم هي جارحة لكرامتي، والغريب في الامر هو أن تلك الإجراءات التي اتخذتموها بسرعة وبدون إعتبار للآثار التي قد تتركها علي، إنما تستند إلى تقارير واخبار وصلتكم من جانب واحد فقط، دون أن تعيروا إنتباهاً للحجج والأقوال التي أدلى بها الجانب الآخر، وانا على يقين من انكم لو درستم الحقائق بعناية ودقة لاتضح لكم ولأدركتم أن المشكلة كلها كانت مؤامرة خططت ضد شعب نجد، كما تبرهن حقيقة أن الشرطة، وهم جميعا من اصول فارسية، وقد عهد إليهم الحفاظ على الهدوء والسلام في البلدة، وواجبهم الرئيسي هو عدم الانحياز إلى جانب دون الآخر، هم الذين استخدموا اسلحة الحكومة ضد اهل نجد ودعماً للفرس، ومن هذا التعصب الديني والعرقي يتضح لكم، وتدركون من هو الجانب الذي يجب أن توجه اليه تهمة التعصب الأعمى.

كما فهمت من محتويات رسالتكم انكم تنكرون على عبد الله القصيبي مركزه الرسمي في البحرين، مع أن هذا الرجل وأخاه كانا يعملان في هذا المنصب وبالتناوب، منذ أن بدأت العلاقات والوحدة بين حكومة بريطانيا العظمى وبيني، أي منذ حوالي خمسة عشر عاما، وكان الأخوان طوال تلك الفترة الطويلة، عقدة الوحدة بيننا وبين الضباط السياسيين (البريطانيين) في البحرين، وكانا يحملان الرسائل الرسمية ويتلقيان الردود عليها، ويستشاران في كل ما يتعلق بشؤوننا السياسية، وكانا مكرسين نفسيهما للمحافظة على حقوق رعايانا.

خلال هذه الفترة الطويلة لم نتلق أي اعتراض مهما ضؤل على مركزهما من الحكومة البريطانية، بل على العكس، فقد كانت (الحكومة البريطانية) تعتمد عليهما في مراسلاتها معي، وفي كل ما يتعلق بشؤون رعاياي في البحرين، ومن هذا لا أرى مجالاً لأي شك في مركز عبد الله القصيبي، وحتى لو افترضنا أنه، ومن وجهة نظركم، وقع منه ما يؤدي ويضر أثناء أدائه لواجبه، ألم يكن من الضروري إبلاغي به قبل إتخاذكم لهذه الإجراءات الحادة؟.

وها نحن نرسل هذه الرسالة لسموكم على امل أن تصل إلى مبعوثي الذي أوكلنا إليه مهمة تسليم الرسالة الأولى، لأن رسالتكم التي تعالج المسألة سبقت رسالتي تلك، آمل أن تعيدوا النظر في هذه المسألة وتتدارسوها مع الشخص الذي عينته والمذكور أعلاه، حتى يمكن تسوية هذه المسألة بطريقة تعيد إلي الشرف والكرامة والاحترام الذي اشعر أنني (استحقه) وأنا لم انوقف، ولن انوقف، عن الامل بتسوية لهذه المسألة بطريقة لا تدع مجالاً لسوء التفاهم بين الحكومتين الصديقتين، داعيا الله أن يديم إلى الابد العلاقات الودية بين الحكومتين، وان يزيد من قوة وعزة الحكومة البريطانية، وكلي امل أن يأتي الخير من عظمتكم وسلطانكم.

هذا مالزم قوله، وختاماً تفضلوا بقبول فائق احترامي، والله يحفظكم..

*سابعاً : رسالة من المقيمية والقنصلية العامة البريطانية

بوشهر

١٤ـ ٢٠يونيو ١٩٢٣

رقم ١٧٢لعام ١٩٢٣

إلى : سمو الامام السير عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ال سعود.

سلطان نجد وملحقاتها

بعد التحية

أيها الصديق !.

استلمت من مبعوث سموكم، السيد هاشم، رسالتيكم المؤرختين في ٥و١٠ شوال ١٣٤١هـ المتعلقتين بأحداث الشغب التي وقعت في البحرين بين النجديين والفرس.

اسمحوا لي، اولا، أن ارحب بتأكيدكم للصداقة الدائمة بين سموكم والحكومة البريطانية، وهي الصداقة التي تؤكدون عليها سموكم تأكيداً خاصاً في رسالتيكم المشار إليهما أعلاه، وإنني أُؤكد لسموكم أنني راغب في دوام العلاقات الطيبة القائمة الان بين سموكم وبين الحكومة البريطانية، والتي لا يمكن أن تصدقوا سموكم ولا أصدق أنا أن الاضطرابات (الطائفية) الاخيرة في البحرين يمكن أن تؤثر عليها تأثيراً سلبياً، بالرغم من مأساوية هذه الاضطرابات، لأن علاقات الصداقة القديمة، ووحدة المصالح توحد بيننا بقوة وفي مجالات عديدة، كما أرحب بتبادل الآراء الكامل والودي فيما بيننا حول مسألة البحرين الصعبة، واثقاً من أن الإيضاحات الصريحة بيننا لن تضعف بل ستقوي الروابط بين سموكم وبين ممثلي حكومة صاحب الجلالة.

من المعروف جيداً لسموكم أن موقف ومركز بريطانيا العظمى في البحرين، هو مركز بالغ الخصوصية والصعوبة، فمركزها هناك يعود إلى ما قبل تاريخ الذاكرة الحية، ولكن يكفي أن اذكرر سموكم بالحقيقة القائلة بان الحكومة البريطانية هي التي أخمدت الاضطرابات أثناء القتال الضاري وما تبعه من فوضى، وهي التي دعت الشيخ عيسى ال خليفة، وكان يومها فاراً طريداً، إلى تسنم مشيخة البحرين قبل خمسين عاماً، فقد قتل والده في ذلك القتال الذي أدى إلى تدخل حكومة صاحب الجلالة تدخلاً عسكرياً لإخماده.

خلال تلك الفترة الطويلة من الحكم والتي استمرت خمسين عاماً، كانت الحكومة البريطانية هي التي أبقت على الشيخ عيسى شيخاً للبحرين، ولجأت إلى قوة السلاح في اكثر من مناسبة لتحقيق ذلك، وليس سراً أن حماية الحكومة البريطانية للشيخ عيسى هي التي ساعدته، واكثر من مرة، ليس ضد الاعتداءات الخارجية فحسب، وإنما ضد رعاياه انفسهم، أي البحارنة ـــ الشيعة ـــ الذين يتعرضون منذ زمن طويل للاضطهاد والقمع، ويشعرون بالاستياء المطلق من الاوضاع.

كما رفضت الحكومة البريطانية، في العديد من المناسبات، السماح بإقامة معتمدين أجانب، خاصة من فارس وتركيا، في البحرين، ولم تسمح بوجود معتمد آخر غير معتمدها هي.

واستندت الحكومة في موقفها هذا إلى التعهد الذي أعطاه الشيخ عيسى ال خليفة عند تعيينه شيخاً على البحرين عام ١٨٨٠، وثبت عام ١٨٩٢، حين تعهد الشيخ تعهداً قاطعاً بما يلي :

اولا : ألاّ يدخل في اية إتفاقيات تحت أي ظروف من الظروف أو يتراسل مع اية دولة سوى الحكومة البريطانية.

ثانيا : والا يوافق على إقامة أي معتمد لاية حكومة أخرى في اراضيه بدون موافقة الحكومة البريطانية.

توضيحاً للشكاوى العادلة التي يرفعها الأجانب ضد سوء الإدارة والحكم الذي يمارسه الشيوخ، والذي أدى إلى إثارة مطالبة فارس وتركيا بحق وجود معتمدين لهما في البحرين، اضطرت الحكومة البريطانية إلى ممارسة الضغط على الشيخ عيسى، مما ادى، في ٢٨جمادى الثاني ١٣٢٧ هجرية، إلى تقديم الشيخ عيسى تأكيداً للميجور مكنزي بخصوص الترتيبات التي كان قد شرع بتنفيذها في عهد الميجور بريدو(Prideaux) والتي كانت تحال بموجبها القضايا المتعلقة بالأجانب إلى المعتمد السياسي للفصل فيها، وبموجب هذه الترتيبات نفسها قمت أنا شخصيا بالفصل في المشاكل بين النجديين والفرس، وبالفصل أيضاً في اعمال الشغب التي وقعت مؤخراً والتي لا أشك في أن كلينا يستنكرها ويشجبها.

وإضافة إلى ذلك، فلا شك، أن سموكم تعلمون أنكم قد وضعتم رعاياكم النجديين المقيمين في البحرين تحت حماية الحكومة البريطانية، وهذه إحدى المهام الرئيسية للمعتمد السياسي في البحرين، الميجور ديلي، الذي يؤسفني أن ألاحظ أن سموكم مستاء منه، إنني واثق من أن هذا يرجع إلى سوء تفاهم، لان الميجور ديلي ضابط تثق به حكومة صاحب الجلالة ثقة كاملة، ويقوم بمهامه الدقيقة والحساسة بحماس لا يفتر وحياد لا غبار عليه.

هذه المقدمة من جانبي كانت ضرورية لكي أبين لسموكم ــ وانا هنا اتكلم بموافقة حكومتي الكاملة والمطلقة وبعد التشاور معها ــ مدى إستحالة الموافقة من جانبي على بعض المقترحات التي تطرحونها في رسالتيكم المذكورتين أعلاه.

وقد شاركني سلفي، الكولونيل تريفور، قلقي، كما أن السير بيرسي كوكس، وافق معنا حين استشير بشأن جوازات السفر، ووافقت حكومة صاحب الجلالة على وجهات نظرنا، وطمأنتنا وزارة المستعمرات إلى دعمها الكامل لهذه الآراء.

أنا أوافق على قول سموكم أن عائلة القصيبي المقيمة في البحرين تقوم منذ زمن طويل بتسيير أموركم في البحرين، ولكن نشاطاتهم لم تضعهم في حالة صراع مع المعتمد السياسي البريطاني في البحرين إلاّ مؤخراً، وتحديداً منذ مطلع هذا العام، وقد قام المعتمد بواجبه أصولاً حين أعلمنا بأن موقف القصيبي يسيء إلى مركز بريطانيا في البحرين، ويفتح الباب امام مطالب يصعب صدها، مطالب تدعو إلى وضع معتمدين أجانب آخرين على قدم المساواة مع معتمد سموكم سلطان نجد.

تطلبون سموكم في رسالتكم المؤرخة في الخامس من شوال ١٣٤١" أن أعين أنا شخصياً أثق به واعتمد عليه لكي يذهب برفقة تابعكم المذكور آنفاً إلى البحرين حتى يحققا ويتأكدا معا من هذه المشاكل ويطلعا على أسبابها، حتى تأخذ العدالة مجراها الطبيعي ".

ولكن إلاّ ترون سموكم إلى إين سيؤدي هذا الامر، ومدى إستحالة قبوله بالنسبة لي ؟فكيف أرد على الحكومة الفارسية التي ستطالب بلا شك بأن يحضر مبعوث من طرفها ويقوم

بتحقيقات خاصة ويراقب الأمور معع مبعوثكم، وانا إذا ما قبلت باقتراحكم فلن استطيع أن ارفض بحق مطلب الفرس، وسنجد بيننا مبعوثا فارسياً يتآمر على شيخ البحرين وعلى المعتمد السياسي معاً، وأود أن أؤكد لسموكم أن مبعوثاً كهذا لن يهدأ له بال ــ ولو بدون حق ــ حتى يصبح مركز التآمر والدس وخلق الفوضى والاضطرابات بين سكان الحسا الشيعة.وبغض النظر عن قلقي الطبيعي تجاه المصالح البريطانية في البحرين، ورغبتي في المحافظة على حكم ال خليفة الوراثي، فإنه من بالغ الأهمية، بالنسبة لمصالح سموكم ومصالحنا، أن يكون الباب مغلقاً بإحكام في وجه التدخل الأجنبي والذي بدأنا نشهد بوادره التي ستكون الفوضه والاضطراب، والذي لا يستطيع احد التنبؤ بنهايته.

من الاعتبارات آنفه الذكر، يمكن لسموكم أن تروا ما توقعته بوضوح في اللحظة التي وضع فيها ملف البحرين أمامي، وهو أن نشاطات القصيبي الاخيرة كانت من النوع بالغ الخطورة واللؤم، وان الحكومة البريطانية لا يمكن أن تسمح باية حماية أجنبية للنجديين المقيمين في البحرين، سوى الحماية التي تقدمها هي، ولهذا السبب حصل التأخير في حل مسألة جوازات السفر، وهي المسألة التي سأكتب لكم رسالة منفصلة حولها، ولهذا اضطررت أنا لمطالبة عبد الله القصيبي بمغادرة الجزر، بناء على الأساس الذي يخدم مصالح سموكم ويحفظ سمعتكم الطيبة وشرفكم، حيث أعلنت ــ ظاهرياً ــ أنه غادر وهو يحمل رسائل هامة مني إليكم، لهذه المسألة أهمية خاصة تكمن في نطاق خارج سلوك عبد الله الشخصي، وهو امر صغيرا نسبياً، وخارج نطاق سوء سلوكه بالاحرى.

ولا بد لي من الأصرار على أن الحكومة البريطانية، ومن باب الحرص على مصالحكم ولأسباب هامة أخرى حاولت عرضها في هذه الرسالة، لا يمكن أن توافق رسمياً على وجود أي معتمد نجدي لسموكم هناك، ما لم :

١/ يكن ذلك المعتمد مقبولاً شخصياً بالنسبة للحكومة البريطانية.

٢/ يتعهد بكل إخلاص بألاّ يتدخل بأية صورة من الصور في إدارة وحكم الجزر، سواء بحجة حماية مصالح النجديين الخاصة أو العامة (باستثناء مصالحه الخاصة هو والمصالح الخاصة لسموكم) أو لاي سبب آخر.

تبقى مسألة أخرى صغيرة يتوجب علي الرد عليها، وأشرتم سموكم إليها، وهي مسألة التركيب الفارسي لقوة الشرطة التابعة للبلدية، هذا صحيح، ولا استطيع القول بان طلقات نارية لم تطلق من قبلهم، وحين نشبت الاضطرابات بين الطرفين، سحبت الأسلحة النارية من الشرطة، وصرفوا من أعمالهم إلى أن هدأت الاضطرابات، ثم عادوا إلى وظائفهم، سترون سموكم من هذا أننا نعترف ونقر بلطخة مخجلة، وهي أن معظم رجال الشرطة هم من الفرس، أن هذا مصدر أسف عميق، سواء بالنسبة للمعتمد السياسي ام للبلدية التي تفضل ألف مرة أن

تكون قوة الشرطة قوة مختلطة، تجند بالتساوي من بين الفرس والنجديين والسنيين.ولكن من سوء الحظ وجد أنه من المستحيل تجنيد رجال من الفئتين الاخيرتين، والذين تطوعوا منهم سرعان ما تركوا الخدمة، إن تطوعهم وخدمتهم المخلصة سيكون أمراً نرحب به ونقدم المكافآت المجزية عليه.

وختاماً اسمحوا لي بان أؤكد لسموكم أن المعتمد السياسي لن يألو جهداً، وبمساعدة الشيخ حمد، في إحقاق العدالة بين الطرفين المتخاصمين في أحداث الشغب الأخيرة، يبدو أن الخسائر من الطرفين كانت متساوية تقريباً، ولن تكون هناك صعوبة كبيرة في التوصل إلى حل وسط..اما النزاع الذي سبب الاضطرابات فكان أمراً بالغ التفاهة، وهو إصلاح ساعة لا تتجاوز قيمتها الثلاثة ريالات، أما المشكلة الحقيقية فكانت التعصب الديني الأعمى خلال فترة صيام رمضان العصيبة، لم يكن المعتمد السياسي ولا الحكومة البريطانية في اية لحظة غير آبهين ولا مكترثين لهذه المشاكل، ولم يقصروا في إدراك مدى خطورتها، والبرهان على ذلك هو أنه، مع أنني أنا شخصياً سارعت إلى مسرح الأحداث ومعي سفينتان حربيتان، فإن الميجور ديلي نجح في إخماد الاضطرابات قبل وصولي، وبمساعدة الشيخين حمد وعبد الله، استطاع إخماد فتنة كان يمكن أن تتضاعف مخاطرها، وكانت تزخر بأخطر الاحتمالات. أن هذا لا يؤيد وجهة نظر سموكم التي لا أشك في انها ستصحح بعد أن تعيدوا نظركم في الرأي القائل بان الميجور ديلي هو ضابط متخاذل، أو أنه ينظر بلا إكتراث إلى الاضطرابات التي يعد هو مسؤولاً عن إخمادها، وإني اسارع شخصياً إلى طمأنة سموكم إلى أنه لا احد ممن يعرف الميجور ديلي يمكن أن يشارككم رأيكم فيه.

لاحظت أن إحدى الشكاوى التي توردونها ضد الميجور ديلي هي أنه لم يكتب لسموكم ويستشركم بشأن الاضطرابات في البحرين عندما اندلعت.إنني اعتقد انكم بعد قراءتكم لهذه الرسالة ستدركون أنه كان من المستحيل على المعتمد السياسي ـــ والذي ما يزال معتمداً خاضعاً لرؤسائه المباشرين، وبالرغم من كل الثقة الموضوعة فيه ـــ أن يكتب لسموكم حول مسألة سياسية بالغة الخطورة، كانت تصرفات عبد الله القصيبي تثيرها وتحرض عليها.حتى أنا كنت متردداً في الخوض في نقاش هذه المسائل الهامة بدون التشاور الكامل مع حكومة صاحب الجلالة، ولم أتمكن من الكتابة إلى سموكم إلاّ بعد إجراء مشاورات كاملة مع حكومة صاحب الجلالة، وكان من غير اللائق ولا المشروع مطلقا أن يفعل الميجور ديلي مثل هذا الامر، لانه ربما كان بذلك، وبدون قصد، سيلزم حكومة صاحب الجلالة بسياسة لا تستطيع الموافقة عليها.

*ثامناً : رسالة من المقيم نوكس إلى المعتمد في البحرين س.ك. ديلي

المقيمية البريطانية

بوشهر

١٩يونيو ١٩٢٣

عزيزي ديلي

يعتقد السيد هاشم أن إبن سعود سيسر إذا سمح لعبد الله القصيبي بالعودة إلى البحرين، ليس بصفته الرسمية طبعاً، ولكن لممارسة أعماله ومتابعتها باعتباره فرداً عادياً، بناءاً على هذه الشروط أنا لا أرى مانعاً لعودته، وسأكون مسروراً إذا استطعت انت تسهيل هذه العودة.

*تاسعاً : رسالة من نوكس إلى ديلي

المقيمية البريطانية

بوشهر ١٩يونيو ١٩٢٣

عزيزي ديلي

في الرسائل التي تلي هذه، سترون أن إبن سعود قد اثار ضجة كبيرة حول محمد شريف، فهو يتعرض على مركزه المزدوج كرئيس للبوليس وعضو في مجلس البلدية، من الواضح أن عبد العزيز والسيد هاشم يعتقدان أنه رئيس البلدية، وانا متأكد من أن الامر ليس كذلك، لأنني فهمت أن الشيخ حمد هو رئيس البلدية.بالطبع كان عبد العزيز متحمساً جداً، أثناء المحادثات، لطرد محمد شريف على أساس أن ذلك سيكون نوعاً من الموازنة مع الإجراء الذي اتخذناه ضد عبد الله القصيبي.

انت وانا مقتنعان اقتناعاً راسخاً بان جريمة محمد شريف، إن كان له ذنب، لا تقارن بحال من الأحوال بمسؤولية القصيبي عما جرى، ربما أنك على غير استعداد للاعتراف بوقوع أي ذنب من طرف محمد شريف، وعلى أي حال فإن إجراء تحقيق حول مسؤولية كل منهما في تلك الأحداث لن يؤدي إلاّ إلى إثارة أزمة بدأت تهدأ.

ولكني أعتقد أنه لن يضر شيئاً إن أنت استدعيت محمد شريف، وحذرته عما قد يكون على معرفة به، وانه الان أصبح موضع رصد. ويعتبره النجديون مسؤولاً عما جرى لهم، وانه من الافضل له، بناء على ذلك، أن يتحرك بحذر وانتباه لفترة عدة أشهر على الاقل، ربما سيكون هذا كافياً .

*عاشراً : رسالة من نوكس إلى ديلي

المقيمية البريطانية

بوشهر

٢٠يونيو ١٩٢٣

عزيزي ديلي

ارسل طيه نسخاً من مراسلات حسب اللائحة المرفقة..خلال المباحثات جرى حديث طويل حول عبد الله القصيبي، وضغط عليّ السيد هاشم ضغطاً قوياً لأعطيه رسالة موجهة إلى سلطان نجد، أقول فيها أن عبد العزيز القصيبي شخص مقبول لدى الحكومة البريطانية شريطة أن يلتزم بالشرطين الواردين في الرسالة رقم /٧/.أبلغت السيد هاشم لانه في حين أن رأيي الشخصي هو أن عبد العزيز القصيبي سيكون شخصاً مقبولاً تماماً لدى الحكومة البريطانية شريطة الالتزام بالشرطين، فإنني لا أستطيع الالتزام بهذا برسالة رسمية قبل الرجوع إلى المعتمد السياسي في البحرين، والى الهند، والى لندن.

فإذا قرر سلطان نجد أن يكتب إلي رسالة يسألني فيها رسمياً عما إذا كان القصيبي سيكون مقبولاً بهذه الصفة، فسأستشير السلطات المعنية، وآمل أن يستجاب لطلبي هذا.فأنا لا امانع شخصياً بعودته.

إلاّ أنني أدرك تماماً أن سلطان نجد ربما يكون كارهاً لذلك، وقد يعتبر تقديم مثل هذا الاستسلام الكامل غير لائق بمقامه وكرامته، في هذه الحالة، اقترحت أن يكتب السلطان رسالة شخصية إلى عبد العزيز القصيبي يبلغه فيها بالشروط التي سيكون تعيينه كوكيل شخصي لمصالح إبن سعود مقبولاً بموجبها لدى حكومة صاحب الجلالة، وان يأمر عبد العزيز بان يلتزم الهدوء لفترة من الزمن ثم يعود للظهور والنمو تدريجياً، وقد لجأت إلى ابتسامة تشجيع لطمأنة بال المبعوث، وقلت له أنه إذا التزم عبد العزيز بنصائحنا وتعليماتنا، فسرعان ما سيجد أنه يستطيع إناخة جمل في مضاف المعتمد السياسي، بينما سيجد عبد الله من المستحيل، حسب ممارساته السابقة، أن يدخل فأراً ملفوفاً في ورقة إلى زاوية من معسكر المعتمد السياسي.

آمل أن يجعل ذلك الامور واضحة لك، وان أرسل لك نسخة من تقريري الرسمي بشأن هذه المسائل بالبريد التالي.

* الحادي عشر : دسائس إبن سعود في البحرين

برقية من : المقيم السياسي في بوشهر

إلى :وزير المستعمرات

تاريخ :٩نوفمبر ١٩٢٣[21]

رسلة إلى وزير المستعمرات تحت رقم ٩٩٤ وتاريخ ٩نوفمبر، ومكررة إلى بغداد وحكومة الهند

في الإسبوع الماضي، وخلال زيارتي للبحرين، عثرت على أسباب وجيهة تدعو إلى الاعتقاد بان إبن سعود يحيك الدسائس والمؤامرات مع القبائل السنية المحلية (البحرانية) بهدف

---

[21] الوثيقة (FO.371/8942(E10914 مؤرخة في ١٢/١١/١٩٢٢

دفعها إلى الهجرة إلى إراضيه، بالنسبة لقبيلة الدواسر التي غادرت البحرين، تكللت مؤامرات إبن سعود بالنجاح، أنا على وشك رفع توصية، في حال عدم ممانعة حكومة صاحب الجلالة، تقضي بان تذكر (الحكومة البريطانية) إبن سعود بانه ما يزال لديها الوسائل للضغط عليه، وذلك بالحد من المواد التموينية القادمة من العراق والهند، علماً بان راتب الدعم قد أوقف، وانها (الحكومة البريطانية) قد تجد نفسها مضطرة لتنفيذ هذه الإجراءات إذا تجاهل هو المادة /٦/ من معاهدته مع حكومة صاحب الجلالة بشكل متواصل.

في هذه الظروف، اسمح لنفسي بان ادعم التوصية التي رفعها المندوب السامي(البريطاني في بغداد) التي تقضي بإرسال إنذار حاسم لابن سعود.

هذه البرقية هي رد على برقية بغداد رقم ٥٩٦.

تريفور

*ثاني عشر : مطالبة إبن سعود بعدم إيواء الهاربين من البحرين [22]

ن : وزارة شؤون الهند

لندن

١٣نوفمبر ١٩٢٣

إلى :معاون وزير المستعمرات

سيدي،

بالإشارة إلى برقيات حكومة الهند المرفق طيه نسخ منها، والمتعلقة بموضوع الإجراءات التي يتوجب اتخاذها ضد المحرضين الذين يعارضون إدخال الإصلاحات في البحرين، فقد أمرني وزير شؤون الهند أن اقترح، في حال عدم وجود مانع لدى وزير المستعمرات، أن ترسل رسالة إلى إبن سعود، تشير إلى قضية احمد الدوسري، وتطلب منه إلاّ يستقبل أو يؤدي الهاربين من البحرين الذين سيسيئون حتما استغلال كرم ضيافته بتحويل بلاده إلى قاعدة للتآمر على حاكم البحرين الذي يتمتع بتأييد ودعم حكومة صاحب الجلالة.

خادمكم المطيع

ل.د.ويكلي

---

[22] الوثيقة البريطانية (FO.371/8942(E11004 مؤرخة في ١٩٢٢/١١/١٤

تدمير الآثار المقدسة في الأماكن المقدسة

من اكثر الأُمور التي تتجت عن سيطرة الملك عبد العزيز على الحجاز أهمية..سماحه لأتباعه بتدمير الآثار الإسلامية، والذي تجلى في تدمير مقبرة المعلى في مكة المكرمة، والبقيع في المدينة المنورة..حيث يعد الاخير اكثر أهمية من سابقه، لأنه يضم رفات الآلاف من الصحابة والتابعين.

والبقيع تعني الارض المزروعة بأنواع الشجر..وسمي " بقيع الغرقد "لان الأشجار الغالبة فيه هي من نوع " الغرقد ".ويطلق الكثيرون خصوصاً مسلمو القارة الهندية على البقيع إسم " جنة البقيع "، ربما لأنهم عدوه روضة من رياض الجنة لكثرة من دفن فيه من الصحابة والتابعين، وربما كانت التسمية راجعة إلى الزرع المنتشر حيث كان المكان جنة خضراء.

ولم تكن للبقيع قيمة إلاّ بعد أن اصبح مقبرة تضم رفات خيرة الصحابة والأئمة والأولياء والصالحين والشهداء.وأول من دفن فيه هو الصحابي الجليل عثمان بن مظعون رضي الله عنه، وهو أول صحابي يتوفى من المهاجرين، وكان ذلك في الثالث من شعبان للسنة الثالثة من الهجرة ــ كما تقول الروايات ــ..ويومها أمر رسول الله ρ بان تقطع بعض شجار الغرقد ليدفن إبن مظعون في وسطها، ووضع ρ بيديه حجرين شاهدين عند رأسه وقدمه، أزالهما فيما بعد والي معاوية على المدينة مروان بن الحكم لإلقاء الشبهة بين قبره وقبر الخليفة عثمان الذي دفن خارج البقيع، وقد لقي هذا الفعل استهجان البقية الخيرة من الصحابة، ثم ما لبث أن أعيد الاعتبار لقبر عثمان بن مظعون وابتنيت قبة عليه.

في السنوات التالية توفي إبن رسول الله ρ (ابراهيم) ودفنه سلام الله عليه بيديه وبكى عليه.، وعلّم القبر...فأصبح البقيع مع الأيام مدفناً لأهل يثرب، حيث رغب الناس في أن يدفنوا موتاهم في تلك البقعة المباركة التي كان رسول الله قد دفن خيرة أصحابه فيها، والتي كان يزورها في آخر الليل ويستغفر لأهلها بقوله "سلام عليكم دار قوم مؤمنين..وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم إغفر لأهل بقيع الغرقد ".

وهكذا اتسعت مساحة البقيع، التي حوت ما يزيد على قبور سبعة الاف صحابي، عدا من دفن فيها من اهل البيت والكثير من التابعين،...ففيها دفن الإمام الحسن عليه السلام بعد أن منع الامويون دفنه إلى جانب جده رسول الله ورشقوا جنازته بالنبل، وقبله دفنت الزهراء عليها السلام ــ على أقرب الروايات إلى الصحة ــ، ودفن فيها الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، والإمامان محمد الباقر وجعفر الصادق عليهما السلام.وضم البقيع رفات زوجات النبي وأبنائه الاخرين وعماته وأعمامه...فهناك قبر صفية بنت عبد المطلب، وقبر العباس بن عبد المطلب، وقبر فاطمة بنت أسد ام الإمام علي، وكان قد كتب على قبرها إلى ما قبل تدمير الوهابيين له:" ما ضم قبر احد كفاطمة بنت اسد رضي الله عنها وعن بنيها ".وايضا

قبر عبد الله بن جعفر بن إبي طالب،...هذا إضافة إلى قبر حليمة السعدية مرضعة الرسول، وقبر الخليفة عثمان الذي كان خارج البقيع فوسع ليدخل فيه، وقبر الامام مالك بن أنس ونافع شيخ القراء،..وكذلك قبور الالاف من التابعين الذين رأوا أن دفن رفاتهم في تلك المقبرة المباركة فضلاً كبيراً وأجر عظيم.

وعلى مر القرون، كان البقيع، كما مقبرة المعلى بمكة المكرمة، ـــ معظماً لدى المسلمين الذين اشادوا القبب على قبور الصحابة والأئمة والأولياء إحتراماً وتكريماً وتقديساً لمن صنعوا التاريخ ومجد الإسلام. ولم يتعرض البقيع للأذى، ولرفات هؤلاء بالإنتقاص والإمتهان إلاّ في عهد الوهابيين.

يصف الرحالة عمر بن جبير البقيع أثناء زيارته له بالتالي :" أن بقيع الغرقد واقع شرقي المدينة، تخرج اليه على باب يعرف بباب البقيع.. وأول ما تلقى عن يسارك عند خروجك من الباب المذكور مشهد صفية عمة النبيρ.. وامام هذه التربة قبر مالك بن أنس الإمام المدني، رضي الله عنه، وعليه قبة صغيرة مختصرة البناء، وامامه قبر السلالة الطاهرة، : ابراهيم إبن النبي ρ، وعليه قبة بيضاء وعلى اليمين منها تربة إبن لعمر بن الخطاب(رض) أسمه عبد الرحمن الاوسط، وهو المعروف بأبي شحمة، وهو الذي جلده ابوه الحد فمرض ومات، وبإزائه قبر عقيل بن إبي طالب (رض) وعبد الله بن جعفر الطيار (رض) وبإزائهم روضة فيها قبور ازواج النبي (ص)، وتليها روضة العباس بن عبد المطلب (رض) والحسن بن علي(ع) وهي قبة مرتفعة في الهواء على مقربة من باب البقيع المذكور وعن يمين الخارج منه، ورأس الحسن(ع) إلى رجلي العباس (رض) وقبراهما مرتفعان عن الارض متسعان مغشيان بألواح ملصقة أبدع إلصاق، مرصعة بصفائح الصفر ومكوكبة بمسامير على ابدع صفة واجمل منظر، وعلى هذا الشكل قبر ابراهيم إبن النبي ρ، ويلي هذه القبة العباسية بيت ينسب لفاطمة بنت الرسول الله ρ، يعرف بـــ " بيت الحزن "، يقال أنه البيت الذي آوت اليه، والتزمت فيه الحزن على موت أبيها المصطفى ρ.وفي آخر البقيع قبر الخليفة عثمان(ض) وعليه قبة صغيرة مختصرة، وعلى مقربة منه مشهد فاطمة بنت اسد ام علي بن إبي طالب(ع).[٢٣]

وبعد حوالي قرن ونصف، يصف إبن بطوطة في كتابه (تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار) [٢٤]البقيع بوصف يشابه إلى حد بعيد وصف إبن جبير، فيقول :" بقيع الغرقد، وهو بشرقي المدينة المكرمة، ويخرج إليه على باب يعرف بباب البقيع.فأول ما يلقى الخارج

[23] رحلة إبن جبير ـــ طه القاهرة :ص ١٥٢ـــ ١٥٤

[24] رحلة إبن بطوطة ـــدار الكتاب اللبناني /ص ٨٦

إليه على يساره عند خروجه من الباب قبر صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها، وهي عمة رسول الله p، وام الزبير بن العوام، وامامها قبر مالك بن أنس (رض) وعليه قبة صغيرة البناء.وأمامه قبر السلالة الطاهرة المقدسة النبوية الكريمة، ابراهيم بن رسول الله pوعليه قبة بيضاء.وعن يمينها تربة عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب(رض)وبإزائهه قبر عقيل بن عبد المطلب (رض) وقبر عبد الله بن ذي الجناحين جعفر بن إبي طالب(رض). وبإزائهم روضة يذكر أن قبور امهات المؤمنين بها رضي الله عنهن.ويليها روضة فيها قبر العباس بن عبد المطلب عم رسول الله p، وقبر الحسن بن علي بن ابي طالب عليهم السلام، وهي قبة ذاهبة في الهواء.بديعة الاحكام عن يمين الخارج من باب البقيع "..الى أن يقول :" وبالبقيع قبور المهاجرين والأنصار، وسائر الصحابة رضي الله عنهم، إلاّ أنه لا يعرف اكثرها".وبقى البقيع على حاله هذه تقريباً، مع ملاحظة تعميره بين مدة واخرى...الى أن جاءت نكبة الوهابيين في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي فدمروا المشاهد وأهانوا الموتى والشهداء والصالحين، وتعرضوا لبقية المسلمين بالتكفير والحرب والقتال، بما لم يفعله مسلم ولا كافر في التاريخ من قبل.

نكبة البقيع الاولى

يرى الوهابيون أن تعظيم قبور الأنبياء وائمة أهل البيت والصحابة والأولياء يعني عبادة أصحاب هذه القبور وهو شرك بالله، بل هو كفر صريح وزندقة، يستحق معظمها القتل وإهدار الدم وسلب أمواله وسبي ذراريه، وكانوا ــ ولا زالوا ــ يطلقون على المسلمين القائلين بتعظيم القبور وأهلها الصالحين لفظة "القبوريين " التي تعني عباد القبور، مقارنين بينها وبين فعل الجاهليين تجاه أوثانهم، وقد خالفوا بآرائهم هذه جمهور المسلمين، الذين يرون أن من حق (المسلم)ان يجتهد، ولكن ليس إلى حد تكفير أخيه وإهدار دمه وسبي ذريته..ولم يتحفظ الوهابيون في تبيان آرائهم، بل شرعوا في تطبيقها على الجمهور الأعظم من المسلمين بقوة الحديد والنار.

أن مجمل الفكر الوهابي يعتبر تعظيم أصحاب القبور من الأنبياء والصالحين ضلالة، وان الاستغاثة والتوسل والتشفع بالنبي كفراً، لأنه ميت وبالتالي لا قيمة له، أو كما قال أحدهم بان عصاه أفضل من الرسول وقبره.

أما بقية المسلمين الذين خالفوا الوهابيين في آرائهم فيعتقدون بتكريم وتبجيل القبر الذي هو في حقيقة الامر تبجيل لصاحبه الساكن به..واستشهدوا على ذلك بان الخليفتين ابا بكر وعمر أوصيا بان يدفنا بجوار النبي p، وعد دفنهما إلى جواره من اعظم مناقبهما، ولما أراد بنو

هاشم دفن الإمام الحسن السبط عند قبر جده، تصدى الأمويون لجنازته ورشقوها بالسهام وقالوا :أيدفن عثمان في أقصى البقيع، ويدفن الحسن عند جده، لا والله لا يكون !!.

وكما رأى الوهابيون أن القبور لا حرمة لها ولا فضل، ايا كان المدفون فيها، فساووها بالتراب بحجة أن المسلمين يعبدونها من دون الله [25].فانهم تبعاً لذلك منعوا الاستشفاع بالرسول والتوسل به، وتزيد المؤلفات التي ردت على افكار الوهابيين هذه على الالف كتاب، بعض من ألفها من الحنابلة الذين يقول الوهابيون انهم ينتسبون إليهم.

ولقد انصب الجهد الوهابي في كل مكان سيطروا عليه، على هدم قبور الصحابة والتابعين وخيرة اهل بيت النبي الذين طهرهم الله من الرجس تطهيراً..وكانت المدينتان المقدستان(مكة والمدينة) ولكثرة ما بهما من آثار دينية، من اكثر المدن تعرضاً لهذه المحنة العصيبة، التي أدمت قلوب المسلمين وقطعتهم عن تراثهم وماضيهم التليد. بين عامي ١٢٠٥هـ ــ ١٢١٧هـ ــ، حاول الوهابيون السيطرة على الحجاز ــ قلب العالم الاسلامي ــ في حروب لم تتوقف، زادت على الخمسين حرباً، ولكنهم فشلوا في مساعيهم وكان الصلح بينهم وبين الاشراف ــ حكام الحجاز ــ يعقد ثم ما يلبث أن ينتقض. وفي أواخر عام ١٢١٧هـــ احتل الوهابيون الطائف واقاموا مجزرتهم الدامية المشهورة...وفي عام ١٢١٨هـــ احتلوا مكة بدون حرب وأعملوا في الأماكن المقدسة هدماً وتدميراً، وانصب سخطهم على تدمير كل القبب المقامة، حتى تلك التي كانت على بئر زمزم فساووها بالارض..الا أن الشريف غالب حاكم الحجاز الذي عقد الصلح مع الوهابيين خوفاً على الاماكن المقدسة، لم يستمر في المهادنة، فانتقض الصلح، الامر الذي دفع الوهابيين لاعادة احتلال مكة مرة أخرى سنة ١٢٢٠هـــ.

وفي عام ١٢٢١هـــ احتل الوهابيون مدينة الرسول، فلم يبقوا في البقيع ولا خارجه حجراً على حجر، حتى المساجد هدموها، وحاولوا مراراً هدم قبة الرسول (ص) إلاّ انهم غيروا رأيهم..وفي ذات الوقت منعوا جميع المسلمين من الحج إلاّ اتباعهم ــوهم قلة قليلة ـــ..ففي عام (١٢٢٠هـــ) انقطع الحج العراقي والإيراني، وبعد عام واحد (١٢٢١هـــ) انقطع الحج الشامي، وفي عام (١٢٢٢هـــ) انقطع الحج المصري..والسبب في هذا كله أن سعود الكبير اراد أن يجبر الحجاج على اعتناق مذهبه والالتزام بدعوته.ولما رفض المسلمون ذلك، منعهم من الحج واعتبرهم مراطقة كفرة.

---

[25] كانت مجمل تصرفات الوهابيين نابعة من زيادة الحرص والخوف وليس من العقيدة، فكانوا مغالين في التشدد دونما اساس عقائدي..ولهذا فسر بعضهم هدم المساجد "وليس القبور " بقولهم انهم يخافون أن تعبد هذه المساجد من دون الله !!هذا المنطق برره محمد اسد في كتابه "الطريق إلى مكة " بقوله " كان عرب نجد اكثر بعداً عن الإسلام من اية مجموعة أُخرى في العالم الإسلامي "...وهذا تبرير واهن لا يمكن ارساء قاعدة عليه..الا أن جلال كشك لفت في كتابة " السعوديون والحل الإسلامي ص ١٠٧"الانتباه إلى حقيقة هامة حينما قال : "يجب التحفظ على دعاية الوهابيين الذين يبالغون في تصوير حجم الهداية التي تمت على أيديهم، من خلال المبالغة في تصوير ــ ما يسمونه ــ الجاهلية "!.

لقد خرب الوهابيون ودمروا قبور شهداء احد، والمسجد المقام على قبر سيد الشهداء الحمزة بن عبد المطلب، ودمروا المساجد التي خارج البقيع، مثل مسجد الزهراء (فاطمة)، ومسجد المنارتين، ومسجد المائدة ــ وهو الموقع الذي نزلت فيه على رسول الله ρسورة المائدة ــ وكذلك مسجد الثنايا الذي دفنت فيه ثنايا رسول الله ρالتي تكسرت في معركة احد.

أما البقيع فأصبح قاعاً صفصفاً، لم يبق به اية قبة، واصبح ذلك المزار المهيب على مر القرون للملايين من المسلمين مجرد مزبلة، لا يكاد يعرف الزائر بوجود قبر فيه، فضلاً عن أن يعرف صاحبه.

لم يكتف الوهابيون الاوائل بكل هذا..بل "طلب ــ الحاكم السعودي ــ سعود الكبير، الخدم السودان الذين يخدمون حرم النبي فقال :اريد منكم الدلالة على خزائن النبي، فقالوا بأجمعهم: نحن لا نوليك عليها ولا نسلطك، فأمر بضربهم وحبسهم، حتى اضطروا إلى الاجابة، فدلوه على بعض من ذلك فاخذ كل ما فيها، وكان فيها من النقود ما لا يحصى، وفيها تاج كسرى انوشروان الذي صار عند المسلمين لما فتحت المدائن، وفيها سيف هارون الرشيد وعقد كان لزبيدة زوجته، وفيها تحف غريبة من جملة ما ارسله سلاطين الهند بحضرته ρ.واخذ قناديل الذهب، وجواهر عديدة..."[٢٦].

ويذكر الجبرتي في تاريخه أن سعود الكبير :" استولى على المدينة، واخذ تلك الذخائر، فيقال أنه عبئ (سحاجير) من الجواهر المحلاة بالألماس والياقوت العظيمة القدر، وفي ذلك اربعة شمعدانات من الزمرد وبدل الشمعة قطعة ألماس مستطيلة يضيء نورها في الظلام، ونحو مائة سيف قرابتها ملبسة بالذهب الخالص، ومنزل عليها ألماس وياقوت، ونصابها من الزمرد واليشم ونحو ذلك، وسلاحها من الحديد الموصوف، كل سيف منها لا قيمة له (أي لا يقدر بثمن) وعليها دمغات بإسم الملوك والخلفاء السالفين وغير ذلك ". إن هذا التجاسر على حجرة الرسول وقبره، قد صدم المسلمين مهما كانت التبريرات بأن رؤساء المذاهب أفتوا سعود الكبير بالجواز، فهذا مستبعد لان اتباع المذاهب بنظر الوهابيين كفرة، ثم من الذي يرشدنا إلى أن الفتوى كانت بدون قهر ؟.

ويدعي البعض أن أموال الحجرة انفقت على الفقراء والمساكين !، ولكن الذي لا شك فيه هو أن ال سعود واتباعهم تناهبوها وتقاسموها، حتى أن عبد الله بن سعود الذي خلف أباه في الحكم، ولما سقطت الدرعية عام ١٢٣٣هــ على يد القوات المصرية، جيء به اسيراً إلى مصر وهو يحمل بعضاً من تلك الثروات المنهوبة ليسلمها إلى محمد علي باشا من اجل انقاذ

---

[26] لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب ــ تحقيق احمد مصطفى ابو حاكمة : ص ١٠٨ــ ١٠٩.وانظر الدولة السعودية الاولى ــ للدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم /ص ١٢٦ .

رأسه..فـ " وصل عبد الله بن سعود أسيراً، وسلم ما بحوزة ايه من مجوهرات الحجرة النبوية، ثم رحلوه إلى الآستانة وأعدم "[27].

أدى إستيلاء الوهابيين على الاماكن المقدسة ومنعهم لمسلمين من أداء فريضة الحج وإجبار المسلمين على إقتفاء أفكارهم وآرائهم الدينية، أدى إلى هروب عشرات الالاف من المدينة ومكة فراراً من الاضطهاد العقائدي، وتردي الوضع السياسي والاقتصادي، وبدأ المسلمون يتذمرون، وراح الرأي العام يضغط على دولة الخلافة لتتولى مهمة تحرير الحرمين والسماح للمسلمين بالحج وإعادة إعمار العتبات المقدسة، فجهزت حملة محمد علي باشا التي ما أن وصلت إلى يابسة الحجاز، حتى سارعت القبائل وأهالي المدن إلى دعمها فأعيدت السيطرة على المدينة ثم مكة، حيث لم تكن فرحة الاستيلاء عليها في مصر والآستانة بأقل من فرحة الاستيلاء على المدينة، ويذكر الجبرتي أن القاهرة احتفلت على اثر وصول نبأ فتح مكة إليها خمسة أيام متواليات [28].

وأقيمت الافراح والاحتفالات في كل بلاد العالم الاسلامي، ولا يختلف باحثان على أن اهم أسباب إنهيار دولة السعوديين الاولى هو (منع الحجيج) و(هدم الاماكن المقدسة) [29].

وخير من وصف البقيع في نكبته الاولى الرحالة السويسري لويس بورخارت الذي ادعى الاسلام، وسمى نفسه ابراهيم، وقدم على محمد علي في مصر ثم رافقه في حملته لاستئصال الوهابيين سنة ١٨١٥م، وكان من بين ما قاله الرحالة عن مقبرة البقيع التالي :

"هي عبارة عن مربع كبير تبلغ سعته مئات من الخطوات، محاط بجدار يتصل من الجهة الجنوبية بضاحية البلدة، وبساتين النخيل الأخرى، وتبدو المقبرة حقيرة جداً لا تليق بقدسية

---

[27] جلال كشك ــ مصدر سابق / ص ١٨٧

[28] عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ــ مصدر سابق / ص ٢٩٧ــ ٢٩٨

[29] تجدر الاشارة إلى أن الوهابيين هجموا على كربلاء سنة ١٢١٦هــ وقتلوا آلاف ممن وجدوه من الاهالي في الاسواق والشوارع، وهدموا قبة الامام الحسين عليه السلام، حتى أن احدهم افتخر بان هدمها لم يزد على ثمان ساعات حتى سويت بالارض، وكذلك نهب الوهابيون ــ على قول صاحب لمع الشهاب ــ " خزائن كثيرة كانت هناك من الذهب والجواهر النفيسة، واخذ ــ سعود الكبير ــ مقدار ست مائة ألف ريال، وقتل مقدار ثلاثة الاف نفس من ذكر وانثى وكبير وصغير.. وبقي هناك يوماً واحداً لا غير".وجاء في رسالة رد لسعود الكبير على شخص يدين أفعاله فقال، بضرس قاطع :" وقولك أننا اخذنا كربلاء وذبحنا أهلها واخذنا اموالها، فالحمد لله رب العالمين، ولا نعتذر عن ذلك، ونقول للكافرين امثالها. واقمنا بها عشرة أيام، وذبحنا ودمرنا ما بلغك علمه " ــ كشك / ص ١٩٧لقد نذب الوهابيون ومؤرخوهم تدمير الدرعية، وبالغوا في وصف قسوة قوات محمد علي باشا، بينما يذكرون بتفاخر وبصريح العبارة افعالهم في المسلمين، وذبحهم اياهم، ويعدونها احدى المفاخر!. ويلاحظ كشك / ص ١٢١، أن هدم قبة " الحسين ــ بزعمه ــ ليس عملاً طائفياً موجهاً ضد الشيعة، فقد هدموا قبة طلحة والزبير وزيد بن الخطاب وامنا حواء، وقاموا بقتل اهل الطائف مقتلة لها شهرة تفوق مقتلة كربلاء، أما اخذ اموال القبة والمزار فقد تم وفقاً للمفاهيم الوهابية، تماماً كما اخذت اموال القبة النبوية ذاتها "..ان افعال الوهابيين تجاه الشيعة والسنة انما هو بدافع مذهبي، أما تخصيص الوهابيين للشيعة بالاذى اكثر من غيرهم، فلا يحتاج اساساً إلى نقاش، وان كانت افعالهم مع المذاهب السنية الأخرى، مهولة في قسوتها وفظاعتها.

الشخصيات المدفونة فيها، وقد تكون أقذر وأتعس من اية مقبرة موجودة في المدن الشرقية الأخرى التي تضاهي المدينة المنورة في حجمها، فهي تخلو من أي قبر مشيد تشييداً مناسباً..وتنتشر القبور فيها وهي أكوام غير منتظمة من التراب، يحد كل منها عدد من الاحجار الموضوعة فوقها..ويعزى تخريب المقبرة إلى الوهابيين "..ثم يأتي بورخارت إلى وصف بقايا القبب والمباني الصغيرة التي تعرضت للتخريب كقبور أئمة اهل البيت، وقبر العباس، وعمات النبي وعثمان، ليصل إلى نتيجة :"فالموقع بأجمعه عبارة عن أكوام من التراب المبعثر وحفر عريضة، ومزابل...."[30].

ثم يصف بورخارت زيارته لجبل احد، حيث وجد المسجد الذي شيد على قبر الحمزة وغيرة من شهداء احد، مثل مصعب بن عمير وجعفر بن شماس وعبد الله بن جحش قد هدمه الوهابيين..الا أنه أشار إلى أن قبر الحمزة لم يعبث به كغيره..وعلى مسافة من هذا المسجد وجد قبة مهدمة مخربة وصغيرة تشير إلى المكان الذي أصيب فيه الرسول ρ في احد..وعلى مسافة وجد قبور أثنى عشر ضحايا من شهداء احد "وقد خرب الوهابيون قبورهم وعبثوا بها "[31].

ومن المهم الإشارة هنا إلى أن الوهابيين عينوا ضابطاً عثمانياً فاسقاً ودموياً حاكماً للمدينة أسمه حسن القلعي، الذي استطاع قبل سيطرة الوهابيين أن يصبح سيد المدينة غير المنازع، وكان في خدمته فوج من الحرس المختلط من البدو والمغاربة، فاستبد بالناس وظلم الحجاج وابتزهم وصادر ممتلكاتهم..وحينما هاجم الوهابيون المدينة، استسلم لهم شرط بقائه في منصبه فوعدوه بذلك، وهكذا سقطت الحامية التي دعمت فيما بعد بجنود وهابيين، وحينها راح القلعي يتطرف في تحمسه للمذهب الوهابي، ويضغط على السكان في سبيل اعتناقه بأقصى الوسائل وأعنف الطرق، وتشدد في استيفاء الأموال والضرائب من اهل المدينة، الذين يقول بورخارت انهم غير محبوبين من الحاكم السعودي...لكن حينما جاءت القوات المصرية لتحرير الحجاز، رأى القلعي أن يلعب ذات اللعبة السابقة، غير أن القوات المصرية الغازية قبضت عليه مع (مذيان) قائد الوهابيين في المدينة، وأرسلتهما للقاهرة ومنها إلى استنبول حيث نالا جزاؤهما[32].

وبعد هزيمة الوهابيين، بدئ في عام ١٨١٨م. وفي عهد السلطان العثماني عبد المجيد ثم في عهد السلاطين عبد الحميد، ومحمود، بإعادة الاعمار للحرم المدني وللبقيع ولتراث

---

30 موسوعة العتبات المقدسة – جزء المدينة المنورة – الاستاذ جعفر الخليلي – مؤسسة الاعلمي / ١٩٨٧ص ٢٥٢– ٢٥٤

31 المصدر السابق/ ص ٢٥٤– ٢٥٥

32 المصدر السابق / ص ٢٥٨–٢٥٩

المسلمين الخالد في احد..ثم جددت الأبنية كما يبدو بين عام ١٨٤٨ــ ١٨٦٠م، وصرف مبالغ هائلة قدرت بسبعمائة الف جنيه استرليني بعضها من اموال الحجرة النبوية.

محنة الأماكن المقدسة للمرة الثانية

اشاد العثمانيون القبب والمساجد بشكل فني رائع، وقد ذكر مؤلف (مرآة الحرمين) هذه الاضرحة والقبب، وصورها في كتابه قبل أن يدمرها الوهابيون للمرة الثانية.

في النصف الثاني من عام ١٨٥٣م، وفي زيارة خاصة له للبقيع، اشار الرحالة البريطاني ريتشارد بورتون، والذي انتحل الجنسية الأفغانية وسمى نفسه عبد الله..اشار إلى الروايات القائلة، بان البقيع يضم رفات سبعين ألف قديس، أو مائة الف، بينهم ٧ــ ١٠ آلاف صحابي وعدد آخر لا يحصى من " السادة " دفنوا فيه واندرست قبورهم. وأضاف بانه دخل المقبرة وقرأ الزيارة العامة التي حظر الوهابيون قراءتها، وأعقبها بقراءة سور من القرآن...وتابع :

"حينما سرنا في ممر ضيق يؤدي من جهة البقيع الغربية إلى الجهة الشرقية، دخلنا مرقداً متواضعاً أقيم فوق قبر الخليفة عثمان..وبعد هذا سرنا خطوات قليلة إلى الشمال وتوجهنا نحو الشرق فزرنا ابا سعيد الخدري ــ صاحب النبي ــ الذي يقع قبره خارج البقيع..وكان المكان الثالث الذي زرناه قبة تضم قبر السيدة حليمة مرضعة النبي...ومن هناك توجهنا إلى الشمال فوقفنا امام مبنى صغير يحوي أشكال بيضاوية من الاحجار، وهي قبور الشهداء البقيع الذين قتلهم "مسلم " قائد كبير الفاسقين يزيد [٣٣].اما الوقفة الخامسة فكانت بالقرب من سط المقبرة على قبر ابراهيم إبن النبي..وزرنا بعد هذا نافع بن عمر المسمى نافع القارئ، والى جنبه مالك بن انس..وكانت الوقفة الثامنة على قبر عقيل بن إبي طالب اخي الإمام علي..وزرنا بعد هذه البقعة التي دفنت فيها ازواج النبي جميعاً ــ عدا خديجة التي دفنت بمكة ــ وبعد أمهات المؤمنين قرأنا الفاتحة على قبور بنات النبي "[٣٤].

وأضاف بورتون، "وقبل أن نترك البقيع وقفنا وقفتنا الحادية عشرة عند القبة العباسية، أو قبة العباس عم النبي، وهي اكبر واجمل جميع القبب الأخرى...

وتوجد في القسم الشرقي قبور الحسن بن علي سبط النبي، والإمام زين العابدين بن الحسين، وابنه محمد الباقر، ثم ابنه الإمام جعفر الصادق، وهؤلاء جميعاً من نسل النبي، وقد دفنوا في نفس المرقد الذي دفن فيه العباس..وبعد أن خرجنا وتخلصنا من إيدي الشحاذين

---

[33] اشار بورتون هنا إلى أن الامام الشافعي يسمح بسب يزيد بن معاوية الذي جعلت قساوته مع آل البيت وجرائمه وموبقاته يهودياً الاسخر يوطي السلام، وقد سمع بورتون مسلمين احنافاً يسبّون يزيداً كذلك،

[34] الخليلي ــ قسم المدينة / ص ٢٨٢ــ ٢٨٢..ما ذكره الرحالة بورتون مستقى من كتابه، وقد ترجمه الاستاذ الخليلي، والمعلومات الواردة عن الرحلة مستقاة من الترجمة..أنظر الصفحات / ٢٨٤الى ٢٨٧.

الصغار، وجهنا وجهنا نحو الجدار الجنوبي الذي يوجد بقربه قبر ينسب إلى السيدة فاطمة وقرأنا الدعاء المعروف "...وفصل بورتون مسألة غموض موقع قبر الزهراء ولكنه أكد أن الاخفاء كان بوصية منها..وتابع " أتينا على قبة صغيرة تحوي قبور عمات النبي، ولاسيما صفية بنت عبد المطلب أخت الحمزة، وإحدى بطلات الإسلام في اول عهده ".

وحسبما يذكر بورتون أن في المدينة ٥٥مسجداً وبقعة مقدسة، عدد أكثرها وأشار إلى القبب المقامة عليها، ومن بينها "قبة المصرع " وهو المكان الذي خر فيه الحمزة صريعاً.

هذا هو حال المدينة وبقيعها بعد تعميره..وقبل تدميره من جديد على يد الوهابيين، وفي الوقت الذي وصف فيه المغامر الانجليزي جون كين المدينة أثناء حج عام ١٨٧٧ــ ١٨٧٨م.بانها تشبه استانبول أو اية مدينة أخرى من المدن الجميلة في العالم، حيث تبدو اسوارها البيضاء، ومنائرها العديدة المطلية بالذهب، ووصفها حين تشرق الشمس على حقولها الخضراء المحيطة بها كجوهرة متلالئة محاطة بفسيسفاء من اللؤلؤ..جاء (إيلدون رتر) ليصف قراها المحيطة بها بعد المحنة التي عصفت بها على يد غلاة الوهابيين، بان القرى والبيوت الواقعة بين محيط المزارع وأشجار النخيل مهجورة خربة، وان الحقول أصبحت جرداء غير عامرة بالزرع بسبب الحصار الذي فرضه الوهابيون على المدينة قبل سقوطها..ولاحظ رتر خارج السور عدداً غير يسير من المباني والقصور التي كانت منيفة قبل تهديدات الوهابيين.

وأشار رتر إلى حصار الوهابيين للمدينة الذي استمر خمسة عشر شهراً، حيث ألجأ السكان البالغ عددهم بين ٧٠ــ ٨٠ ألف نسمة إلى الفرار، فلم يتبق منهم سوى ستة آلاف نسمة فقط، وفي حين وصف جون كين المدينة بانها "محظوظة " لانها تحوي على جميع ما يمكن أن يريده العقل الشرقي ويرتاح اليه، من البيوت المنظمة، والحقول النضرة، والمياه الجارية وغيرها..إضافة إلى شوارعها النظيفة المنتظمة جداً والرفاه والازدهار وغيره.يأتي رتر ليقدم الصورة المناقضة، فــ " الشوارع والأزقة فارغة والبيوت متهدمة "، وملامح الاعياء بادية ظاهرة، وكأن الزلزال أصابها "[35].

أما البقيع فقد وصفه رتر وصفاً مروعاً فقال :"حينما دخلت إليه وجدت منظره كأنه منظر بلدة قد خربت عن آخرها، فلم يكن في انحاء المقبرة كلها ما يمكن أن يشاهد، سوى احجار مبعثرة واكوام صغيرة من التراب لا حدود لها، وقطع من الخشب، مع كتل كثيرة من الحجر والاجر المنكسر هنا وهناك، وقد كان ذلك اشبه بالبقايا المبعثرة لبلدة أصابها الزلزال فخربها كلها".

---

[35] المصدر السابق.

"وألفيت بجانب السور الغربي للمقبرة أكواماً كبيرة من ألواح الخشب القديمة، والكتل الحجرية وقضبان الحديد...وقد أزيلت الانقاض من بعض الممرات الضيقة..وفيما عدا ذلك لم يكن هناك ما يدل على شيء من الإنتظام، فقد كان كل شيء عبارة عن وعورة تتخللها مواد الابنية المهدمة وشواهد القبور المبعثرة، ولم يحدث هذا بفعل الزمن وعوارض الطبيعة، بل صنعته يد الانسان عن عمد وتقصد "[36].

ويضيف :" لقد هدمت واختفت عن الانظار القباب البيضاء التي كانت تدل على قبور ال البيت النبوي وقبر الخليفة الثالث عثمان، وقبر الامام مالك وغيرهم..وأصاب القبور الأخرى نفس المصير، فسحقت وهشمت، حتى الاقفاص المصنوعة من اعواد الجريد التي كانت تغطي قبور الفقراء من الناس عزلت جانبا أو احرقت .. وحينما توغلنا داخل المقبرة لمشاهدة الاكوام التي تدل في يومنا هذا على قبور المسلمين الاوائل الذين صنعوا التاريخ الحافل، سمعت دليلي يكرر يهمس :استغفر الله، استغفر الله، لا حول ولا قوة إلاّ بالله.وكان القلة ممن بقي من سدنة القبور التي بقيت معالمها شاخصة للعيان يقفون أو يجلسون بجنبها وأوجه غير معبرة، ومن دون أن تبدر منهم اية حركة، فلم يطلبوا الصدقة، ولم يتكلموا بشيء سوى بعض الكلمات الخافتة ــبرغم عدم وجود احد من الوهابيين على مقربة منهم، غير إثنين من عبيد إبن سبهان بالباب ".

ويتابع :" وسرنا في ممر ضيق، نظّف من بين الزبل المبعثر نحو قبر عثمان الواقع في الجهة الشرقية من المقبرة، وفيما كنا نخطو هذه المسافة خطواً متأنياً، التقينا بجماعة من الهنود راجعين من زيارة هذا القبر..وكان الذين يتقدمهم رجلاً مسناً ذا لحية طويلة قد وخط الشيب سوادها، وكان وهو يمشي منتصب الرأس لا يحرك عينيه يمنة ولا يسرة، بل كان ينظر إلى الامام على الدوام والدموع تنحدر منهما بتيار مستمر "[37].

****

لقد انطلق الوهابيون في صفر ١٣٤٣هـ ١٩٢٤لاحتلال الحجاز بقيادة سلطان بن بجاد وخالد بن لؤي، والتقى الاشراف بالاخوان في تربة فكانت مجزرة رهيبة حلت بالجيش الحجازي، وبعدها تمت المجزرة الثانية في الطائف، فبعد هزيمة الجيش الحجازي دخل الاخوان الطائف كالسيل الجارف فقتلوا من وجدوه في الشوارع والطرقات، واقتحموا البيوت

[36] المصدر السابق / ص ٢٢٩

[37] المصدر السابق / ص ٢٢٠

ونهبوها، كما قتل العديد من رجال الدين والنساء والاطفال..وقد وصف احد الاشراف "عون بن هاشم "المجزرة " في تربة بقوله: "رأيت الدم فيها يجري كالنهر بين النخيل، وبقيت سنتين عندما أرى الماء الجارية أظنها والله حمراء "[38].

ويقول الريحاني أن الاخوان الوهابيين حينما دخلوا الطائف:" طفقوا يطلقون بنادقهم في الاسواق، وهم يطوفون المدينة فقتلوا عدداً من الابرياء الذين لم يسارعوا إلى بيوتهم مستأمنين، وكان قد تخلف في المدينة جماعات من عرب البقوم والنمور والطويرق وغيرهم، فاختلطت هذه الجموع في ظلمات الليل، وكانت ساعة الهول والفجع، راح العربان والاخوان يطرقون الابواب ويكسرونها فيدخلون البيوت، ثم يعملون فيها أيدي السلب، وكانوا يقتلون في سبيل السلب.

وقتل مفتي الشافعية الشيخ الزواوي وأبناء الشيبي..اما الشيخ عبد القادر الشيبي سادن الكعبة، فقد نجا من الاخوان بحيلة ظريفة..بكى عندما وقع في ايديهم، فسأله احدهم وقد استل السيف فوق رأسه.."وليس تبتسي يا تسافر ؟"ـ أي لماذا تبكي يا كافر ؟!ـ فأجابه الشيخ "ابكي والله من شدة الفرح، ابكي يا اخوان لاني قضيت حياتي كلها في الشرك والكفر، ولم يشأ الله أن اموت إلاّ مؤمناً موحداً..الله اكبر. لا اله إلاّ الله ".. وقد أثر هذا الكلام في الاخوان، فبكوا لبكاء الشيخ، ثم طفقوا يقبلونه ويهنئونه بالإسلام "[39].

وفي اليوم التالي أخرج الأهالي نساء وأطفالاً وشيوخاً من مدينة الطائف وسيقوا إلى حديقة شبرا وحبسوا هناك ثلاثة أيام، وكانت النساء سافرات لاول مرة مع الرجال، ومكثوا أياماً بدون طعام أو ماء ـ كما يقر بذلك " العطار " صاحب مؤلف صقر الجزيرة ـ.

وكان رد إبن سعود على المذبحة كما يقول هو " وصلني وانا في الرياض خبر المذبحة في الطائف فبكيت حتى تبللت لحيتي..ولما قدمت مكة عزمت أولياء القتلى وأعطيت كل واحد عشرة ريالات فرنسية وصاعاً من القمح !!"..وهذه قيمة الإنسان؟!.

أما الريحاني فيقول أن عبد العزيز دفع عشرة الاف ليرة من التعويضات وربما كان يقصد عشرة الاف ريال، وبالحساب البسيط، يكون عدد القتلى الف شخص من الاهالي الابرياء، عدا آلاف من العسكر الهاشمي [40].

كان إبن سعود هو المخطط للمذبحة كما فعل اسلافه، فاحتلال مكة لايكون سلماً إلاّ بعد ترويع السكان بارتكاب مجزرة بالقرب منهم، فكانت الطائف ساحة المجازر كلما اراد الوهابيون احتلال الحجاز، على أن الحاكم السعودي تبرأ مما فعل جيشه الذي لم يكن على

[38] امين الريحاني ـ نجد وملحقاته / ص ٢٥٦

[39] المصدر السابق / ص ٢٢٢، كان من بين القتلى عبد الله الزواوي مفتي الشافعية والعديد من بني شيبة سدنة الكعبة.

[40] الاسلام والوثنية السعودية ـ فهد القحطاني / ص ١١٦

رأس قيادته لهدف واضح، والنتيجة أن سقطت مكة ودمرت كل آثارها الدينية، تماما مثلما فعلوا بالطائف التي دمروا فيها قبر إبن عباس، وكما فعلوا في جدة التي سقطت بعد حصار طويل فدمروا قبر أمنا حواء، وغير ذلك.

وكان سقوط المدينة قد تم في أواخر ديسمبر ١٩٢٥، وسمح للوهابيين أن يمارسوا ما يبتغونه من العنف في تخريب الاضرحة والاثار الاسلامية،..ولم يسلم سوى قبر الرسول الذي استطاع إبن سعود بدهائه السياسي الحيلولة دون هدمه، خوفاً من رد فعل العالم الاسلامي العنيف، وكان فعله هذا مخالف لقواعد المذهب الوهابي..وانك لتجد حتى اليوم أسفاً لدى الوهابيين بأن القبة المشادة على القبر الكريم لم تدمر..يقول ابراهيم الجبهان :"نحن لا ننكر أن بقاء البنية التي على قبر الرسول مخالف لما أُمر به..وان ادخال قبره في المسجد اشد إثماً وأعظم مخالفة "[41].

ولما كان قبر الحمزة، والمسجد المشاد عليه، وكذلك قبور شهداء أُحد، خارج المدينة المنورة التي كانت تحت الحصار، فقد أصبحت أول الأماكن التي دمرها الوهابيون عن أخرها، كما تعرضت قبة المسجد النبوي الشريف للقصف المدفعي، ويومها أرسل أعضاء مسلمون من الجمعية التشريعية في الهند تلغرافاً لابن سعود يطلبون فيه معلومات أصلية عن تقارير تدمير أضرحة الصحابة..ومما جاء في التلغراف المرسل بتاريخ ١٩٢٥/٨/٢٧الاتي :" أن مسلمي الهند مهتمون للتقارير القائلة بان قبة المسجد التي فوق ضريح الرسول دمرت..وان مسجد الحمزة أزيل من الاساس، وذلك اثناء قصف المدينة من قبل قواتكم "[42].

وثارت ثائرة العالم الإسلامي خاصة في الهند ومصر وإيران، لسماعهم أخبار تدمير الاماكن المقدسة في مكة، وثار نقاش طويل في الهند بقيادة جمعية الخلافة، وفي إيران ناقش البرلمان مسائل التدمير هذه وأرسل وفداً إلى مكة وصلها في اكتوبر ١٩٢٥ لمناقشة إبن سعود في افعال قواته..لكن الحاكم السعودي – وبما يتمتع به من دهاء – اكد للوفد بانه سيقدم خدماته لمساعدة الحجاج الإيرانيين وغيرهم لإعادة بناء الاضرحة المدمرة، وقدم وعداً بذلك، فانصرف الوفد الفارسي راضياً.[43]

ومن جهة ثانية كان إبن سعود وطوال عام ١٩٢٥ م يؤكد بانه سيجعل الحجاز تحت ايدي المسلمين ليقرروا مصيره، لعلمه بان العالم الاسلامي – خاصة مصر – ترفض سيطرة الوهابيين، ودعا إبن سعود لمؤتمر يقرر مصير الحجاز بعد أن تسقط جدة والمدينة في قبضته..ولكنه وبعد اقل من اسبوعين من سقوط جدة ، اعلن نفسه ملكاً على الحجاز، ولم

---

41 تبديد الظلام – لإبراهيم الجبهان / ص ٢٨٩

42 الوثيقة البريطانية (FO.371/10809(E5107 مؤرخة في ١٩٢٥/٨/٢٨م

43 الوثيقة البريطانية (FO.371/10810(E6647 مؤرخة في ١٩٢٥/١٠/٢٠م

يعقد مؤتمراً إلاّ بعد أشهر، ولكن ليس لمناقشة مصير الحجاز، وانما كيفية تحسين الاوضاع الاقتصادية والخدماتية، مما جعل اكثر الوفود تنسحب وتعتذر عن المشاركة !.

لقد امتعضت مصر من تصرفات الوهابيين فقاطعت الحج، وعممت بلاغاً عاماً بررت فيه فعلها، بان أرواح الحجاج غير مضمونة في ظل السيطرة الوهابية الجديدة، وفي العراق وإيران اقيمت شعائر الحزن وعطلت المدارس احتجاجاً على تدمير البقيع والاماكن المقدسة الأخرى، ومنع الحج ريثما تحصل الحكومتان على ضمانات امنية كافية.

وصادف أن وفداً من جمعية الخلافة وقبيل سقوط جدة والمدينة كان يؤدي فريضة الحج، وقيل أنه جاء بقصد التأكد من مصير الاماكن المقدسة والاطمئنان على مستقبلها..فكتب أعضاؤه التالي :" أبلغنا من مصادر موثوقة، أن الوهابيين بدأوا بالهجوم على المدينة المنورة، وقد الحقت الاضرار بقبة الرسول p، كما أن مسجد سيدنا الحمزة قد أزيل نهائياً "[٤٤].اما مكة التي كانوا فيها فقالوا عنها: " دمرت في مكة مقبرة المعلى، والبيت الذي ولد فيه الرسول.وتزعم الحكومة النجدية لنا أنه لن يحدث نفس الامر للمدينة "[٤٥].

ويقول فيلبي أن هذا الوفد غادر الديار المقدسة في يناير ١٩٢٦ وهو نصف مقتنع بمستقبل الحجاز المضمون.

وفي مايو ١٩٢٦عاد الوفد ثانية إلى الحجاز، وكانت المدينة المنورة قد ضربها الزلزال الوهابي للتّو، فقضى على كل آثارها، وجاء في تقرير الوفد : " في ٢٢مايو ١٩٢٦م وصلت إلى جدة السفينة أكبري، حيث سمعنا اول انباء سيئة للغاية عن التدمير المحزن لقبب البقيع والاماكن الأخرى، لقد ترددنا في تصديق ذلك، لان الملك أكد لنا خطياً في لقاء سابق بان قبب المدينة وغيرها من الآثار سوف تبقى على حالها ".

" وحال دخولنا مدينة جدة، كان اول عمل لنا هو مقابلة الشيخ الحكومي عبد العزيز العتيقي والاستفهام منه حول الامر، فأكد الاخبار التي سمعناها، وقال بان النجديين اعتبروا القبب وغيرها بدعة وكفراً، واضاف :نحن في هذا الامر لا نهتم بالرأي العام الإسلامي، أو أن المسلمين يعجبهم ذلك ام لا ؟! "

"أننا نشعر بالحزن لابلاغكم ــ خطاب موجه للمسلمين الهنود ــ بان مثل مكة المعظمة ومساجد المدينة المنورة لم تحفظ حرمتها، وان مثل قبب المساجد قد أزيلت نهائياً..وهذه قائمة المساجد المدمرة.. مسجد فاطمة أُلحق بمسجد قبا، مسجد الثنايا، مسجد المنارتين، مسجد المائدة، مسجد الإجابة "[٤٦].

---

[44] من تقرير جمعية الخلافة حول تدمير الاماكن المقدسة وهو يقع في ٩٠صفحة، انظر / ص ٢٠ من التقرير.

[45] المصدر السابق / ص ٢٢

[46] المصدر السابق / ص ٨٥ــ ٨٦

واعتبر يوم الثامن من شوال ١٣٤٤هـ يوماً أسود بالنسبة للمسلمين، ففي ذلك اليوم بدأ الوهابيون تدمير البقيع بناء على فتاوى الشيخ عبد الله بن بليهد..والوهابيون الذين يحتفظون اليوم بآثار العائلة المالكة السعودية ويصرفون الملايين عليها (كما هو حال المصمك)، لا شك يدركون حجم الكارثة التي سببها تدميرهم للآثار الاسلامية.

لم يعبأ الوهابيون بإنزعاج العالم الإسلامي، فالمهم تطبيق عقيدتهم وفرضها على الاخرين، تماشياً مع سيطرتهم السياسية على الديار المقدسة..ولما جاء وفد إسلامي من الهند يمثل " جمعية خدام الحرمين " حاملاً معه ستين ألف روبية لمساعدة الضحايا، واعلن تصلبه وعداءه الصريح للحكم الوهابي، طرد إبن سعود أعضاء الوفد، وحملهم على اول سفينة أبحرت من الساحل الحجازي في ١٩٢٦/٣/١..وكانت انتقادات الوفد تتركز على مسألة اكثر حساسية وهي : خضوع إبن سعود للنفوذ البريطاني، وطالبوا بالاطلاع على نص معاهدتي (الحدة وبحرة) والملاحق السرية..وتساءل أعضاء الوفد :كيف تكون الديار المقدسة في مأمن وهي خاضعة للتاج البريطاني ؟.

ولما تزايدت الإنتقادات ضد الوهابيين، راح اتباع إبن سعود يلقون الملامة على الجيش السعودي(الاخوان) وكان هذا الجيش قد صفي بالسلاح لتمرده بعد إحتلال الحجاز..ولكن لم يتغير الامر حتى الآن، وليست هناك اية نية لدى الوهابيين في إعادة إعمار الآثار المقدسة، ويدعى حافظ وهبة مستشار إبن سعود في كتابه (جزيرة العرب في القرن العشرين) بأن حماس الاخوان الجهلة للوهابية، كان اكبر ما إبتليت به الدعوة.. وإن الاخوان أزالوا بجهلهم ـ المشهد المقام عند موضع ولادة الرسول، وهدموا منزل خديجة وأبي بكر..في حين أشار فيلبي ـ الذي حج سنة ١٩٣١ بعد أن إدعى الإسلام ـ إلى هدم كل الاضرحة والقباب في الحجاز، وذكر أن ذلك سيجعل الأجيال القادمة تنسى الوقائع التاريخية المرتبطة بهذه الأماكن[47].

ومصيبة الحجاز، لم تكن فقط بهدم القباب والقبور، بل كل الآثار الإسلامية الأخرى، كمنازل الصحابة وبني هاشم، فإذا كان عذر الوهابيين بأن القبور تعبد، فهل المساجد تعبد من دون الله، وهل بيت الرسول، ومنزل السيدة خديجة، وفاطمة الزهراء، ومنزل الحمزة، وسقيفة بني ساعدة، ودار الارقم بن ابي الارقم، ومكان العريش التاريخي في بدر الذي اشرف منه الرسول على المعركة، هل مثل هذه الأمكنة يمكن تبرير تدميرها بمثل ما برره الوهابيون؟!.

---

47 اليكسي فاسيلييف ـ مصدر سابق/ ص ٢٩٩، تجدر الاشارة إلى أن الاخوان ارادوا جلد الزعيم الديني والجهادي السيد احمد السنوسي لانه اعترض على هدم قبر خديجة "رض"

ويتألم مؤلف (في ظلال الحرمين) من تدمير الآثار الإسلامية، فرغم تأييده للسعوديين، إلاّ أن نفسه لم تطاوعه في مدحهم على ما اقترفوه في البقيع..فقد حج المؤلف سنة ١٣٧٣هـ، وقال عن البقيع أنه يضم، " قبور عشرة الآف من الصحابة والشهداء والأئمة وأهل بيت النبوة، أولئك الذين سطروا بدمائهم وأرواحهم آيات البطولة والاستشهاد في سبيل الله، وأقاموا بتضحياتهم الفذة وإيمانهم العميق دعائم الدين الحنيف..على انك لا تستطيع أن تتبين قبراً واحداً من أولئك الصحابة الشهداء والأئمة وأهل البيت، إلاّ إذا صحبك الدليل..ذلك لان جميع هذه القبور قد سويت مبانيها ومعالمها بالارض كما سويت قبور المعلى ؛بمكة، وهو ما عيب على الحكومة السعودية..وكان يجدر أن يظل على كل قبر شاهد يحمل اسم صاحبه للذكرى، فليس في نشدان الذكرى والترحم على الصحابة والشهداء والأئمة وأهل البيت وغيرهم ما يتنافى مع ما أوصى به الرسول وشرعه في زيارة القبور "..ثم يتحدث عن فعله pحينما قبر ابنه إبراهيم، ويعود فيركز على جرائم (الاخوان) وليس على زمرة المفتين الذين بفتاواهم السابقة والحالية، تم تدمير تراث المسلمين المجيد، يقول:" فما كان احرى غلاة الاخوان الذين هدموا معالم البقيع، كما هدموا معالم المعلاة، ان يقيموا على قبورها علامات ـــ على الاقل ـــ كتلك التي أقامها محمد على قبر إبراهيم، والا يدعوا هذه القبور التي تضم بين صفائحها الكثير من اهل الجنة، مجهلة لا يهتدي إليه الزائر إلاّ أن يصحبه المزور أو الدليل "[٤٨].

أما الدكتور محمد حسين هيكل فأشار إلى تسوية القبور بالارض والى أن بعض الاحجار تميزها " ولولا هذه الاحجار لخلتها ـــ أي المقبرة ـــ فضاءً مسوراً لا شيء فيه البتة".

فرض المذهب الوهابي

بعد إحتلال إبن سعود لمكة المكرمة، أصدر بلاغات عديدة تفيد بانه يسعى إلى تطبيق الشريعة الإسلامية حسب المذاهب الاربعة، وذلك تهدئة لنفوس المسلمين المثارة تجاه الوهابيين الذين يعرف العالم الإسلامي انهم لا يقبلون ولا يعترفون بإسلام من خالفهم في المذهب..وما قصده الملك من تلك البلاغات بالتحديد هو: التهدئة السياسية، لان المذاهب الأربعة كانت مطبقة عملاً وعلماً ودراسة في الحرمين الشريفين بمكة والمدينة..ومن الناحية النظرية فأن الوهابيين تراجعوا واعترفوا بالمذاهب الأربعة، لكن المطبق ـــ في الوقت الحالي ـــ هو المذهب الحنبلي وحده، فما وافقه من المذاهب الأخرى مقبول، وما اعترضه مرفوض، على أن رجال المذهب الوهابي في نجد هم يعدون أنفسهم قيمين على المذاهب الأخرى، فهم الذين يتولون تحديد ما هو حلال وما هو حرام ـــ بنظرهم ـــ وبإمكانهم معاقبة رجال وزعماء

---

[48] في ظلال الحرمين ـــ محمد كامل حتة ـــ ط دار المعارف بمصر / ص ١٥١

المذاهب الأخرى إن أبدوا المخالفة، كما حدث للشيخ علوي المالكي الذي وضع تحت الاقامة الجبرية، وسجن العديد من أتباعه، وألفت الكتب بتكفيره.

والوهابيون أشد الناس تعصباً لمذهبهم، وما كانوا ــ وحتى اليوم ــ على إيمان باجتهاد علماء المسلمين ان خالف اجتهادهم..ويوم سيطر الحاكم السعودي على مكة، ورث ــ ضمن ما ورث صحيفة ام القرى، ولم تكن بنجد يومها صحف ولا مطابع، فاستخدمها للدعاية التي تحدثت عن تحرر النجديين المذهبي، وأرخى العنان بتساهل للكتاب، بان يكتبوا عن ذلك، فيما كان الجيش السعودي وفي نفس الوقت يحمل معاول الهدم ضد كل شيء يمت إلى حضارة المسلمين.

ففي مقال إفتتاحي لأُم القرى في ٥رمضان سنة ١٣٤٤هــ، الموافق ١٩٢٦/٣/١٩كتب الشيخ المعتدل ! عبد العزيز العتيقي أن المذاهب الأربعة، ومذهب الإمام زيد بن علي الحسين ،والإمام جعفر الصادق، ومذهب الاوزاعي وغيره..مذاهب تلقتها الأمة بالقبول..ثم راح يذم التعصب "...حتى جر بعضهم ــ أي التعصب ــ إلى القول بانه يجوز الاقتداء بمخالف في المذهب.وقال بعضهم :ويجوز لحنفي أن يتزوج شافعية، قياساً على زواج المسلم بالكتابية.".

وفي ١٣٤٣/١٢/٢٨هــ، صدر بلاغ حكومي يفيد بان الشريعة الإسلامية هي القانون العام، وان الأئمة الأربعة هم القدوة، وعلى اساس مثل هذه البلاغات الفقاعية أرسى المؤيدون حكمهم بان الحكم الوهابي اتبع سياسة التسامح المذهبي، وادعوا بان المذهب الوهابي الذي هو مذهب الدولة الرسمي لا يلغي المذاهب الأخرى من التطبيق العملي..وهذا بلا شك غير صحيح [٤٩].

وفي الوقت الذي منع فيه تدريس آراء المذاهب الإسلامية في الحرمين الشريفين، صدر أمر ملكي حول " نظام التدريس العام في المسجد الحرام "أدخل تدريس العقائد الوهابية ــ فرضاً ــ وبالأخص كتاب " التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وتقول " ام القرى " في ١٩٢٦/١٠/٢٢الموافق ١٣٤٥/٤/١٥ هــ ان الامر الملكي أمر بقراءة فقه المذاهب الأربعة، واستبعاد تدريس فقه بقية المذاهب الإسلامية، وكذلك أمر بتدريس العلوم العربية، وان يدرس التوحيد (بالمنظار الوهابي) وايضا التفسير والحديث من خلال ذلك المنظار.

وهكذا أصبح ما يدرس عملياً هو المذهب الوهابي، ولم يسمح لبقية المذاهب بتدريس فقهها بحرية، وشيئاً فشيئاً ألغيت الدروس، وسيطر الوهابيون على كل المدارس المصادرة لأتباع المذاهب والتي رفضت تعديل مناهج التدريس وفق الرؤية الوهابية ،وفي مجال القضاء، وبعد

---

[49] التطور التشريعي في المملكة العربية السعودية ــ د. محمد عبد الجواد محمد ــ استاذ بالمعهد العالي للقضاء بجامعة الامام محمد بن سعود بالرياض، ط القاهرة / ١٩٧٧ص ٧٥

أن إنتهت سياسة إرضاء الرأي العام الإسلامي التي اتبعها الوهابيون، صادق الملك في ١٣٤٧/٣/٢٤هـ على قرار الهيئة القضائية الصادر في ١٣٤٧/١/١٧على " أن يكون مجرى القضاء في جميع المحاكم منطبقاً على المفتى به من مذهب الامام احمد بن حنبل "...أما الحجة المضحكة التي بررت ذلك فهي " نظراً لسهولة مراجعة كتبه، والتزام المؤلفين على مذهبه ذكر الأدلة أثر مسائله "!!، واكثر من هذا أجبر علماء المذاهب على مغادرة البلاد أو الخضوع والصمت، فكان إبن سعود يحمل علماء مكة على التنازل لعلماء الرياض، وبشكل دائم [50].

استمرت الضغوط الوهابية على الحجاج وعلى الأهالي لترويضهم لقبول المذهب الرسمي، وكان المطاوعة كثيري التحرش بهم وإيذائهم، ولا تزال هذه الممارسات مطبقة حتى اليوم بشكل يلحظه كل زائر للديار المقدسة، وقد كانت هذه الممارسات، خاصة المتعلقة بفرض الطقوس الوهابية على الحجاج واحتقار الوهابيين للمقامات والأضرحة الإسلامية، تثير غضب المسلمين في كل بقاع العالم [51].

ويذكر أن الاخوان حينما يأذون لزيارة هذه الديار المقدسة، يعتدون بالضرب والشتم والجلد على كل من يجدونه مخالفاً لرأيهم، وكمثال على هذا أن سلطان بن بجاد – احد قيادات الاخوان – وحينما زار المدينة في يوليو ١٩٢٧، تحرش هو وأتباعه بالحجاج وآذوهم أشد الإيذاء [52]..وفي اكتوبر ١٩٢٧ قطع الوهابيون جميع الاشجار التي في المسجد النبوي، وطمروا بئر الماء الموجودة فيه، وأصدرت هيئات الامر بالمعروف والنهي عن المنكر تشديداً صارماً على الأهالي بعدم البكاء على الموتى، وبوجوب الصلاة في أوقاتها خلف الأئمة النجديين..كما أن " الشاب الخليع المنحل حسين محمد نصيف وضع قوانين الالتزام الاخلاقي للنساء.."كما يقول تقرير السفارة البريطانية في جدة لشهر اكتوبر ١٩٢٧ [53].

كما استمر تتبع وملاحقة الحجاج الذين يزورون الصحابة وآل البيت بصيغة لا ترضي الوهابيين..ويشير " رتر " الذي اجتمع مع إبن سعود في الحجاز، إلى أن صيغة الزيارة الطويلة المفصلة التي قرأها المزور معه كان يحرمها الوهابيون، وقبل أن يبدأ ذلك المزور بقراءتها اخبره – همساً – بانه سيزوره القبر المقدس على طريقة المسلمين الذين يحبون رسول الله p..واعتبر (رتر) أن المزور مغامر، لان فعله سيعرضه إذا ما انتبه الوهابيون

---

[50] فاسيلييف – مصدر سابق / ٢٩٧

[51] الوثيقة البريطانية E2429/680/25 في ١٩٢٢/٥/٢٠ من التقرير السنوي عن السعودية لعام ١٩٢١

[52] الوثيقة E3714 في ١٩٢٧/٨/٢٩

[53] الوثيقة E 5083/644/91 في ١٩٢٧/١١/٦ من القنصل جاكنز بجدة، إلى السير اوستن تشامبرلين بلندن

لعنفهم، واوضح بان الزيارة تتضمن طلب شفاعة النبي وآله، وهو ما لا يرضى به الوهابيون ويعتبرونه بدعة..[54].

من جهة أخرى أشار رتر إلى أن كثير من طلبة العلوم الدينية الذين كانوا يقيمون في المدينة قبل سيطرة الوهابيين، فروا هاربين إلى بلاد آمنة مع شيوخهم، وقد ظل عدد قليل منهم فيها، ولكنهم اضطروا ــ أي الطلبة ــ إلى دراسة العقائد الوهابية على يد إبن تركي في الحرم المدني الشريف، وابن تركي هذا ــ يعرفه رتر ــ بانه نجدي سلفي معتدل..اما علماء المدينة الاخرون ــومنهم احمد الطنطاوي المصري ــ فقد منعوا من التدريس في الحرم منذ قدوم الوهابيين إلى المدينة، وراح طلبته يراجعونه في بيته [55].

وصادر الوهابيون المدارس المالكية والشافعية وغيروا مناهجها، رغم انها قائمة على أموال الأوقاف، وأصبحت هذه المدارس تختص بالمذهب الحنبلي وفق الرؤية الوهابية..وقد اشتكى علماء المذاهب وضجوا وقدموا احتجاجاتهم لحكامهم وللبريطانيين، باعتبار الاخيرين يحكمون الهند، وباعتبار أن كلمتهم مسموعة جداً في الأروقة الرسمية والسياسية السعودية.

في ١٩٣١/٨/٣١كتب محمد عمر خان، مسؤول المدارس الحنفية في المدينة المنورة، مذكرة شكوى للمفوضية البريطانية بسبب تدخلات السلطات الوهابية في أمور هذه المدارس..وعمر خان هذا كان يعمل محاسباً عاماً لدى نظام حيدر أباد في الهند، وجاء في موسم حاج عام ١٩٣١م إلى الحجاز وأقام في المدينة، وكانت مهمته الرسمية تنحصر في الإشراف على قوافل الحجاج، ومراقبة المؤسسات الخيرية التي تقيمها وتدعمها مادياً حكومة حيدر أباد، وان يضع التقارير عن نشاطاتها ويقدم لها المساعدات الممكنة.

وبناء على ما رآه قال :"وجدت تدخلاً دينياً مكشوفاً يمارسه الشيخ عبد الله بن حسن ال الشيخ "، وطالب باتخاذ الخطوات المناسبة لمنع هذا التدخل الديني، والسماح باعتماد المناهج الحنفية للمدارس، كما كانت في السابق.

وهذا نص المذكرة المقدمة للمفوضية البريطانية في جدة :

"توجد في المدينة مدرسة تسمى المدرسة النظامية، تقدم التعليم العالي إلى الطلبة المتقدمين في الدراسات الدينية في التفسير والحديث طبقاً للمذهب الحنفي، وتنفق عليها دائرة الشؤون الدينية في حكومة حضرة صاحب السعادة نظام حيدر أباد ،ومدير هذه المدرسة هو مولانا الشيخ عبد الباقي، وهو عالم مرموق من علماء المذهب الحنفي، ومن العائلة المعروفة بعلمائها، من فرنجي محل ــ لكنو.

---

[54] الخليلي ــ قسم المدينة المنورة / ص ٢٢٢

[55] المصدر السابق / ص ٢٢٦

قبل ثلاثين عاماً جاء مولانا عبد الباقي إلى الحجاز واستقر في المدينة.واعترافاً من السلطات التركية في المدينة المنورة بطاقات وقدرات مولانا عبد الباقي، فقد سمح له بإلقاء الدروس والمحاضرات الدينية على طلاب المراحل المتقدمة، في حرم المدينة، وذلك بعد وصوله إلى هناك مباشرة، أما الحكومة الشريفية التي حلت محل النظام التركي، فقد سمحت له هي الأخرى بالاستمرار في جهوده الثقافية.وقد واصل مولانا عبد الباقي عمله هذا دون إيه مساعدة من الخارج حتى عام ١٣٤٢ للهجرة، ففي ذلك العام عرضت حكومة حضرة صاحب السعادة، نظام حيدر أباد، المساعدة المالية على مولانا عبد الباقي، لكي يؤسس مدرسة في المدينة المنورة، ويوظف بعض العلماء الأحناف لمساعدته في عمله الذي كان يقوم به لوحده حتى ذلك التاريخ، وقد قبل هذا العرض، وسميت المؤسسة بالنظامية.

حين اتت الحكومة الحالية إلى السلطة في الحجاز، لم يكن هناك آية مدرسة حكومية، وعلى مدى عام كامل تقريباً، لتعليم الصبيان القرآن الشريف، وقد شعر مولانا عبد الباقي بضرورة فتح فصل لتعليم القرآن الشريف للصبيان، ففتح ذلك الفصل، هذا الفصل الخاص بالأولاد ألغي في اللحظة التي افتتحت فيها المدرسة الحكومية، وقبل إلغاء فصل الأولاد في المدرسة النظامية بزمن طويل، امرت سلطات مكة مولانا عبد الباقي بان يقبل معلماً في مدرسته، عينته الحكومة، لتدريس (التوحيد) (وهو كتاب للشيخ محمد بن عبد الوهاب يمثل خلاصة أفكار الوهابيين) ،ولكن حين عرض الامر على أمير المدينة، أعفيت المدرسة النظامية من ذلك، على أساس أنه لم يكن هناك اولاد يدرسون فيها، وكل طلابها كانوا من الكبار البالغين الراشدين الذين اكملوا دراساتهم الدينية، ويحضرون دراساتهم العليا، وظلت المدرسة تقوم بعملها دون تدخل من قبل الحكومة السعودية حتى بداية هذا الشهر، "اغسطس ١٩٣١"، حين قدم الشيخ عبد الله بن حسن، إلى المدينة، وامر مولانا عبد الباقي بقبول معلم عينته الحكومة لتدريس(التوحيد) لاساتذة وطلبة مدرسته، والا فأن المدرسة ستغلق.

إعتبر مولانا عبد الباقي الامر مهيناً لزملائه ومركز طلابه ورفض قبوله، وبناء على ذلك، امر عبد الله بن حسن بإغلاق مدرسته.

هناك اكثر من ثلاثين طالباً في المدرسة من الهند وافغانستان وبخارى وتركستان أو من أجزاء أخرى من العالم، وكلهم من العلماء المرموقين المشهود لهم في بلادهم، وقد أتوا إلى هنا للحصول على دبلوم الدراسات العليا من هذه المدرسة في علوم التفسير والحديث.

منهاج الدراسة في هذه المدرسة قرر على أُسس المذهب الحنفي في الإسلام، ويتمتع بموافقة وتأييد ومباركة حكومة (نظام) (في حيدر أباد). والحكومة السعودية تدعي دائماً بانها تعترف بالمذاهب السنية الأربعة، أي الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي، إلاّ أن اوامر الشيخ عبد الله بن حسن تعتبر تدخلاً مباشراً ومكشوفاً في عقائد وتعاليم المذهب الحنفي، وإكراه على

اتباع التعاليم الوهابية، أن مكة المكرمة والمدينة المنورة مركزان لكل المذاهب الإسلامية، وسكانها من مختلف الطوائف والمذاهب، والحجاج من مختلف الطوائف الإسلامية يزورون هذه الأماكن (المقدسة) كل عام، فإذا كان امر كهذا سيفرض بالإكراه من قبل الحكومة السعودية لإجبار اتباع المذاهب الأخرى على القبول بالتعاليم الوهابية وأتباعها، فإذا النتيجة المحتمة ستكون إساءة للمشاعر عظيمة، وهي نتيجة قد تؤدي إلى مغالاة في الظلم والطغيان والمعاناة.

إن حرية الفكر والدين، يعترف بها ويقرها القانون الدولي، وان للرعايا المسلمين التابعين للحكومات الاجنبية كل الحق في أن يتوقعوا من حكوماتهم تلك أن تعطيهم الحماية الضرورية في هذه المسائل وفي هاتين المدينتين المقدستين الإسلاميتين).

محمد عمر خان ١٩٣١/٨/٣١

ردت المفوضية البريطانية في جدة على المذكرة في ١٩٣١/٩/١٢، بأنه ليس بإمكانها التدخل في القضايا الدينية، وان التدخل يعني خروجاً عن السياسة الثابتة للحكومة البريطانية [56].وهذا الرد لا يقنع احد، لان بريطانيا تدخلت في كل شيء، وفي كل مكان من البلدان التي وقعت تحت قبضتها، والجميع يدرك مقدار النفوذ البريطاني لدى إبن سعود في المسائل التي تريدها هي،..ولكننا نرجح أن الحكومة البريطانية لم تكن تريد أن توتر علاقاتها مع الصديق (الاوحد) إبن سعود...ولربما وجدت تلك الحكومة في أفعال الوهابيين في الاماكن المقدسة ما يريحها لنزاعات صليبية قديمة.

وضمن هذا السياق ــ وكما أشار رتر ــ كانت المدينة المنورة ــ كما مكة المكرمة ــ تشتهر بخزانات كتبها منذ زمن طويل، ولكن مجموعات ثمينة من كتبها اختفت بمجرد أن احتل الوهابيون المدينة، ولم يعرف لها اثر، وقيل أن مكتبة السلطان محمود الكائنة بجوار باب السلام بقيت دون تعرض من أتباع الوهابية، لكن رتر وجدها مغلقة بأمرهم ومنع من ارتيادها..اما مكتبة بشير آغا الشهيرة، ومكتبات الشفاء والسلطان عبد الحميد وعمر أفندي فلم يعد لها وجود في المدينة، وقد نهبت معظم الكتب، واحرق الوهابيون الكتب التي لم تعجبهم منها، وباعوا قسماً آخر نظير المال، ولم يبق من المكتبات في الواقع سوى مكتبة الشيخ عارف حكمت [57].

---

[56] انظر الوثيقة البريطانية رقم E 5035/4173/25 والمؤرخة في ١٩٢١/٩/١٢، من المستر هوب جل في جدة إلى وزارة الخارجية بلندن.

[57] الخليلي ــ قسم المدينة المنورة ــ مصدر سابق/ ص ٢٢٧

تتابع الاحتجاجات

شكلت في الهند التي كانت تمثل اكبر ثقل سكاني للمسلمين في العالم، والتـي كانـت قبـل تقسيمها تضم (بنغلادش والباكستان)، شكلت عشرات الهيئات من قبل اتباع مختلـف المـذاهب الإسلامية للتنديد بهدم الأماكن المقدسة ولجمع التبرعات لإعادة الإعمار، وقامت هذه الهيئات بتشكيل الوفود وإرسال البرقيات للضغط على الحكومة السعودية، وكانت بعض هـذه الهيئـات تعمل تحت مظلة جمعية الخلافة في بومباي برئاسة شوكت علي، والبعض الأخر عمـل تحـت مظلة المؤتمر الشيعي لعموم الهند الذي كان سكرتيره العام س.مـصطفى رضـي المحـامي والذي اتخذ من لكنو مقراً له.

وقدم هذا الاخير في الأول من أبريل ١٩٣٠ مذكرة إحتجاج إلى نائب الملك والحاكم العـام للهند، البارون إيروين، ومما جاء في المذكرة[58]:

"منذ أن أقيمت حكومة إبن سعود في الحجاز، يدعمها عدد كبير من الناس يـدعون بـانهم تلك الفئة المتطهرة من المسلمين، المعروفين باسم الوهـابيين، داس هـؤلاء علـى احاسـيس ومشاعر المسلمين من المذاهب الأخرى، عن عمد وباستمرار، وفرضت عقائد الوهابيين علـى الذين لم ينصاعوا، عن طريق المذابح الجماعية التـي يرتكبونهـا دون وازع مـن ضـمير، وصادروا أملاك أصحابها وأغلقوا أماكن العبادة كالحـسينيات والمـساجد، ودنـسوا قبـور أوليائهم، كما دنسوا وخربوا عدة أماكن مقدسة أخرى يتوجه إليهـا الحجـاج، ومنعـوهم مـن إظهار الاحترام والتعظيم للأماكن المقدسة الخاصة بعقيدتهم، وبإنزال العقاب بمن يقوم مـنهم بالشعائر الدينية الخاصة بزيارة هذه الاماكن، هذه الأعمال البربرية وغير الإنسانية قـد أثـارت بالطبع شعوراً عاماً بالغضب والاستياء في جميع أنحـاء العـالم الإسـلامي، إلاّ أن مـشاعر المسلمين في الهند، خاصة الشيعة منهم، كانت الأشد هياجاً تجـاه هـذه المـسألة..فالأغنيـاء والفقراء والعلماء وغير العلماء والفلاحون وأصحاب الأراضي، والمحـافظون والمعتـدلون، كلهم بدون استثناء، رفعوا أصوات الاستنكار والاحتجاج، وعبروا عن شعور الالـم والالتيـاع لنحر حرياتهم الدينية في الحجاز ولهدم القبور المقدسة.

ولهذا دعوا إلى عقد مؤتمر عموم النهد في لكنو عام ١٩٢٦، الذي حضره ممثلـون عـن مختلف فئات المسلمين وعلماء من مختلف المذاهب الإسلامية، وعقدت إجتماعـات حـضرتها جماهير غفيرة في جميع انحاء الهند، وشرعوا في وضع خطة عمل لرفع المظالم التي وقعـت عليهم في الحجاز ،ونظموا فرقاً من المتطوعين المختارين، المعروفين باسم (رضى كار جنـة البقيع، وخادم الحرمين) لوقف أي خرق أو إعتداء على حرياتهم الدينيـة، ولتـصحيح اخطـاء

[58] الوثيقة (FO.371/14482(E3838 مؤرخة في ١٧/يوليو /١٩٣٠

الماضي، واصطحبوا معهم الإعلام ومواكب الحداد الأخرى في ذكرى الأحداث الأليمة التي وقعت في الحجاز، خاصة تدمير جنة البقيع، واخيراً وضعوا وتبنوا برنامجاً من إنكار الذات والتضحيات من اجل جمع الأموال لإعادة القبور المقدسة لحالتها الطبيعية، ولمنع وقوع مثل هذه المظالم والاساءات في المستقبل.

تلقت اول دعوة للالتحاق بـ " رضى كار الجنة البقيع " التجاوب الواسع من قبل الشيعة في جميع انحاء الهند، بما في ذلك بلوشستان، والمقاطعات الغربية، إلى درجة أن الافاً من المتطوعين قد إلتحقوا بها للدفاع عن حريتهم الدينية.

إننا لا نستطيع أن نعرض بالتفصيل لكل المظالم التي لحقت بنا من النشاطات العدائية التي تقوم بها حكومة إبن سعود في هذا الاحتجاج، ولكن يمكن للفائدة تصنيفها تحت العناوين التالية:

١ـ تدنيس وتدمير الابنية المقدسة، مثل مولد النبي، وقبور بني هاشم في مكة، وجنة البقيع، (المقبرة المقدسة التي تضم رفات ال البيت والصحابة)، واستخدام ما كان في تلك المقبرة من مواد وما عليها من كتابات ونقوش في الأماكن القذرة وغير الطاهرة.

٢ـ منع الزيارات إلى هذه الأماكن المقدسة المدمرة ومنع قراءة الفاتحة، وكذلك منع تقبيل القبور والأضرحة المقدسة.

٣ـ هدم أماكن العبادة كالمساجد مثل، مسجد الحمزة ومسجد ابو رشيد والأضرحة ومقامات الأئمة الأخرى، واحتلال هذه الأماكن من قبل القوات السعودية.

٤ـ التدخل في أداء الشعائر المعتادة في موسم أداء فريضة الحج.

٥ـ إجبار غير الوهابيين على إتباع شعائر وأحكام وممارسات المذهب الوهابي، وإجبارهم على إتباع الأئمة الدينيين الوهابيين.

٦ـ إساءة المعاملة والاضطهاد وإقامة المذابح والنفي الذي لحق بالسادة (الاشراف ـ من عائلة الرسول) في الطائف والمدينة والاحساء والقطيف.

٧ـ من كل الحوادث المنكرة التي وقعت، سبب تدنيس جنة البقيع الكثير من القلق والاضطراب والحزن العميق في قلوب الشيعة، ودفعهم إلى المطالبة بالحفاظ على قبر النبي والأئمة الاخرين، وحماية تلك القبور من الإساءات في المستقبل ".

وفي ختام المذكرة، تجد مطالبة للحكومة البريطانية التي تحكم الهند، بان تتدخل وعبر نفوذها الدبلوماسي لدى إبن سعود لإعادة تعمير الأماكن المقدسة وضمان أمن الحجاج، وعدم الاعتداء عليهم أثناء أداء طقوسهم الدينية، وان تعاد حرية العبادة إلى حالتها القديمة...وقدمت المنكرة استعداد مؤتمر عموم الهند لصرف مئات الالاف من الروبيات لإعادة الآثار المحطمة.

ومع أن الحكومة البريطانية تدخلت مراراً في شؤون الحج، ومنعت إبن سعود أيام عهد الشريف حسين بعدم الحج حفاظاً على الامن، واعطته الأموال مقابل عدم حج الوهابيين، ورغم أن الحكومة البريطانية اشترطت على عائلة الشريف وعلى آل سعود احترام وتأمين طرق الحج وسلامة الحجاج في نصوص مكتوبة...الا أن رد نائب الملك البريطاني كان كسابقه: (لن يكون بامكانه اتخاذ أي أجراء، وذلك إنسجاماً مع السياسة الثابتة التي تتبناها الحكومة البريطانية، وهي سياسة الحياد، في المسائل الدينية، وعدم التدخل في قضايا الأماكن المقدسة)[59].

واعترضت الحكومة البريطانية رسالتين أرسلهما مؤتمر عموم الشيعة في الهند إلى الحكومة الإيرانية، الاولى مؤرخة في ١٩٣٠/٥/٢٤، والثانية في ١٩٣٠/٥/٣١، تحثان تلك الحكومة على (الحصول على وعد من حكومة إبن سعود بالسماح في إعادة بناء الأضرحة الدينية المقدسة، ورفع المظالم الأخرى) [60].

وفي إجتماعات حاشدة للشيعة في العديد من المدن الهندية "تلهان سكر، لكنو، باتنا، كالكتا، آمروهه، مرشد أباد "لغرض فرض ضغوط على الحكومة البريطانية لتتدخل في الامر، أجاب المسؤولون بأن هذا التدخل غير ممكن و "غير مرغوب في الوقت الحالي "[61].

وانتقلت الإحتجاجات في عام ١٩٣١الى البنغال، فقد أرسل رئيس وزراء حكومة البنغال (المحلية) إلى وزير خارجية حكومة الهند، رسالة إحتجاج في السادس عشر من يوليو ١٩٣١على أعمال إبن سعود التدنيسية للاماكن المقدسة..وقبلها صدر عن مكتب جمعية عائلة نظامات / مرشد إباد إحتجاج مماثل في الأول من يوليو ١٩٣١، اتخذ في إجتماع عام في الحادي والعشرين من يونيو ١٩٣١.جاء في الاحتجاج :" أن إبن سعود ما أن وضع يده على أقدس الأماكن الإسلامية في مكة والمدينة، حتى هدمت ودنست وانتهكت قدسية قبور وأضرحة آل البيت الموجودة في جنة البقيع بناء على أوامره، جارحاً بذلك المشاعر الدينية للمسلمين عامة، وللشيعة بوجه خاص. إن هذا العمل التدنيسي الذي ارتكبه إبن سعود قد ارسل قشعريرة وموجة من الرعب والغضب الجامح في جميع انحاء العالم الإسلامي الذي سعى بكل وسيلة شرعية متاحة لوضع القضية امام أنظار إبن سعود، وتوجيه انتباهه أليها ولكن دون طائل.. إنني أرجو من حكومة الهند أن تستخدم نفوذها لدى حكومة إبن سعود ليصلح ما سببه من خسائر للعالم الإسلامي بعمله التدنيسي هذا، وأن يعيد الأضرحة المقدسة إلى حالتها الطيبعية..وبدون تحقق هذا الإصلاح فإن مشاعر المسلمين لن تهدأ، وان نفوسهم لن ترتاح ".

---

59 الرد في ١٩٢٠/٥/٨.انظر الوثيقة السابقة.

60 الوثيقة (FO.371/14482(E4534 مؤرخة في ١٩٢٠/٨/٢٠

61 (FO.371/14482(E5191 مؤرخة في ١٩٢٠/٩/٢٧وعناوين الوثائق هي، "الأماكن الشيعية المقدسة في الحجاز".

ردت حكومة الهند على حكومة البنغال وعلى جمعية نظامات بان سياسة بريطانيا "قائمة على عدم التدخل..وذلك يمنع من تقديم أي احتجاج لحكومة الحجاز حول ما (زعم!) من تدنيس وانتهاك قدسية وتدمير بعض الأضرحة المقدسة في الأماكن الإسلامية "[٦٢].

في ذات الفترة قدم احد قضاة الشيعة في الهند من مقاطعة (بيهار) احتجاجاً لدى المفوضية البريطانية في جدة..فقد حج القاضي اسحار حسين عام ١٩٣١، وشاهد عن قرب افعال الوهابيين وسيطرتهم وفرض طقوسهم على الحجاج عامة، ومغالاتهم في إيذاء الحجاج الشيعة الذين يأتون من كل بقاع العالم بشكل خاص، وإيجاد التفرقة في صفوف المسلمين..

وفصل القاضي في مسائل الإيذاء اثناء الصلاة وتدخل المطاوعة، وإجبارهم للحجاج على السجود على غير الحصر وإنما على السجاد، ومنع الشيعة من زيارة أئمة اهل البيت، وعدم السماح لهم بالاقتراب من (بيت الاحزان)، ومن أضرحة وقبور عمات الرسول وقبر زوجته خديجة في مكة..الخ، واشار إلى أن إبن سعود إعتاد على إقامة حفل سنوي للمطوفين لا يدعو فيه الحجاج الشيعة الذين يشكلون اكثر من ثلث عدد الحجاج، واعتبر السيد اسحار حسين أن هذا التمييز الإنقسامي (يزيد في حدة التحامل الطائفي سواء بين رعاياه أو في الخارج)[٦٣].

إن الاحتجاجات لم تقتصر على أتباع مذهب إسلامي دون سواه، ولا على شعب دون غيره من الشعوب الإسلامية، ففي إيران والعراق ومصر واندونيسيا وتركيا وغيرها، وهي الدول ذات الثقل السكاني الإسلامي الأكبر، وجد من يتعرض ويحتج، ويندد بأفعال الوهابيين في الأماكن المقدسة، بل أن العديد من العلماء المسلمين ألفوا كتباً نقدية بهذا الشأن، من بينها كتاب الشيخ الظواهري، شيخ الأزهر، الذي ألف كتاباً أسماه "يهود لا حنابلة ".

---

[62] الوثيقة البريطانية (FO.371/15301(E4483 في ١٩٢١/٨/٢١ وعنوان الوثيقة هو" تدمير القبور والاضرحة في الحجاز

[63] رسالة القاضي اسحار حسين في ١٩٢١/٦/٦، ورد عليها من السفارة البريطانية في جدة " س.ج.هوب جل " في ١٩٢١/٧/١٤مؤكدا عدم التدخل في الشؤون الدينية.انظر الوثيقة ذات العنوان "معاملة الشيعة في الحجاز " والمرقمة / (FO.371/15301(E4173 والمؤرخة في ١٢/ ٨/ ١٩٢١.

واستمرت الاحتجاجات طوال السنين الماضية وحتى الوقت الحالي، ورغم مرور اكثر من ٦٧عاماً على احتلال مكة المكرمة، ورغم قسوة الوهابيين، إلاّ أن الحجاج المسلمين لا زالوا يتعرضون للأذى، ولازالت الحكومة السعودية بحاجة إلى جيش من المطاوعة وحملة العصي لفرض طقوس مذهبها..ومايزال الحجاج العائدون كل عام من مختلف بقاع العالم الإسلامي يسردون قصصاً أغرب من الخيال ــ في اكثر الأحيان ــ عن تصرفات مطاوعة الوهابية وإهانتهم للحجيج، ويلحظون أن أقدس بقاع العالم الإسلامي، واكثر الاماكن قدسية، قد تراجعت امام حضارة "الكونكريت "..فكل شيء تغير إلى الأحسن، إلاّ تلك الأماكن العظيمة التي تذكر بحضارة المسلمين الاولى.وفي الوقت الذي بدأ فيه السعوديون بحفظ تاريخ وتراث العائلة المالكة السعودية، وبصرف الملايين من الدولارات لإبقائها حية وبشكلها القديم، لا ترى في رحاب الديار المقدسة سوى بقعاً جرداء ممحية المعالم، لا تكاد الاجيال الجديدة تتذكر من تاريخها شيئاً.

إن مسألة إعادة بناء الأماكن المقدسة في الحجاز، وإعادة الاعتبار لمختلف الآثار الإسلامية، تعتبر من اهم الأمور التي تتفق بشأنها الغالبية العظمى من المسلمين، الذين يجمعهم التاريخ المشترك والاجلال للشخصيات الإسلامية التي ثوت في تلك البقاع الطاهرة، وبات من الضروري أن تعاد لتلك الأماكن قدسيتها ورونقها واحترامها لتتذكر الاجيال الناشئة المتجهة نحو الإسلام بتاريخها وتراثها التليد، وهذا لا يكون إلاّ بعقد العزم وبذل الجهد لتعريف المسلمين بهذا التراث، وما حل به من نكبات بسبب التعصب المقيت،...وبتسخير الطاقات للضغط على الحكومة السعودية لإعادة تعمير ما هدم وخرب.

الاوضاع الاقتصادية في الاحساء والقطيف (١٩١٣-١٩٤٠)

ما يؤلم الشيعة في المنطقة الشرقية من المملكة، أن منطقتهم من أغنى مناطق العالم اليوم، ولكنها تعيش رغم هذا حياة الفقر والتخلف في كافة المجالات.

قبل عهد النفط كانت مناطق الشيعة أغنى مناطق شبه الجزيرة العربية، ولم تظهر قبل النفط ولا بعده منطقة من مناطق الجزيرة العربية تنافسها الصدارة، ولهذا السبب كانت الاحساء والقطيف قلب المملكة الاقتصادي منذ احتلالها عام ١٩١٣ وحتى اليوم، وكان ضياعها من يد السعوديين عام ١٨٧١احد أهم اسباب نهاية دولتهم وسيطرة إبن رشيد على كامل التراب النجدي.

تقول رسالة لوجهاء وأعيان الشيعة موجهة لأمير المنطقة الشرقية السابق عبد المحسن بن جلوي، يقارنون فيها حالهم قبل قيام الدولة السعودية الحالية وبعدها :" أنه حينما كانت حياة

سكان المملكة تعتمد على الزراعة والمراعي والمائية كمورد اساسي لحياتها الاقتصادية، كانت القطيف تعيش في بحبوحة ورفاهية تفوق اكثر المناطق ثروة وازدهارا، لانها لا تعتمد فقط على الزراعة، وانما إلى جانب زراعتها وحقول نخيلها المتمدة ــ حوالي مليون نخلة في القطيف، ومليوني نخلة في الاحساء ــ كانت تعتمد على مورد استخراج اللؤلؤ، وكانت اسواقه رائجة وتجارته مربحة، وقوافل السفن تملأ ساحل جزيرة تاروت، وكانت البلاد ــ القطيف ــــ تحتفل في كل عام بموسم تنشط وتزدهر فيه الحركة التجارية، ويؤم البلاد مختلف أبناء الخليج وتجار الهنود.

والى جانب هذا الموسم ــ تضيف الرسالة ــ كانت هناك مواسم عديدة :موسم تصدير السلوق من ميناء القطيف التاريخي، وموسم البادية، حيث تمون البلاد بما تحتاجه من الأغنام ومنتجاتها، في حين يشتري البدو التمور والالبسة والأطعمة المختلفة، ولم تكن التمور، والزراعة وقفاً على الاستهلاك المحلي، بل كان يكفي حاجة البلاد وما جاورها من مناطق الخليج، ومن بين ما تصدره الليمون والاترج والبطيخ، وكانت في اكتفاء ذاتي من الرمان والتين والموز والخوخ وأصناف أخرى من الفاكهة [1].

وتحدثت الرسالة عن مستوى القطيف الصحي وانه أفضل من بقية المناطق رغم وجود بعض الأمراض المزمنة كالتراخوما.واما المواصلات، فإن المنطقة كانت ترتبط بشبكة من الطرق التي تعتبر يومها من احسن الطرق وأصلحها، وكان لدى الاهالي ثروة من الخيل والحمير التي كانت الواسطة الوحيدة للمواصلات، واما التعليم فإنه ينتشر بواسطة الكتاتيب التي تملأ المدن والقرى [2].

ولا شك أن وضع الاحساء لا يختلف عن القطيف ــ إن لم يكن افضل ــفهناك ميناء العقير، ومحصول الارز الذي اشتهرت به إضافة إلى التمر، وقد ذكر مدحت باشا بعد زيارته للاحساء، بان قراها الخمسين مملوءة بالبساتين والمزارع، ويكثر هناك محصول الأرز والتمر، ثم اضيفت الحنطة، وزرعت بكثافة هائلة.

والى جانب هذا فقد نالت الفاكهة حظها من الاهتمام، كالعنب والتين والخوخ والأترج والليمون والبرتقال والتفاح والتوت والنبق والمشمش، وكذلك الخضروات كالبمايا والطماطم واللوبيا والسمسم والبطاطا والثوم والقرع والدبا وغير ذلك [3].وهذا جعل من اقليم الاحساء

---

[1] رسالة من وجهاء الشيعة في القطيف إلى الامير عبد المحسن بن جلوي في ٢٢جمادي الأول ١٢٧٩هـ

[2] المصدر السابق

[3] آل عبد القادر، مصدر سابق، ص ٥٢

أخصب إقليم عرفته الجزيرة العربية لكثرة حاصدلاته التي غمرت الاقاليم المجاورة، خاصة من الأرز والتمر، كما يقول حمد الجاسر [٤].

وقبيل تدفق النفط قدرت ارامكو، المساحة المزروعة بأربعين الف هكتار "٣٠ الفا في الاحساء، وعشرة في القطيف "وقدر عدد النخيل في الاحساء وحدها بثلاثين ملايين نخلة، في حين قدر فيدل قيمة إنتاج الاحساء من التمر بحوالي "١٠٥٠"مليون جنيه، أي اكثر من مليار، وقدر إنتاجها من الأرز سنويا ً بـــ " ٤١"مليون رطل سنوياً، وان انتاج القمح يقارب ألف مليون رطل سنوياً [٥].

لقد اعتمدت الدولة السعودية قبل عهد النفط على المعونات الاجنبية من جهة، وعلى الضرائب المختلفة والمتنوعة "الزكاة، الجهاد، والجمارك، وغيرها "..وكانت الدولة الناشئة بحاجة إلى المال لتجييش الجيوش وشراء السلاح والرجال ولشدُ لحمة العائلة المالكة بضخ الأموال إليها..وقد دفع ضريبة هذا الامر بشكل خاص الحضر، وبالأخص الشيعة باعتبارهم الحلقة الأضعف في الترتيب القبلي والمذهبي، ولاعتبارات سياسية أخرى.

المعونة الاجنبية:

لم تأخذ المعونة الاجنبية صفتها الرسمية كراتب دعم من قبل البريطانيين للحكم السعودي إلاّ في عام ١٩١٧، واستمرت حتى عام ١٩٢٤..ففي السنوات الاولى لحكم إبن سعود، تلقى الدعم المباشر من بريطانيا في الكويت على شكل مال وسلاح وتسهيلات ضرائبية أخرى.والسماح له بتقاضي الزكاة من مناطق يحكمها الانجليز من اجل انعاش وضعه الداخلي.

ومع بداية الحرب العالمية الاولى، وفك إبن سعود إرتباطه الرسمي مع الاتراك، وعدم التزامه بالمعاهدة التي وقعها معهم، بدأت شحنات السلاح ودفعات المال تأتيه بشكل مباشر عبر الشريف حسين أحياناً، أو عن طريق موانئه في الخليج، أو بواسطة بعثات بريطانية قادمة من العراق المحتل بريطانياً.

---

[4] المصدر السابق، المقدمة، ص ي.

[5] د.السبيعي، النفط وأثره على الحياة الاقتصادية في المنطقة الشرقية، ص ٧١، ٧٤، ٧٦ أن انتاجا بهذه الغزارة، يستحق التأسف عليه، خاصة وان الشيعة خسروا هذا الانتاج دون أن يحصلوا على البديل من خيرات النفط

يذكر فيلبي ما حصل عليه إبن سعود من سلاح أثناء الحرب العالمية الاولى، والذي وفر عله مبالغ هائلة من المال، كالتالي :

سبتمبر ١٩١٥	**٣٠٠بندقية**
ديسمبر ١٩١٦	**٤مدافع ميكانيكية**
ديسمبر ١٩١٦	**الف بندقية عيار ٣٠٣**
ديسمبر ١٩١٦	**الفي بندقية اوتوماتيكية**
ابريل ١٩١٧	**مدفعان تركيان استولى عليهما الانجليز**
يوليو ١٩١٨	**الف بندقية**
اكتوبر ١٩١٨	**الف بندقية**

كما يذكر صلاح الدين المختار [6]، أن الشريف حسين وبعد أن اعلن ثورته على الاتراك فيما عرف بالثورة العربية الكبرى، !، راح الذهب الانجليزي يتدفق على جدة عن طريق بور سودان مصحوبا بكميات من العتاد الحربي، وكان الذهب يصل في صناديق خاصة لينفقه الشريف بمعرفته لتجنيد العرب واستمالة امرائهم ورؤسائهم، وأرسل في آخر سنة ١٣٣٥هـ، ١٩١٦م صرة من المال إلى إبن سعود تحوي الاف الجنيهات الانجليزية، واتبعها في السنة التالية بثلاث صرر في كل واحدة منها خمسة الاف جنيه انجليزي ذهباً.

بعدها ارسل إبن سعود إلى إبن الشريف حسين " الملك عبد الله " يطلب مالا يتقوى به من المعلومين "الانجليز"، قال:

"أما إذا ترون مساعدة لنا سواء من سيادتكم أو من المعلومين، نضبط بها داخليتنا..ونتقوى بها على الجهاد..فذلك هو المطلوب "..وارسل له عبد الله صرة بألف جنيه مع إعتذار بإن الحالة معلومة، وعرض عليه ما شاء من البنادق والمدافع، بمجرد أن يعرفه إبن سعود بحاجته إليها [7].

بعد توقيع إبن سعود لمعاهدة دارين سنة ١٩١٥وعده الانجليز براتب دعم سنوي مقابل وقوفه إلى جانب بريطانيا في حربه ضد دولة الخلافة، وقد بدأ الراتب ــ كما أشرنا بصورة رسمية سنة ١٩١٧ــ.. وتشير وثيقة بريطانية إلى أن "مجموع تكاليف رواتب الحكومة البريطانية المقدمة للملك خلال هذه السنوات هي ٥٤٢الف جنيه". وأضافت الوثيقة: "في البداية أعطى الراتب للمساعدة التي قدمها إبن سعود في الحرب ضد تركيا، أما الرواتب اللاحقة للحرب فقد قدمت لاستقرار السلام، وتأمين طرق الحج في الجزيرة العربية) [8].

---

[6] المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، صلاح الدين المختار، جزء ٢، ص ٨١

[7] كشك /مصدر سابق، ص ٤٨٦، ٤٨٧

[8] الوثيقة رقم E1336F0371-13012 مؤرخة في ١٤مارس ١٩٢٨

وبالبطع كانت هناك دفعات مالية لا تدخل ضمن الراتب الشهري، وإنما مرهونة بظرف ما، مثال ذلك ما حدث سنة ١٩١٧ حينما قدم فيلبي من العراق محملاً بالمال، لتموين حملة ضد إبن رشيد في حائل، قبل إبن سعود القيام بها شرط توفير المال والسلاح اللازم.

كان إبن سعود بحاجة لتبرير إستلامه المعونة البريطانية، وقد وصل إلى حل طريف طالما اشارت إليه المصادر المهمة والوثائق، وهو أن الملك يستدعي الاخوان والمشايخ حينما تصل المعونة، ويقول لهم بإن "الجزية" من الكفار قد وصلت إلى المسلمين الصادقين !.

وفي إحدى المرات ذكر الشيخ عبد الله بن عيسى بن علي آل خليفة، إبن حاكم البحرين، المتعمد البريطاني هناك، ديكسون بما يحدث للمعونة فقال: "انتم الانجليز ارتكبتم خطأً فادحاً بدعمكم لابن سعود بالشكل الذي تقومون به الان، أنا واثق، ثقتي بان إسمي هو عبد الله بن عيسى، إنكم ستعيشون لتندبوا وتلعنوا ذلك اليوم الذي فعلتم فيه ذلك، وستضطرون في آخر الامر إلى تحطيم إبن سعود عن طريق الحرب...هل تعلمون ماذا يحدث لــ ٧٥الف روبية التي تقدمونها له كل شهر؟. إنها حين تصل الرياض، فإن إبن سعود يرفع راياته ورايات الإسلام، ويجمع اتباعه، ثم يعلن على الملأ أن الجزية من الكفار المسيحيين قد وصلت "[9].

بالطبع فإن ديكسون، وهو صديق إبن سعود، اعتبر ما قاله عبد الله بانه :كلام فارغ !، رغم أن المعلومة صحيحة، وقد اشار إليها ديكسون في مذكراته المترجمة إلى العربية، وفي الرسائل التي يرفعها لرؤسائه..وربما كان تحليل عبد الله بن عيسى خاطئاً فيما يتعلق بتمرد إبن سعود على الإرادة البريطانية، لهذا يوضح ديكسون وجهة نظره الشخصية بقوله :" من ناحيتي اعتبر راتب الدعم الذي نقدمه لابن سعود هو مال يكسبه عن جدارة واستحقاق، وان النتائج التي حصلنا عليها تفوق اضعافاً مضاعفة ما أنفقناه من اموال عليه، وانا اتمنى أن يزاد راتب الدعم هذا إلى ستة الاف جنيه شهرياً" [10].

على أن لابن سعود ورقة ضغط لعبها بكفاءة وبراعة، الاّ وهي القبائل البدوية التي إن لم يقدم لها المال فإنها لن تكون منضبطة، وبالتالي ستهاجم اماكن وإمارات خاضعة للنفوذ البريطاني.

بين ٢٩يناير ١٩٢٠و ٢٠ فبراير من نفس العام، كان ديكسون في زيارة للاحساء، والتقى هناك بإبن سعود الذي اخبره، "أن عائداته لم تكن تغطي نفقاته، ولا يدري ماذا سيفعل إذا

[9] (E12852) مؤرخة في ١٨اكتوبر ١٩٢٠ مذكرة اعدها المعتمد السياسي البريطاني في البحرين، وارسلها إلى المندوب السامي في بغداد، عن اوضاع الجزيرة العربية لشهر يوليو ١٩٢٠، وتاريخ تحريرها ١٢اغسطس من نفس العام.

[10] الوثيقة السابقة

خفضت حكومة صاحب الجلالة راتب الدعم الذي تقدمه انه، له حينها سيواجه حالة من الخروج على القانون "[11].

ومفهوم هنا مغزى "الخروج على القانون " ولكن إبن سعود لم يترك مجالا للشك في التفسير أو سوء فهمه..ففي العاشر من فبراير ١٩٢٠كتب ديكسون من الهفوف قائلا بان شيئين لدى إبن سعود بهراه.."الأول، كفاءة جهاز مخابراته، فهو على إطلاع وثيق بأخبار مصر وسورية والحجاز والهند والعراق، وان عملاءه ومخبريه هم في معظمهم من التجار النجديين المنتشرين في جميع انحاء الشرق الاوسط والهند..اما الامر الآخر فهو قوة مشاعر وعواطف إبن سعود الجياشة تجاه كل ما هو بريطاني، وثقته العمياء، بل المثيرة للشفقة تقريبا بحكومة صاحب الجلالة "...ومن النقاط التي قال ديكسون انها معشعشة في ذهن صاحبه..ان: " الامتناع عن صرف راتب الدعم الخاص ـــ والذي تأخر بضعة اشهر ـــ يعبر عن شك وعدم ثقة بكلمة العهد والشرف التي يعطيها "..وشكا أنه أشد فقراً هذه الأيام ـــ بعد الحرب العالمية الاولى ـــ من قبلها، رغم أن كوكس وعده بأن يرفعه إلى السماء [12].

وأضاف ديكسون في تقريره: "أن إبن سعود في أمس الحاجة إلى المال، ولم يكن يعرف إلى أي جهة يتجه، وهو يحافظ على انضباط شعبه وخاصة الاخوان عن طريق الهبات السخية والهداية، وهو يريد أن يزداد راتب الدعم الخاص به إن امكن، وهو يدرك مدى الصعوبات التي تواجه الحكومة البريطانية، ولكنه يناشدنا بأن راتبه يعني الابقاء على نجد موحدة، والحفاظ على القانون والنظام، أن شعبه الان يخضع لاشرافه وضبطه، ولكنه اضطر إلى استدانه الاموال، وهو يأمل أن يحسن الامور فيما بعد بافتتاح ميناء الجبيل، وتلقي عائدات جمركية اكبر..اما الآن فلا يستطيع الاستغناء عن المساعدة البريطانية، كما لا يستطيع أن يقف وحده على قدميه، ولهذا فهو يأمل أن تواصل حكومة صاحب الجلالة تبني نمو وتطور حكومته الوليدة عن طريق المساعدات) [13].

وحول ديون إبن سعود، قال ديكسون انها تسبب له قلقاً شديداً، وانه مدين لتجار القصيم بحوالي ستمائة الف روبية..بينما هو مدين في البحرين وحدها بمبلغ مائة ألف روبية لعبد العزيز القصيبي الذي زاد قلقه على أمواله، وتوقع ديكسون "أن يطلب إبن سعود مرة أخرى وعن قريب من حكومة صاحب الجلالة البريطانية أن تزيد راتب الدعم الذي تقدمه له، وستكون حجته: أنه بأموال الحكومة البريطانية يحافظ على السلام في الجزيرة العربية، وذلك

---

[11] تقرير لديكسون، اعده حول زيارته للاحساء، انظر E ٦٢٨٩ بتاريخ ١٧مارس ١٩٢٠

[12] الوثيقة السابقة

[13] المصدر السابق

بسيطرته على الاخوان ومنعهم من إجتياح الحجاز)، وقد أيد ديكسون زيادة الراتب إلى ستة آلاف جنيه في الشهر [14].

وكما توقع ديكسون، فقد استلم رسالة من إبن سعود مؤرخة في الثاني من اغسطس ١٩٢٠ تحث الحكومة البريطانية على زيادة راتب الدعم "وكنت أتوقع أن يأتي مثل هذا الطلب عاجلاً ام آجلا "..وبناء على هذا قررت الحكومة البريطانية تقديم هدية لابن سعود هي خمسة الاف جنيه، اعترافا بمسلكه الذي يليق برجل حكم متفوق، حينما امتنع عن اداء فريضة الحج لعام ١٩٢٠، وقد أخبر ديكسون بذلك في برقية من المندوب السامي ببغداد في الحادي عشر من اغسطس من نفس العام.

ويبدو أن طلب إبن سعود الفوري للمال على علاقة باحتلاله لأبها، عاصمة عسير، كما يقول ديكسون، والذي وصف الغزوة بانها ناجحة، وان الغزاة عادوا بالأموال ومائة وستين عبداً لابن سعود وحده، كما اشار إلى احتلال ثلاث مدن صغيرة ثم احرقت عن بكرة أبيها في وادي نجران [15].

وأعد ديكسون، المعتمد في البحرين مذكرة في الثاني عشر من اغسطس حول الوضع المالي لابن سعود قال فيها: "هناك شيء واحد سيصيب مقتلا حتميا وقاطعاً لخطط إبن سعود، والواقع انني اعتقد شخصيا أنه سيصيب دماره ونهايته.يجب أن لا نوقف راتب الدعم الذي نقدمه له، أن مبلغ الخمسة الآف جنيه التي يحصل عليها إبن سعود شهرياً الان، عن طريق البحرين يصرفها على شكل رواتب اقل حجماً لشيوخ نجد الاقوياء، مثلهم في ذلك كل العرب، سواء كانوا بدوا أو حضرا، فإنك تستطيع أن تفعل بهم أي شيء تريده إذا ما قدمت لزعمائهم رواتب مناسبة مهما كانت قليلة..ان إبن سعود يدرك ذلك تماماً، ويدرك أنه صحيح خاصة بالنسبة لقبائل نجد..ان ما يحتاجه إبن سعود منا اليوم وبإلحاح هو الدعم الزائد والواضح، فإذا لم يكن بإمكاننا إعطاءه المال، فإن علينا أن نظهر له بقدر ما نستطيع بأننا ننوي فعلا أن نقف إلى جانبه وندعمه، وان ليس في نيتنا أن نسمح لدول صغيرة هزيلة مثل الكويت والبحرين بان تضايقه أو تزعجه متذرعة بالحماية البريطانية، أن القرار الجمركي الذي صدر مؤخراً في البحرين لصالح إبن سعود هو مثال جيد على الكيفية التي نستطيع بها أن ندعم إبن سعود) [16].

على أنه وبعد إحتلال حائل وإسقاط إمارة آل رشيد سنة، ١٩٢٢بدأت المشاكل المالية تتصاعد، وعمت موجة من السخط القبائل الاخوانية في نجد..وأشار امير الكويت حينها أن

---

[14] الوثيقة E12852 حررت في ١٢اغسطس ١٩٢٠، وسجلت في ١٨اكتوبر من نفس العام

[15] الوثيقة السابقة، وهذه قرية شيعية إسماعيلية على ما يبدو

[16] الوثيقة رقم E12852مؤرخة في ١٨اكتوبر ١٩٢٠

العديد من القبائل هذه على استعداد للهجرة إلى العراق لولا خوفها من أن يمارس إبن سعود الضغط وينجح في إعادتها [17]، والحقيقة كان هذا مبررا معقولا لعدم الهجرة، إذ سبق لبريطانيا أن ضغطت على العجمان واعادتهم إلى الحظيرة السعودية من الكويت، كما ضغطت بريطانيا على قبائل العطية على حدود شرقي الأردن لنفس الغرض.

وحين ألغت بريطانيا راتب الدعم عن حلفائها – وبينهم إبن سعود – نتج عن ذلك مسائل خطيرة فيما يمس الوضع الاقتصادي والسياسة الخارجية الذي في اخذ في انتهاجها، خاصة فيما يتعلق بالحجاز، حتى قيل أن قطع راتب الدعم اطلق يد إبن سعود لاحتلال الحجاز للسيطرة على موارده، والاستفراد بالضرائب المفروضة على الحجاج.لكن لا شك أن بريطانيا كانت يومها مهتمة بانهاء الحليف المزعج و غير المهادن بشأن فلسطين، الشريف حسين.

وأكدت تقارير المقيمية البريطانية في بوشهر بان هناك عدم ارتياح من حكم إبن سعود من قبل تجار الاحساء الذين اخذوا يعانون من زيادة عبء الضرائب بعد انقطاع راتب الدعم، كما بدأت القبائل تتخلى عن ولائها لابن سعود لانه لم يعد في مقدوره استمرار دفع اموال إليها [18].

والحق فإن الانجليز وإن قطعوا راتب الدعم السنوي، إلاّ انهم كانوا يمدون إبن سعود بين الفينة والاخرى بكميات من الأسلحة والذخيرة إضافة إلى المال، ضمن رؤية تقول بأن نقص المال المدفوع لشراء قبائل الاخوان يحرضهم على مهاجمة إمارة شرق الأردن أو الكويت أو العراق، وهو الذي حدث فعلا، ومن المهم، من وجهة نظر السلطات البريطانية، مساعدة الملك في إحكام قبضته على هذه القبائل، وإلاّ فأن العاقبة ستكون وخيمة..غير أن البخل البريطاني المعروف، اعطى لابن سعود حجة – أو جعله في موقف ضعف – حينما هاجمت قبائله الاخوانية البادية الجنوبية للعراق والاردن لتنهب وتقتل كيفما تشاء، رغم أن إبن سعود "انصاع بكل إخلاص لسياسة الحكومة البريطانية من اجل التوصل لتسوية بينه وبين الامير عبد الله، لإدراك الأول بأنه مهما قل حجم المساعدات المادية التي يحصل عليها من بريطانيا، فإن عداءها له سيعني دماره "كما تشير إلى ذلك وثيقة بريطانية [19].

الزكاة:

اعتبر الحكام السعوديون أن تطبيق فريضة الزكاة نتيجة العودة إلى الدين، غير انها في واقع الامر تحولت إلى امر جبري، وأصبح الجهاد لغاية واحدة هي جمع الزكاة التي فرضت

---

[17] الوثيقة رقم E10403-678-91، مؤرخة في ٢٢اكتوبر ١٩٢٢

[18] جمال زكريا قاسم، الخليج العربي ١٨٤٠ـــ ١٩١٤، ص ٥٢٠

[19] الوثيقة رقم E3126-3126-25 /مؤرخة في الخامس عشر من مايو ١٩٢٤، انظر التقرير السنوي للسعودية عن عام ١٩٢٢م.

على كل من طالته اليد الوهابية، وبذا اتخذت الزكاة صفة الالزام القسري لا صورة العمل المثير إلى التقوى الدينية، ولم يميز الوهابيون بين الزكاة المأخوذة غصبا أو طوعاً، وسواء من المؤيدين أو المعارضين الرافضين للحكم والمذهب [٢٠].

إن الزكاة في التاريخ السعودي الغابر والى ما قبل عهد النفط، لم تكن اكثر من عملية إبتزاز يفرضها حاكم قوي على رعاياه، أو جيرانه الضعفاء (إمارات الساحل) ويدعمها بالتهديد والفرق المسلحة.

وفضلا عن طابع الاخضاع والقسر والتهديد، فإن طرق تحصيل الزكاة ومقدارها وموارد صرفها بعيدة كل البعد عما أقرته الشريعة الإسلامية..في حين اعتبر السعوديون أن كل منطقة دفعت الزكاة إليهم هي منطقة تابعة لهم، وقد استخدموا دفاتر الزكاة كأحد اهم الادلة لإثبات دعاواهم في البريمي..

بينما كان البريطانيون ومنذ منتصف القرن التاسع عشر يؤكدون الفصل بين الاثنين، بالنسبة للمناطق الخاضعة لاشرافهم في الخليج..فهم وان قبلوا بان يدفع اتباعهم زكاة سنوية "أو مقدار من المال تحت أي مسمى "فإنهم اكدوا للحكام السعوديين ـــ كما فعل بيلي ـــ أن ذلك لا علاقة له بالسيطرة والحكم..ولان السعوديين كان يهمهم المال قبل أي شيء آخر، فقد رضخوا للأمر الواقع.

واعتبر كيلي ـــ احد موظفي الحكومة البريطانية ـــ أنه حينما " تدفع الزكاة نتيجة القسر والارهاب، كما هو الوضع بالنسبة لسلطان مسقط وشيخ البحرين، فإن طبيعتهما تغدو اكثر مجرد جزية تستخلص تحت وطأة التهديد بالغزو، وهي لهذا لا تحمل أي معنى للسيادة الإقليمية، وإنما تفوق في القوة من جانب الذي يبتزها). [٢١]

ووقع وطء الزكاة بطرقها المغالية في الإيذاء على جهتين أساسيتين من الرعايا :مالكي الزرع والبساتين، وهم الشيعة في الغالب..والبدو اللذين لا بد وان يدفعوا زكاة أغنامهم وإبلهم، وهم بدو لا يتبعون سلك الاخوانية، خاصة بدو الشرق الحجاز، أما الاخوان فانهم انصاف حضر تخلوا عن البداوة وباعوا إبلهم وانشغلوا بالقتال في جيش الملك واعتمدوا على الغنائم والهبات كوسيلة للعيش.

وهناك جهة ثالثة هي الإمارات المجاورة التي يجب عليها أن تدفع مقدارا سنويا من المال..قد يسمى الزكاة، وقد يسمى الجزية، وقد سبب استحصال هذا المال مشاكل سياسية

---

[20] كيلي، الحدود الشرقية، ص ١١٩

[21] المصدر السابق، ص ١٢٠

عويصة، وترك جروحا لم تندمل حتى هذا اليوم بين قبائل المناطق الخاضعة لسلطات غير سعودية في الخليج..

من جهة أُخرى، فإن كل ما الغاه الحكم التركي من ممارسات مخالفة للشرع بشأن الزكاة، كان السعوديون يطبقونها، كزيادة الخرص، واخذ الرشوات، واتباع إسلوب المصادرات لأملاك من لا يقدر على دفع الزكاة..عادت من جديد بعد غياب نصف قرن بمجرد أن سيطر إبن سعود على الاحساء، حيث اسس إدارة مالية فيها، تكون مرجعا لموظفي ماليات العقير والجبيل، وبقيت القطيف ذات إدارة مالية مستقلة.

واعتادت إدارة المالية حصر النخيل واعدادها واسماء ملاكها، ومن ثم إرسال مجموعة من " الخراصين " لتقدير ثمر النخيل قبل نضوجه بمدة، ويقيدون ذلك في دفاتر خاصة، ويقررون في الحال كم تكون الزكاة الواجب إخراجها.

وكما كان معتادا، فإن الخراصين، ــ ولطبيعة مسلكهم الطائفي ــ يزيدون في الخرص، ويضعون توقعات مغالية لحجم الانتاج، من اجل إرهاق السكان، وفضلا عن هذا فإن الإدارة المالية بتحيزها تجد الوسيلة والتبرير اللازمين لتجاوز حد الزكاة الشرعي، بحجة أن الملك بحاجة إلى المال، أو أن القحط اصاب نجد وربوعها.

ويشترط مأمورو الزكاة على الأهالي توصيل زكواتهم إلى ادارة المالية، وعليهم ــإضافة إلى تحمل نفقات النقل ــ الانتظار اياماً عديدة لتسليم ما لديهم لتبدأ محنة جديدة، حين يبدأ المسؤولون وزن " قلال " التمر.

وقد أثارت التعديات في الخرص سخط وتذمر السكان، وفتحت ابوابا واسعة للفساد الإداري وانتشار الرشوة ــ لمن يجيدها ــ، والمشكلة هنا أن الكثير من الفلاحين يستأجرون النخيل مقابل مقدار معلوم من التمر أو المال، وفي الغالب يعجز هؤلاء عن اداء ما عليهم، فتتراكم الديون، وفي العادة يبادر المأمورون ببيع المنازل وحبس المزارع أيضاً.

وحدث عام ١٣٤٩و ١٣٥٠هــ أن الازمة الاقتصادية بدأت تأخذ بخناق العالم، وكان القطيف والاحساء منها اوفر نصيب، إذ كلما اشتدت الاُمور على الحكومة المركزية، تبدأ بالضغط على الأهالي بزيادة الضرائب وتوسيع حلقة المصادرات على الجهات الأضعف، ونعني بهم الشيعة، وكانت اسعار التمور في تلك السنوات قد هبطت، وهي طعام السكان الاساسي وموردهم الرئيسي بحيث لم يكن الوارد السنوي كافيا لاصلاح النخيل وتأدية الزكاة الحكومية، وهذا جعل الزكوات تتخلف وتدور من عام لعام بصورة ديون متراكمة على الأهالي، واخيرا وجد الجميع انفسهم عاجزين عن الدفع، ولما لم يكن بوسع الإدارة المحلية أن تتغاضى عن المطالبة بالزكوات المتخلفة، ولم يكن بد من الالحاف، صار الأهالي في ازمة حادة، اضطرت الكثير منهم إلى مغادرة البلاد إلى البحرين بشكل خاص والاستقرار فيها

نهائيا.

حينها كتب وجهاء الشيعة، وفي مقدمتهم الشيخ علي بن حسن بن علي الخنيزي إلى الملك راجين منه إسقاط الديون أو تخفيفها من اجل إيقاف الهجرة الجماعية والتذمر العام الذي فجر عام ١٣٤٨هـ إنتفاضة العوامية الشهيرة، فرد الملك إلى الشيخ الخنيزي بالتالي :

"عدد :٨٨٤

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل، إلى الشيخ علي بن حسن علي الخنيزي وكافة أهالي القطيف.

بعده، قد اطلعنا على العريضة المقدمة منكم المؤرخة في ٤شوال سنة ١٣٥٠، بشأن استرحامكم في خصوص الديون التي عليكم للمالية من بواقي الزكاة..نفيدكم أننا نظرنا لما شرحتموه، ورغبة في مساعدتكم وتسهيل أُموركم، فقد أمرنا بالسماح عنكم في ديون الزكاة العائدة للسنتين الماضية التي قبل عام ١٣٤٩ــ ١٣٥٠هـ، وقدرها ٢٣ألفا ومائتين وسبعة وستين روبية، أما بقية زكاة هذه السنة، فقد أمرنا أن تؤجل عليكم إلى حصول حاصلاتكم.في ٢٨شوال سنة ١٣٥٠ هـ.

ختم [22]

ومن ناحية البدو فإنهم ما يحاولون التهرب من دفع الزكاة، وكثيراً ما كان يصحب عمليات جمع الزكاة وجباية الضرائب العنف وعمليات التأديب للقبائل المتمردة التي رفضت الدفع للسلطة المركزية..ان تمردات القبائل لها ما يبررها لانها من طبيعة البدو، ولان القبائل لم تلمس نشاطا من الدولة من اجل تحسين اوضاعها الاقتصادية والاجتماعية..بل كانت ترى أن أموال الزكاة والضرائب تذهب سدى [23]..وهذا امر يلمسه جيمع السكان، إذ أن المال يجمع إلى السلطة المركزية في الرياض وهناك توزع على الاصحاب والقبائل والحاشية..بمعنى أن الزكاة التي يفترض فيها أن تؤخذ من الاغنياء وتنفق على الفقراء، أصبحت عبئاً هائلاً على اكتاف الجميع، ووضعتهم دون مستوى حزام الفقر، وفي كتابات الباحثين إشارات إلى أن الزكاة التي يتقاضاها إبن سعود هو وأسلافه غير إسلامية، وانه لا يتصرف فيها كما يجب في الإسلام، ويوردون مثالاً على ذلك أنه يأخذها من الاحساء والقطيف ولا يوزع منها شيئاً على الفقراء الكثيرين فيهما [24].

---

[22] ذكرى الزعيم الخنيزي، الشيخ علي بن حسن علي الخنيزي، تأليف عبد الله الشيخ الخنيزي، ص ١٢٤، ١٢٦٠

[23] الاصلاح الاجتماعي، ص ٢٦

[24] كيلي / مصدر سابق، من ص ٤٢٥الى ص ٤٢٨

الضرائب والجمارك:

وهما وجهان لعملة واحدة، ولقد مر معنا كيف أن إبن سعود خطط لرفع الضرائب وزيادتها قبل أن يجلي الترك عن المنطقة، بل أنه روج إشاعة بان الاتراك سيتركون له حكم المنطقة لانهم كانوا عاجزين عن جباية الضرائب.

أن اول ما يلمسه الباحث بالنسبة للضرائب والجمارك، انها لا تستند على أسس شرعية، وقد كان ذلك احد أسباب ثورة الاخوان، بل انهم نجحوا في تخفيفها وإلغاء بعضها عن المسلمين ــ والمقصود بهم الاخوان ــ أما بقية المناطق فبقيت الضرائب قائمة، والمسألة الأخرى هي عدم العدالة في توزيع الضرائب بين السنة والشيعة، فمن المعلوم أن جميع الحضر في الحجاز والاحساء والقطيف وربما بعض مدن القصيم عانوا من ضرائب إبن سعود المتصاعدة، غير أن الوطأة كانت على الشيعة بشكل أشد، خاصة وان الموانئ الإساسية كانت في مناطقهم، وما يتبعها من حركة تجارية نشطة.

فور سيطرته على الاحساء فرض الحاكم السعودي رسوماً جمركية مقدارها ٨% على كل الواردات التي تصل إلى الإقليم الشرقي بحراً، وكانت الجمارك والى عهد النفط تؤلف جزء هاما من الواردات السنوية، كما يذكر فؤاد حمزة مستشار إبن سعود، والغريب أن إدارة الجمارك تحسب الرسوم الجمركية على أساس قيمتها في السوق السعودية، وليس على أساس قيمتها الحقيقية، ومن اجل تعيين القيمة لم يكن يكتفى بالفواتير المقدمة من التجار، بل على التثمين المستند على أسعار الحاجيات في السوق، وهكذا فالمهم ليس قيمة شراء البضاعة، وإنما بكم تبيعها ؟!.والغريب أيضاً أن فؤاد حمزة يتفاخر بأن نظام الجمارك السعودية اقتبس من احدث الأنظمة في البلاد الراقية.[٢٥]

وكانت القطيف مضرب المثل في الضرائب تقاس بها البلدان الأخرى، ففي عام ١٨٦٥ــ أي في عهد فيصل بن تركي ــ ارتفعت الضرائب الجمركية بصورة مؤقتة في الكويت، ولم تكن هناك حاجة لمعرفة مقدارها، إذ يكفي القول بأنها تماثل ما تحصله حكومة القطيف..وفي أواخر عهد مبارك الصباح، رفع الاخير الضريبة الجمركية على الواردات إلى ٥%، فاضطر تجار الكويت إلى هجر بلدهم والانتقال إلى البحرين، امثال هلال المطيري، وشملان بن علي، إحتجاجاً على زيادة الرسوم..ولما تولى سالم الصباح الحكم "١٩١٧ــ ١٩٢١"كانت باكورة أعماله تخفيف الجمارك إلى ٤%، وأعفى الصادرات من الضرائب[٢٦]..في حين أن إبن سعود لم يكتف بنسبة ٨٥%التي هي في الواقع تزيد على العشرين بالمائة، باعتبار احتساب نسبة

---

25 البلاد العربية السعودية، فؤاد حمزة، ط ٢ عام ١٩٦٨، ص ١٧٢

26 د.محمد رشيد الفيل، مصدر سابق، ص ٤٥٥، ٤٥٦

الضريبة على قيمة البضاعة في السوق المحلية، بل رفعها إلى ١٣%في عام ١٩١٧، وكانت ضريبة الصادرات في ذات العام ٩،٥ %.

ويقر المؤرخون بانه كان للاضطهاد الضرائبي الذي مارسته الدولة المركزية عبء كبير بالنسبة للجماهير، رغم أن مستوى تطوير القوى المنتجة لا يسمح بالمغالاة في جباية الضرائب[27]، وفي حين قدر فيلبي الرسوم الجمركية على واردات موانئ الاحساء بـــ ٨%.وهي نسبة فرضت فور السيطرة السعودية على المنطقة الشرقية، أشار إلى أن رسوم الدخان " المحرم تعاطيه عند الوهابيين الذين يجلدون الناس بسببه " بلغت ٢٠% كما أشار إلى أن الجزية فرضت على الشيعة والمسيحيين واليهود في الاحساء، كما كانت تفعل الحكومات السعودية السابقة [28]ولان المسيحيين واليهود لا وجود لهم في المنطقة بتاتاً، فإن المعني بالجزية هم الشيعة لا غير، ومع هذا فواضح أن تصنيف الوهابيين للشيعة، يضعهم في خانة واحدة مع النصارى واليهود !.

وفي الحقيقة لا يمكن إعتبار ما جرى للشيعة منفصلا عن سياسة الملك السعودي، فلاشك أنه يشارك الوهابيين آراءهم، فضلا عن أن مسألة "المالية "يشرف عليها هو شخصيا وبشكل مباشر، باعتبارها اهم الإدارات في الحكومة، وقد أشار ديكسون أثناء زيارته للاحساء في أواخر يناير ١٩٢٠الى أن حكام المقاطعات يقومون بمسؤولية جمع الزكاة والضرائب والميرة من السكان المستقرين والحضر.." ولا يسمح إبن سعود لأحد سواه بالتدخل في هذه المسائل، باعتبارها قضايا سياسية يضعها هو "[29].

ولنأت إلى أنوا الضرائب:

السماكية :وهي ضريبة تؤخذ من صيادي الأسماك، وهم في معظمهم من الشيعة، حيث يتصدى رجال الضرائب للصيادين وهم في طريق عودتهم، بعد يوم مضن من العمل الشاق، لمصادرة خمسي الأسماك، ثم يبيعها هؤلاء في الاسواق بأسعار زهيدة، ترغيباً للأهالي الفقراء في شرائها، ذلك أن العامة تعتبر هذه الاسماك منهوبة لا يجوز شرعا شراؤها ومعاونة الظالمين في ظلمهم وغيهم.

أما طريقة الحكومة في تحصيل الضرائب بشكل عام، فانها تتفق مع احد التجار على تولي المسألة مقابل مبلغ سنوي معلوم يتفق بشأنه، ثم يقوم هذا التاجر "يسمى الضامن " وبمعاونة

---

[27] فاسيلييف، مصدر سابق، ص ٢٥٧

[28] المصدر السابق، ص ٢٥٦

[29] الوثيقة E6289، مؤرخة في ١٧مارس ١٩٢٠

الإدارات المحلية والشرطة باستحصال الضرائب دون رقيب، فيرهق الاهالي ويستحصل ضعف المبلغ الذي اتفق مع الحكومة بشأنه [٣٠].

ويمكن القول أن ضريبة السمك "السماكية " من الضرائب المفروضة على الشيعة، ذلك أن القليل من السنة في الإقليم الشرقي كان يمارس هذه المهنة، وكان هؤلاء يجدون الطريقة المناسبة للتهرب منها، وهذا بعينه ما كان يجري لشيعة البحرين التي يحكمها ال خليفة.

الجهاد: وعرفها احد مستشار الملك إبن سعود بقوله :"وهو ما يدفعه المكلفون بالجهاد من رجال القبائل حينما لا يؤدونه بأشخاصهم) [٣١]..بمعنى أن من لا يشترك في حروب الملك، فإن عليه أن يدفع مقدارا من المال..ولكن هل هذا يعني تحويل كل الرعايا إلى محاربين في اية حرب صغيرة كانت ام كبيرة ؟ام هل كان الملك السعودي بحاجة إلى النساء والصبيان والعجزة ؟ثم على اية أرضية إبتنى هذا القانون ؟.

حسب معرفتنا، فإن الملك حينما يريد القيام بحرب ما، فإنه يطلب من كل قبيلة عددا محددا من المقاتلين، إذ لايمكن تجييش كل الشعب، والا خلت البلاد من كل من يقوم بالخدمة الاجتماعية والاقتصادية فيها..ولم نسمع أو نقرأ أن النجديين ــ على سبيل المثال ــ ممن لا يشاركون في الحروب يدفعون هذه الضريبة، وكذلك نساؤهم وأطفالهم، ولم نسمع أن تجارهم ومزارعيهم وموظفيهم ممن لا يحاربون كانوا يدفعون ضريبة الجهاد !.

بل إن الكتاب الموالين أشاروا إلى تعدد مجالات العمل، حينما أشار احدهم إلى الاخوان، وان "عند إبن سعود لكل منهم وظيفة ومقاماً :المعتدل للخدمة، والمتساهل للتجارة والسياسة، والمجنون للقتال "[٣٢]..ولا شك أن المعتدلين والمتساهلين كانوا من الذين لايدفعون ضريبة الجهاد..نعم هناك حالات استثنائية ولاسباب سياسية، يلزم الملك فيها بعض رجال القبائل بدفع مبالغ تحت مسمى الجهاد.

أما الذين تحدثوا عن فرض ضريبة الجهاد على الشيعة، فانهم يبررونها بان ذلك مقابل حمايتهم، وهي تقوم ــ ضمن هذا المنطق ــ مقام الجزية التي تفرض على النصارى واليهود في الدولة الإسلامية..في حين برر بعضهم الامر بانه مقابل "الخدمة العسكرية التي أعفوا منها"! [٣٣].

---

[30] لقاء مع " هــ س، ص " في ٢٨ شوال ١٤٠٩هــ

[31] البلاد العربية السعودية، ص ١٧٦

[32] ملوك العرب، مصدر سابق، ص ٥٧٢

[33] انظر الوضع الاقتصادي في العهد التركي

ولا نظن بأن التبرير الاخير يبدو عقلائيا، فالحكام السعوديين لو أرادوا من الشيعة الخدمة العسكرية لما تعسر فرض ذلك عليهم، وكل وسائل الفرض والجبر موجودة ومطبقة على الاخرين.

لكن الواضح هو أن الحكم السعودي، كان بحاجة إلى إبتزاز ما لدى الشيعة من إمكانات مالية واقتصادية، اكثر من حاجته إليهم في الحرب، خاصة أنه لم يتعود ان يثق بهذه الشريحة من المواطنين حتى الوقت الحالي، حيث يمنع الشيعة من الخدمة العسكرية والانخراط في الجيش.

والضريبة "الجهاد " هي اسم مخفف للجزية، لكنها في واقعها أسوأ من الجزية، لان الجزية تؤخذ من الرجل البالغ الذكر، لا الصبي ولا المرأة..بينما لم يستثن " جهاد السعوديين " صغيراً أو كبيراً، ذكراً أو أُنثى من الشيعة...وغير هذا فإن الجزية تدفع مرة في العام ــ حسب ما يقره الدين الإسلامي ــ، أما السعوديون فإنهم يأخذونها متى شاؤوا مرة وأثنتين وثلاث واكثر في السنة، فعرف الجهاد "المطبوق " أي المضاعف، وعرف الجهاد "المربوع " الذي يدفع أربع مرات في العام الواحد، واكثر من هذا فإن مقدرا ضريبة الجهاد مجهولة وغير محددة، وإنما هي متروكة لمزاج الحاكم، بحيث أنه يغالي في زيادتها، ويمارس أعنف الوسائل لاستيفائها، حتى اضطر بعض الاهالي لعرض ابنائهم في سوق النخاسة !.

لقد ادخل المئات من المواطنين السجون لانهم لم يستطيعوا دفع ضريبة الجهاد ــ والتي يطلق عليها احياناً " روسية " باعتبارها مفروضة على كل رأس بشري!ــ واستحدثت عشرات المعتقلات، كانت عبارة عن قصور قديمة وخرائب متهالكة، لتستوعب الاعداد الجديدة من المعتقلين..واضطرت النساء لبيع حليهن لتسديد الضريبة واخراج ازواجهن من السجون، بل وباع الكثيرون اثاثهم وأراضيهم وحيواناتهم وحتى قدورهم، وأقسم أحدهم بأغلظ الايمان أنه باع حتى ملابسه لتسديد "الروسية"! [٣٤].

وتحرك وجهاء الشيعة، وبعثوا الوفود إلى الرياض، والتقوا بالملك وقالوا له :

ــ لم يبق إلاّ إزهاق الأرواح !.

فأجابهم بصلافة : "إنتوــ أنتم ــ ماتستحوا"!!.

ردوا عليه : السائل ما يستحي !.

وهكذا عاد الوفد خائباً، مما زاد من هجرة المواطنين لمدنهم وقراهم، باتجاه البحرين في الأغلب، ريثما تهدأ الأمور..على أن النفوس كانت مهتاجة ومتحفزة للثورة، وقد زادها عودة الوفود خالية الوفاض ألماً على ألم، خاصة وان الإدارة المحلية زادت من حدة رعونتها

[34] لقاء مع " ح، ن، س " في ١٢ صفر ١٤١٠ هـ

وصلافتها، وجهزت الدوريات لتدخل بيوت المواطنين لتفتشها وتصادر ما بها من قوت وماشية..وبذلك على بشاعة ما كان يجري القصص التي لا يزال يتذكرها المعمرون ممن اكتووا بنارها..من هذه القصص أن محمد بن جبران، احد سكنة حي الرقيات بالهفوف، جاءه "خوي " مطالباً إياه بتسليم ضريبة الجهاد، وكان المقرر عليه "٢٠ريالا"، فقال له أنه لا يملك من حطام الدنيا شيئاً، وطلب إمهاله يوماً لعله يجد من يقرضه المبلغ ـــ وهو امر غير مؤكد ـــ فما كان من الخوي إلاّ أن ضربه بـــ " مشعاب / هراوة " على خاصرته، فتقيأ دماً وأصابه نزف داخلي ومات في اليوم التالي.

وحين سمع محمد حسن دحيم العامر "وهو من نفس محلة الرقيات "بالامر وكان حاله هو الآخر لا يختلف عن حال الضحية التي سبقته، وقد فرض عليه "٤٠ ريالاً "، اخرج إبنته عصراً ليبيعها في سوق النخاسة بالهفوف مقابل دروازة الكوت، فثارت ثائرة الناس، وحدث هرج ومرج تناهي بعض منه إلى سمع الطاغية سعود بن جلوي، الذي امر بإحضار الدحيم..فلما وصل شتمه وأهانه، ولم يكن بمقدور الأمير قتله بعد الإثارة التي قامت، وسأل عن سبب قيامه بعرض ابنته للبيع، فأجاب :أن أفعالكم دفعتني لذلك..فامر الامير برفع الضريبة عنه، بعد تفتيش منزله، إذ لم يجد الجلاوزة سوى "مصخنة " مكسورة [٣٥]وقدر من الفخار للطبخ.

تجدر الإشارة إلى أن الدحيم هذا لا يزال حياً يرزق حتى كتابة هذه السطور [٣٦].

ومما هو مشهور عن إبن جلوي ورجال ضرائبه، أنه كان يرسل خوياه أو عبيده إلى المواطنين الذين لم يتمكنوا من دفع الضريبة، وإذا ما التقاهم الشخص المطلوب في الطريق واعتذر بانه لا يملك شيئاً، اوقفوه في مكانه، وخطوا دائرة مكان وقوفه على الارض، مهدديه بالقتل إن هو ابتعد عن الدائرة المرسومة، ثم يذهب هؤلاء إلى منزله لاقتحامه وتفتيشه وليأخذوا ما يشاؤون منه، حتى الصبيان يؤخذون للخدمة عند الأمير، وإذا لم يجدوا شيئاً فمصير المواطن السجن.

وينقل أن احد المواطنين في الاحساء، واسمه علي بن صالح، جاء إلى دائرة الضرائب في الإمارة، ليثبت لهم أنه لا يملك شيئاً وليس لديه اطفال للخدمة، ويبدو أن الرجل تحدث بلغة لا ترضي الامير، فما كان من الاخير إلاّ أن امر بربطه بحبل أوثق بحصان ركبه احد العبيد لجره في الطرقات، وبعد مضي بضع ساعات مات الرجل [٣٧].

---

[35] المصخنة، وعاء من الفخار يبرد فيه الماء للشرب

[36] لقاء مع " م، ب، خ " في ١٢صفر ١٤١٠هـ

[37] لقاء مع " م. ب. خ " في صفر ١٤١٠هـ

وتتفاقم المشكلة بالنسبة للمعتقلين الذين كانوا يعذبون ويعاملون معاملة الرقيق، ولم يكن السجانون يطعمونهم، بل أن الاهالي يجمعون لهم القليل من التمر لسد رمقهم، خاصة وان المجاعة تفاقمت في بلد الثلاثة ملايين نخلة !.وغالبا ما كانت النساء تقوم بهذا الدور..قالت إحداهن انها رأت العشرات من السجناء في قصر إبن جمعة في مدينة صفوى، وهو احد القصور التي صادرها إبن سعود بعد قتل صاحبها، وحول بعضها إلى سجون..كما رأت وساهمت في رمي الطعام من النوافذ"الرواشن " إذ يمنع السجانون من تسلم الطعام باليد..ولان النوافذ تطل من اماكن عالية تقارب السقف، فإن عملية قذف التمر تكون غير دقيقة، ويضطر السجناء لالتقاطه من الارض بعد أن يتلوث بالتراب [38].

ولربما قيل أن ما اصاب شيعة القطيف اشد مما اصاب الشيعة في الاحساء، ولعل السبب يكمن في حقيقة أن المعارضة السياسية للشيعة وزعامتهم كانت طوال قرنين قد تمركزت في القطيف، ولذا كان اختيار إبن سعود لابن عمه عبد الله بن جلوي، المشهور بالقسوة والارهاب، حاكماً للمنطقة بشكل عام لغرض إركاعهم، حيث لم يضيع إبن سعود الوقت بعد إحتلاله " فأخذ يروض الشيعة، وعهد لعبد الله بن جلوي حكم الاحساء، حيث أخذ هذا ينكل بنشطائهم دون رحمة، وخصوصاً في القطيف "[39].

ووصل الامر أن متعهدي ضريبة الجهاد لدى الحكومة، وبمعونة العبيد والخويا، أخذوا يهجمون على البيوت ليلاً، ويهتكون سترها، ويهينون عائلها ويقتادونه ذليلاً إلى المعتقل.ولو شئنا ذكر الأسماء لفعلنا، ولعددنا أسماء المهاجمين والضحايا على حد سواء [40].

بقي أن نشير إلى أن ضريبة الجهاد " الروسية " طبقتها كل الدويلات السعودية المتعاقبة، ولم تنته إلاّ في الأربعينيات الميلادية بعد أن تدفق المال من الامريكيين كمساعدات للملك أثناء

---

[38] لقاء مع السيدة " ش، س، ص " في ١٤محرم ١٤٠٨هـ

[39] فاسيلييف، مصدر سابق، ص ٢٤٢

[40] طلب سعود بن جلوي من الحاج على الطاهر بوخمسين في الهفوف أن يوزع ضريبة الجهاد المربوع، وتوزيع الضريبة يعني أن الامير أو الملك يقرر مبلغا من المال على الشيعة، ثم يأمر فرداً أو مجموعة من الاعيان بتقسيمها على السكان حسب معرفته بغنى هذا الشخص أو عدمه، غير أن الحاج علي الطاهر رفض القيام بالمهمة، لان العاملين في هذا المجال كان ينصب عليهم غضب وسخط الناس باعتبارهم أيدي الظالمين، فما كان من سعود بن جلوي إلاّ أن رفس الحاج علي وأسقطه أرضاً، ومزق العباءة التي كان يلبسها، ثم طلب من مسؤولي الزكاة أن يوزعوها مثل (عبد الرحمن المبرزي، وموسى القضيب، ومحمد الاشقر) والمعروف أن مسؤولي الزكاة من القساة العتاة الظلمة، وكانوا يأخذون الزكاة ويفرضون مبالغ ورشاوي يجب أن تدفع بالكامل، ويحكي في هذا الصدد أن رجلا من قرية (الجبيل) الاحسائية بقي عليه ثلث ريال كدين من مخلفات الزكاة، فأمر مدير المالية محمد الطويل احد (الفداوية) بأن يذهب إلى الرجل ليتقاضى منه المبلغ، واستأجر له حماراً من رجل يدعى (إبن حميضان) بمبلغ ثلاثة ريالات.وحين وصل الفداوي إلى الجبيل ذهب إلى عمدتها (سيد عبد الله الابراهيم) الذي قام بإكرامه وذبح شاة، ظاناً أن الرجل جاء لأمر هام، فلما سأله عن سبب مجيئه وعرف الامر منه، أعطاه الثلث ريال وقال :لن أروع الفقير من اجل هذا المبلغ التافه، ثم أننا خسرنا عليك اكثر من هذا ولكنك "ما تستاهل !( )اخذت هذه المعلومات من مقابلتين مع م، ب، خ، في ١٥صفر ١٤١٠من نفس الشهر والسنة "

الحرب العالمية الثانية..والغريب أن آل خليفة في البحرين فرضوا هذه الضريبة، ويسمونها هناك " الرقبية" ويبدو انها من إرث السنوات القليلة التي احتل فيها السعوديون البحرين في مطلع القرن الثالث عشر الهجري..وبالرغم من أن آل خليفة لا يعدون مسلمين بنظر الوهابيين، إلاّ انهم مع هذا تعاملوا مع الشيعة بذات عقلية الوهابيين، وقد " كان الشيخ خالد بن علي، شقيق الشيخ عيسى، يعتمد في معظم دخله على جباية ضريبة الرقبية التي فرضها على قرى الشيعة الواقعة ضمن نفوذه، وخصوصاً قرى منطقة سترة..ولم يكن راغباً في التخلي عن جبايتها، شأنه شأن الكثيرين من أفراد الأسرة الحاكمة الكبار..وبالإضافة إلى ضريبتي الرقبية وبساتين النخيل، كانت هناك ــ في البحرين ــ ضريبة السمك، وهذه الضرائب الثلاث كانت مفروضة على طائفة الشيعة فقط)[41].. مع ملاحظة أن الشيعة في البحرين يشكلون الأغلبية الساحقة من السكان) !.

الضرائب الأُخرى:

فرض السعوديون ضريبة على الحيوانات تسمى " باج "، وهذه الكلمة ذات أصل فارسي يعني الضريبة، حيث يتوجب على البائع والمشتري دفع نسبة من قيمة الحيوان المباع، تتروح بين ٥ــ ٨%.وقد أثر هذا بشكل حاد على شريحة واسعة من المواطنين، على أن هذه الضريبة تختص بالشيعة، وبعض قبائل المنطقة الشرقية المعادية تقليدياً للحكم السعودي كالعجمان والخوالد.

وهناك ضرائب قررت على وسائط النقل كالجمال والحمير والبغال..ومن ثم العدد القليل جدا من السيارات، وقدعد فؤاد حمزة ــ مستشار الملك عبد العزيز ــ هذا النوع من الضرائب كأحد واردات الدولة حينما ألف كتابه سنة ١٩٣٢"[42].

والمعروف أن الحمير الحساوية هي من أجود الأنواع، وذات شهرة عالمية منذ القدم، وكان الطلب عليها كبيراً في العراق والبحرين ومصر وإيران، وكان سعرها عام ١٩٤٠يصل إلى "١٥٠٠ريال "، إنخفض عام ١٩٥١الى " ٦٠٠ريال " بسبب توفر المواصلات الحديثة "[43].

وفرض إبن سعود ضريبة تسمى " أرضية " على أصحاب المهن أياً كانت، والمعروف أن الشيعة هم أغلب من يمارس هذه المهن، باعتبار أن البدو يستنكفون العمل بأيديهم، وينتقصون فيما مضى العاملين في هذا المضمار..وهكذا فرضت لضريبة على الحدادين، والصفارين، والصاغة والنجارين، والعاملين في حقل الخياطة والحياكة، وكذلك العاملين في الصيدلة

---

[41] الرميحي، مصدر سابق، ص ٢٨٢

[42] البلاد العربية السعودية، ص ١٧٦

[43] الدكتور السبيعي، النفط وأثره على الحياة الأقتصادية في المنطقة الشرقية، ص ٢٢٥

والطبابة الشعبية، ومختلف المهن التي كانت حكراً على الشيعة..هذا إضافة إلى ما فرض على أصحاب الحوانيت والمحلات من رسوم.

وفرض إبن سعود ضرائب على الغواصين، وكان الغوص مهماً لحياة السكان في القطيف..وأمر الحاكم السعودي نائبه بفرض ضريبة على كل مركب غوص، مع إضافة ضرائب واردات الأهالي من صيد اللؤلؤ..وكانت الضريبة مرتفعة وتسمى " المطرحانية " قدرها احد العاملين السابقين في هذا الحقل بـــ ٥ر٩% [44].

ويضاف على هذه رسوم متنوعة لكتاب العدل ورجال القضاء، ورسوم إيجارات الأملاك، وحين شرع إبن سعود نظام الجوازات سنة ١٣٤٦هـــ، كان ذلك اول إجراء تتخذه دولة أو إمارة مشرقية عربية، وكان سن هذا النظام لهدف واحد فقط هو استحصال المال، حيث فرض على المواطن أن يدفع جنيها إنجليزيا ذهباً، وكان المواطنون يسمونه "باون " وهي كلمة مأخوذة من الأصل الإنجليزي "POUND".واحتسب فؤاد حمزة ثمن الجوازات، كأحد أهم المداخيل للدولة.ويومها أضطر الأهالي لبيع حلي نسائهم بأرخص الأسعار للتخلص من الفقر والجوع، فبيع المثقال بـــ " ٢،٣روبيات"، واشترى تاجر إيراني في يوم واحد ذهباً، رخيصاً بما مقداره " ٨٠ألف روبية "[45].

المصادرات

فور سقوط الاحساء، تمت مصادرة جميع الاراضي التابعة للدائرة السنية التركية، كما صودرت كل حقول النخيل والمنازل التي هجرها أصحابها خوفاً من البطش، بعد أن سلموها لأقربائهم أو جيرانهم أو أصدقائهم للاعتناء بها..ومع تصاعد قوة حركة الاخوان، وبسبب شحن أفرادها بان غير الاخوان كفرة تحل أموالهم ودماؤهم وأعراضهم، كان من الطبيعي أن يفسح الطريق لغلو المغالين والجائرين والطامعين من الأمراء والحكام للنهب..وكان الحاكم السعودي في الاحساء أو القطيف يصادر املاك الشيعة لأتفه الأسباب، أو يضع غرامات فادحة على من يعتقد أن لديه ملكا..مثال ذلك أن إمرأة تدعى زينب البقشي، وكانت تسكن محلة الرفعة بالقرب من النعاثل، تدخلت لفض شجار نسوي، وصادف أن إحدى المتشاجرات كانت سنية المذهب، فأخذها الفداوية وسجنوها، وحين تدخل أهلها لإطلاق سراحها رفض الامير ذلك، وطلب منهم أن يدفعوا غرامة ثلاثة آلاف ريال " وهي تعادل ثلاث ارباع المليون اليوم.."فاضطر اهلها إلى بيع بستان نخلهم ويدعي "قرفوص "، وهو من اكبر البساتين وأعظمها على احد التجار الأغنياء من آل العجاجي ويدعى محمد، وذلك لتسديد الغرامة [46].

---

[44] لقاء مع " ن، ع، ع " في العاشر من رجب ١٤٠٩هــ

[45] لقاء مع (س، ج، ع) في ٧محرم ١٤٠٩

[46] لقاء مع (م، ب، خ) في الأول من صفر ١٤١٠ هــ

واسلوب المصادرات ليس بدعاً في التاريخ السعودي، ولقد توسع في ممارسته في الدولة السعودية الاولى والثانية، وكانت ممارسة حكومة العهد الحالي له استمراراً لمسيرة السلف الماضي، ويذكر الأهالي اسماء العديد من البساتين المصادرة في الاحساء، ومن بينها :الحقل، العمار، الشراع، الشهيبي، ابو سحيل، الشطيط، السحمية، القرين، سمحة، الدليقة، والمهرام، الصقيهية، والفاخرية، وقد أهدى بعضها للشيخ علي بن ثاني، وعدد آخر من شيوخ قطر [47].

ومن المصادرات الشهيرة، مصادرة الحكومة لمنطقة "جاوان" الشهيرة بآثارها الموغلة في القدم، وكان جد المرحوم حسين بن صالح ــ احد سكنة مدينة صفوى ــ قد اشترى هذه المنطقة سنة ١٢٧٦هــ من رجل يدعى "إبن بعيجة "، وكانت المساحة المشتراة اكثر من ٣٠كيلومتراً مربعاً، هي مجرد صحراء جرداء..وايضا مصادرة "رحيمة " التي اصبحت بلدة بالقرب من ميناء رأس تنورة، وهذه كانت بقعة جرداء تقريبا، اشتراها المرحوم محد تقي اليوسف بأكملها، في حدود سنة ١٢٩٥هــ، وقد صادرت الحكومة هذه الارض، وأُعطيت لشركة ارامكو في بداية تأسيسها للصناعة النفطية في البلاد، رغم أن الرجل يملك صكوكاً شرعية تثبت تملكه لها، ولا زالت موجودة عند ابنائه..وقد حاول المالك طوال عمره المديد، الذي بلغ "١٣٠عاما" أن يستعيد أملاكه، أو يحصل على تعويض جزئي عنها، ولكنه فشل..وكان إلى مطلع الثمانينات الميلادية حاضر الذهن يتحدث عن مظلوميته اينما حل وارتحل، وقد توفي إلى رحمة الله في ذي الحجة ١٤٠٩هــ، الموافق لشهر يوليو ١٩٨٩.

مصادرات أملاك إبن جمعة

على أن أشهر المصادرات في القطيف، ما تم لاملاك المرحوم عبد الحسين بن جمعة، وعائلة آل جمعة بشكل عام..وقد تحدثنا عن المرحوم منصور بن جمعة في مواقع مختلفة من الكتاب، والحديث هنا عن أخيه عبد الحسين الجمعة الذي لم يكن محباً لدخول السعوديين القطيف واحتلالها، ولكن مجرى الحوادث اجبره على التسليم، وحين جاء إبن سعود للقطيف، أقام له إبن جمعة وليمة كبيرة واهداه مائة جوال من الحجم الكبير تحوي قهوة، ونحو ٥٠٠جوال من الأرز "نوع فرماشي "، و٣٠٠رأس من الغنم، فاندهش إبن سعود لكثرة املاكه، واهتبل فرصة وقتله واستولى على قصوره ونخيله العديدة التي كانت أجرتها السنوية "٨٠ألف قلة من التمر "[48].

---

[47] انظر تاريخ ال سعود، ناصر السعيد، ص ١٤٧، أشار فيدال إلى أن سمحة يملكه وزير المالية عبد الله السليمان، واما الفاخرية فيملكه امير المنطقة سعود بن جلوي، انظر السبيعي، النفط وأثره على الحياة الاقتصادية في المنطقة الشرقية، ص ٧١

[48] لقاء مع " س، ح، ع " في العاشر من ذي الحجة، ١٤٠٩هــ

أما سبب قتله ومن ثم نهب أمواله، فهو أن إبن جمعة كاتب الاتراك مشجعاً إياهم لإعادة السيطرة على المنطقة وطرد إبن سعود منها، ويشير احد الكتاب [٤٩].الى أن قلم الاستخبارات البريطاني حصل على مجموعة من المراسلات التي تمت بين الطرفين، وسلمها إلى إبن سعود، فما كان من الاخير إلاّ أن اعدمه.

لكن الرواية الأقرب للصحة، تشير إلى أن طالب النقيب، المتعاون مع قوات الاحتلال البريطاني، والذي يتمتع بصداقة إبن سعود، والذي يحمل إرثاً من العداء لابن جمعة منذ أن كان طالب والياً للاتراك على الاحساء سنة ١٣٢٠هـ، إستطاع أن يحصل على مراسلات إبن جمعة مع الاتراك بفضل شبكة علاقاته مع عدد من المسؤولين الاتراك في البصرة، فسلمها لابن سعود وحصل على المكافأة.

وكان سيد طالب وسيطاً بين الاتراك وابن سعود في المفاوضات التي تلت إحتلال الاحساء والقطيف، ورغم أنه كان من الناحية الرسمية موظفاً تركيا، إلاّ أنه كان في الحقيقة يعمل لحساب إبن سعود، ويقبض منه المصاريف السرية، فقد ورد في تقرير المعتمد البريطاني في البحرين (مايو ١٩١٤ـ ١٣٢٢هـ) أن السيد طالب سلم إبن سعود خطابات مرسلة للاتراك من عبد الحسين بن جمعة من تجار القطيف، مما ادى إلى إعدامه بتهمة التجسس..ويقول التقرير أن عبد اللطيف المنديل، وكيل إبن سعود في البصرة، دفع للسيد طالب عشرين ألف روبية، بالإضافة إلى اربعين الف أخرى سلمت له في الكويت [٥٠].

وفي شهر يوليو ارسل الميجور نوكس، المقيم البريطاني في بوشهر، إلى وزير خارجية حكومة الهند يبلغه خبر إعدام إبن جمعة، ثم ارسل له تأكيدات لاحقة في شهر اغسطس، حينما عاد الدكتور هاريسون من زيارة له إلى القطيف وأكد له النبأ..كما اشار إلى السبب وهو أن طالب النقيب اوصل لابن سعود مراسلات إبن جمعة مع الاتراك.[٥١]

ويحكى احد المطلعين [٥٢]قصة إعتقاله نقلاً، عن خاله المرحوم محمد علي الغريافي، على النحو التالي :

في إحدى الليالي، وبعد صلاة العشاء، جاء مجموعة من الفداوية وطرقوا قصر إبن جمعة في القطيف، وقالوا له بان الشيوخ " إبن سعود " يريدونك في الاحساء، فذهب معهم هو وخاله، وبقوا هناك في بيت خاص بضعة أيام دون أن يسأل عنه، وكان تحت النظر طوال هذه

---

[49] انظر كتاب ساحل الذهب الاسود للاستاذ محمد سعيد المسلم.

[50] انظر كشك، مصدر سابق، ص ٤٦٦، وانظر أيضاً الوثيقة البريطانية رقم F 0371- 2140 E 55472 والمؤرخة في شهر اكتوبر ١٩١٤

[51] الوثيقة السابقة

[52] لقاء مع " ع، ح، ق " في الرابع من صفر ١٤٠٩هـ

الأيام..وفي إحدى الامسيات جاءه بدوي يسأل عنه، وطلب منه مبلغاً من المال يقدر بنحو " ٣٠ " روبية ليأخذه في الحال إلى قطر، وأبلغه بان " القوم يأتمرون بك ليقتلوك "، وان إبن سعود عازم على " ذبحك "..لكن إبن جمعة لم يهتم بالامر، ربما لانه لم يكن يعتقد بانه فعل امراً يستحق الاعدام، وطرد البدوي الهاجري.

وتكرر الامر – كما يذكر خال إبن جمعة – ثلاث مرات، والبدوي يزيد في الالحاح، وكان خاله الغريافي قد شعر من خلال الاستقبال أن هناك أمراً مدبراً، فاشار على إبن اخته اكثر من مرة: اطع الهاجري، ولكنه اصر على رأيه، وقال لخاله: حتى انت خائف، قم وارحل عني !.

وبعد يومين من تلك الحادثة جاءه فداوي وقال له : الشيوخ يريدونك، فقام وأراد أن يأخذ عباءته، فقال الفداوي : لا حاجة إليها وسترجع سريعاً، وخرج إبن جمعة ولم يعد، فقد قتل ودفن في مكان ما في الاحساء...في حين يتناقل المواطنون بان المرحوم اخذ ليلاقي حتفه، ولم يكن يرتدي سوى " إزار" ودفن حيا !!.

ونعى الشاعر الشعبي الشهير عيسى بن محسن، المرحوم إبن جمعة بقوله :

اهل الديار ارحلو بليل مسراهم

ساقوا ظعنهم ومادري وين منواهم

مدري هجر لو نجد ملفاهم

* *

يا سايج الظعن ريض أذا باسالك

عني تجافوا وخلوا دمعتي سايله

قالوا منايا تحادي ظعون مسراهم

يادار ما تخبري وين الاشخاص ارحلوا

من بعد دولة حكم عافوا الوطن وارحلوا

وجدي على من ولوه اعداه ما له احد

انهض وهو يعتزي بالله ما له احد

من ذا الذي غسله ياهو حفر له لحد

وش خلفوا بدور لهم يوم تصيح ارحلوا

وتشردت عائلة إبن جمعة بين العراق والبحرين، بعد أن سلب كل ما لديها من نخيل وبساتين وقصور، وحتى الوقت الحاضر لا تخلو مدينة أو قرية في القطيف إلاّ وهناك اثر ملموس لهذه الاملاك، أما قصر حول إلى سجن، أو نخل ملكته الدولة وأهمل لأن الناس رفضوا تأجيره باعتباره مغصوباً، واما اوقاف ابتلعت ولا تزال معروفة كأملاك لآل جمعة.

الطريف أن احد المؤرخين [53] أشار إلى أن من اسباب خلاف الملك عبد العزيز ومبارك الصباح، ما كان دائراً حول املاك المرحوم إبن جمعة المصادرة "أن الشيخ عبد اللطيف آل عبد الرزاق، وهو احد تجار الكويت الكبار، كان له اربعة وعشرون الفاً من الروبيات طلباً على إبن جمعة في القطيف، وكتب مبارك كتابين إلى إبن سعود الذي استولى اخيراً على أموال إبن جمعة يستحثه على إعطاء الكويتي حقه فلم يجبه إلاّ بعد أن اتبعهما بثالث، وقد قال إبن سعود في الجواب، أنا سنعطي صاحبكم حقه من ثمرة نخيل إبن جمعة لا غير، ولكن مباركاً قال إن صاحب الدين لا يقبل إلاّ نقوداً..الخ ".

ومع بداية العشرينات الميلادية، قام أولاد إبن جمعة بمحاولة لكي يعودوا إلى البلاد، أو على الاقل ليحصلوا على بعض املاكهم، ولكن الملك رفض الامر، وبعد شكايات عديدة قدمها اهالي البحرين نيابة عن ال جمعة إلى المعتمد السياسي البريطاني هناك باعتبار العلاقة الوطيدة بين الملك عبد العزيز والسلطات البريطانية، استجاب الملك فأرجع بعض الاملاك، وهي النزر التافه، وذلك أنه في تلك السنين الخوالي، كان الملك يمر بضائقة مالية شديدة، وكان الحصار جاريا على موانئ الكويت والبحرين في خلاف حول الضرائب.

وأمامنا هنا احدى الشكايات تضمنتها وثيقة بريطانية موقع عليها من قبل عدد من وجهاء البحرين، ومما يلفت النظر أن هؤلاء اعتبروا منصوراً وأخاه عبد الحسين من اهالي البحرين، لان العوائل من الناحية الواقعية متداخلة، ولان تاريخ البلدين واحد حتى جاء الاستعمار البرتغالي، وايضا لانه لم تكن هناك حواجز إقليمية، وكان بإمكان أي شخص أن يسكن البحرين أو القطيف ولا تزال العلاقة مع اهالي البحرين علاقة اخوة في الدين والنسب..جاء في الوثيقة :

"إلى وزير شؤون الهند ــ لندن

نحن الموقعين ادناه تجار وسكان البحرين، نتقدم بكل التواضع والاحترام لنضع بين يدي سعادتكم، الاسطر القليلة القادمة، مع الامل الكبير بان رسالتنا ستلقى الاهتمام والعطف من سعادتكم.

أن المرحوم الحاج منصور الباشا، وشقيقه عبد الحسين الجمعة وكلاهما من بلدة البحرين [54]، ولكنهما يقيمان في القطيف، هما رجلان من ذوي الشأن والنفوذ الكبير، يحترمهما ويجلهما جميع أهل البحرين والقطيف والاحساء، وبلاد ما بين النهرين والعلماء والمجتهدون..وكذلك المسؤولون في فارس.

---

[53] عبد العزيز رشيد، مصدر سابق، ص ٢١٤

[54] لو كان إبن جمعة يحمل الجنسية البحرانية لما تجرأ إبن سعود على اعدامه، على الاقل لاعتباره احد الرعايا البريطانيين

ويمتلك هذان الرجلان عقارات وأملاكا عظيمة في القطيف وبلاد ما بين النهرين، كما كانا يمتلكان مؤسسات خيرية عديدة، حيث كان كل المحتاجين من البحرين والمناطق المجاورة يتلقون المساعدة والعون والمعاملة الحسنة، فسمعتهما في حقل اعمال الخير والصدقات معروفة لكل أهالي البحرين وما بين النهرين وفارس.

وعلى اثر إحتلال إبن سعود، سلطان نجد، لكل من القطيف والاحساء، وبتحريض من اعداء هذين الرجلين، ومن آخرين مغرضين، امر سلطان نجد بالقاء القبض على الحاج عبد الحسين الجمعة ــ وكان منصور قد توفي قبل هذه الحادثة ــوقتله سراً..كل صادر كما ممتلكاته في القطيف، وامر قواته بنهبها، وفي اعقاب هذه الحادثة هرب ابناء هذين الرجلين من القطيف، ثم رفعوا العديد من الطلبات والعرائض إلى سلطان نجد لإعادة املاكهم المصادرة في القطيف، ولكن دون جدوى.. وبعد أن يئس ابناء هذين المتوفيين، من استعادة املاكهم في القطيف من سلطان نجد، ومن اجل الحفاظ على كرامتهم وهيبتهم، بدأوا يبيعون ما تبقى من املاكهم الموجودة في العراق للانفاق على معيشتهم، وهم الان في حالة تستدر اعظم الشفقة، وليس معهم شروى نقير.

على أنه بعد وفاة هذين الشخصين، فإن الحرية الدينية التي كان أهالي القطيف والاحساء يتمتعون بها، قضي عليها، وان أهالي هذه المناطق ــ الاحساء والقطيف ــ كانوا وما يزالون يعاملون أسوأ معاملة على يدي سلطان نجد.

أما وقد وضعنا الحقائق المذكورة اعلاه بين يدي سعادتكم، فاننا نطالب بتواضع واحترام أن تتفضلوا بعمل شيء من اجل أبناء هذين الرجلين، واللذين هم في ضيق عظيم، على امل أن يستعيدوا أملاكهم في القطيف من سلطان نجد، واننا واثقون من أن جهودكم ستكلل بالنجاح الكامل.

إنا لا نقدم هذه العريضة نيابة عن انفسنا فقط، ولكن بالنيابة عن اهل الاحساء والقطيف، والذين لا يستطعون الإنضمام الينا علناً في عريضتنا هذه خوفاً من سلطان نجد،..واننا مرة أخرى نعبر لكم عن ثقتنا بان جهود سعادتكم ستعطي الثمار الطيبة)[55].

---

[55] انظر الوثيقة F 0371- 8954 E4268، والمؤرخة في ٢٨ابريل ١٩٢٢

أما الموقعون على العريضة فهم، الحاج احمد بن علي بن شمالة، احمد بن احمد ذفني، الحاج يوسف بن علي، السيد محمد مختار، السيد حسين مختار، السيد احمد مختار، السيد ماجد مختار، الحاج حسين بن حمد بن رحمين، السيد حسن بن علوي، عبد الرضا بن محمد علي العطار، عبد النبي بن محمد الشبرلخي، الحاج ابراهيم بن حسن فردان، احمد بن محمد السماهيجي، السيد ناصر بن خليفة سليمان، عبد الحسين بن احمد الشيرلخي، الحاج محمد بن الحاج قاسم، الحاج حسن بن ناصر، السيد خليل بن السيد ابراهيم، حسن بن الحاج عبد العلي، خليف بن طاهر قرنول، الحاج حسين المضب، الحاج محسن الخور، السيد محمد البلادي، عبد الرسول بن مجيب، عبد الله ما نولخة له حسن بن احمد بن شماس، الحاج حسن البصري، احمد البصري، ابراهيم البصري الحاج محمود بن عباس، الحاج السهلاوي، الحاج عبدالله ابو طيب.

لم تبت وزارة شؤون الهند في الامر، حيث فوض الوزير وزارة المستعمرات النظر في القضية، وذلك في السادس والعشرين من ابريل ١٩٢٣، وقال أنه لا يملك "أية معلومات حول الاحداث التي تدعي العريضة انها وقعت "...ويبدو أن الانجليز لا يقرأون وثائقهم، خاصة وان الرجل لم يكن مجهولاً عندهم.

تجدر الإشارة إلى أن الوزير البريطاني "إمري" علق على العريضة بخط يده في الثلاثين من نفس الشهر قائلاً :"إذا كان هناك أي صحة في هذه العريضة فإنها تكون حالة من حالات الاضطهاد والتي يمارسها الوهابيون "!.

مصادرة السلاح والخيول

كما في نجد وسائر انحاء الجزيرة العربية، فإن اقتناء السلاح وحمله يعتبر عنواناً للرجولة، ولا تزال هذه الطباع متأصلة في هذه التجمعات، وتعتبر السعودية واحدة من اكثر الدول تشديداً على امتلاك السلاح، ولكن الشعب يعدُّ من اكثر شعوب العالم اقتناء له، رغم المخاطر والمحاذير..وتشير تقديرات لمطلعين سنة ١٩٨٤، أن مجموع ما هرب من بنادق ومسدسات ورشاشات إلى السعودية في ذلك العام يقارب ما استوردته الدولة من الأسلحة الخفيفة للحرس الوطني لنفس المدة.

وقد اعتاد المواطنون وحرصوا على تعليم أبنائهم استخدام السلاح منذ الصغر، فكان كل بالغ لابد وان يكون لديه سلاحاً، اما الذي يتزوج وهو لا يملك واحدة منها، فإنه لا يعد رجلاً، ويعير بذلك..وقد نقل إبن سعود في مطلع العشرينيات الميلادية لديكسون، أن كل شخص في نجد يملك بندقية، بل وان الطفل يحمل السلاح، ولا نعتقد أن ذلك الكلام مبالغ فيه.

غير أن الحكم السعودي، كان يجد المبرر دائما للاستيلاء على أسلحة الشيعة، رغم أن الملك لم يكن في حاجة ماسة إليها، وكانت التبريرات تدور في الغالب حول أن الملك مقبل على معارك، وبحاجة إلى السلاح، وكذلك إلى الخيول..ويبدو أن إبن سعود كان يخشى من وجود السلاح لدى الشيعة اكثر من حاجته إليه، والذي عادة ما يمنحه لرجال القبائل بدلا من اعطيات المال، الذي لم يكن متوفراً في كثير من الاحيان..والمدهش أن معظم المصادرات قد تمت بعد احتلال الحجاز وهي الفترة التي كانت فيها معارك الملك جدُّ ضئيلة قياساً لما كان يجري سابقا، مما عزز الانطباع بان المصادرات كانت ذات أهداف سياسية.

وبالطبع لم تخل عملية مصادرات انواع السلاح المختلفة "ميزر، غتمة، صمعة "من مصادمات اثناء تفتيش البيوت من اجل الاستيلاء عليها وعلى الخيول..وكانت مصادرة السلاح

احد اهم اسباب ثورة الشيخ محمد النمر، وعلق احد المعاصرين لتلك الاحداث الرهيبة، بان الحكومة " لاتريد أن يكون لدينا سكينة بصل "!.[56]

وهكذا لم تستثن المصادرات شيئاً ابتداء من المنازل والنخيل وانتهاء بالسلاح والخيول، مرورا بالضرائب المنهكة بمختلف انواعها، مما جعل الحياة جحيماً لا يطاق، خاصة إذا اضفنا إلى كل هذا الاضطهاد العقائدي الذي رافق الابتزاز الاقتصادي.

في نفس الوقت كان آل خليفة في البحرين يسيرون على ذات الطريق الذي عبده آل سعود..ويرى احد الباحثين أن اهم سبب لتدهور الزراعة في البحرين ــ وهذا ينطبق على شرق مملكة ال سعود ــ أن الاراضي الزراعية صودرت من البحارنة (الشيعة، وان آل خليفة استخدموا نظام التوكيل الذي كانت تكمن بداخله المشكلة الاجتماعية..وينقل عن بلجريف قوله: "أن الارض الزراعية كانت مملوكة قبل مجيء آل خليفة إلى البحارنة، وبعد احتلالهم للجزر، اعتبروا كل الارض ملكاً لهم عن طريق احتلالها.. وبالتالي فإنه يمكن للحاكم المنتصر أن يتصرف فيها كما يشاء [57].ويقول كيلي أن " آل عبد الله ــ احد أفرع آل خليفة ــ طالبوا بحصتهم من القرى في البحرين في منتصف القرن التاسع عشر [58]..وانه منذ احتلال آل خليفة "اعتبرت الارض في العادة ملكا للحاكم، فهو يأخذ ويعطي ويؤجر ويتصرف فيها كما يرى..واستيلاء آل خليفة على الارض الزراعية بالذات، جاء بطبيعة الحال نتيجة لهجرة اصحابها بسبب المضايقات والظلم الذي كان يحيق بهم "، وحتى "الفئة التي تشبثت بأرضها الزراعية، فقد عانت من ارتفاع الضرائب المفروضة على افرادها، واستئجارهم الارض الصالحة بإيجارات مرتفعة [59].

واستمرت الحال حتى عهد قريب، فخلال حكم الشيخ عيسى بن علي " ١٨٦٩ــ١٩٢٣" كان الشيخ "وانطلاقا من المبدأ القائل بان الارض ملك له، فإنه كثيراً ما كان يعطي أو يبيع اراضي لم يكن يملكها، وكثيراً ما كان يبيع الارض مرتين "..ومن الطبيعي أن سياسة الانجليز العامة، وهم الحكام الحقيقيون للبحرين "تحبذ أن تبقى الارض في يد آل خليفة "[60]..ذلك أن الانجليز كانوا وعلى الدوام يجدون في الشيعة اخطر عدو، وكانوا للتو قد قاسوا من شتى الالآم والمصاعب في العراق منذ احتلالهم له.

---

[56] لقاء مع " هـ س، ص " في ٢٧ذي الحجة ١٤٠٨هـ

[57] الرميحي، مصدر سابق، ص ٨٧

[58] المصدر السابق، ص ٩٤

[59] المصدر السابق، ص ٨٨

[60] المصدر السابق، نفس الصفحة

وهكذا، وعلى أساس حق المنتصر اصبحت العائلة المالكة في البحرين، وحلفاؤها الآخرين، يمتلكون معظم الثروة والأراضي في الجزيرة "وبذلك تحول السكان الأصليون إلى مواطنين من الدرجة الثانية..وكانت الحكومة الخليفية توزع ما تنهبه من أراضي على القبائل الحليفة كهبة..مما خلق طبقة ملاك أراض جديدة "، ولذا أيضاً "شكل سكان الريف الشيعة الأصليين أقل الطبقات شأنا في المجتمع، وأصبح الناس بسبب سياسة آل خليفة الطائفية، يصنفون على أساس المذهب "[٦١].

وبعد نهب الأراضي، فرض على الشيعة في البحرين، العمل بالسخرة للشيوخ، ونظراً لأن مصادر الرزق كانت محدودة، وخصوصاً للشيعة، ولأنهم في الغوص كانوا يجدون المنافسة، فلم يكن هناك من خيار إلاّ أن يتوجهوا للزراعة كمصدر رزق، رغم الضيق والمضايقة، حتى أن عائلة الفلاح كانت تعيش تحت تهديد مستمر بالحرمان حتى من هذا العمل، فكان عدم الأمن مواكباً لها، حتى أن المؤجر كان يفرض في كثير من الأوقات شروطاً لم يكن قد اتفق عليها [٦٢].

ويعترف الإنجليز بان المزارعين (الذين لم تنتزع أراضيهم بالقوة، كانوا يعاقبون بفرض ضرائب مرتفعة عليهم، حتى يضطروا لترك أراضيهم) [٦٣]..وسبق للميجور ديلي، المعتمد البريطاني في البحرين، أن كتب للمقيم في بوشهر في الحادي عشر من ابريل ١٩٢٢يخبره بان " الضريبة على النخيل تجمع على نحو تعسفي، وبحسب الشيوخ الصغار وميلهم للظلم، في المناطق التي تقع تحت نفوذهم، وهذه تجمع عملياً من الشيعة فقط) [٦٤].

ويعزو ديكسون عدم رضا الشيعة في البحرين إلى :حرمانهم من تملك الأراضي، وإلزامهم بتقديم العلف لحيوانات الأسرة الحاكمة مجاناً، وتقديم الطعام مجاناً لأي شخص عابر حول قريتهم من الأسرة الحاكمة، وخضوعهم للعمل الاجباري ــ السخرة ــ متى شاءت الأسرة الحاكمة، وما فرض على كل قرية من تقديم الاسماك والتمور والخضروات إلى مطبخ الشيخ الحاكم "!.

وبالطبع فالمسألة ليست إقتصاداً وعلفاً !!، فقد كتب الكابتن براي، في السابع والعشرين من مايو ١٩١٩، وهو في طريقه إلى لندن :" هناك ــ في البحرين ــ شعور بالضيق تجاهنا،

---

[61] المصدر السابق، ص ٢٢٦

[62] المصدر السابق، ص ٩٠

[63] المصدر السابق، ص ٨٩، رسالة من المعتمد السياسي في البحرين إلى المقيم في بوشهر " بيسكو" في ١٥ نوفمبر ١٩٢٢

[64] المصدر السابق، نفس الصفحة

وذلك لأسباب دينية واقتصادية وشخصية ولأمور تتعلق بالحرب..وهناك فئة كبيرة ــ وهي الشيعة ــ معادية للشيخ، وبالتالي فهي معادية لنا "[65].

وعلى ذكر العلف، فقد كان هناك شيئاً شبيها له في الاحساء، فقد اعتاد إبن جلوي أن يدفع عددا من الماشية والابل إلى المزارعين الشيعة لتقديم العلف إليها ومراعاتها، ولم يكن امام هؤلاء غير التسليم، بل بأن أن التقصير قد يؤدي إلى العقاب الشديد.

ينقل احد المعاصرين لتلك الحقبة أنه كان لدى عبد الله بن جلوي مجموعة من الأفراس وزعها على افراد من الشيعة، واجبرهم على تقديم العلف إليها ورعايتها، وكان نصيب احد كبار قرية " الدالوة " في الاحساء ويدعى السيد هاشم ثلاث افراس..وكانت الأفراس تستعرض اسبوعيا ليراها " الشيوخ " ويكشفوا عليها.

وصادف أن فرساً كانت ترعى في الحقل، فأصابتها شوكة اعمت إحدى عينيها، فاستقدم إبن جلوي السيد هاشم وأمر بوخز عينه بشوكة إلى أن عميت، لأنه لم يهتم كثيراً بأفراس الشيوخ "[66].

الاحتجاج و المقاومة

في بلد كالسعودية، حيث لا دستور ولا قانون، وحيث الحكم للمزاج الشخصي الذي يميل إلى العنف والقسوة والإيغال في الدماء، كان صعباً على أبناء الشعب أن يعبروا عن وامعاضهم كما يجب، وقد فضلت الغالبية المقاومة السلبية ــ إن صح التعبير ـــ، سواء كان ذلك في الحجاز أو في الاحساء أو حتى في أعماق نجد نفسها..وبالنسبة للشيعة فقد سلك وجهاؤهم وأعيانهم سبيل الحوار والنقاش والاحتجاج السلمي، وتحملوا عنجهيات السلطة وإداريُها المحليين بصبر وأناة، أملاً في الوصول إلى مخارج للأزمة الإقتصادية والسياسية..وقد تطورت الأمور في بعض الأحيان وتحولت إلى عصيان شبه مسلح.

فبين عامي ١٩١٣ ــ ١٩٢٤م، كانت الوفود والرسائل تترى على إبن سعود تشكوه سوء الاحوال، ولكن الملك لم يهتم حتى بالرد، فكان غارقاً في مجاراة الإخوان ــ حلفائه الجدد ــ الذين شكلو جيشه الذي فتح به كل المناطق..ويبدو أن الشيعة ــ وبعد تجربة هذه السنوات ــ

---

[65] المصدر السابق، ص ٢٧٥ــ ٢٧٦

[66] لقاء مع الحاج " م، ب، خ " في ١٢صفر ١٤١٠هــ وينقل المصدر هذا مثالاً للمصادرات فيقول أن إبن جلوي كان يفرض على الشيعة بيع مقادير كبيرة من التمر إلى الاخوان بسعر بخس، وفي احدى المرات فرض على المرحوم محمد الاحمد البراهيم بوخمسين، أن يبيع لاحد البداة مقدار خمسة أمنان لحسابية من التمر، لكنه لم يكن يملك إلاّ ثلاثة منها جعلها طعاماً له ولعياله، ولما كان بد من تنفيذ الطلب أو السجن، ذهب الحاج علي الطاهر بوخمسين إلى سعود بن جلوي متوسطاً ومعتذراً لعدم الإمكانية، فما كان من سعود إلاّ أن أوما برمي الحاج من مقر الامارة من طابق علوي، وشاءت إرادة الله أن يسقط على بطن خوي الشيوخ سويلم بن خمسين، وكان عنده صقر ابيري بطعمه، فمات سويلم من ساعته ونجا الحاج علي من الموت !.

توقعوا أن الأمور ستستمر من سيء إلى أسوأ، فتألف في القطيف مجلس شعبي سنة ١٩٢٥، برئاسة محمد علي بن احمد الجسّي، وسكرتارية علي بن حسن ابو السعود، وكان من أعضائه البارزين حسن الشماسي، وأحمد حسن علي الخنيزي، ومهدي أحمد الجشّي..وقد تأسس المجلس في ظروف بالغة الصعوبة حيث الاستنزاف الاقتصادي المفرط للأهالي جائرة في شكل زكوات مضاعفة، وجهاد مطبوق، وسلف غير مستردة، ومصادرات جائرة، وغرامات ظالمة، نشرت الفقر والجوع بين الأهالي، وملأت السجون بالعاجزين عن دفع الضرائب.

أما هدف المجلس، فهو الوقوف أمام هذه الأفعال بإرسال الوفود والرسائل مستنكرين ما آلت إليه البلاد، ومطالبين بإسقاط الضرائب وإطلاق سراح السجناء، وقد أثمرت جهود المجلس بصورة جزئية في القضايا الفردية التي تدخل فيها، وأطلق سراح بعض السجناء بكفالة أعضاء المجلس، والتي كانت في الواقع كفالة صورية.

لم تمض سوى ثلاث سنوات من عمل المجلس ليتبين أن الضغط الذي مارسه الوجهاء لم يكن بالمستوى المطلوب، الذي يمكن أن يؤثر على الاوضاع بصورة فعالة، فبعد احتلال الحجاز، وبسبب ضغط الإخوان وثورتهم وإصرارهم على إيذاء الشيعة عقائدياً وإقتصادياً، حيث تبع ذلك "تجديد " إسلام الشيعة على يد مطاوعة الوهابية، ومصادرة العديد من الأملاك، والتوسع في جباية الضرائب، ومصادرة السلاح والخيل وغير ذلك.

وبدأت المقاومة أولاً برفض دفع الضرائب، وتمردوا على الدولة، وطردوا مندوبيها الذين كانوا يقومون بجباية الضرائب، وحملوا السلاح دفاعاً عن النفس، وكانت كل من مدينة صفوى والعوامية والقديح وسيهات ومدن وقرى أخرى مركزاً لهذا التمرد.

وفي نفس الوقت، فرت جماعات كثيرة من قرى مختلفة إلى البحرين، وهناك اتصل بعضهم بالمقيم السياسي البريطاني في الخليج عن طريق المعتمد في البحرين بغرض حمايتهم، وقيل أن بعضهم طلب من المقيم أن يقنع حكومته بالسيطرة على الاحساء والقطيف.

وروي احد الفارين أن ما لا يقل عن ثلث مدينة صفوى هرب إلى البحرين، وقال آخر أن ما لا يقل عن ١٨٠٠شخص هربوا أواخر عام ١٣٤٧هـ من القطيف وحدها، أما الاحساء فكانت اكثر المناطق المهجورة من أهاليها.

في البحرين، الكثير سكن الكثير من أهالي القطيف في حسينية الحاج أحمد بن خميس في قرية (سنابس)، وصار صاحب الحسينية يقدم لهم كل يوم أكثر من عشرة شوالات من الرز لإطعامهم..في حين أن أهالي مدينة صفوى تبرع باستضافتهم عمدة المدينة سلمان بن عبد الهادي، الذي سافر إلى البحرين واتفق مع احد تجار البحرين ـ يوسف فخرو ـ بان يهيئ لهم المسكن والطعام.

من جهتهم، لم يرحب البريطانيون بالنزوح الجماعي من شيعة الاحساء والقطيف، وكانوا يميلون بوضوح إلى الملك عبد العزيز، وحاولوا إقناع المواطنين بالعودة إلى بلادهم..وفي الحقيقة كان هناك امر آخر خشي منه الإنجليز..وهو أن هذا العدد يشكل عبئا نفسياً وسياسياً على حكم آل خليفة الذين ينتهجون ذات السياسة الطائفية بدعم من الإنجليز، وقد يؤدي وجود الاعداد الكبيرة إلى إثارة المشاكل الكامنة، ليس فقط ضد آل خليفة بل وضدهم أيضاً، كيف لا، وهم الحكام الحقيقون لمستعمرة البحرين.

وللأسف فإن موقف الزعامة الدينية التقليدية والتي كانت متمركزة في القلعة ــ عاصمة القطيف ــ، هي التي أحبطت الانتفاضة المسلحة التي قادها المرحوم الشيخ محمد النمر، والذي كان العقل المدبر لها من معقله في مدينة العوامية...ورغم أن الانتفاضة شملت كل المناطق تقريباً، إلاّ أن القطيف نفسها وبسبب موقف الزعامات التقليدية لم تتحرك.

ويومها حاصر الثائرون قصر الإمارة في القطيف، كما حوصر الامير نفسه (محمد بن عبد الرحمن بن سويلم)، وظل الرصاص يلعلع ليلاً نهاراً، وقد شكل الثوار قيادة لهم، وقرروا إقامة إمارة مستقلة على غرار إمارة الكويت وقطر.

غير أن الإنجليز سارعوا ففرضوا الحصار الاقتصادي على القطيف، ومنعوا سفن الغوص من الابحار، واتخذت دارين مقراً لاحدى طائراتهم لتقوم بإلقاء المنشورات الموقعة من قبل الملك، والتي تتضمن تهديد المواطنين من جهة، ووعدهم بالانصاف من جهة ثانية.

لم يقدر عدد من زعماء القطيف أبعاد وحجم الانتفاضة المسلحة، وراعهم التهديد السعودي بالقتل الذريع لكل من يشارك فيها، وخافوا من حدوث مجزرة كبيرة، خاصة وان إبن سويلم استغل الخلاف الطائفي بين الشيعة والسنة، واستدعى عدداً من السنة من أم الساهك، ودارين، كما استدعى بعض رجال البدو الذين يقيمون في بيوت الشعر بالمقربة من المدن، واسكنهم جميعاً في داخل المساجد والحسينيات في مدينة القلعة وضواحيها، وأمرهم بإطلاق الرصاص في الهواء ليلاً ونهاراً لارهاب الناس، وان يستعرضوا قوتهم في الشوارع..كما قام إبن سويلم الذي اتسم علاجه للمشكلة بالطيش والتهور، باعتقال عوائل وأبناء ــ بل وأخوان وأصدقاء ــ بعض الشخصيات والعمد الذين سافروا إلى البحرين.

هنا حاول اولئك الزعماء ثني زعيم الانتفاضة الشيخ محمد النمر مراراً ولكنهم فشلوا..وينقل أحد المشاركين في تلك الاجتماعات، أن وجهاء الشيعة في القطيف زاروا النمر في مجلسه بالعوامية وكان محتشداً بالجمهور الحامل للسلاح، وحاولوا إقناعه بان الممارسات الخاطئة التي تقوم بها الحكومة، انما هي "تصرفات شخصية قام بها بعض الموظفين دون علم من المراجع العليا "...ولكن النمر لم يقتنع، وخاطب أحدهم :" إذا كنت خائفاً على زوجتك (فلانة)، فبإمكانك أن تأخذها معك إلى القطيف "، وقال لآخر :" أن أسلافكم ومنذ أن سكنوا

العوامية لم ينقص من أهلها شيء".. وهنا خرج احد أعضاء الوفد ليقول للأهالي بان من يموت في هذه المعارك ليس شهيداً، ولأن المعارضة مرتكزة على أساس ديني، فقد اضطر العديد من الأهالي إلى إلقاء السلاح، خلافا لرغبتهم، ولرغبة الزعيم النمر، الذي لم يلبث أن مات مقهوراً بسبب فشل الإنتفاضة.

وفي نفس الفترة قام الشيخ علي الخنيزي – القاضي الرسمي آنئذ – بالكتابة إلى الملك عبد العزيز شارحاً له الوضع وخطورته، ومبينا الاسباب والظروف الصعبة التي دفعت الأهالي إلى القيام بما قاموا به، ثم طالبه بإسم وجهاء المنطقة أن يعالج الموقف بحنكة وروية، محذرين في نفس الوقت من ممارسات أميره على القطيف محمد بن سويلم، وما قد يؤدي اليه موقفه الطائش من عواقب وخيمة.

لم يكن الملك جاهلاً بما يجري، فقد شعر بخطورة إنفلات المنطقة من يده في وقت هو احوج ما يكون إليها، فهي لاتزال – رغم سقمها ومرضها – البقرة الحلوب لمعظم إيرادات مملكته، وابن سعود يعرف بحكم خبرته الطويلة مع بريطانيا، انها وان وقفت معه هذه المرة كما في المرات السابقة، إلاّ انها قد تنتهز الفرصة بما يتناسب ومصالحها، وقد يعطي وجود المعارضين في البحرين فرصة لذلك.

هنا كتب الملك رداً على رسالة الخنيزي مهدداً ومقترحاً إرسال وفد رفيع المستوى يضم حافظ وهبة ومحمد العجاجي وفؤاد حمزة لحل الامر، وطالب بتهدئة السكان...وهذا هو نص الرسالة :

"من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل، إلى جناب الشيخ علي الخنيزي، والسيد ماجد والسيد حسين [67]، وعبد الله بن نصر، وعبد الله بن راشد، ومهدي الجشّي، وحسن الشماسي، ومنصور الزاير، السلام.

وبعد..تلقينا خبر أهل العوامية، أظن أن هذا دبور من أهل القطيف أو فسقة، لان ممشاهم هالزمان ممشى المغرور، ولكن من عادتنا التروي في الامر، وأيضاً إبن سويلم طلبنا في الأمر الفائت أن نتركه.والمسألة الأخيرة كثير كدرت خاطري، واحتيمت بالفعل اللازم، وثبت عندي لو أن هالجهال فيهم خير كان سلكوا طريقتكم، واخذوا نصائحكم، [68]موجب أني أخبر سيرتكم مع الولاية، ونصحكم الذي ما يخفى علينا، بموجب ذلك عمدنا الشيخ حافظ وفؤاد

---

[67] هما السيد ماجد العوامي وشقيقه السيد حسين العوامي المولود سنة ١٢٧٨هـ المتوفى سنة ١٢٥٨

[68] المقصود أنه كان من الافضل زيادة العرائض إلى المسؤولين والحديث اليهم لرفع الظلم، وهذا النوع من الحديث لا يزال يردده أبناء المملكة، غير أن الكثيرين يتساءلون عما جناه المواطنون من رفع العرائض والالتماسات واللقاءات خلال السبعين عاما الماضية ؟..فلو كان هناك عزم لحلحلة الامر لتم منذ زمن بعيد، وما كانت انتفاضة المرحوم الشيخ النمر ولا الانتفاضات المتعاقبة إلاّ بسبب إنسداد طرق الحل امام المواطنين.

حمزة ومحمد العجاجي، تنظرون أنتم وإياهم في المسألة..إن كان الامر أنه بغير الصورة التي توقعناها، فأنا مفوضهم في الامر، وانتم محل الروح لابد تراجعون في الامر الذي فيه صلاح للولاية والرعية، فإن كان الامر غوغاء وبطر، فدوى ذلك عندنا ونعرفه إن شاء الله [69].

المقصود أخبرت الجماعة يعجلون علي الخبر، غاية لأني على جناح سفر وايضا التجيز ما نحب نتمادى فيه، إذا ما كان له سنع، إحسموا الامر وإياهم بما فيه إن شاء الله صلاح للولاية، وستر لأهل القطيف، والا نعذر (وربما صحت الأبدان بالعلل)، ولا يتحسف إلاّ فاعل السوء..هذا والسلام.

٣٠صنة ١٣٤٨هـ

ختم [70]

وتبع هذا أن جاء الملك عبد العزيز بنفسه إلى الجبيل ـ شمال القطيف ـ، واستدعى أميره عليها وكذلك بعض أعيان القطيف، واستمع إليهم واستمعوا إليه، ثم قرر أن يصدر عفوا عاماً عمن سافر إلى البحرين، كما أمر بإعادة النظر في مجمل الضرائب، واصدر عفوا عن المشاركين في الانتفاضة المسلحة، شرط أن يسلموا السلاح على مراحل إلى الحكومة. وطلب الملك من عمد المدن والقرى بالسفر إلى البحرين لاقناع الهاربين بالعودة، فرجع بعضهم ورفض البعض الآخر إلاّ إذا ضمنت بريطانيا الاتفاق، وقد منحت بريطانيا وثائق حماية لبعض الهاربين كضمان لعدم التعرض اليهم بسوء، ولكنه ثبت انها عديمة الجدوى، حيث كان هم المعتمد البريطاني في البحرين التخلص من النازحين باي صورة كانت، منعاً لتفجر الاوضاع في البحرين نفسها.

فأمير القطيف الأرعن لم يقم فقط بسجن الذين شملهم العفو من المشاركين في الانتفاضة، بل وقام بجلدهم امام الملأ العام أيضاً..وزاد على ذلك أن من جاء بمذكرات الحماية تم جلده أيضاً بـ " خضر" النخيل، حتى أن بعضهم ماتوا تحت التعذيب، ومن بينهم المرحوم عبد الرحيم بن احمد من (أم الحمام).

وتذكر وثيقة بريطانية أنه في أوائل ١٩٣٠ (أواخر ١٣٤٨هـ) كان العديد من السكان في الاحساء قد هربوا إلى البحرين في اعقاب "فرض ضرائب منهكة ـ مزعومة عليهم !.ـ وبعد أن تم ترقيع الأمور وتسويتها بشكل مؤقت، عاد اللاجئون إلى بلادهم، وكان بعضهم يحمل أوراق هوية بحرانية منحت لمن اعتبر منهم مؤهلاً للاعتراف به مواطناً بحرانياً، بعد هذا نشأت حالات من سوء المعاملة والمصادرة بالاكراه، قامت بها السلطات النجدية للاستيلاء

---

[69] أي أن دواء ذلك عندنا ونعرفه، وهو القمع بالسلاح!.

[70] في ذكرى الزعيم، مصدر سابق، ص ١٣٦

على الهويات الصادرة في البحرين، وفي احدى الحالات قيل أن احد الاشخاص اعتقل وجلد لأسباب كاذبة، وقد تم إطلاق سراح هذا الشخص نتيجة نشاط محلي ــ أي بناء على نشاط من قبل الأهالي ــ " [٧١].

وبالطبع هناك قسم ثالث رفض العودة لعدم ثقته بوعود الملك وبوعود الإنجليز، وفضل البقاء في البحرين، منهم على سبيل المثال محمد بن صالح عجاج (صفوى)، والذي توفي في البحرين عام ١٩٨٦، واقيمت له الفاتحة في حسينية المهدية في مسقط رأسه.

ومن بين من رفض العودة من نفس المدينة، علي محمد قريش، وسلمان بن أحمد قريش، وعبد الله بن عبد اللطيف، إبن عم التاجر المعروف المرحوم علي لطيف...ومنهم أشخاص من آل فريد وآل مؤمن...وبقي من القطيف كثيرون في البحرين من عائلة الجشي والشماسي، وغيرهما من الأسر المشهورة.

ورداً على عنجهية أمير القطيف إبن سويلم، والتي واجه بها الأهالي...سافر وفد من أهالي القطيف ضم فيمن ضم :حسين بن علي بن سلمان الفرج، وأمين بن علي بن ناصر النمر، وعلي بن حسن الزاهر، وكلهم من العوامية..كما سافرت وفود أخرى من القطيف هدفها الضغط على الملك لعزل أميره محمد بن سويلم..فأمر الملك رغبة في إستتاب الوضع أن يقيل أميره على القطيف، وان يصدر عفواً عاماً عن السجناء..وهكذا انتهت الانتفاضة ولم تحقق إلاّ امرا واحدا: هو تخفيف الضغط الضرائبي الرهيب الذي تحمله الأهالي لعقود طويلة من الزمن.

الحصار الإقتصادي للكويت (١٩٢١ــ ١٩٤١)

أن أغلب البضائع القادمة لمملكة إبن سعود تأتي عن طريق البحرين والكويت، وكانت الكويت تفرض على صادراتها لنجد ضريبة مقدارها ٤%، وعلى البضائع العابرة ــ الترانزيت ــ إلى نجد ٢،٥ % [٧٢]..اما البحرين فكانت تفرض ١٠% على بضائعها المصدرة لميناءي القطيف والعقير أيام العهد التركي، وحين احتل إبن سعود الاحساء، فإن الشيخ عيسى بن علي آل خليفة أعادة الضريبة كما كانت سابقاً لتصل في اقصى الأحوال ٥%، فكانت في الواقع بين ٢ــ ٥ %..اما البضائع المعاد تصديرها، فانها لم تزد عن ٢%.وكان تخفيض الضريبة "مساعدة من الشيخ عيسى لابن سعود "، ومع هذا فإن الاخير وجد أن الضريبة

---

[71] الوثيقة E 2485 مؤرخة في ١٨ ابريل ١٩٢١وموجهة من وزير بريطاني المفوض في جدة السير أندرو رايان إلى وزير الخارجية البريطاني أ هندرسون، وكان رايان قد طلب منه أن يثير موضوع احترام هويات الامارات الواقعة تحت النفوذ البريطاني المباشر

[72] الخليج العربي " ١٨٤٠ــ ١٩١٤"، ص ١٠٨

كبيرة، فأراد في الظاهر أن يخفف على التجار السعوديين على حساب عيسى بن علي، فطلب من اليمجور ديكسون أن يقنع الشيخ عيسى بان يخفض الضريبة إلى ٢،٥ % [٧٢].فاذا ما خفض شيخ البحرين الضريبة، فانها ستذهب تلقائياً لجيب إبن سعود، وليس إلى المستهلك أو التاجولى أن من المهم الإشارة إلى أنه بعد سقوط الاحساء واستقرار حكمه فيها، فكر إبن سعود بإنعاش الموانئ في القطيف والعقير والجبيل، وكانت الحجة أن الكويت والبحرين تتسلمان ضرائب كبيرة، وانه سيبني ميناء الجبيل في عمق جيد من اجل زيادة ضرائبه [٧٤].وتأزم الموقف بين إبن سعود والشيخ عيسى لأن الاخير لم يعف بضائع الملك الخاصة من الضرائب، ولأن إبن سعود كان يريد إلغاء ضرائب الترانزيت، وهذا جعل فؤاد خمزة يهدد بإنشاء ميناء رأس تنورة كعقاب، واشتكى إبن سعود المقيم في بوشهر (بيسكو) من هذه الضرائب [٧٥].

وأمام إصرار الشيخ عيسى، بدأ إبن سعود بالتدخل في شؤون البحرين، واستغل فيما بعد مشكلة الدواسر وتعدياتهم ضد الغالبية السكانية في الجزيرة..وحتى ذلك الحين كان لدى وزارة المستعمرات البريطانية أوراق ضغط عديدة منها راتب الدعم الذي لم ينقطع بعد، ومنها خنق موانئ إبن سعود بمنع وصول السفن المحملة بالبضائع إلى موانئه..لكن وزارة الهند رأت أن تدخل إبن سعود في شؤون البحرين انما يرجع أساسا إلى تأزمه المالي وحاجته إلى موانئ بلاده..واقترحت أن تخطر شركات البواخر البريطانية باتخاذ ميناء القطيف مركزاً لها، وإن كان ذلك سيؤثر على مصالح الكويت والبحرين [٧٦].

وأخيراً وبضغط بريطاني قوي، وافق الشيخ عيسى في مارس ١٩٣٥على إعفاء بضائع الملك من الضرائب، وعلى إلغاء الضرائب التي لا تطأ بر البحرين، أما التي يعاد تصديرها بعد نزولها البر، فلا تزيد ضريبتها عن ٢%، ثم عاد الملك وطالب بتخفيض نسبي في ضرائب الترانزيت، وان يؤخذ بنظام المانفيست [٧٧].

هذا بالنسبة للبحرين، أما الكويت فمشاكلها كانت اكبر، ووقعها على المواطنين أشد..فالعلاقات السعودية ــ الكويتية توترت بشدة أواخر عهد مبارك الصباح، وقيل أن ما منع الحرب بين البلدين هو موت مبارك نفسه..ولما تولى سالم الصباح الحكم، تفاقمت الأمور لأسباب مذهبية واقتصادية وحدودية...فالمعروف عن سالم أنه كان يكره الوهابيين وتعصبهم،

---

[73] انظر الوثيقة FO 371-2766B من المعتمد السياسي في البصرة بتاريخ ١٤ اغسطس ١٩١٦و عنوانها (البضائع بين الكويت والبحرين ونجد).وانظر الرميحي، مصدر سابق، ص ١٠٧

[74] الوثيقة السابقة، وانظر الخليج العربي (١٨٤٠ــ ١٩١٤) ص ٢٢٢

[75] الخليج العربي (١٨٤٠ ــ ١٩١٤) ص ١٠٦

[76] المصدر السابق، ص ٢٢٠

[77] المصدر السابق، ٢٢٥

وكان أكثر إلتزاماً من أبيه، وشهد أكثر من مؤرخ له بالحمية الدينية، وفي عهده نشأ الخلاف حول قرية ودوحة بلبول واللتان ترى الكويت أن حدودها تنتهي عندهما، بينما اعتبرها إبن سعود "من أراضي القطيف "، واسرع فابتنى فيها هجرة لقبيلة مطير سنة ١٩١٩م، ثم جاءت معارك حمض والجهراء سنة ١٩٢٠بين البلدين، حيث حوصرت القوات الكويتية في القصر الأحمر، وعرض فيصل الدويش شروطاً للصلح أولها :ترحيل الشيعة من الكويت، والعودة إلى الإسلام، وترك التدخين، وتكفير الترك، رغم إنهزام الإمبراطورية العثمانية وانتهائها، وهدم المستشفى الامريكي، وإخراج القنصل البريطاني..وبعد إتصالات بين الإنجليز وسالم الصباح دامت ثلاثة أيام، وافقت بريطانيا على إرسال قوات بحرية وجوية لحماية الكويت.

وقبل أن يوافق بيرسي كوكس في مؤتمر العقير سنة ١٩٢٢على إعطاء ثلثي الكويت لإبن سعود، كتب الأخير رسالة إلى الشيخ أحمد الجابر سنة ١٩٢١(رجب ١٣٤٠هـ) موضحاعزمه على منع رعاياه وقبائله من (مسابلة) الكويت وصرفهم إلى مسابلة موانئه التابعة له في الاحساء، وأشار إلى اضطراره لهذا الأمر، وأنه لن يتنازل عن عزمه إلاّ إذا وافق شيخ الكويت على استقبال موظفين يجبون الضرائب على البضائع المصدرة لبلاده، وخيّر الشيخ بين ثلاثة أمور : أن يعين موظفين سعوديين يعملون لحساب إبن سعود يجبون الضرائب له، أو أن يدفع من خزينته مقابل قيمة الرسوم، أو أن يتم تعيين موظفين من عنده لجبي الضريبة [78].

وواضح أن طلبات إبن سعود غير منطقية، إلاّ إذا كانت الكويت جزءا من مملكة إبن سعود، وقد رفضها شيخ الكويت حماية لمصالح بلاده، في حين اختلف تجار الكويت حول الامر ــ وإن كانت الأكثرية لم تشأ أن تفتح الكويت للأخوان لأنهم سيشيعون الفوضى والاضطراب، وكانت هذه الأكثرية تخشى أن يكون هدفه أبعد من الرسومات [79].

أما خلفية القرار، فإن احد التجار من آل القصيبي إلتزم بجمرك الاحساء، مقابل دفع مبلغ للملك يقدر بـــ ٧٢ألف جنيه سنوياً، شرط أن يمنع التجار مع الكويت، فأجيب طلبه، وكان لأسرة القصيبي الأثر الأكبر في الضغوط على إبن سعود للتشدد في سياسة الحصار الاقتصادي مقابل تحويل التعامل التجاري إلى موانئ المنطقة لصالحها.

وواضح أن سياسة الحصار للكويت ذات تأثير سلبي على الطرفين، ولكن إبن سعود المندفع لتحقيق مصالحه الشخصية، لم يهتم بما يجري من بلاء على مواطنيه ولا إلى ما يصابون به من بوار، فالملك لم يكن يعنيه إنعاش الموانئ وإنما خزينته، ولربما قبل أن حركة

---

[78] عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ٦٧، ٦٨.وانظر الخليج العربي " ١٨٤٠ــ ١٩١٤" ص ١٠٧

[79] المصدر السابق، ص ٦٩

التجارة قد تضاعفت، ولكن ضريبة الملك تضاعفت في الحقيقة حتى وصلت السلع في اسعارها إلى أربعة أضعاف ما كانت عليه.ومن الطبيعي أن امر إبن سعود البات بمنع التعامل، وحتى مجرد زيارة الكويت، وتهديده بقمع المخالفين، ومصادرة بضائعهم...قد سبب إستياءا شديداً لدى جميع الرعايا، بل "أن التجار النجديين كانوا هم الذين يخترقون أنظمة إبن سعود وعامله عبد الله جلوي ".ويشار هنا إلى أن الحصار أدى إلى أن "طفرت الزيادة في إيرادات جمارك الاحساء في القطيف والجبيل وداربن إلى عشرة أضعافها، وبلغ الامر بعبد الله بن جلوي عامل إبن سعود في الاحساء، أنه كان يرسل فرقاً مسلّحة من رجاله إلى الجهراء وغيرها من المقاطعات الكويتية لمصادرة قوافل التجارة النجدية "[80]..وكان لطفرة إيرادات الجمارك التي عشرة أضعافها دور كبيرة في تعنّت إبن سعود، فحين أرسل حاكم الكويت ولي عهده عبد الله السالم لمفاوضة إبن سعود، اصر الأخير على أن يحصل على نصف رسوم الجمارك الكويتية..بل أن فيلبي الذي يعبِّر في مواقفه وتصرفاته عن رأي إبن سعود أعلنها صراحة في لندن حين التقى بديكسون في اكتوبر ١٩٣٢، بان من السخف أن يظن بأن إبن سعود سيرفع الحصار، وان الملك لن يتزحزح قيد أنملة إلاّ إذا وافق حاكم الكويت بأن تكون إمارته تحت السيادة السعودية [81].

وحتى الأخوان – جيش التوحيد !– كانوا من أشد معارضي سياسة فرض الحصار، ومعلوم ما قاله الزعيم الإخواني فيصل الدويش للملك : إذا كان الكويتيون مسلمين فلماذا نقاطعهم، وإذا كانوا كفاراً فلماذا لا نحاربهم ؟..كما رفض الإخوان إقامة مراكز حدودية في هجرهم، ولما أندلعت ثورتهم أصبح إبن سعود أقل ميلاً في فرضها عليهم تهدئة لثائرتهم، ولكن وبمجرد أن هزمهم تحولت هجرة قرية العليا إلى مركز جمركي بين الكويت ونجد.

لم يكتف إبن سعود بهذا فحسب، فبعد اقل من عامين، وطمعاً في زيادة الإيرادات، أبلغ حاكم الكويت في رمضان ١٣٤١هـ، أنه سيضع رسماً على سفن الغواصين الذين ترسو سفنهم في القطيف وداربن والجبيل، ففاوض الأمير الكويتي أصحاب الغوص، ووجد انهم لم يهتموا بالأمر لأنهم ليسوا مضطرين للنزول..وقد أطلق إبن سعود على ضريبته هذه اسم " المطرحانية "، وكانت تشكل عبئاً كبيراً على من يضطر لدفعها، اذ بلغت مائة روبية هندية على كل سفينة كويتية، كما انها لم تقتصر على السفن القادمة لموانئ إبن سعود، بل تعدتها إلى الموانئ الداخلة ضمن الحدود الكويتية، إذ كان محصّلو هذه الضريبة من السعوديين يصلون إلى رأس مشعاب، الذي اصبح في الوقت الحالي تابعاً للمملكة السعودية..كما فرضت

---

80 الخليج العربي " ١٨٤٠ – ١٩١٤" ص ١١٠

81 المصدر السابق، ص ١٢٢، ١٢٤

المطرحانية على الطواشين (تجار اللؤلؤ) والغواصين، الامر الذي ادى إلى انقطاع السفن الكويتية عن المجئ إلى موانئ الحاكم السعودي، فألغاها في العام التالي [٨٢].

وغني عن القول بأن تشديد إبن سعود في الضرائب على غير رعاياه، هو اقل بكثير مما كان يجريه على رعاياه انفسهم.

وجرت محاولات عديدة لفك الصحار فشلت امام إصرار الحاكم السعودي..وفي فبراير ١٩٣٢التقى المقيم البريطاني في بوشهر – الكولونيل بيسكو– مع إبن سعود في العقير وناقشا مسألة الحصار، فأوضح المقيم بان الوضع الاقتصادي في الكويت كاد يصل إلى دمار شامل، وان عائدات الجمارك انخفضت من ٨الى ٢ لاكه سنويا وهنا ابدى إبن سعود "شدة احتياجه للمال على الرغم من أنه يقتصد في نفقاته ونفقات أسرته التي لا يسمح لها إلاّ بمخصصات ضئيلة..وأقسم أنه لا يملك مالاً كافياً لطعامه أو ملابسه "[٨٣].

وفشلت محاولة أخرى لحل الأزمة في يوليو ١٩٣٢، حينما زار الأمير فيصل وفؤاد حمزة الكويت ولم يمض سوى شهر ونصف على الزيادة، حتى زادت إجراءات التشديد أثناء ثورة إبن رفادة، ووصلت قوات عسكرية من إبن جلوي إلى قرية العليا لمطاردة القبائل المتجهة للكويت[٨٤]. وفي نفس العام اقترح شيخ الكويت إعتماد نظام المانيفست، وحينها سيصبح من السهولة على حاكم الرياض جباية الضريبة من القوافل النجدية حينما تعود من الكويت، ولكن إبن سعود رفض الامر، وهذا دعا المقيم أن يطلب من وزارة المستعمرات أن تضغط بحصار موانئ إبن سعود، ومنع السفن التجارية من دخولها والتوقف فيها.

عادت الأمور وتأزمت من جديد حينها أعاد إبن سعود عام ١٩٣٣الضرائب المفروضة على سفن الغوص الكويتية، وظهرت منه عدة تصريحات يبين فيها عزمه على إلحاق ضربة إقتصادية بالكويت معتمداً في ذلك على رعاياه من النجديين المقيمين فيها، وأعلن صراحة أنه بدأ حصاره التجاري بهدف تحطيم الكويت "ولكنها لا زالت قائمة رغم الإعياء الشديد..وهو لذلك سيتخذ الوسائل اللازمة لارغام الكويت وشيخها على الخضوع لسيادته "[٨٥]...ومن جانبه فإن شيخ الكويت أبلغ المعتمد البريطاني لديه (ديكسون)، أنه حينما يموت إبن سعود، فسيضع يده على جميع الجزء الشمالي الشرقي من الاحساء حتى دوحة بلبول، وان إبن سعود وحتى لو مكن الأميركيين في هذه الجهات، فإنه – أي شيخ الكويت – سيطردهم منها "[٨٦].

---

[82] المصدر السابق، ص ١٠٩ وعبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ٢٨٢

[83] المصدر السابق، ص ١١٦، ١١٧

[84] المصدر السابق، ص ١٢٢

[85] المصدر السابق، ص ١٢٤

[86] رسالة من ديكسون إلى المقيم في بوشهر في الثلاثين من يونيو ١٩٣٢

وكان من رأي ديكسون : ان حكام الكويت عمدوا إلى تخفيض الضرائب التي يتحصلون عليها لتشجيع حركة التجارة في بلادهم، اذ أنهم لا يفرضون اكثر من ٤%حتى لا تتحول التجارة عن موانئهم، كما يفعل إبن سعود في الموانئ التي خضعت لسيطرته على سواحل الاحساء، وأشار ديكسون إلى أن أي شخص لديه إلمام بالظروف المحلية يعرف جيداً أن استمرار الحصار السعودي للكويت سيكون أنكر قبولاً لتجار الكويت من إذعانهم لمطالب إبن سعود الخاصة باحكام سيطرته على الكويت، إذ أن هؤلاء التجار ـ تحت نظام الحصار السعودي القائم ـ في إمكانهم رغم ذلك ممارسة نشاطات تجارية، حتى لو تحولت هذه النشاطات إلى تجارة للتهريب، ولكنهم سيفقدون هذه التجارة من أساسها وستتعرض مصالحهم للضيع تماماً في حالة خضوع الكويت للسيطرة السعودية المباشرة [87].

مهما تكن الحال، فأن إبن سعود بقي على إصراره حتى قيام الحرب العالمية الثانية، وتدفق المساعدات البريطانية والأميركية..وبومها بدأ الوضع الاقتصادي يختلف بشكل كلي عن وضعه التقليدي السابق، وحينها فك الحصار الذي لم يكن يعني شيئاً في ذلك الوقت، فقد استنفذت أغراضه حتى النهاية عام ١٩٤٢م.

ازمات تتابع

مع نهاية العشرينات الميلادية بدأت ملامح الأزمة الاقتصادية والكساد العالميين تلقي بظلالها السوداء على مختلف بلدان العالم..وبالنسبة لمملكة إبن سعود، فإن هذه الأزمة قد نقلتها إلى مدارج الافلاس التام، ساعدها على ذلك الاضطرابات السياسية التي لم تشهد البلاد ـ وحتى ذلك التاريخ ـ مثيلاً لها، إضافة إلى سوء الادارة وتفشي الفساد والرشوة ـ وإنهيار العديد من أعمدة الدخل الرئيسية.

فبين عامي ١٩٢٨ـ ١٩٣٣وهي سني الأزمة الاقتصادية العالمية، وقعت ثورة الإخوان ، وثورة النمر في القطيف، وثورة إبن رفادة شمالي الحجاز، كما قامت الحرب السعودية اليمنية حول نجران و عسير، وانهارت مهنة صيد اللؤلؤ بسبب ظهور اللؤلؤ الصناعي، وانخفض عدد الحجاج الذين كانت ضرائبهم ـ ومنذ احتلال الحجاز سنة ١٩٢٤ـ ١٩٢٥ـ تنعش خزينة الملك، بعد إلغاء راتب الدعم البريطاني عنه..الى غير ذلك من المشاكل الاقتصادية.

وأدى إنهيار أسعار اللؤلؤ عام ١٩٢٨الى تسديد ضربة قاصمة للنشاط الاقتصادي في المنطقة، فمحصول اللؤلؤ كان يدر حوالي أربعة ملايين وستمائة ألف روبية سنوياً، وكان هذا الدخل يغري المزارعين في المواسم إلى العمل في الغوص، مما يسبب أزمة في الأيدي

---

[87] المصدر السابق

العاملة، ويصور الاستاذ محمد سعيد المسلم[88] الحالة قبل الكساد وبعده بقوله أن تجارة اللؤلؤ كانت نشطة، وكان التجار يحصلون على أرباح خيالية منها، ويؤلفون الطبقة الرأسمالية في البلاد...فهم الذين يزودون الطبقة العاملة في الغوص بالمال والمؤونة، وهم الذين يبتاعون محصولهم من اللؤلؤ، وهم الذين يصدرونه إلى الهند فيعودون بالمال الوفير معَبأ في صناديق وكأنه بضاعة مستوردة..ولكن القدر نكبهم حينما نشطت زراعة اللؤلؤ الصناعي في اليابان، فقضي عليهم قضاءً مبرماً وأصبح أغلبهم غارقاً في الديون لا يملك شروى نقير، كما قضي بالتالي على هذا المورد الاقتصادي الهام، وأصبحت الطبقة العاملة في الغوص والتي كانت ترفل في بحبوحة من الرخاء طبقة معدومة بائسة [89].

لقد كانت البلاد تعيش طوال سني حكم الملك إبن سعود حالة من الفقر المدقع، ولم تكن المشاكل الاقتصادية العالمية ذات أثر قليل على الغالبية من السكان الذين كانوا لايملكون قوت يومهم..والحقيقة أن منطقة من المناطق لم تسلم من انهيار البلاد الاقتصادي، حتى نجد، المنطقة المدللة بالنسبة للحكم السعودي ــ وقد كان الاستياء فيما سبق يعم مناطق الشيعة وحدها، ولكن مع بداية الثلاثينات لم تكن هناك منطقة إلاّ وكانت تعيش تململاً واضطراباً بسبب سوء الأحوال.

في عامي ١٩٢٦و١٩٢٧لم تظهر بعد آثار المشاكل في الحجاز ونجد، فلا زال الحجاج يتدفقون، ولا زالت مناطق الشرق قابلة للعصر والإبتزاز..وقد قدرت ضرائب الملك الاجمالية سنة ١٩٢٧بمليون ونصف المليون من الجنيهات الاسترلينية، كان نصفها تقريبا قد جاء من الاحساء والقطيف.

غير أنه وفي العام التالي، بدأت ثورة القبائل الإخوانية بالاتساع والتمدد، وراحت تنهب وتهاجم القبائل القاطنة على الحدود العراقية والكويتية، وانضم إليها الكثيرون بهدف الحصول على الغنائم من (الكفار والمشركين..!)..اما إبن سعود، ومنعاً لتسرب قواته، فقد كان لزاماً عليه أن يجد المال لإبقائها موالية، وليس هناك غير الحضر ــ وبالأخص الشيعة ــ.. ولما لم يكف ذلك كان على الإنجليز تقديم الدعم، والا إنفلتت القبائل من عقالها، وهاجمت العراق والكويت وشرق الأردن.وهكذا أعطي إبن سعود السلاح والمال، وحتى الطائرات بغرض قمع الإخوان.

وباستسلام قادة الإخوان، بعد إفناء قواتهم وسجن زعمائهم، سيقت القبائل الهاربة باتجاه الحدود النجدية من قبل القوات البريطانية، وقد استخدمت وثيقة إنجليزية كلمة "سوقها " كما

---

88 محمد سعيد المسلم، ص ٢١٢، ٢١٢

89 النفط واثره على الحياة الاقتصادية في المنطقة الشرقية، الدكتور السبيعي، ص ٩٥، ٩٦، ٩٧

تساق القطعان إلى منطقة المنافيش بالقرب من الكويت وسلمت لابن سعود، ومع أن الغالبية العظمى كانوا من النسوة والصبية، فقد قتل العديد منهم وصودر أملاكهم، حيث امر هؤلاء باخراج ما بحوزتهم من حيوانات فبلغت عدة آلاف من الجمال، "ثم طوق رجال إبن سعود ما تبقى من قطعان المتمردين، وفحصت بشكل دقيق، ثم تمت مصادرة كل الجمال الصالح للركوب، وأمروا بتسليم كل ما لديهم من خيل وصودرت السلاح..وجمعت من القبائل بصفة غرامة وعقاب ما يزيد على الألفين والستمائة منها.وبناء على هذه الأرقام يكون إبن سعود قد استولى على ثلثي الجمال التي كانت بحوزة القبائل الهاربة والعائدة من الكويت، وبما أن الحيوانات المصادرة كانت الأعظم قيمة، فمن المحتمل أن تكون القيمة النقدية التي صودرت منها تعادل قيمة ثلاثة ارباع قطعانها..وبهذا فقد عطلت قدرة القبائل على الحركة نهائياً.اما قطيع الدويش ـ قائد الإخوان ـ المشهور من الجمال السوداء المعروفة بـ (الشرف) والتي كانت تشكل نقطة التجمع الرئيسية لقبيلة مطير أثناء الحرب، فقد استولى إبن سعود على حوالي مائة جمل منها، أهداها لإبنه محمد، ولم يبق منها لدى الدوشان سوى عشرين منها "[٩٠].

وعاد إبن سعود في فبراير ١٩٣٠وصادر ١٧٠٠جمل من هجرة (قرية) شمالي القطيف، والتي سكنتها بعض أفرع مطير..وزاد على ذلك أن إبن سعود (صادر!) زوجة احد الزعماء "فكآخر علامة من علامات الانتصار، تزوج إبن سعود في قرية، زوجة المرحوم عزيز إبن فيصل الدويش الذي قتل قبل ستة أشهر من ذلك التاريخ.ويبدو أن اخذ زوجة العدو هي عادة يمارسها إبن سعود لأنه بعد استيلائه على حائل أخذ زوجة إبن رشيد بنفس الطريقة [٩١]..وكما اخذ الحاكم السعودي وأخوه زوجات عزيز، أخذ وتزوج في ذات الفترة أختين لخالد بن محمد السمحان، وهو لأجئ في بغداد، ولما جاء والد زوجة فهد بن حثلين لاعادة عائلة ابنه فهد، وهو احد قيادات التمرد، والمكونة من شقيقته ووالدته وطفله، رفضت السيدتان العودة، ونصبتا خيامهما قرب آبار الشامية خارج الكويت [٩٢].

وهكذا أصبحت القبائل مهيضة الجناح بعد هزيمة الإخوان، غير قادرة على الاحتجاج أو إعلان التذمر..فبعد بضعة أشهر من الهزيمة، قام الشيخ إبن مقراد زعيم فرع (المحفوظ) من قبيلة العجمان بجمع الزكاة من ابناء قبيلته بناء على أوامر عبد الله بن جلوي، فتم جمع الزكاة

---

[90] الوثيقة E 2578-1-91، تقرير مؤرخ في ١٩مايو ١٩٢٠، ويغطي الفترة الواقعة بين الأول من ديسمبر ١٩٢٩، وحتى الخامس عشر من يناير للعام التالي، وضعه الكابتن غلوب باشا عن هزيمة الاخوان

[91] المصدر السابق

[92] الوثيقة 91 – 1 – E 5776 في ٢٤ اكتوبر ١٩٢٠من المعتمد السياسي البريطاني في الكويت (ديكسون) إلى المقيم في بوشهر في سبتمبر ١٩٢٠

بنجاح تام، أي بدون مشاكل، وحاول إبن مقراد إقناع قادة العجمان بملاقاة إبن جلوي في الهفوف إلاّ انهم رفضوا خشية القتل [٩٢].

خلال هذه الفترة لم يبد تحسن في معاملة الشيعة بعد الاتفاق الذي عقده حافظ وهبة وفؤاد حمزة مع أعيانهم في أعقاب انتفاضة الشيخ محمد النمر..فكتب مجموعة من الوجهاء إلى الملك في ١٥رمضان سنة ١٣٥٠هـ / أوائل سنة ١٩٣١م، يشكونه سوء الأحوال، فرد عليهم بأنه فهم الامر وليس بإمكانه عمل شيء..وهذا نص جوابه :

"عدد ٧٦٥

من عبد العزيز بن الرحمن الفيصل، إلى جناب المكرم عبد الله بن نصر الله، وعبد الله بن حسين بن نصر..أهل سيهات، واحمد بن حسين الفرج..أهل العوامية، سلمهم الله تعالى.

السلام عليكم، ثم وصلت عريضتكم المؤرخة في ١٩شهر رمضان سنة ١٣٥٠، واطلعنا عليها، وما ذكرتم عن الأحوال عندكم فهمناه، ونحن يهمنا جداً النظر في أحوالكم وما يصلحها، وهذا شيء جاعلينه على البال، ولكن هذا الوقت لا يمكننا عمل شيء..[٩٤]احوال الوقت كما ترون على الناس عامة، ولا بد إن شاء الله بالوقت المناسب ننظر في أحوالكم جميعها ويكون ما فيه الخير وراحة للجميع، إن شاء الله نرجو الله يقدر ما فيه الخير وحسن العاقبة، هذا ما لزم بيانه والسلام. ٢١شهر رمضان سنة ١٣٥٠هـ "

استفحلت الأزمة الاقتصادية عام ١٩٣١، وتزايدت التقارير التي تتحدث عن روح قلقة ثائرة شمال الحجاز وحائل، إضافة إلى جدة ومكة المكرمة والمدينة المنورة، وعد البريطانيون هذه المدن مراكز محتملة ومهيأة للثورة، لأسباب دينية واقتصادية.."فابن سعود بنظر وهابي المدرسة القديمة ليس متطرفاً بما فيه الكفاية، وهو مفرط بالغلو الوهابي بنظر الحجازيين وغالبية المسلمين الذين يؤمون الحجاز للحج، وان تدنيس الأضرحة والمقامات وانتهاك قدسيتها منذ الغزو الوهابي، هو مصدر شعور عارم بالغضب "[٩٥].

أما الضائقة الاقتصادية فلم تفلت الحجاز من آثارها العالمية، حيث انخفض عدد الحجاج عام ١٩٣١ إلى اقل من نصفهم عن العام الذي سبقه، بحيث لا يمكن للملك بأن يستوفي ضرائب اضافية من مواطنيه المدقعين، تعادل ما كان يقبضه من ضرائب الحجاج، ومشكلة للملك أنه كان يصرف اكثر مما يأتيه من دخل، "فهو وعائلته مبذرون مسرفون، مما يسبب الكثير من التعليقات المضادة، وقد علق احد الحجاج على سوء الإضاءة في مكة وقارنها

---

[93] المصدر السابق

[94] كلمة غير مفهومة

[95] الوثيقة 1600 -3267 E، تقرير مؤرخ في ٢٢يونيو ١٩٢١، ارسله الوزير البريطاني المفوض في جدة السير أندرو ريان إلى وزارة الخارجية البريطانية في ٢٨مايو ١٩٢١

بأجهزة الإضاءة في القصور الملكية، وتساءل عن المستند الشرعي الذي يسوغ الملك بان يتقاضى للاغراض المتفرقة ولسداد نفقات الدولة، أموالاً يأتي بها المسلمون لأداء واجب ديني هو الحج، أن البذخ والاسراف الملكي في مجال الانفاق الشخصي كان يمكن أن يمر بدون ملاحظة، لولا أن الطلبات الملكية للاغراض الأخرى هي من الضخامة بحيث تستنزف كل مورد "[٩٦].

ونتذكر هنا أن هذا الاسراف كان قبل ظهور النفط، فما كان يؤخذ من المواطنين بالقسر والجبر والاكراه، ينفق على العائلة المالكة وحاشيتها، وبدل أن تذهب الضرائب المفروضة على الحجاج لتعمير الأماكن المقدسة، كانت تصرف على الملذات واللهو، على أن هذه الضرائب كانت تلقى الكثير من التذمر من حجاج كانوا يجمعون بعض المال لعشرات السنين من اجل اداء الفريضة، فيأخذها إبن سعود بحجة أو بأخرى..وكانت تذمر الحجاج الشيعة اكبر، ذلك أن التمييز الطائفي فرض عليهم أن يدفعوا أكثر من غيرهم بمقدار سبع روبيات، وهو مبلغ كبير بحساب ذلك الوقت، وبلحاظ فقر هؤلاء الساحق، وقد اشتكى احد القضاة الشيعة الهنود واسمه (إسحار حسين) من أن الحكومة السعودية تتقاضى مبلغ سبع روبيات إضافية من كل حاج شيعي بحجة " أننا بحاجة إلى حماية أكبر، فاذا كانت مثل هذه الحماية ضرورية نتيجة سلوكنا وتصرفاتنا، فإنه من الممكن تبريرها..اما إذا كانت الحاجة إليها تنبع من تعصب وتحامل الطائفة الوهابية الأخرى، فإن تلك الطائفة وليس الشيعة هي التي يجب أن تفرض عليها الغرامات "[٩٧].

وأعد نائب مساعد القنصل البريطاني في جدة إحسان الله، وهو هندي، تقريراً مخابراتياً عن الأوضاع في مكة قال فيه : أن حالة الضيق النفسي بادية على محيا السكان "يزيد في حدتها فرض الضرائب الإضافية على الحجاج، مما ادى إلى تقلص أعدادهم فتأثرت حركة السوق، وحرم الناس من مداخيلهم..وبقدر ما فإن كل شخص في مكة يعتمد بصورة مباشرة ام غير مباشرة على الحج كوسيلة من وسائل حياته وإعالته، وقد وضع الناس في حالة من المصاعب إلى الحد الذي دفعهم للحقد بسبب نهب أموال الحجاز وإرسالها إلى نجد "وقال مساعد نائب القنصل "إن هذه المشكلة الاقتصادية الحادة والمأساوية استحوذت على كل انتباه السكان.. وان إبن سعود وبدلاً من التعاطف مع رعاياه وإيجاد وسائل لتحسين أحوالهم، راح يجرح مشاعرهم عن طريق إحياء هيئة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر "[٩٨].

---

[96] الوثيقة السابقة

[97] الوثيقة E4173-25 مؤرخة في ١٢اغسطس ١٩٢١، وتتضمن الوثيقة شكوى إسحار حسين إلى القنصل البريطاني في جدة المؤرخة في ٦يونيو ١٩٢١، وعنوان الوثيقة "معاملة الحجاج الشيعة في الحجاز "

[98] الوثيقة E 4597-1600-25، مؤرخة في الثامن من سبتمبر ١٩٢١، تقرير احسان الله مؤرخ في ١٤اغسطس ١٩٢١

"أما التبغ والسجائر التي تفرض عليها الحكومة الوهابية رسوماً جمركية باهظة، فهي مصدر مشكلة أخرى يعاني منها اصحاب المحلات وزبائنهم، فما أن يعثر على هؤلاء يشترون أو يبيعون هذه البضائع المحرمة، حتى يقعوا الضحية الغضب النجدي والإهانة والتحقير، من الصعب فهم لمنطق الوهابي، وما يقولونه عن مبدئهم الغريب هذا..من الغريب المدهش انك تلاحظ انهم في حين يمنعون بيع التبغ في الحجاز، فانهم لا يترددون من ناحية أخرى في جني الأرباح والعائدات من الضرائب المفروضة عليه، ثم يعرّضون المشتغلين في هذه التجارة القانونية لمعاناة التحقير والإهانة "[99].

وقال إحسان الله بان الظلم والطغيان والاضطهاد لا يعرف حدوداً وفي كل اتجاه، وان افراد الشعب بدأوا بالنشاطات السرية، وقدم نموذجاً من المنشورات التي وزعت في مكة قائلاً بأن غضب واستياء الشعب قد بلغ اقصى مداه، وان كل الحجازيين ـــ البدو والحضر ـــ هائجون بغضبة عارمة، وان شرارة صغيرة واحدة قد تسبب حريقاً هائلاً.

وكتب الوزير المفوض لبريطانيا في جدة، السير أندرو رايان، إلى السير جون سيمون في خارجية لندن في التاسع والعشرين من ديسمبر ١٩٣١، تقريراً عن الوضع السياسي في مملكة إبن سعود، قائلاً بأن الاخير وجّه نداءاً قوياً في يونيو ١٩٣١ إلى السلطات البريطانية، حاثاً إياها بان تشجع احد البنوك البريطانية لمنحه مساعدات مالية، وقد طرق الملك أبواباً أوروبية أخرى بما فيها ألمانيا والاتحاد السوفياتي وهولندا، وقد تأكد الملك أن بريطانيا والدول الأوروبية الأخرى ـــ عدا الاتحاد السوفياتي ـــ لن تبدي اية استعداد لمساعدته، وقد فشل تسوله ـــ كما تقول الوثيقة البريطانية ـــ لبناء قوة جوية له[100].

وقال رايان، بأن المدن لها من أسباب التذمر ما يكفي ويزيد، وكذلك القبائل التي بدأت تعبر عن استيائها وعدم رضاها، بل أن سيطرة إبن سعود على نجد ليست كما كانت في الماضي، وهي المنطقة التي يحكمها بسخاء شديد، وقد بدأ السخط والإستياء يعمها، وهناك روايات مؤكدة عن حالات سخط "بسبب الضرائب الاضطهادية الباهظة والمرهقة، وبسبب عدم دفع رواتب الجنود النجديين العاملين في المناطق الأخرى كتبوك، وايضا بسبب فرض الأتاوات العينية على التجار، ومحاولة فرض استخدام الريال الحجازي غير المحبوب للتداول.وأخيراً بسبب ما سمي بالاصلاحات التي سنتها بعثة الطويل في الاحساء "[101].

وإذا كان هذا حال نجد الموالية، فكيف بحال مقاطعتي الاحساء والقطيف، واللتان تحملتا من المشاكل الاقتصادية، والإرهاق المادي أكثر من أي منطقة أخرى ؟وبحسب تعبير احد

---

[99] الوثيقة السابقة،

[100] الوثيقة 25-62-166 E، في الحادي عشر من يناير ١٩٢٢

[101] الوثيقة السابقة

الكتاب بان المنطقتين "كان لهما أوفر نصيب من الأزمة "[102].لقد أعاد الملك ضريبة الجهاد وبمبالغ أكبر مما سبق، رغم اتفاق مستشاريه مع أعيان الشيعة بإلغائها..بل أن الملك الذي راح يخزن الذهب والحلي والجواهر والريالات الحجازية، فرض ضريبة الجهاد لأول مرة على قبائل الحجاز وقبائل الشمال، رغم أنه ليست هناك حرب، بل وفرضها على بعض سكان نجد، رغم أن الضريبة كانت بالنسبة لهولاء الأقل بين الجميع.

فبينما فرضت عشرة ريالات على الشخص الواحد من النجديين من ابناء القبائل، فإن ما فرض على الشيعة وصل إلى سعين ريالاً، وفرض مبلغ ٤٠٠ألف ريال على المقيمين في المنطقة المحيطة بالطائف وحدها، إضافة إلى مبالغ أخرى من سكان المناطق الشمالية، وقد "احتج سكان الشمال لدى الأمير فيصل بسبب فقرهم المدقع، وعرضوا تقديم الرجال والجمال ــ للحرب ــ بدل الضريبة النقدية..لكن الملك لم يقبل العرض لقلة ثقته بالقبائل الحجازية ". أما التجار في الاحساء "آل القصيبي "، وكذلك تجار عنيزة وبريدة، فقد كان لهم ديون مستحقة على الملك مقدارها ٦٠ألف جنيه استرليني، ولم يكن هناك أي احتمال لاستعادتها، رغم أن ثمانية منهم ذهبوا إلى مكة لملاقاة الملك هناك لتحريك قضية مظالمهم هذه..في حين أكد المستر (هو جل) نائب رايان، بان إبن سعود جمع احتياطي من المال "عن طريق الإبتزاز والإغتصاب "[103].

لم يكن امام إبن سعود من حل لأزماته الاقتصادية إلاّ احد أمرين : إما مواصلة الحروب ضد "الكفار "وما يتبع ذلك من غنائم للقبائل الجامحة..والكفار هنا هم اهل العراق وشرقي الأردن الذين تحكمهما العائلة المالكة الهاشمية، وكذلك اهل اليمن الذين تحكمهم الإمامة الزيدية، والخيار الثاني هو الاستقراض من الخارج، غير أن الدول كما التجار ليست على استعداد لإقراض ملك مفلس، اللهم إلاّ الاتحاد السوفياتي الذي لم يقطع علاقاته بالملك بعد.

بالنسبة للخيار الأول، لم يكن الملك على استعداد للمجازفة بمصادمة البريطانيين في مواقعهم القوية في الخليج والعراق وشرق الأردن..فأراد الاستفادة من العلاقانه مع الروس للضغط على البريطانيين لإعادة راتب الدعم السابق، مقابل قطع علاقات مع موسكو..وفي البدء تلكأ الملك في طرح ما يريده بصراحة مقابل تحجيم أو قطع دابر الوجود السوفياتي من أساسه، لكن حافظ وهبة وفي مارس ١٩٢٨ أبلغ البريطانيين " أن ما يريده إبن سعود هو راتب دعم، وان وضع الملك ضمن واقع الأمور الحالي يزداد صعوبة، فالبدو وقبائل نجد تعيش على الغزو والإقتتال، ولكن هذا إنتهى بعد سيطرة الملك على معظم البلاد، ولم يعد مسموحاً له أن

[102] في ذكرى الزعيم، مصدر سابق، ص ١٢٤، ١٢٦

[103] الوثيقة السابقة

يهاجم الدول شمالاً أو شرقاً أو جنوباً، لأن كل هذه الدول واقعة تحت الإنتداب او الاحتلال البريطاني المباشر..وهكذا لابد من فعل شيء لارضاء العناصر القبلية الجائعة. إن أكثر ما يبقي القبائل خاضعة للنظام هو الهدايا، ومما لا شك فيه بان راتب الدعم السابق الذي كان يدفع لابن سعود، لم يكلف حكومة جلالة الملك البريطاني، إلاّ أقل من النفقات التي يستلزمها نقل القوات والطائرات والسيارات المدرعة وغير ذلك من الإجراءات الدفاعية ضد قبائل نجد الجامحة، والتي يواجه إبن سعود حالياً مصاعب كبيرة في التحكم بها وضبطها[١٠٤].

استطاع إبن سعود في أواخر ١٩٣١ان يعقد صفقة مع الاتحاد السوفياتي بقيمة ثلاثين ألف جنيه استرليني، تشمل تزويد الحكومة السعودية بالبنزين والكيروسين، على أن يسدد المبلغ على شكل أربعة أقساط يفصل بين كل واحد منها شهران..

وقد استطاع الروس تأمين رفع حظر جزئي عن البضائع الروسية، وهو الحظر الذي كان يقوم به الملك مجاناً لصالح البضائع البريطانية القادمة من الهند، والتي لا تستطيع منافسة أسعار البضائع الروسية، إلاّ أن الملك ومع رفع الحظر الجزئي هذا، أخضع البضائع الروسية إلى رسوم تعادل أربعة أضعاف الرسوم المعتادة [١٠٥].

والحقيقة أن مستشاري الملك كانت لهم مصلحة شخصية لعقد الصفقة مع الروس، خاصة وزير المالية عبد الله السليمان الحمدان، الذي إنفرد كما يبدو بمعظم أرباح الصفقة، فتشكل لوبي من المستشارين الاخرين لطرده..حتى فيلبي غضب لأن "دائرة المالية سرقت مخزونه الخاص من البنزين، ووجد أن وضعه المالي أسوأ مما كان يظن، فكتب فوراً إلى عبد الله السليمان بان جزاء السرقة في هذا البلد، هو قطع اليد، وقال فيلبي أن عبد الله هذا يستحق أن يقطع كل جسده قطعاً صغيرة ".

في نفس الوقت تضامن الأمير فيصل وفؤاد حمزة والأخوين الفضل (ابراهيم وعبد الله)لتحطيم موقع عبد الله السليمان، ليس لانه كان يخفيهم جميعاً تحت ظله المديد فحسب، بل "لانه كان قد أفقرهم جميعاً وحرمهم من المدخولات، وقد اضطر فيصل إلى تأجيل نقل ديوانه الصيفي عام ١٩٣١ومنزله إلى الطائف، بسبب نقص الأموال النقدية، أما فؤاد فلم يتسلم راتبه منذ ثمانية أشهر، وأخبر احد موظفي السفارة البريطانية بانه يخجل أن يطالب موظفيه في وزارة الخارجية بالعمل، لانهم أيضاً لم يتلقوا أي راتب منذ أشهر عديدة "[١٠٦].

---

[104] الوثيقة 91-381 -1668 E مؤرخة في ٢٢مارس ١٩٢٨، ومرسلة من سلوين لويد في القاهرة، إلى السير اوستن شامبرلين في الخارجية لندن، وانظر كتاب شيوعيون في السعودية، الاستاذ فهد القحطاني، فهو يحوي تفاصيل رائعة عن اوضاع السعودية الاقتصادية وارتباطها بالبريطانيين والسوفييت

[105] الوثيقة 25- 680- 2429 Eومؤرخة في ١٨ مايو ١٩٢٢

[106] الوثيقة 25 – 2064 -5799 E مؤرخة في ١٢ نوفمبر ١٩٢١، وانظر كتاب شيوعيون في السعودية ص ١٨٠ إلى ص١٨٦

واضطر الأمير فيصل وفؤاد حمزة — وبعد أن رفض الإنجليز تقديم القروض — إلى السفر إلى موسكو في عام ١٩٣٢ لمناقشة إمكانية الحصول على قرض بمبلغ مليون جنيه استرليني، واشترط الروس تقديم القرض على شكل بضائع، وان تعقد معاهدتا صداقة وتجارة بين البلدين، إضافة إلى تخفيف القيود على البضائع الروسية، ومعاملتها على قدم المساواة مع البضائع القادمة من استراليا والهند، وكان لدى الروس شعور بالضيق من عدم دفع الملك أقساط الدين السابق، ولكن الوزير المفوض للاتحاد السوفياتي في جدة، استطاع أن يؤمن رفع حظر جزئي عن البضائع الروسية، وأن يسدد الدين القديم عن طريق الالغاء الجزئي أو الكلي للرسوم الجمركية على البضائع المستوردة حديثاً، وهو أسلوب في الدفع كانت تلجأ إليه الحكومة السعودية مع دائنيها [١٠٧].

وفي منتصف عام ١٩٣٢ ناشدت بعثة سعودية الحكومة البريطانية تقديم قرض بمبلغ نصف مليون جنيه، أو مساعدتها في جمع قرض من سوق لندن المالي..

واعتذرت الحكومة البريطانية في اجتماع لها مع البعثة السعودية عقد في بنك انجلترا في الثالث عشر من مايو ١٩٣٢، عن عدم قدرتها على تلبية الطلب.

وكرر إبن سعود مناشدته بعد شهر، حيث سلم يوسف ياسين إلى السير أندروا رايان رسالة شخصية من الملك يجدد فيها مناشدته لبريطانيا لتقديم مساعدة مالية، وان كانت أقل مما اقترحتها البعثة..وأشار الملك إلى العرض الروسي لتقديم البضائع وليس النقد، وانه " لا يرغب في قبول هذه المساعدة "..ومع ذلك لم تثر عروض إبن سعود إهتماماً لدى البريطانيين لمساعدته.

والطريف أنه وبعد حوالي سبع سنوات، استطاع الروس استلام مبلغ الثلاثين ألف جنيه، وحالما انتهوا من ذلك، حزموا حقائبهم ورحلوا عن البلاد نهائياً.

واستمرت حالة الضيق العامة التي سادت سنة ١٩٣١، طوال عام ١٩٣٢، حيث طغيان الفقر والمجاعة التي أصابت القبائل والمدن..وجاء موسم الحج الذي كان أضعف من أي موسم مضى ليزيد الطين بلة، ويومها هبطت صادرات البلاد من المواشي والجلود والتمور، وتقلص عدد الحجاج من ١٩١ألفاً عام ١٩٢٦الى ٢٩ألفاً فقط عام ١٩٣٢..وخوت خزينة الملك، فلم تكن قادرة حتى على دفع رواتب الموظفين الذين لا يزيدون عن بضع مئات، واجتاح الجوع البلاد من أدناها إلى أقصاها.

ورغم أن الشائعات عن الاضطرابات ترددت في كل مكان، إلاّ أن من المؤكد حدوثها في الهفوف والقطيف، إضافة إلى منطقة نجران، وهي مناطق شيعية..ويومها ارسلت الحكومة

---

[107] شيوعيون في السعودية، ص ١٨٥

قوة بقيادة خالد بن لؤي لقمع الاضطرابات في الجنوب ــ نجران ــ، كما تحركت قوة درع لمحاربة قبيلة المرّة ولتطويق المخالفين الذين قطعت أيديهم وأرجلهم في الاحساء وباديتها [١٠٨].

وايضا لمصادرة الجمال والاملاك لإرسالها إلى الرياض من اجل الإعداد لحملة عسكرية في الجنوب [١٠٩].

في شهر اغسطس ١٩٣٣منع إبن سعود تصدير التمور من الاحساء والقطيف[١١٠] واستمر المنع مدة ١٨ عاماً أي حتى عام ١٩٥١، فأُصيبت المنطقة بانهيار شبه تام في السنوات الأربع التي تلت المنع..ومع أن الملك برر إجراءه بان المجاعة تجتاح البلاد، ولابد من تخفيض سعر التمور ــ بمنع التصدير ــ إلى الحد الادنى حتى تتمكن الفئات المعدمة من سد رمقها..غير أن الوقائع تثبت بأن الملك كان يهدف الى امر آخر، وهو مصادرة ما تطاله يده من إنتاج الفلاحين، وقد جهز عامله إبن جلوي دوريات لهذا الغرض تطوف البيوت وتبحث عن (قلال) التمر لمصادرتها.[١١١]

وحتى ذلك الوقت لم تزل جميع الضرائب وبأشكالها المختلفة قائمة، ولا يزال الحصار الاقتصادي للكويت قائماً، والاعدامات جارية على قدم وساق لكل من يتعامل مع سوق الكويت وتجارها..وخلال الاسبوع الأول من شهر اكتوبر ١٩٣٣اعدم إبن جلوي أربعة من رجال قبائل المطير "اثنان منهم من الجبلان والآخرون من فرع البريح "، كما أعدم رجلاً حضرياً من نجد، بتهمة شراء بضائع من الكويت، وتهريباً عبر الحدود السعودية الكويتية [١١٢].

وتتابعت السنوات والأوضاع الاقتصادية على حالها، والاضطرابات ما تلبث أن تقوم حتى تخمد بقوة السلاح، في مارس ١٩٣٦، تحدثت تقارير المعتمدين البريطانيين عن سخط

---

108 فاسيلييف، مصدر سابق، ص ٣٢٠، وانظر الوثيقة البريطانية E ١٤٨٧ــ ٢٥ والمؤرخة في ٢١مارس ١٩٣٢، التقرير السنوي عن السعودية لعام ١٩٣٢، اعده السير اندرو رايان في ٢٦ فبراير ١٩٣٢

109 الوثيقة 91 -884 E، مؤرخة في ١٤فبراير ١٩٣٢، تقرير الكويت الاستخباري، من وزارة المستعمرات إلى وزارة الخارجية في ١٢فبراير ١٩٣٢

110 الوثقة 25 – 2227 -5685 E مؤرخة في ٢٦سبتمبر ١٩٣٢ ويشير الاستاذ الدكتور عبد الله السبيعي في كتابه "النفط واثره على الحياة الاقتصادية في المنطقة الشرقية، ص ٧٤ إلى أن " القطيف كانت شديدة الاعتماد على تصدير التمور، وقد شجع من اعتمادها عليه أن الطلب على تمورها كان عظيما لدرجة كان معها تمور الاحساء تباع في القطيف، وحين ألغى الملك قرار منع التصدير كان كل شيء قد تغير، حيث انخفض الطلب المحلي بسبب تغير انماط التغذية لدى السكان، وبسبب غزو المعلبات والاطعمة التي ادخلتها شركة ارامكو، كما انخفض الطلب العالمي عليه بأكثر مما تصور الفلاحون الذين لم يعودوا يجدون اموالاً كافية لاصلاح الزرع نفسه، وللمقارنة فأن ثمن قلة تمر " الرزيز " سنة ١٩٤٨بلغ خمسين ريالاً، وفي عام ١٩٥٢كان سعرها ١٧ريالاً فقط.

111 لقاء مع (هـ س، ص) في ١٢ذي الحجة ١٤٢٠هـ

112 الوثيقة 7560-884-91 E والوثيقة E .٧٥٦ــ ٨٨٤ــ ٩١، تاريخ تسجيلهما على التوالي ٢نوفمبر ١٩٣٣و٨ديسمبر ١٩٣٣، تقريران استخباريان صدرا من الكويت عن شهري سبتمبر واكتوبر لنفس العام، اعدهما الميجور ديكسون، وقالت معلومات البريطانيين أنه لو حدثت انتفاضة فستبدأ على شكل الامتناع عن دفع الضرائب

واحتجاجات واضطرابات في الاحساء لأسباب إقتصادية، وأبرق المعتمد السياسي في البحرين لرؤسائه يبلغهم بأنه تم إستيفاء سبعين ألف دولار كضرائب آنية على الأهالي في المقاطعة، حيث أثار استيفاؤها غلياناً شديداً لدى الأهالي الذين قدموا احتجاجات وشكاوى والتماسات لابن جلوي رفعها الاخير للملك، وقيل بأن جواب الملك كان كالتالي :" على أمير الاحساء أن ينفذ الأوامر دونما تأخير، والا استبدل بغيره "[113].

خلال السنوات :٣٦، ٣٧، ١٩٣٨ ارتفع عدد الحجاج بصورة قليلة، ولم تعد هناك آمال كبيرة يمكن التعويل عليها، اللهم إلاّ على احتمال اكتشاف النفط في الاحساء. ولكن حتى ذلك الوقت (يناير ١٩٣٨) لم تستخرج كميات نفطية تجارية، فضلاً عن أن التجارة لا تزال ضعيفة، ويعزو الحجازيون ذلك إلى سياسة الحكومة القائمة على اقتطاع جزء كبير من عائدات الحج واحتكارها لنفسها، مع أن الملك إبن سعود يدرك ما تسببه هذه الضريبة المرهقة على الحجاج من تشويه لسمعته في الخارج [114].

ووضعت الحكومة مشروعاً أسمته (مشروع القرش)، وحثت السكان والحجاج للمساهمة فيه لتحسين أوضاع الأماكن المقدسة، ولكن المشروع فشل لعدم الثقة في المتبنين له، ولم يعط المشروع سوى ٥٠٠جنيه تقريباً في اول عام من تأسيسه، وقد كانت تلك نهاية المشروع، على أن مشروع القرش كان يعتمد اساساً على بيع علب صغيرة من التمور إلى الحجاج كتذكار لهم من الأراضي المقدسة، والمعلوم أن التمور التي ينتج معظمها الشيعة في المنطقة الشرقية، والتي منع تصديرها ثم جرى مصادرتها كانت الأساس الذي اعتمد عليه، إضافة إلى تمور المدينة المنورة والتي يشرف على انتاج معظمها شيعة المدينة المعروفين باسم " النخاولة "[115].

هذا ولا يزال هناك فارق غير مقبول بين حالة الفقر العام التي يعاني منها الشعب وبين بذخ الملك وعائلته ورهطه..اذ لم تكن هناك اية قيود أو إشراف على الإنفاق الملكي، والتنافس بين الابناء وبين نسائهم يقود إلى البذخ والاسراف "فقائمة السيارات التي يملكها الأبناء الاربعة الكبار فقط مذهلة صاعقة، وأمين الخزانة الملكية سافر إلى الهند جواً ليشتري بعض الأشياء لسيدات القصر، في حين تعاني رواتب الموظفين من الانخفاض، وحتى هذه الرواتب المنخفضة لا يستلمونها بانتظام ".

---

[113] الوثيقة 25-2227 E مؤرخة في ٢٤ابريل ١٩٢٦، وعنوانها (اضطرابات في الاحساء).

[114] الوثيقة 25-2338 E

[115] الوثيقة السابقة

واصبح لعبيد الأسرة المالكة [116] وخدمهم صولة وجولة، فكانوا في الواقع هم السادة وأصحاب المال والحظوة، في حين تقطع أيدي العشرات من المواطنين كل أسبوع وتعلق على أبواب المساجد بعد صلاة الجمعة، بتهمة سرقة رغيف خبز يسد رمق الجياع، في حين يعدم العديدون بالرصاص بتهمة تهريب بضاعة من المنطقة المحظورة الكويت " بل أن حالقي اللحى " وفروا مبالغ لا بأس بها لخزينة إبن سعود، وقد استوفيت منهم كغرامات لحلقهم لحاهم " [117]. هذا إضافة إلى تلقيهم الجلد والإهانة أمام العامة.

وراح وزراء إبن سعود ورجاله " يستغلون كل فرصة تسنح لهم لملء جيوبهم، يساعدهم في ذلك عدد من الموظفين الصغار الذين لا همة لهم على الاطلاق، ويتلقى هؤلاء رواتب قليلة غالباً تأتي متأخرة " [118] فيكملونها بنهب المواطنين بحجة القانون.

ولو لم يتدفق النفط لهلك الناس جوعاً..فقد تدفق النفط بكميات تجارية سنة ١٩٣٨بعد خمس سنوات من البحث والتنقيب ، ثم اندلعت الحرب العالمية الثانية، ففازت بلاد إبن السعود بالقروض الاجنبية والمساعدات المختلفة خاصة من الأميركيين كتعويض عن توقف النفط، وكمكافأة على مواقف إبن سعود تجاه الحلفاء في الحرب، وفي أواخر الاربعينيات قفزت مداخيل الحكومة وبدأت حقبة النفط.

الشيعة في عصر النفط (١٩٣٨ ـ ١٩٩٠)

قفزت أهمية الشيعة بظهور النفط في مناطق وجودهم، وتضاعفت هذه الأهمية بتضاعف، اسعار النفط، وأصبحت هذه المناطق قلب المملكة النابض الذي يغذي سائر الأطراف بالحياة، فدون النفط ودون العمال الشيعة لايمكن أن تقوم للمملكة قائمة.

لقد اصبحت المنطقة الشرقية أهم منطقة في البلاد، حيث تضم مخزون النفط الذي لا يوجد له مثيل في العالم، كما تقام على أراضيها كل صناعة النفط وإنتاجه ومعظم تصديره..ولان النفط هو المورد الأول والأخير للدخل القومي، فقد أصبحت حساسية السلطات السعودية تجاه

---

[116] لم يلغ الرق في المملكة السعودية إلاّ عام ١٩٦٤، وبعد ضغوط دولية، ويذكر عبد الرحمن الباكر في كتابه " من البحرين إلى المنفى " ص ٢١: " أن عبداً مملوكاً لشيخ من شيوخ البحرين يمكن أن يقف على باب دكان يملكه احد الشيعة ويقول: عصابا تريد كذا وكذا، وإذا لم يستجب بسرعة لتلبية رغبات العصا، فانها تنزل عليه بالضرب في لمح البصر، ويأخذ ما يريده عنوة وهذا النموذج صالح التطبيق في مملكة إبن سعود في تلك الايام الخوالي

[117] الوثيقة السابقة

[118] الوثيقة 25 -196-2782 E، مؤرخة في ١٦ مايو ١٩٢٨، من ريدر بولارد في جدة إلى الفايكونت ماليفاكس في خارجية لندن، بتاريخ ٢٥ ابريل ١٩٢٨

الشيعة مضاعفة، لوجود النفط في مناطقهم، ولكونهم شيعة ينظر إليهم كعنصر إضطراب في أكثر المناطق حيوية.

أضف إلى ذلك فإنهم ولتماسهم مع صناعة النفط ومشاركتهم فيها منذ البداية أصبحوا يشكلون ٦٥ــ ٧٠% من العمالة النفطية السعودية في الوقت الحاضر.

وبدونهم لا يمكن لنقطة نفط أن تصدُر، وهذا ما دفع بالسلطات إلى التصرف بعصبية تجاههم، خاصة وأنهم كانوا في قلب الحركات العمالية والسياسية المعارضة والمطالبة بتحسين الأوضاع المعاشية، وقد سعت الدولة ومنذ مطلع عام ١٩٨٧الى عدم توظيف الشيعة في صناعة النفط بغض النظر عن كفاءة المتقدمين إلى العمل، ولا يزال هذا القرار ساري المفعول حتى الوقت الحاضر.

وعلى غير عادة السعوديين ذوي الأصول البدوية القريبة، فإن الشيعة كان لديهم استعداد للعمل اليدوي، وعلى مر السنين أصبحوا العمود الفقري لقوى أرامكو المؤهلة والنصف مؤهلة..وكانت تقديرات متواضعة قد قالت في بداية الثمانيات أن ثلث قوى ارامكو العاملة من سعوديين وغيرهم يحتلها الشيعة، ومع ذلك بقوا كمواطنين من الدرجة الثانية وفي أسفل النظام الاقتصادي [١١٩].

إن غالبية العمال في معامل التكرير برأس تنورة وغيرها، وكذلك في حقول النفط بحثاً وانتاجاً، وفي مشروع الهيئة الملكية بالجبيل هم من الشيعة ويؤدون أعمالاً مهنية أساسية، والقليل منهم نجح في النفاذ إلى مستوى الإدارة، وحتى هؤلاء أعيدوا إلى مراتب أدنى، وأصبح مؤكداً لدى المهتمين أن التمييز ضد الشيعة صريح وواضح "وانهم مميزون في كل موقع في صناعة النفط، وكل الأدلة تثبت بانهم لم يسمح لهم بان يتعدوا مستوى العمال المهنيين) [١٢٠].

في عام ١٩٣٣، وفيما كان الملك إبن سعود يئنُّ من الأزمة الاقتصادية الخانقة، وبعد أن فشل في عام ١٩٣٢في إيقناع الانجليز بشراء إمتياز النفط، وهي المهمة التي اضطلع بها الأمير فيصل أثناء زيارته للندن في ذلك العام، سأل إبن سعود مستشاره فيلبي، باذه "إذا وجدت من يعطيني مليون جنيه، فانا أعطيه كل الإمتيازات التي يطلبها " فرد فيلبي بان أحداً

---

[119] Saudi arabia modemization , the impact of change on stabilily. by john a. shaw & david e.long the center for stratigic and intemational studies , george town university.washington d.c, 1988, p238

وقدر كتاب غرب عدد من الشيعة العاملين في حقول النفط بسبعة الاف شخص، أي حوالي ٢٥% من العمالة النفطية، وقال أن أكثر من ٢٥% من عمال النفط كانوا شيعة عام ١٩٧٠.وهذه ارقام تقديرية لم تصب كبد الحقيقة.انظر : Shi ,ism and socail protest , p. 237,242 في حين قدرهم ابسي في بداية الثمانيات بأربعين في المائة من مجموع القوى العاملة.

[120] Shi „ ism and social protest , p. 237, 238.

لا يعطي مليون جنيه قبل تحر مبدئي لمصادر الثروة في البلاد، واقترح على الملك أن يدعو الشركات النفطية الأميركية لإنقاذه من أزمته [121].

وبعد وساطات تقدم بها فيلبي، إستقدم الجيولوجي الأميركي تويتشل للبحث عن المعادن، وكان كل اهتمامه مركزاً على الاحساء القريبة من البحرين والتي استخرج منها النفط بالفعل وهي لا تبعد سوى أميال قليلة عنها، اذن فأن احتماليات وجود النفط في الاحساء قائمة، وهكذا طلب من الملك أن يعطيه رسالة إلى واليه في الاحساء لتسهيل أمر بعثته، وحين باشر العمل، وخلال أشهر قلائل أثبت وجود النفط في المنطقة.

والحقيقة فأن الاتراك وقبل رحيلهم أكدوا وجود النفط في القطيف، وكان المعتمد البريطاني ديكسون قد زار القطيف عام ١٩١٩بحثاً عن بقع نفطية، واطلع على تقرير عثماني يؤكد هذه الحقيقة..إلاّ أنّ الإنجليز لم يكونوا ميالين كثيراً للبحث عن النفط في مملكة إبن سعود [122].

وأعد تويتشل تقريره وأطلع إبن سعود عليه، ولكن الأخير لم يكن مبالياً به، اذ أن كل همه كان مركزاً على الحصول على قرض أو هبة، وأوكل لمستشاره يوسف ياسين بان يطلب من الجيولوجي تدبير قرض من شركات النفط الأميركية، بدل إضاعة الوقت في كتابة التقارير، والحديث عن الغنى والرفاه الذي سيعم المملكة إذا ما تعاون الملك مع الشركات الأميركية [123]لم يغادر تويتشل الرياض إلاّ وفي جيبه توكيل من الملك يخوله الحديث بالنيابة عنه أمام شركات البترول الأميركية، فحاول مع شركة " بترول تكساس / تكساكو " و" اكسون " و " جولف " فاعتذرت كل واحدة بحجة مختلفة، ولكنه وجد في النهاية ترحيباً حاراً من لويد هاملتون، أحد كبار رجال شركة ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا، الذي قال بانه مستعد للسفر حالاً إلى السعودية فور تلقيه دعوة من إبن سعود، وقد ابرق الأخير إليه داعياً إياه لزيارة مملكته، فاصطحب هاملتون معه تويتشل إلى جدة، وشكلت جلسات المباحثات التي قادها عبد الله السليمان الحمدان وزير المالية السعودي، وبعضوية عبد الله الفضل وحسن القصيبي ومحمد المانع كمترجم.

أبدى عبد الله السليمان استعداده المسبق للموافق على اية شروط تضعها شركة ستاندارد إذا ما قدمت قرضاً بـــ (١٠٠ألف جنيه) يسدد من حصة الحكومة في البترول المنتظر إنتاجه، فيما أبدى هاملتون الاستعداد لدفع (٢٥ألف جنيه).. وفي هذه المرحلة من المفاوضات وصل الوفد البريطاني الممثل لشركات النفط البريطانية لمنع الاختراق الأميركي، وللحصول على الامتياز الذي لم يكونوا راغبين فيه أساساً.وحاول هؤلاء إجتذاب فيلبي، وهو احد رجال

---

[121] البترول والسياسة في المملكة العربية السعودية، توفيق الشيخ، دار الصفا للنشر والتوزيع، لندن ١٩٨٨، ص ٧٠.

[122] النفط وأثره على الحياة الاقتصادية في المنطقة الشرقية، مصدر سابق، ص ٢٦.

[123] توفيق الشيخ، مصدر سابق، ص ٨٢.

الساسة والمخابرات البريطانيين، لكنه لم يستطع مقاومة الاغراءات الأميركية، حيث وعده هاملتون بألف جنيه سنويا مدى الحياة، وانه سيحصل على هدايا مجزية عند توقيع الاتفاقية، فوافق على ذلك طالباً الكتمان.

كما قدم الأميركيون رشوات (إغراءات) أخرى إلى مستشاري الملك، وبالأخص إلى يوسف ياسين وعبد الله السليمان، الذي وعد بعدة سيارات فاخرة وبضعة آلاف من الجنيهات.على أن الثمن الذي عرضه الأميركيون ثمناً للامتياز كان (٣٠ ألف جنيه استرليني ذهبا كقرض عاجل، وأجرة سنوية مقدارها ٥٠٠٠جنيه سنوياً، إضافة إلى ٢٠ ألف جنيه يدفع بعد ١٨ شهراً كقرض).. وهنا لم تستطع الشركات البريطانية المنافسة، بسبب " البخل " المعهود لدى الإنجليز، فضلا أن عروضهم رغم صغرها والتي قدمتها شركة نفط العراق كانت تشترط الدفع بالروبية الهندية، وهو امر لم يكن محبباً لدى الملك السعودي [١٢٤].

ويروي الاستاذ مازن البندك ظروف توقيع الاتفاقية كالتالي :

" بعد مفاوضات غير قصيرة، توصل الطرفان : الحكومة السعودية ويمثلها وزير المالية عبد الله السليمان، وشركة ستاندارد ويمثلها لويد هاملتون إلى الاتفاق على إعطاء الشركة حق التنقيب عن البترول، وذهب وزير المالية ليقرأ الاتفاقية على الملك ويأخذ موافقته، ولم يكن الملك يعرف شيئاً عن شؤون النفط، فقد وضع ثقته في فيلبي، وكان يستعجل إستلام ثمن الامتياز، ويذكر فيلبي أن الملك كانت تأخذه الغفوة أثناء قراءة الوزير للاتفاقية، وحين صحا الملك من غفوته كان الوزير لا يزال يقرأ، فألتفت إلى فيلبي وسأله رأيه، وحين أبدى موافقته ورضاه، امر الملك وزير المالية بتوقيعها قائلا :(ثق بالله ووقع)، فوثق وزير المالية بالله ووقع عليها، وصدر المرسوم الملكي رقم ١١٣٥بإعطاء شركة ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا الامتياز، وكان ذلك بتاريخ ٢٩ مايو ١٩٣٣، الموافق ٤صفر ١٣٥٢هـ) [١٢٥].

كان هذا الاستطراد ضروريا لإعطاء خلفية عن قصة النفط في السعودية وتطورها.

بدأت شركة ستاندارد (والتي إنضم إليها شركاء آخرون وتحول إسمها إلى أرامكو) بالعمل، فجذبت أليها الأيدي العاملة الشيعية، باعتبار أن الشيعة هم سكنة الحواضر، ولأن الشركة تعمل في مناطق شيعة، وايضا لأن البدو غير مستقرين ولا يحبون الأعمال المهنية التي يعتبرونها إنتقاصاً من قدرهم، ولم يكن لدى الشركة في تلك الأيام أفكار محددة تجاه المعتقدات الدينية، وقد شعر الشيعة بشيء من الارتياح إذ وجدوا رب عمل ليست لديه حساسية دينية أو مذهبية.

---

[124] المصدر السابق، ٩٢

[125] المصدر السابق، نقلا عن كتاب قصة النفط للأستاذ مازن البندك، ص ٧١

غير أن ذلك لم يكن يعني عدم التعالي واحتقار الأهالي باعتبارهم بشراً غير متحضرين على الطريقة الغربية، حكى احد العاملين القدماء، بان ارامكو كانت تجمع المئات من الراغبين في العمل في إحدى ساحات القطيف، وهناك يجري الكشف الصحي عليهم ــ كما تجري على الحيوانات ــ فينظرون إلى أسنانهم وعيونهم وآذانهم وأبعد من ذلك، وهذا بنظرهم " إختبار صحي"!. ولم يكن أمام الناس الذين يريدون سد رمقهم إلاّ القبول، بل ودفع الرشوة، رغم العوز، للظفر بالنجاح والقبول، وكان هؤلاء كثيراً ما يخفون أعمارهم الحقيقية حتى لا يفوتهم قطار العمل [١٢٦].

من جهتها كانت ارامكو بحاجة إلى الشيعة، الفئة الوحيدة التي كانت لا تمانع من العمل المهني..وفي بداية التأسيس كان هناك طلب ملح على القوى العاملة الشيعية، ولم تنجح ارامكو إلاّ في استقطاب عدد جدُ محدود من العوازم والدواسر القاطنين في محيط المدن والقرى الشيعية [١٢٧].وخبرة الشركة تقول بان الشيعة أبدوا استعدادهم ورغبتهم لقبول المخاطر والتأهيل وغيرها أكثر من السنة من بدو المنطقة [١٢٨].ولهذا السبب دون غيره، احتل الشيعة مواقعهم في ارامكو، وإن كانت هذه المواقع ــ وبقرار سياسي ــ لا تصل إلى الإدارة والمراتب العليا، ولكنها شديدة التأثير في كل المواقع الأخرى، ولا يمكن لأرامكو على مدى العشرين سنة القادمة الاستغناء عن الشيعة، إلاّ إذا قررت عدم تصدير النفط من أساسه.

بعد سنوات خمس من العمل الشاق، تفجر النفط في مارس ١٩٣٨من البئر رقم ٧، وفي العام التالي تفجرت الحرب العالمية الثانية، فدخلت البلاد في دوامة اقتصادية جديدة وعاصفة كانت الاقسى على الاطلاق، ولم تقد مسارعة الأميركيين والإنجليز لمعونة الملك لكسب تأييده في الحرب، ومن اجل تدخله في إبقاء الدول العربية هادئة ــ خاصة في فلسطين ــ من إيقاف غائلة المجاعة وما تبعها من هجرة واسعة النطاق من كل أنحاء البلاد إلى البلدن المجاورة هرباً من الموت.

لقد تدفق البترول في أشد فترات البلاد تأزماً وحرجاً، فقد جاء في فترة كساد صناعة اللؤلؤ والذي بدأ سنة ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م، وفي فترة كساد عالمي بدأ منذ أواخر عام ١٩٢٨، وما تبع ذلك من إنخفاض عدد الحجاج الذي يزودون خزينة الملك بالمال، كما جاء تدفق النفط في فترة إنهيار تجاري عام، فقلّت رسوم الجمارك، وما كاد الملك يتنفس الصعداء حتى اشتعلت الحرب العالمية الثانية لتزيد الأمور سوءاً ولينخفض عدد الحجاج إلى اقل المستويات.

---

[126] لقاء مع " هـ س، ص " في الثامن عشر من ذي القعدة ١٤٠٨هـ.

[127] Saudi arabia , it`s pepole , it`s society , it`s culture , by george a. lipsky , harf press , u.s.a 1959 , p.25,35,44,70

[128] shi ``ism and socail protest ,p , 237

خلال الفترة من ١٩٣٩ إلى ١٩٤٨ إرتفعت أسعار المعيشة بنسبة ٦٠٠% في ظل تضخم جنوني جعل من عائدات الملك قليلة القيمة، وحتى أفراد العائلة المالكة وحواشيها الذين تمتعوا في السنوات السابقة بحياة لينة وإنفاق متعاظم على أسباب الرفاه والكماليات المستوردة بفضل عوائد البترول التي تدفقت إلى جيوبهم، حتى هؤلاء تألموا من هذه الأزمة، فكان عليهم ــ وإن لم يكونوا قد تعودوا ــ أن يحاولوا التقليل من إسرافهم وتبذيرهم.

أما على الصعيد الشعبي فقد انخفض المخزون الرئيسي من التمر ولأرز والحنطة، وارتفعت أسعارها إلى الذروة، وشهدت المناطق الزراعية عودة جماعية للاعتماد على النباتات الحقلية كغذاء رئيسي، أما المناطق الصحراوية فقد وصلت بها الحال إلى مرحلة مأساوية، واتجه العديد من ابنائها إلى الرياض طالبين الغوث من الحكومة، في حين عاد عمال ارامكو إلى زراعتهم المهجورة وحرفهم الصغيرة، وقد كان هؤلاء اكثر المتضررين من الظروف الجديدة، حيث بقيت مرتباتهم عند مستواها السابق، ولم تستطع مسايرة تيار الغلاء الجارف، وهكذا دب التذمر في صفوفهم، وسرت موجة من التخلي عن العمل دون انذار مسبق، بل أن ارامكو نفسها قامت بتسريح العديد من العمال واعدة إياهم بإعادتهم في حال توقف الحرب..لكن هجرة العمل في ارامكو زادت عن حدها، فاضطرت الشركة في اكتوبر ١٩٤٥ لوعد العمال بتحسين ظروف العمل بعد إضراب بدائي قاموا به، وكانت ارامكو قد قدمت وعودا سابقة بتحسين أوضاع عمالها، بعد الهجوم الإيطالي على الظهران.

ففي ليلة الخامس عشر من رمضان ١٣٥٩هـ / ١٩اكتوبر ١٩٤٠، شنت أربعة طائرات إيطالية من طراز (OVOIA MARSHETTIS ٨٢٥) وبقرار شخصي من موسوليني، هجوماً على آبار النفط في الظهران وبالقرب من المنطقة السكنية، وقد أحدثت القنابل أصواتاً رعدية مخيفة، وأصابت أنبوبين للنفط وذا أحدث هلعاً في أفئدة العمال، وقد اعتذر موسوليني في حديث مذاع للملك عبد العزيز متذرعاً بانه لم يكن يقصد مهاجمة الظهران، وإنما معمل تكرير النفط في البحرين..وقد كان مقرراً أن يتم بعد القصف للمعمل أن تعود الطائرات التي انطلقت من جزيرة رودس عبر الاجواء السعودية لتهبط في الحبشة، ولكن احد الطيارين فقد الاتصال مع بقية السرب، فلاحت له انوار الظهران فظنها الهدف وأفرغ حمولة طائرته من القنابل[١٢٩] قال احد العمال ممن شهد الهجوم بان " النصارى كانوا يعيشون في رعب، وقد طلبوا منا أن نقيم ملاجئ تحت الأرض، فأعددنا ثلاثة منها للأميركيين الذين رغم التحصينات كانوا يفضلون النوم في الصحراء مع عوائلهم..اما نحن فكنا نسكن في البرستيات في اكواخ من السعف، وحفرت لنا حفرة لاتغطي الركبة مع أوامر تقول : إذا سمعتم الصفارة، اختبئوا في

129 النفط وأثره على الحياة الاقتصادية، مصدر سابق، ص ٦٠ــ ٦٢.

الحفرة !. وما أن يحل وقت المغرب حتى تطفأ الأنوار، وقد طليت أنوار السيارات باللون الأزرق، والويل لنا إن اشلعنا النار لطبخ العشاء أو للتدفئة..على أذنا_ العمال السعوديين _ نبتعد بعد صلاة العشاء عن منطقة المنشات إلى نهيدين [130].وفي احدى الليالي سمعنا أصوات الإنفجارات فأرعبتنا، ورأينا النار تشتعل، ولكننا لم نجرؤ على الاقتراب من موقع الانفجارات حتى الصباح حيث بدأت الجرافات بحجز النفط الخام والذي غطى مساحة واسعة من الأرض، فيما أوقف العمال مرور النفط في الإنبوبين المصابين...وهناك رأينا قذيفتين لم تنفجرا، إحداهما عند المطبخ العام والاخرى بالقرب من السوبر ماركت.[131]"

بعد هذا الهجوم كاد العمل أن يتوقف كليا، حيث تم ترحيل العائلات الأميركية والعديد من العمال الأميركيين على ظهر سفينة أقلتهم إلى بومباي، ومنها أبحروا إلى الولايات المتحدة في ١٢نوفمبر ١٩٤٠على متن الباخرة (RESIDENT GARFIELSD).وكان آخر فوج يغادر الظهران في منتصف ١٩٤١، ولم يبق سوى اقل من مائة من العمال الأميركيين، لم يكن هذا حال الأميركيين فحسب، بل أن العمال السعوديين الذين رأوا تساهل الشركة بحياتهم، تركوا العمل بشكل جماعي، الامر الذي دعا الشركة إلى المسارعة في حفر وبناء ٢٥ملجأ تحت الارض في رأس تنورة والظهران، في محاولة لتشجيع العاملين على البقاء، كما رشت الطرقات بالنفط المحروق، وأقيم جهاز إنذار على قمة جبل الظهران، وأصدرت الحكومة _ بناء على طلب من ارامكو _ حظراً على خروج الأهالي بالفوانيس، كما وضعت ارامكو خطة للطوارئ لحماية الأجهزة الثمينة، والمخازن وآبار النفط، في حين توسعت الشركة في استخدام الحمير والجمال لنقل المعدات بسبب شحة قطع الغيار، واستمرت الامور على هذه الحال حتى عام ١٩٤٣ [132].

طلب الملك من ارامكو في عام ١٩٣٩ قرضاً بستة ملايين دولار لخمس سنوات، وقد وافقت الشركة على دفع ثلاثة ملايين ريثما تنظم الحكومة الأميركية طريقة للمساعدة، ودفعت المبلغ ولكن بعد لأي شديد عام ١٩٤١، في حين انخفضت مدفوعات الشركة للملك من ٣،٢ مليون دولار عام ١٩٣٩، إلى ٢،٥مليون في عام ١٩٤٠، ثم إلى مليوني دولار ابتداء من عام ١٩٤١حتى عام ١٩٤٤.

وأقنعت الشركة الرئيس روزفلت عبر مندوبها (جيمس موفت) بأن يوسع نطاق قانون الإعارة والتأجير ليشمل السعودية، حيث أبدى روزفلت قلقه من إثارة المتاعب لدى الكونغرس

---

130 نهيدين : أول قرية من الأكواخ يؤسسها عمال النفط المستقرون بالقرب من منشآت الظهران، وتقع شمال شرقي الظهران، وقد نقلت القرية إلى مكان آخر، إلى حيث تأسست مدينة الثقبة الحالية.

131 لقاء مع "هـ س، ص" في السابع والعشرين من صفر ١٤٠٩هـ.

132 النفط وأثره على الحياة الاقتصادية، مصدر سابق، ص ٦٢

الذي اشترط قصر المساعدات على الحكومات الديمقراطية من الحلفاء، بينما يوصف حكم إبن سعود دائماً بالقبلية والفردية والاستبداد..وهكذا جرى تعديل الطرح بان تدفع المساعدات لبريطانيا، (عبر القانون هذا)، ثم تتولى هي تسليم إبن سعود حصته، وعلى اثر ذلك زاد الإنجليز دعمهم للملك من المال الإميركي إلى ٥،٣ مليون دولار عام ١٩٤١، أي بما يعادل ١٣ضعف المساعدة التي حصل عليها في السنة السابقة [١٣٣]، وقدر مجموع ما حصلت عليه الحكومة السعودية في العام التالي ١٩٤٢بـ ١٢مليون وتسعين ألف دولار، واستمر الدفع الأميركي بفضل ارامكو على شكل قروض مكبلة لم يستطع الملك أن يدفعها، ووصل مقدار القرض الذي استلمه الملك سنة ١٩٤٤الى عشرة ملايين دولار [١٣٤].

في هذه السنوات انتشرت المجاعة بين السكان، وعرف الناس سنة " البطاقة " حيث كانت المواد الغذائية توزع بالحصص لبعض الأماكن، وظهرت إشاعات في القطيف ونواحيها بأن الحكومة ستصادر جميع ما لدى الأهالي من تمور، فصدق بعضهم الاشاعة وأخذوا احتياطاتهم، فنقلوا ما لديهم إلى امكنة لا تراها أعين الرقباء. واما الآخرون فقد ابتلوا وصودر جميع ما ليديهم فأصبحوا يجلسون في الشوارع يمدُّون أيديهم يسألون الاحسان.على أن الغالبية لم تكن تعلم بأن الملك ـــ وعبر جلاده إبن جلوي ـــ سيصل بهم الامر إلى هذا الحد، بان ينهبوا طعامهم، فهذا لم تعرفه المنطقة في تأريخها القديم أو الحديث.

لقد بعث الملك بهيئة مع فرق شرطة تفتش البيوت بيتاً بيتاً وصادروا ما وجدوه..حكى احد المعاصرين لتلك الاحداث الرهيبة، بأنه كان لديه (١٢ من قلال التمر) هي كل ما لديه في الحياة، وقال أنه فوجئ بطرق الباب ففتحه، وتدفق رجال الهيئة كالكلاب المسعورة تبحث في جميع انحاء البيت، وأشار إلى أن جاره أبلغه صبحية ذلك اليوم بان هؤلاء سيقدمون، فلم يأخذ استعداده فيخفي ما لديه من طعام، وكل ما فعله أنه فتح هذه القلال، فلما رأوها قال لهم : انها تحوي تمراً فاسداً، فمد المسؤول يده والتقط واحدة منها فوجدها فاسدة ـــ صدفة ـــ فتركوه، وأشار هذا المعاصر للحدث، إلى أن جاره صودر منه ٨٠ قلة تمر ولم يتركوا له واحدة منها، وكان هذا الجار قد اخفاها في باحة منزله حيث دفنها وأهال عليها التراب، ولكن رجال الهيئة وبواسطة قضيب حديدي خاص يغرزونه في الارض كإحدى أدوات التفتيش، اكتشفوا وصادروها ووجهول له اللطمات والسباب والإهانات [١٣٥].

أيام قلائل مضت، وإذا بالبكاء والعويل يرتفع من النساء والاطفال بسبب الجوع، وكان هناك تزاحم منقطع النظير لشراء التمر الذي اصبح سعر الكيلو منه ريالاً، وهو مبلغ

---

133 توفيق الشيخ، مصدر سابق، ص ٢٧٨، ٢٧٩

134 الاصلاح الاجتماعي، مصدر سابق، ص ١٩٤، ١٩٥

135 لقاء مع " هـ س، ص " في العاشر من ربيع الثاني ١٤٠٩هـ

ضخم..قال احد المعاصرين أنه رأى بعينه طوابير تتزاحم في مكان كان والى ما قبل سنوات خمس يعرف باسم المربعة في مدينة صفوى لشراء التمر.ولأن الغالبية لاتملك المال، فقد اضطرت النساء ليبع أي شيء يوجد لديهن من اسورة وحلي و غيرها، وأضاف :" رأيت بعيني الناس يتصارعون على ظرف قلة التمر ــ الخصفة ــ علُهم يجدون بها شيئاً من التمر ملتصقاً بها " [١٣٦].

ومنذ اواخر عام ١٩٤٣لم تعد شحنات الارز تصل كما كانت من بورما، فاتخذ الملك إبن سعود قراراً بالعويض عنها من تمور وأرز الاحساء والقطيف بالمصادرة والإكراه، وسير الملك منذ فبراير ١٩٤٤شاحنات من الهفوف إلى الرياض لنقل المواد الغذائية، وقدرت الكميات التي نقلت عام ١٩٤٤بحوالي ثلاثة آلاف طن، ثم زيد عدد الشاحنات في يوليو ١٩٤٥لنقل المزيد من التمور والأرز من المقاطعتين الشرقيتين [١٣٧].

هذا في الوقت الذي كان فيه الملك وأولاده وحفدته وبناته ومستشاروه يتلاعبون بمال الإعانة الأميركية، وكان وزير المالية ــ كما يقول حافظ وهبة ــ يختلس ذهب المعونة الأميركية من الجنيهات "ويبيعه جهاراً في أسواق القاهرة خلال الحرب "، ولكن الملك سكت عنه، "ولقد كان هذا العفو ــ كما يضيف وهبة ــ تشجيعاً مباشراً للصوص والمختلسين المرتشين، فاذا كان جائزاً في حكومة لا تدين بالشرعية الإسلامية، فإنه كثير على دولة دينية " [١٢٨].في حين أن إبن جلوي كان يومها يقطع ايدي الجياع ولأتفه الاسباب.

مضت سنوات الحرب ثقيلة مؤلمة حتى إذا حل عام ١٩٤٥وشارفت الحرب على نهايتها، بادر عمال ارامكو بإظهار امتعاضهم الذي تراكم طوال سني الحرب التي تحملوا آلامها وأهوالها، وبالطبع لم يكن وضع العمال مريحا في أي وقت، وكان الأميركيون ينظرون إلى المواطنين باعتبارهم قوة عمل رخيصة بإمكانها إنجاز الكثير من الأعمال بأجور بسيطة، وكان أجر العامل السعودي ١٥قرشاً يومياً، أما راتب الهندي فكان أربعة ريالات، وارتفع الأجر إلى ١،٢٢ريالً، وفي عام ١٩٤ إلى ريال ونصف.

وبمقارنة بسيطة يتضح لنا مقدار الغبن، فالعامل السعودي كان يحصل على ٤٠ سنتاً أميركياً عام ١٩٤٥، ارتفع إلى ٨١سنتاً عام ١٩٥٠ ثم إلى ٢،٣ دولار عام ١٩٥٨.اما أجر العامل في أميركا فكان ٩،٥دولار عام ١٩٤٨ ارتفع إلى ١٥،٦عام ١٩٥٨ وفي فنزويلا كان الحد الأدنى للأجر اليومي دولارين عام ١٩٥٠، ارتفع إلى ٣،٧ دولار عام ١٩٥٩ [١٢٩].

---

136 المصدر السابق.

137 النفط وأثره على الحياة الاقتصادية في المنطقة الشرقية، ص ٦٢

138 جزيرة العرب في القرن العشرين، وجلال كشك، مصدر سابق، ص ٧٢

139 توفيق الشيخ، مصدر سابق، ص ٢٢٧

أما الوضع المعيشي فكان بالغ السوء من حيث السكن والمواصلات، وكان للكمب السعودي (الحي السعودي) شهرة عالمية ولا نقول محلية، حيث كان هذا الحي يحوي غرفاً من السعف والخشب يتأجرها العمال، وكان منظرها بالمقارنة مع مباني إدارة ارامكو القريب منها يصعق الزوار المتحضرين!.. وبسبب ارتفاع نسبة التضخم وزيادة ساعات العمل ترك العديد من العمال عمله دون سابق إشعار، وبصورة غير منتظمة توقف، وحاول العمال انتخاب ممثلين عنهم لمباحثة الشركة، ولكنها رفضت ذلك خشية بروز زعامة نقابية، وأصرت على أن تكون الحكومة السعودية ممثلة للعمال، لكن هذه الحكومة لا تمثل إلاّ نفسها، حيث استغفلتها الشركة، ولم يبد ممثل الحكومة " خالد السديري " إهتماماً بحق المواطنين وهذا خلق شعوراً متزايداً بعجز الحكومة أمام الشركة [140].

وبعد مفاوضات سهلة بين الحكومة والشركة، أصدرت الاخيرة بياناً قالت فيه أنها ستقدم علاوة خدمة قدرها ثلاثة قروش يومياً بعد إكمال العامل سنة من الخدمة، تزداد إلى ريال واحد بعد عشر سنوات..وقررت أن يكون الراتب الاولى للعامل ريالاً ونصف، وبعد أن يمضي سنة كاملة يصبح الراتب ريالين يومياً، كما تعهدت الشركة ببناء غرف من الاسمنت لعمالها بدل الخيام والعشش، إضافة إلى اعتبار العطل الرسمية ثلاثة أيام فقط هي " يوم عيد الفطر، وعيد الاضحى، ويوم جلوس الملك على العرش!!".

ويبدو واضحا أن الاضراب البدائي في الظهران كان متأثراً بإضراب عمال النفط في البحرين والذي بدأ في ٢٢ديسمبر ١٩٤٣واستمر حتى بداية عام ١٩٤٤، وذلك احتجاجاً على تدني الأجور وحالة العمل السيئة..وكان رد فعل الإنجليز وشركة النفط عنيفاً في ظل ظروف الحرب العالمية حيث كان مجهود الحلفاء الحربي في المحيط الهندي وجنوب آسيا يعتمد على نفط البحرين، وفي البداية قدم المستشار "بلجريف "الوعود لفك الأضراب، ولكن دونما فائدة، وقد كان أحد مطالب عمال البحرين اعتبار يوم الجمعة يوم راحة مدفوعة الأجر وليس أحد.

وحينما تعاطف شيخ البحرين سلمان بن حمد آل خليفة مع المضربين هدده بلجريف والمعتمد "هكتبتم " بان " وقف العمل في المصفاة سوف يعني نقصاً في الأموال التي يتسلمها عظمته !"فتخلى عن التأييد حتى لأن يكون يوم الجمعة هو العطلة الرسمية، وقال لمهدده "إن المضربين كلهم من الشيعة، وانه لا يؤيد أي شكل من أشكال الإضراب وبخاصة إذا كان يضر بمصالح الدولة البريطانية) [141].

---

[140] المصدر السابق، ص ٢٢٢

[141] الرميحي، مصدر سابق، ص ١٢٤، ١٢٥

ونتج عن هذا أن أعطى الشيخ سلمان لسمتشاره وقائد شرطته في نفس الوقت "بلجريف " التصرف باي شكل لإنهاء الاضراب، فاعتقل قادة المضربين، ففقد العمال ترابطهم، نتيجة احتجاز قادتهم ولاحتياجاتهم للنقود حتى يقيموا أود صغارهم، ولم يمض الاسبوع الأول من يناير ١٩٤٤حتى كان معظم العمال قد عادوا، وفصل قادة الإضراب، وأعطت الشركة من عاد قبل ثلاثين من ديسمبر ١٩٤٣علاوة الحرب.

إضرابات أخرى

لقد تزعم العمال في حقول النفط الكثيرة من المواقف، بعضها ذو صفة نقابية متعلقة بمشاكل العمال المادية ــ كما هو إضراب عام ١٩٤٤ــ والبعض الآخر ذو صفة سياسية، حيث تطورت الاوضاع في الساحة العربية، وكان العمال في المنطقة الشرقية أكثر ملامسة لحقائق الظروف المستجدة، فقادوا التحرك الوطني مدة من الزمن.

بعد إضراب عام ١٩٤٤ شكل العمال عام ١٩٥٢ لجنة هي كنقابة، وفي العام التالي، وبالتحديد في ١٩٥٣/١٠/١٧ بدأ العمال بالإضراب عن العمل الذي شارك فيه نحو ٢٠ألف عامل محلي وعربي، "وقد أعرب سكان المنطقة الشرقية عن تعاطفهم مع المضربين، اذ كان الموقف من الأميركيين وثرائهم ونمط حياتهم سلبياً أو عدائياً..وحينها أعلنت الحكومة الأحكام العرفية في حقول النفط، وتم نقل الآف الجنود للمنطقة، لكن هؤلاء ــ شأنهم شأن رجال الشرطة المحليين ــ لم يتحمسوا لتنفيذ الأوامر بقمع المضربين "[١٤٢].ولذا إضطرت الحكومة لمفاوضة اللجنة العمالية التي شكلها العمال كممثل لهم، وقبلت بزيادة الأجور بنسبة تصل إلى ٢٠%، واطلق سراح المعتقلين من أعضاء اللجنة ــ اكثر من مائة شخص ــ وانتهى الإضراب في الأول من نوفمبر ١٩٥٣.

ويعتقد الكثيرون أن التأثيرات السياسية القادمة من الخارج ــ تصاعد نشاط التيار القومي ــ قد ساعد على إجبار الحكومة السعودية وشركة أرامكو على تحسين أوضاع العمال المحليين والعرب [١٤٣].

وبالطبع لم ترضخ الحكومة وارامكو بسرعة لتلبية مطالب العمال، ففي البداية تمنعت الجهات المسؤولة، ورفضت ملاقاة اللجنة العمالية، وأمر ولي العهد ــ الأمير فيصل ــ المضربين بالعودة إلى العمل تحت طائلة العقاب والطرد، لكن العمال قد استثيروا بسبب إعتقال زعمائهم، فأصروا على مواقفهم حيث تحول الإضراب من خلاف مهني محض إلى

[142] فاسيلييف، مصدر سابق، ص ٤٠٧، ٤٠٨

[143] جمال زكريا قاسم، الجزء الثاني، مصدر سابق، ص ٥١٢

تحد للنظام السياسي القائم، وكانت نتيجة الإصرار أن أقدمت ارامكو على تحقيق إصلاحات إجتماعية وإقتصادية فورية، منها تحسين الوضع السكني، وزيادة الأجور، وتحسين شروط الترقية، وبناء مدرسة لأطفال العمال [١٤٤].

وإذا كان إضراب عام ١٩٥٣ قد حركته دوافع اقتصادية ــ مع أنه يحمل في طياته نزعة سياسية معارضة ــ فإن المعارضة السياسية بدأت تشتد في العامين التاليين، ففي تقرير للقائم بالإعمال البريطاني في جدة المستر فيلبس، أرسله لوزير الخارجية البريطاني هارولد ماكميلان، تحدث فيه عن أسباب القلاقل السياسية في المملكة، وأشار إلى إنفاق الملك سعود لملايين الجنيهات على القصور ومظاهر الترف التي يغدقها على شخصه وحاشيته، وقال أن زوار هذه القصور المطلية بالذهب يرون أنه " لا يمكن أن تستمر بالتعايش مدة طويلة جنباً إلى جنب مع خيام البدو الرحل وأكواخ الطين "..وقال القائم بالإعمال أن هناك حركة توزيع منشورات وإشاعات تتداولها الطبقة العليا الملتصقة بالحكم، وأفاد بأن هناك إعتقالات غير قليلة في جدة والرياض والظهران، وان من ين المعتقلين رئيس مكتب علاقات العمل الحكومي في المنطقة الشرقية، وقد وضعت الحكومة مكانه تركي العطيشان، " صاحب الشهرة البريمية "، وتابع بانه تم إطلاق سراح المعتقلين، ولكنهم تعرضوا للضرب المبرح والتعذيب رغم أنه لم يثبت ضدهم ما يدينهم [١٤٥].

في ١٣ مايو ١٩٥٥تحدثت تقارير أميركية وبريطانية عن وقوع إضطرابات وإعتقالات في منطقة الاحساء، ورغم إختلاف الروايات إلاّ انها تتفق على أنه تم إعتقال عدد من الأشخاص، يؤكد هذا كبير ضباط البحرية الأميركية الذي كان في الظهران يوم العاشر من مايو ١٩٥٥..وتوحي الاستفسارات التي قام بها احد الطيارين البريطانيين العاملين في شركة طيران الخليج، ومن خلال إتصالات أجراها في مطار الظهران، أن بعض الاشخاص المشمولين بالإعتقالات على الأقل، هم من العاملين في إدارة علاقات العمل بالدمام [١٤٦].

---

[144] أيمن الياسيني، مصدر سابق، ص ١٢٧، ١٢٨، وانظر العقاد، مصدر سابق، ص ٢٦٦

[145] الوثيقة رقم 7 -es 1015

من فيلبس، السفارة البريطانية في جدة، إلى هارولد ماكميلان، وزير الخارجية البريطانية ــ لندن، بتاريخ ١٢ مايو ١٩٥٥

[146] الوثيقة رقم es1015-4

من المستر باروز، المقيم السياسي البريطاني في الخليج ــ البحرين، إلى وزارة الخارجية في لندن، رقم ٢٢٧، بتاريخ ١٢مايو ١٩٥٥

في ١٦مايو ١٩٥٥، أفاد المستر فيلبس من جدة في برقية أرسلها إلى وزارة الخارجية البريطانية، بانه " لم تقع إية اضطرابات "، ولكن الاعتقالات في حقول النفط وغيرها طالت ستين شخصاً، بتهمة القيام بنشاطات معادية للعائلة المالكة [١٤٧].

في ١٦مايو أيضاً أرسل بيرنارد باروز المقيم السياسي البريطاني في الخليج ـ البحرين، إلى وزارة الخارجية ـ الدائرة الشرقية، ارسل معلومات جديدة حول الاضطرابات الاخيرة، اعتماداً على معلومات قدمها القنصل الأميركي في الظهران والذي كان في زيارة إلى البحرين، قال : أن عملية الإعتقالات الرئيسية كانت لرئيس مكتب علاقات العمال الحكومي في الدمام، وقد سيق إلى الظهران، كما إعتقل آخرون في الاحساء، وقيل أنه تم إعدام أربعة أشخاص "وهناك حالة توتر وإضطرابات خفيفة بين العمال في بقيق، وهو احد الحقول النفطية المنتجة الواقعة على مسافة غير بعيدة غربي الظهران، حيث قاطع العمال السعوديون خدمات النقل التي أدخلتها الشركة ـ ارامكو ـ حديثاً، بحجة أن الحافلات ليست مريحة ولا منتظمة، مثل حافلات الأميركيين، وقد مضى نحو شهر على المقاطعة، أن القضية ليست ذات أهمية بحد ذاتها، ولكنها مهمة كظاهرة مقاومة سلبية للسلطة، وكتعبير عن التنظيم المتواصل بين العمال) [١٤٨].

وفي ١٠ يونيو ١٩٥٥كتب هارولد بيلي في السفارة البريطانية بجدة إلى الدائرة الشرقية ـ دائرة الاستخبارات ـ في وزارة الخارجية البريطانية يقول : "أن الحكومة قد إعتقلت عدداً من الأشخاص يشتبه بأنهم مسؤولون عن توزيع منشورات تحض على الفتنة..وان منشورات أرسلت مباشرة إلى العائلة المالكة بواسطة البريد وتم إدخال أعداد كبيرة من المنشورات من خارج المملكة ووزعت داخلها "..وقال بيلي أن الحكومة نفذت حملة طرد واسعة ضد عدد من العمال السوريين واللبنانيين والفلسطينيين في شركة الزيت العربية ـ الأميركية وفي مؤسسة الخطوط الحديدية، رغم أنهم لم يشتركوا أو يتورطوا فعلاً في هذه القضية..وأضاف بان الحكومة ردت على مزاعم صحافي عراقي بان إثنين من الشيوعيين قد تم إعتقالهما "وهي التغطية الملائمة والسهلة لما أصبح واضحاً أنه وضع محرج للحكومة" [١٤٩].

---

[147] الوثيقة es1015-4a

برقية من فيلبس بالسفارة البريطانية في جدة بتاريخ ١٦ مايو ١٩٥٥ إلى وزارة الخارجية في لندن

[148] الوثيقة رقم es1015-5

من بيرناد باروز، المقيم السياسي البريطاني في الخليج ـ البحرين، إلى الدائرة الشرقية في وزارة الخارجية البريطانية بلندن، بتاريخ ١٦ مايو ١٩٥٥

[149] الوثيقة رقم es1015-5

من هارولد بيلي، في السفارة البريطانية في جدة إلى ل. أ س، الدائرة الشرقية بوزارة الخارجية البريطانية، مرسلة بتاريخ ١٥يونيو١٩٥٥

في حين أن الحكومة السعودية تشعر بان التنظيم يشكل خطراً عليها، وترى أن المطالب التي يقدمها العمال يكمن وراءها رغبة في أن يكون هناك تمثيل جماعي، والحكومة تدرك بانه إذا ما أتيح لقياديي العمال التحكم والسيطرة على النقابات العمالية في ارامكو، فإنهم سيكونون قد أمسكوا بسلاح بالغ القوة..والمسألة هنا لا تتعلق بأرامكو وحدها في رفض أو قبول إدخال نظام النقابات العمالية "فهذا من إختصاص الحكومة..والحكومة حالياً ضد النقابات العمالية حتى الموت"، كما يقول مسؤول العلاقات العمالية الأميركي في ارامكو إلى مسؤول بريطاني في مقيمية قطر [١٥٠].

في عام ١٩٥٦تحول الإضراب العمالي إلى مواجهة سياسية سافرة مع الحكومة السعودية...ففي شهر مايو قاد العمال حملة احتجاج واستنكار على محاولة الحكم السعودي تجديد إتفاقية تأجير قاعدة الظهران للقوت الأميركية، وقد وقع عدد من المواطنين في المنطقة الشرقية بلغوا ستمائة شخصية، أكثرهم من الشيعة، وقعوا على عريضة إحتجاج شجبوا فيها تجديد الإتفاقية.

وحين أطلع سعود بن جلوي، أمير المنطقة الشرقية، على قائمة الموقعين، أكتشف أسماء أهل القطيف، وأبلغ الأمير مساعد بن عبد الرحمن ــ، عم الملك سعود، والذي أرسله الملك للتحقيق في مطالب العمال ــ بها، فأدى إلى قيام الاخير بإستجواب أولئك المسؤولين عن العريضة في القطيف ورأس تنورة والظهران، واعتقلت السلطة معظم الموقعين عليها لبرهة من الزمن، وأجبرتهم سلطات الأمن على التعهد بان لا يتدخلوا في السياسة، التي هي من شأن الحكومة وحدها.

أما السفير الأميركي ــ والذي كان في المنطقة الشرقية في ذلك الوقت، فقد إرتاب بوجود أيد شيوعية في تلك العريضة، وحصل على اذن لكي يرسل مساعده العربي إلى القطيف لإستجواب الأمير مساعد نفسه، وقد حاول الاخير طمأنة السفير الأميركي، وقال له بأن موقعي العرائض ــ خاصة أهالي القطيف ــ إنما كانوا يأملون بإدخال السرور إلى قلب للملك بإقحامهم أسم القاعدة الجوية الأميركية في الظهران، والتي ظن هؤلاء الموقعون أن الملك آراء مشابهة لآرائهم[١٥١]!.

وأفاد تقرير قدمه المقيم السياسي البريطاني في الخليج السير بيرنارد باروز، مؤرخ في الثاني من يونيو ١٩٥٦، وحمل عنوان (إضطرابات القطيف)، بأن "احد المواطنين الشيعة

[150] الوثيقة رقم ES 105 في د.س ــ كارودون ــ الدوحة، الى سعادة السير بيرنارد باروز، المقيم السياسي في منطقة الخليج ــ البحرين ، ٢نوفمبر ١٩٥٥ .

[151] الوثيقة رقم 16- es1015

من قسم الاستخبارات في السفارة البريطانية، إلى الدائرة الشرقية في وزارة الخارجية بلندن في ٢٥يونيو ١٩٥٦

وصل إلى البحرين يوم ٣١مايو ــ ١٩٥٦ــ قادماً من العربية السعودية، وأورد خبراً عن وقوع إضطرابات خلال الأيام الثلاثة الماضية بين الأغلبية الكبيرة من السكان الشيعة في القطيف، والذين ينحدرون من أصول بحرانية، ويقيمون صلات وثيقة بالشيعة هنا : قال أن ما يزيد على الثلاثمائة شخص قد ألقي القبض عليهم، وان النساء حملن السلاح في بعض الحالات لمنع السلطات السعودية من الوصول إلى القرى "[١٥٢].

تطورت الأمور في بداية يونيو ١٩٥٦حيث بدأ العمال بإضراب ذي مغزى سياسي واضح، وأقاموا مظاهرة صاخبة حين زار الملك سعود الظهران كي يستعد للقاء رئيسي سوريا ومصر في الدمام، وقد رفع العمال شعارات وطنية لا تتفق مع الاتجاه العام لسياسة الدولة، وحينها استبد الخوف بالملك سعود لمجرد حدوث هذه الظاهرة غير المألوفة، خاصة وأن المتظاهرين حملوا لافتات كتبت عليها شعارات سياسية ضد الاستعمار، وضد القاعدة الجوية الأميركية في الظهران، وهتفوا أمام الملك بسقوط الاستعمار الأميركي، ورجموا سيارته بالحجارة..لهذا كانت ردة فعل الملك قوية وقمعية، حيث أودع قادة المضربين والمتظاهرين السجن ــ قدر عددهم بنحو ٦٠شخصاً ــ وأعلنت الحكومة حظر الإضرابات ومنع تكوين النقابات، وصدر مرسوم ملكي في ١٢يونيو ١٩٥٦ــ وصفته الوثائق البريطانية بأنه قمعي ووحشي وذو طبيعة فاشية ــ يحظر الاضرابات تحت طائلة السجن [١٥٣].

ومما جاء في المرسوم الملكي (رقم ٢٦٣٩/٢/١٢) والمؤرخ في ١٣٧٥/١١/٣هــ، ما يلي " **المادة الاولى** : يحرم على جميع موظفي وعمال الشركات صاحبة الامتياز، وكذلك على جميع المؤسسات الخاصة التي تمارس أي نشاط في المرافق العامة ــ أو التي تتعهد بتنفيذ مشاريع حكومية عامة، أن يغادروا أعمالهم أو يمتنعوا عن تنفيذها، إذا كان مثل هذا الموقف ناتجاً عن اتفاق بين ثلاثة منهم أو اكثر، وسيعاقب المذنب بالسجن لمدة اسبوع واحد.وكل شخص ثبتت بحقه جريمة تحريض الموظفين عن أعمالهم، تفرض بحقه عقوبة السجن لمدة عام واحد، حتى لو لم تنجح عملية التحريض، أو التوقف المشار اليه ".

"**المادة الثانية** :لا يحق لموظفي وعمال الشركات والمؤسسات والمصالح المذكورة في المادة الاولى الإشتراك في أي تظاهرة أو إضراب القصد منه دعم اية مطالب، أو مطالب عرضت في الماضي، حتى ولو كان مثل هذا الاشتراك قد رتب مسبقاً، ويعاقب كل مخالف

---

152 الوثيقة رقم es1015-10

برقية سرية من البحرين إلى وزارة الخارجية في لندن، مؤرخة في الثاني من يونيو ١٩٥٦ .

153 أيمن الياسيني، مصدر سابق، ص ١٢٨، وانظر الدكتور صلاح العقاد، مصدر سابق، ص ٢٦٧.

وانظر أيضاً الوثيقة البريطانية رقم es1015-24

وهي تقرير من دائرة الاستخبارات في السفارة البريطانية في جدة إلى الدائرة الشرقية في خارجية لندن، بتاريخ ٢٤يوليو ١٩٥٦.

بالسجن لمدة لا تقل عن عام واحد، وكل شخص تثبت إدانته في تحريض الموظفين والعمال المشار إليها، سواء بالقول أو بالفعل على التظاهر أو الإضراب، وحتى لو لم ينجح التحريض في تحقيق التظاهر أو الإضراب، يسجن لمدة لا تقل عن عامين ".

"**المادة الثالثة** : كل شخص تثبت إدانته باستخدام القوة أو الارهاب أو التهديد أو التخريب أو اية وسيلة أخرى من وسائل العنف غير القانوني، سواء كان ذلك بهدف تسهيل ارتكاب احدى الجرائم المذكورة في المادتين السابقتين، أو بغرض منع الموظفين والعمال المذكورين في المادتين السابقتين من الاستمرار في أداء أعمالهم، أو بغرض إبتزاز وإجبار الشركات والمصالح المشار إليها في الفقرتين السابقتين، لإستخدام أو الامتناع عن استخدام أي موظف أو عامل، أو لتسبيب إغلاق الشركات والمصالح، يعاقب بالسجن لمدة لا تقل عن عامين.وكل شخص تثبت إدانته، سواء بالقول أو بالفعل بتهمة تحريض اخرين على ارتكاب أي من الجرائم المشار إليها في المادة الاولى يعاقب بالسجن لمدة لا تقل عن ثلاثة أعوام، حتى لو لم ينتج عن هذا التحريض إرتكاب فعلي للجريمة ".

"**المادة الرابعة** :يحق لرب العمل أن يطرد مستخدماً أو عاملاً يعاقب لإرتكابه أي من الجرائم المذكورة في المواد الثلاث السابقة ".

"**المادة الخامسة** :يحق لأمير المنطقة المعنية أن يقرر وان يطلب من رب العمل إن إقتضى الامر أن يطرد مستخدماً أو عاملاً عوقب لإرتكابه إحدى الجرائم المشار إليها، كما يستطيع أمير المنطقة أن يقرر وينفذ طرد أي شخص من المنطقة **(النفي)** ولمدة يراها ضرورية، إذا كان قد أدين بأي من الجرائم المشار إليها ".

وأشار المسؤولون البريطانيون في البحرين إلى تقارير تفيد بقيام السلطات السعودية، "بإعتقالات في منطقتي القطيف والهفوف من المنطقة الشرقية، وان بعض هذه الاعتقالات مرتبط بالعرائض الثلاث التي رفعت إلى الملك سعود والتي احتجت إحداها على استمرار تأجير القاعدة الجوية الأميركية في الظهران ".

كما أشار الدبلوماسيون البريطانيون الذين رصدوا حركة الأحداث السياسية يومئذ، إلى أن عمال ارامكو قاموا بمظاهرة بمناسبة زيارة الملك لمقر شركة ارامكو في الظهران في التاسع من يونيو ١٩٥٦، وان المظاهرة كانت موجهة ضد الشركة، وقد طالب المتظاهرين بتحسين وسائل النقل، وتقديم رواتب للعمال السعوديين تتوازى مع رواتب الأجانب ــ الأميركيين والأوروبين ــ التي تزيد كثيراً عن رواتبهم [١٥٤].

---

[154] **الوثيقة رقم es1015-13**

تاريخ ١٩يونيو ١٩٥٦، وعنوانها (إعتقالات في المنطقة الشرقية) برقية سرية من المستر غولت في البحرين إلى وزارة الخارجية بلندن.

إن ما أثار العمال السعوديين هو أن نظام أرامكو يضع الأميركيين في القمة، كما ويضع السعوديين في الحضيض،..ورغم أن وضع العمال المادي قد تحسن كثيراً بعد فورة النفط، إلاّ أن ذلك لا يعمي أبصارهم عن رؤية التباين الهائل الذي ما يزال قائماً بين مستوى معيشتهم ومستوى حياة السادة الأميركيين، ومثل هذا العامل يسهل إقناعه بالحديث عن عدم المساواة، والإستغلال، والإمبريالية ــ كما يقول محللو المخابرات في السفارة البريطانية في جدة ــ [155].

وكانت خلافات قد نشبت بين شركة أرامكو ومكتب العمل المحلي الذي وضعت الحكومة وأرامكو تركي العطيشان ــ سيء الصيت ــ مديراً له، وكان من رأي العمال السعوديين أن استخدام النجاريين واللحامين الأميركيين والفنيين الاخرين أمر غير منطقي، لأنه يتوفر الكثير من السعوديين القادرين على ملء هذه الوظائف، ولذا حاول قيادات العمال إقناع تركي العطيشان بان الأميركيين لم يؤت بهم من مسافات بعيدة وتتكلف الشركة نفقات كبيرة من اجل أداء عمل غير إختصاصي، بل أن هناك أهدافاً أخرى من إستقدامهم.

كما أن مكتب العمل قال بأن ارامكو سرحت نحو ألفين من السائقين، في حين إدعت ارامكو بأنها نقلت بين ٢٠ــ ٣٠ سائقاً إلى فرع آخر من فروع الشركة، وقد شجعت قيادات العمال في مكتب العمل على مقاطعة وسائط النقل، لكن المشكلة حلت فيما بعد بتسيير متعهدين محليين حافلات جيدة وبإدارة حسنة [156].

في منتصف يونيو ١٩٥٦، عقد العمال وعدد من الشخصيات الوطنية حفلاً سياسياً في احد بساتين القطيف، ألقيت فيه الخطب الثورية المعارضة، وفي اليوم التالي جرت إعتقالات واسعة في صفوف المشاركين، وقيل أن الأمير سعود بن جلوي ــ امير المنطقة الشرقية ــ حقق بنفسه مع بعض المعتقلين..وينقل على سبيل الطرفة أن الأمير سأل احد المعتقلين عمن قال(إذا الشعب يوماً اراد الحياة / فلا بد أن يستيجيب القدر).. فرد عليه أنه ابو القاسم الشابي، وحينها أمر الأمير جلاوزته بإعتقال أبي القاسم وإحضاره إليه!.

واندلعت مظاهرات أخرى يوم ١٧يونيو، وتم منع الملك من مغادرة المنطقة الشرقية إلى الرياض "ويقال أن جلالته قدم وعوداً كثيرة قبل أن يتمكن من الإنفلات، جرت بعد ذلك إعتقالات ويفيد احد المصادر بأن الحجارة ألقيت على سيارات جلالته، كما وقعت مشاجرات

---

[155] الوثيقة رقم es 1015-17

من باركس في جدة إلى سلوين لويد، وزير الخارجية بلندن في ٢٥يونيو ١٩٥٦.

[156] الوثيقة رقم es1015-16

من قسم الاستخبارات في السفارة البريطانية بجدة، إلى الدائرة الشرقية في وزارة الخارجية بلندن، مؤرخة في ٢٥يونيو ١٩٥٦.

في دار السينما في رأس تنورة، ووقع إضراب في الظهران يقال أنه انتشر إلى معسكرات ارامكو الأخرى"[157].

لقد دعي الملك إلى حفلة عشاء يكون فيها ضيف ارامكو "وعندما إقترب من البوابة الرئيسية المؤدية إلى معسكر الظهران، تجمع عدد كبير من السكان المحليين، ويبدو أن التجمع كان منظماً تنظيماً جيداً، لأن الناس وصلوا هناك من المقاطعات الثلاث الكبرى ــ الظهران، بقيق، رأس تنورة ــ وبينما كان الملك يقترب، رفضت الجموع أن تسمح له بالمرور إلاّ بعد أن يستمع، على الاقل، إلى عرائضهم ومطالبهم التي كانت كما يلي: شروط حياة أفضل، ووسائل نقل افضل، والتحكم بأسعار السلع الرئيسية، وطرد جميع الأجانب والسماح للسكان المحليين بإدارة جميع المؤسسات ــ بما في ذلك ارامكو ــ، وطرد جميع العناصر الهندية"[158].

ويعلق المخبر الإنجليزي على هذه المطالب بأنها " كانت شبيهة بمجملها لمطالب الإيرانيين قبل بضعة أعوام " وفي إشارة إلى قضية تأميم النفط التي قامت بها الحركة الوطنية الإيرانية عام ١٩٥٢.

"أما الملك ومرافقوه فإنهم وبعد صعوبات جمة، تمكنوا من شق طريقهم ــ عبر الغوغاء ــ والوصول إلى الأمان النسبي في قاعة العشاء، وفي تلك الأثناء ــوبينما كان الملك يتناول طعام العشاء مع كبار مسؤولي ارامكو ــ كانت الجماهير قد إقتحمت حرمة مجمع ارامكو وتجمعت حول أبواب قاعة العشاء، وعند المخرج الذي كان على الملك ان يخرج منه للوصول إلى سيارته ".

"بعد العشاء، وبعد أن وصل الملك إلى سيارته، رفضت الحشود الجماهيرية مرة أخرى أن تسمح له بالمرور ــ قدر مسؤول قسم العربية السعودية في وزارة الخارجية الأميركية، ديفيد نيوسوم، عددهم بألفي شخص ــ..وعندما تدخل أمير المنطقة ــ سعود بن جلوي ــ شخصياً، واستدعى على الفور قائد الشرطة في المنطقة، الذي وجه له الأمير الإهانة، والحقيقة انه رفسه ثم صفعه على وجهه أمام الملأ، مما أدخل السرور إلى قلوب الجماهير المحتشدة، وقد كان لذلك التصرف أثره الكبير في تهدئة الغوغاء، على الاقل إلى أن يتمكن الملك وأتباعه من شق طريقهم عبر الحشود حيث غدروا المكان إلى الدمام ".[159]

أما ردة الفعل الحكومية فتصورها الوثيقة بالتالي: (منذ أن غادر الملك المنطقة إلى الرياض، استمر إجراء العديد من التحقيقات في محاولة للتأكد من اسماء قادة الحركة، وفي كل مساء تقوم قوات الجيش المدججة بالسلاح بالمرابطة على بوابة ارامكو الرئيسية بانتظار

---

[157] الوثيقة السابقة es1015-13

[158] الوثيقة es1015-22 تاريخ ١٩ يونيو ١٩٥٦

[159] الوثيقة السابقة.

خروج الموظفين في الشاحنات وعلى الأقدام، حيث يتم فرزهم، وقد سيق عدد كبير من العمال إلى السجن، وبعض من تمكن الجنود من التعرف عليهم جلدوهم بقسوة، وكان الجلد والضرب في بعض الحالات مميتاً).

"والطريقة المستحدثة الان لإنتزاع المعلومات من الأشخاص الذين يترددون في إعطاء المعلومات للأمير وأعوانه، هي قلع أظافر السجين، ظفراً بعد الآخر، إلى أن يقرر السجين الإعتراف ــ وهم عادة يقررون الإعتراف بعد أن يصل السجان إلى الظفر الثالث ــ إلاَّ أنه يبدو أن قالعي الأظافر يتلذذون بما يقومون به، لأنهم عادة يواصلون قلع الأظافر إلى آخر ظفر بيد السجين، وقد تتصور ــ حديث موجه لمسؤول في دائرة الاستخبارات التابعة لوزارة الخارجية البريطانية ــ أن كل ما رويته آنفاً من وحي الخيال ولا يمكن أن يحدث، وإنني أسارع هنا إلى التأكيد لك بانه ليس من وحي الخيال، وانه حدث فعلاً في الفترة الاخيرة ".

ويضيف كاتب التقرير(على مدى الأيام القليلة الماضية، حصل إضراب عام هنا، وقام البوليس أمس ــ ١٨ يونيو ١٩٥٦ــ بزيارة منطقة المعسكرات المحلية المعروفة بإسم، الحي السعودي، وهم يحملون عدداً كبيراً من أغصان النخيل، والهدف استخدامها كأداة للضرب والجلد، جلد السكان المقيمين في الحي السعودي إذا لم ينصاعوا لعدد من المطالب التي وجهها رجال الشرطة اليهم، والتي تتلخص بما يلي: اذهب إلى عملك أو استقل وغادر المنزل، أو ابق مضرباً عن العمل وتلقى الضرب والجلد، وقد تعرض عدد منهم بالفعل للضرب والجلد، حيث انهم رفضوا العودة للعمل تحت أي ظرف من الظروف إلى أن تلبى مطالبهم) [١٦٠]

تجدر الإشارة إلى أن إضراباً غير رسمي أعلنه عمال ارامكو في ١٨ يونيو ١٩٥٦، شارك فيه ما نسبته ١٠%من عمال رأس تنورة، و ٢٥%من مجموع العاملين في الظهران، ويعزو المحللون ضعف المشاركة في الإضراب إلى حدة القمع التي مارستها الحكومة في الأيام السالفة والتي راح ضحيتها عدد من الاشخاص، والتي لم تؤثر فحسب على العمال المضربين، بل أثرت على مجمل سكان المنطقة الشرقية [١٦١].

في التاسع عشر من يونيو ١٩٥٦افادت شركة نفط البحرين بعد إتصالها بشركة ارامكو بأن "العمال في الظهران قد عادوا إلى عملهم، وان إبن جلوي يمارس إجراءات قمعية بالغة القسوة بما في ذلك الجلد العلني الذي يقال إنه انتهى بموت الذين جلدوا "[١٦٢].

---

[160] الوثيقة السابقة.

[161] الوثيقة رقم es1015-21

من المقيمية البريطانية في البحرين، إلى الدائرة الشرقية في ١٥يوليو ١٩٥٦

[162] أنظر الوثيقة رقم es1015-13-a

برقية سرية من المستر غولت في البحرين بتاريخ ١٩يونيو ١٩٥٦الى وزارة الخارجية.

وأفاد تقرير لدائرة الاستخبارات في السفارة البريطانية في جدة، مرسل إلى الدائرة الشرقية بخارجية لندن، بأن "الملك سعود أبلغ أمير المنطقة الشرقية سعود بن جلوي ــ في أعقاب إضطرابات الظهران ــ بأن هذا النوع من الأعمال يجب أن يتوقف، وغنيٌ عن القول بأنه قد توقف تماماً، ففي اليوم التالي لإعلان المرسوم المتعلق بالإضراب، وصلت نسبة الدوام بين عمال ارامكو، حسبما قيل إلى ١٠٢%!! ومن الواضح أن حكم طاغية مستبد هو الذي حقق هذا الامر "[١٦٣].

ويذكر التقرير نماذج التعذيب بقوله أنه بعد الاضطرابات التي حدثت في رأس تنورة على مدى ليلتين، "أطبق أتباع إبن جلوي على ١٢من قادة الإضطرابات وجلدوهم في لظى الظهيرة الحارق امام الجامع، اما بسعف النخيل ــ كما ذكرت احدى الروايات ــ أو بأنابيب الفولاذ (سمك نصف بوصة) كما ذكرت رواية أخرى، وعلى اية حال فقد مات من هؤلاء إثنان في الحال، ومات إثنان آخران بعد ذلك من جراحهما وهما في الطريق إلى المستشفى، وهناك اثنان في المستشفى الان لا يتوقع أن يعيشا طويلاً، إلاّ أن القائد الرئيسي للإضطرابات هرب، ويقال أنه موجود في الكويت ".

"وبالاضافة إلى ذلك، ألقي القبض على حوالي ستين شخصا وزج بهم في سجن القطيف، المشهور بإنه افظع سجن في كل المنطقة الشرقية، كما أن عددا من مثيري الإضطرابات الشيعية من القطيف نفسها موجودون في ذلك السجن.

وقد علمنا أن بعضا منهم قد تعرض للتعذيب، وقلعت أظافر أصابعهم، وما إلى ذلك...ونحن نتوقع أن تكون إجراءات القمع التي مورست خلال الأسابيع القليلة الماضية كافية للحيلولة دون قيام اية مظاهرات جديدة، ومما لا شك فيه أن اساليب إبن جلوي وإجراءاته قد غرست هيبة مجددة لسلطته في منطقة الاحساء "[١٦٤].

هدأت الأحوال قليلاً بسبب القبضة القمعية العنفية التي مارسها الأمير سعود بن جلوي، إلاّ أن النار كانت تحت الرماد: ففي يوم ٢٢ سبتمبر، إنتهز المواطنون في المنطقة الشرقية، بمن فيهم العمال والموظفون الحكوميون فرصة زيارة الرئيس المصري جمال عبد الناصر إلى الدمام، فقاموا بمظاهرة شعبية شارك فيها نحو ٥٠ــ ٧٠ ألف متظاهر، حيوا فيه الرئيس عبد الناصر ونضال مصر، وهتفوا بالموت للخونة والاستعمار وأذنابهم،..فسارع الأمير فيصل الذي رافق الرئيس جمال عبد الناصر إلى الدمام، بأن طلب من الجماهير أن تهتف للجامعة

---

[163] الوثيقة es1015-24

تقرير مرسل من السفارة البريطانية في جدة إلى الدائرة الشرقية في خارجية لندن بتاريخ ٢٤يوليو ١٩٥٦ .

[164] الوثيقة السابقة

العربية، إلاّ أن الجماهير استمرت في هتافاتها منددة بالاستبداد والرجعية والاستعمار، ولم يكن الامر بحاجة لمعرفة من هم المقصودون [١٦٥].

في عام ١٩٦٣، اضرب عمال النفط في المنطقة المحايدة مطالبين بتقليص اسبوع العمل من ٤٨الى ٤٠ ساعة، وفي عام ١٩٦٦قدم نحو ٩٠٠شخص شكاوى إلى مكتب العمل في الدمام تتضمن مطالب إقتصادية [١٦٦].

وعلى إثر قيام حرب حزيران ١٩٦٧، بادر العمال إلى إيقاف النفط والإضراب عن العمل بالقوة، ومنعوا شركة ارامكو من ضخه أو نقله، وقد خضع النظام السعودي مرغماً خوفاً من أن يؤدي ذلك إلى تدمير منشآت النفط..ولكنه أرسل في الوقت نفسه قوة كبيرة من مجندي البدو والقبائل من مناطق المملكة الأخرى لحراسة حقول النفط، ولضرب المظاهرات الضخمة والهيجان الجماهيري الذي استمر يومي ٥و٦ يونيو واتسم بالعنف في بعض الاحيان، وقد شملت المظاهرات معظم مدن وقرى المنطقة الشرقية بما فيها القطيف والدمام وصفوى وسيهات والخبر ورأس تنورة، والظهران (التي هوجمت فيها القنصلية الأميركية) واستمر الإضراب عن العمل حتى قرر مؤتمر الخرطوم ــ مؤتمر اللاءات الثلاث!ــ ضخ النفط من جديد لدعم دول المواجهة !.[١٦٧]

وكانت حصيلة المظاهرات والإضرابات إعتقال مئات من المواطنين رزح الكثير منهم في السجون سنين طويلة، وقضى آخرون نحبهم داخل السجن، ولم تسلم جثثهم لذويهم..وما يميز اضراب ومظاهرات عام ١٩٦٧عن سابقتها أن الاحداث الاخيرة وقعت في عهد الملك فيصل، الذي يعتبر عهده من اشد العهود قسوة وطغياناً في العنف، وكان الامير فهد ــ الملك حالياً ــ وزيراً للداخلية.

إهمال المناطق الشيعية

لقد قامت منشآت ارامكو في جزء هام منها على أكتاف المواطنين الشيعة، فكانت كل الأعمال التي تتطلب جهوداً جسدية مضنية تحول عليهم للقيام بها..بدءاً من اعمال الحفر، الى أعمال التكرير...مروراً بالصيانية والتنقيب والتشغيل، إلى آخر قائمة الأعمال الدونية الشاقة، ومع هذا كان حصادهم من كل ذلك قليلا لا يتناسب بأي حال مع الجهد المبذول.

ليس المهم ــ في بحثنا هذا ــ كم كانت أرامكو تحقق من ارباح، وهي لا شك أرقام خيالية، منحتها إياها إتفاقية الملك العرجاء، كما ليس مهماً التحقيق في عائدات الحكومة

---

[165] مجلة صوت الطليعة، العدد الثاني، مجلة فصلية كان يصدرها البعثيون في السعودية.

[166] فاسيلييف، مصدر سابق، ، ص ٤٦٨.

[167] المصدر السابق، ص، ٤٧٠، ومجلة صوت الطليعة العدد الثاني.

السعودية، فهذه العائدات التي كانت تلتهم بكل سهولة أثناء الحرب وبعدها بقليل من قبل الحاشية، والأسرة المالكة، بقي منها فيما بعد شيء يسير يصرف على الخدمات، رغم أن الجزء الأكبر من الميزانية التي كانت معدومة طول عهد إبن سعود، وشبه معدومة في عهد سعود، يذهب إلى جيوب المرتشين والحاشية ورجال الأسرة المالكة [١٦٨].

تصاعدت اسعار النفط في الستينات والسبعينات، وتصاعدت حصة الحكومة من الإيرادات تبعاً لذلك..وبدأت الحكومة بالإنفاق العام وبصورة شبه إعتباطية على بعض الخدمات الأولية "مدارس، مستوصفات، شوارع، " وأنفق بعض المال بشكل مبعثر على رجال القبائل ضمن مخصصات معينة، وأحيانا كثيرة ــ كما يهوى الملك سعود ــ يتم رمي الذهب والنقود من نافذة سيارته !.

ولم تنتظم الأمور إلى حد ما، إلاّ في عهد الملك فيصل، فقد غطى تصاعد الايرادات على الفساد والرشوة، كما غطى على النهب المتصاعد، وأخرس المال وتحسن الخدمات الجزئي الألسن وربطها عن الحديث حول امور السياسة ونقد الأسرة المالكة وبذخها وإسرافها.

وحدهم الشيعة الذين تحملوا الجزء الأكبر من العناء قبل النفط..ووحدهم الذين حصدوا الريح من عائداته، رغم انهم ينتجون ثروة البلاد الرئيسية، وان أرضهم منبع الثراء.

وحدهم الشيعة الذين حرموا من خيرات أرضهم، فكانوا في آخر الركب مواطنين من الدرجة الثانية، أو على حد قول احد المواطنين الشيعة لصحيفة نيويورك تايمز : " بالمنظار السعودي ــ يأتي السنة في اول القائمة من الأهتمام، يليهم المسيحيون، ثم اليهود، ونحن الشيعة نأتي بعد اليهود في القائمة "[١٦٩].

أو كما قال احد الغربيين، بان النجديين يتمتعون بأعلى مقام وهيبة في المملكة، وينظرون إلى أنفسهم على انهم أرفع من غيرهم في المنزلة، وبسيطرة الوهابية تعزز هذا الشعور، وفي نظر النجديين يأتي بعدهم في المرتبة الثانية سنّة الخليج العرب، ثم الحجازيون (توجد في مكة المكرمة أعداد كبيرة من المواطنين من أصل هندي وأندونيسي وتركي ومن آسيا الوسطى)، ثم الهنود والإيرانيون السنّة، ويأتي أخيراً في مرتبة أدنى من الهنود والإيرانيين، الشيعة الذين يشكلون أدنى فئات المجتمع في الخليج [١٧٠].

---

[168] قدر فاسيلييف أن ابناء الملك المؤسس، وفي عهد الملك سعود، كانوا يحصلون من بيت المال على عشرة ملايين ريال سنوياً لكل واحد منهم، إذا كان متزوجاً..اما إذا كان أعزباً فيحصل على مليوني ريال، أما سائر الامراء فكانت مخصصاتهم تتحدد طبقاً لدرجة قرابتهم من الملك ــ المصدر ص ٤٤٧ــ.

[169] نيويورك تايمز، ٢/١/٠ ١٩٨م.

[170] مايكل فيلد، مصدر سابق، ص ٦٢ــ ٦٩.

إن الإهمال الذي تعرضت له مناطق الشيعة كان مستهدفاً، فالمنطقة الشرقية التي أدارها عبد الله بن جلوي وأبناؤه منذ عام ١٩١٣وحتى ١٩٨٥وكأنها أقطاعية من أملاكهم "اعتاد آل سعود الإبقاء عليها مطيعة مروضة، ولكن ضعيفة التنمية والتطوير"[١٧١]. وآل سعود ومسؤوليهم لا يخجلون في الإعلان بصريح العبارة لممثلي الطائفة الشيعية بأنهم لا يجب أن يتوقعوا المساواة اقتصادياً وإجتماعياً مع بقية المواطنين، بل ويعبرون عن إذزعاجهم ودهشتهم في جرأة الشيعة على طرح موضوع المساواة هذا !.

إن كل من زار السعودية لحظ التفرقة بأبشع صورها ضد الشيعة، وإذا كان المسؤولون لا يهتمون برأي المواطن الشيعي وشكواه، وأحياناً كثيرة يكذبونه مدعين بان شيئاً من التمييز والإهمال غير موجود على الإطلاق، فلربما كان يهمهم سماع رأي الغربيين الذين يعملون في البلاد، أو على الاقل يلفت ما يكتبونه إنتباههم.. اما حكاية ان الملك لا يعلم بما يجري وكذلك الامير الفلاني وغيره، فإن مثل هذه الحجج التي عادة ما يتذرع بها المسؤولون إذا ما أعيتهم الحيل، لايمكن أن تكون مقبولة، خاصة وان المشكلة مضى عليها اكثر من سبعين عاماً.

لقد قام أعيان الشيعة بالمستحيل طوال هذه المدة، لشرح آلام مواطنيهم لدى المسؤولين، إبتداء من الملك، وإنتهاءً بأصغر أمير يظن أن بإمكانه تخفيف غلواء هذه التفرقة، لقد كانت الوفود والرسائل والبرقيات واللقاءات الشخصية المتكررة، شواهد صارخة على هذا التمييز وهذه المظلومية التي إبتلى بها قطاع غير قليل من المواطنين.

فيما يلي أربعة نماذج من الشكاوى التي قدمها أعيان الشيعة للمسؤولين السعوديين، لم تظفر أي منها بالاهتمام، أرسلت على فترات متباعدة توصل إلى نتيجة واحدة، هي أن ما طالب به الشيعة منذ ثلاثة عقود على الاقل مازالوا يطالبون به حالياً.

اولا : في ٢٢جمادي الأول سنة ١٣٧٩ هـ، كتب الوجهاء رسالة مفصلة إلى أمير المنطقة الشرقية، وبعد أن شرحوا له وضع المنطقة المتقدم في كافة الميادين فيما مضى من السنين، أصبحت اليوم بعد ظهور النفط في آخر الركب، وأشاروا إلى أن "المسؤولين لم يستطيعوا ــ وهم على اعتاب حياة جديدة ــ أن يولوا القطيف إهتماماً، فلم تظفر بما ظفرت به أخواتها من مدن وقرى المملكة، وإذا نالت شيئاً فإنه لا يقف في وجه إندحارها وتقهقرها.وبهذا أصبحت القطيف في حالة شبه إنعزالية تحيا حياة إنطوائية جانبية، لا نصيب لها في مضمار العلم والتقدم والسبق في الميادين، وقد تجمد نشاطها في حقل الإنتاج الزراعي إلى حد أفقدها الاعتماد على إنتاج الخضار لكفاية الاستهلاك المحلي، كما أفقدها قسماً كبيراً من الأرض، والبقية سوف لا يكون مصيرها بأحسن مما فقد، أن لم يتدارك الامر ".

[171] روبرت لبسي، مصدر سابق.

ثم تمضي الرسالة معددة أسباب تدهور الزراعة، بينها هجرة سكان الريف للعمل في صناعة النفط، وعدم حماية الانتاج الزراعي المحلي أو مساعدته على منافسة المستورد، ونضوب المياه بسبب حقن حقول النفط بالمياه العذبة، وفرض الهند قيوداً على إستيراد التمور والسلوق من القطيف وغيرها.

وتشكو الرسالة الوضع الصحي فتقول :

"القطيف تتكون من ٢٦مدينة وقرية، تفصل بينها أبعاد ومسافات، وسكانها يزيدون على مائتين وخمسين ألف نسمة، هذه القرى وهؤلاء السكان ليس لديهم إلاّ مستوصف واحد في القطيف ذو عيادة خارجية، وآخر مثله في تاروت..اما العمليات الجراحية والولادة والحالات المستعجلة والاسعافات والوحدات الطبية، فليس لديها شيء مطلقاً، وكل ما تعتمد عليه هو العلاج في العيادات الخاصة في كل من القطيف والدمام والخبر وسيهات، وهذا بمبالغ طائلة ينفقها الأهالي على العيادات الخاصة، ولقد كانت ارامكو والى وقت غير بعيد تقبل المرضى والمراجعين، إلاّ انها أوصدت الأبواب في وجوههم، ثم أن مستشفيات الخبر والدمام ليست من التجهيز والسعة بحيث تكفي حاجة الجميع، وحتى لو كانت كافية، فأن المناطق البعيدة من القطيف يصعب عليها الاستشفاء هناك، ولا سيما في الحالات الضرورية، مع الاخذ بالملاحظة وعورة الطرق ".

وعن التعليم قال الوجهاء :

"والحديث عن التعليم يشبه إلى حد بعيد الحديث عن نواقص الصحة، وإن كان هناك إهتمام ونشاط ملحوظان من وزارة المعارف في فتح المدارس، إلاّ أن هذا الاهتمام يكاد يكون سلبياً في بعض المناطق، ومفقوداً في مناطق أخرى، وعلى وجه المثال نوضح أن منطقة سوق القطيف، وهي تشمل القلعة وباب الشمال والجراري والمدارس ومياس والشريعة والدبابية والكويكب والشويكة...هذه كلها ليس بها إلاّ مدرستان إبتدائيتان، هما المدرسة القديمة التي بنيت عام ١٣٦٥هـ، وبها ٣٨٠تلميذاً، والمدرسة الجديدة وبها ٤٧٥تلميذاً، فهل تكفي هاتان المدرستان أبناء هذه المنطقة، والمدرستان الحاليتان رغم عدم كفايتهما فانهما مع ذلك تفتقدان كافة اللوازم التأثيثية حتى فراش الأرض، اذ أن أكثرية الطلبة يجلسون على الأرض دون حصير، وإذا تخطينا منطقة السوق نجد ان كلاً من قرى التوبي والخويلدية والجارودية وحلّة محيش والبحاري والأوجام ليست بها مدارس أساساً ".

"أما المواصلات، فانها لم تنل أدنى إهتمام أو عناية من قبل الحكومة، فعلى الرغم من أن شارع القطيف العام الذي يربطها بسائر أجزاء المنطقة الشرقية يعتبر عاملاً مهماً في تنشيط الحركة التجارية وفي إنخفاض أجور النقل، إذا ما عبدٌ.. وعلى الرغم من صدور الأوامر الملكية العديدة بوجوب رصفه، فإنه حتى الان على ما كان عليه، وطالما انقطع المرور فيه

أيام الأمطار، وتوقفت حركة النقل والبيع والشراء، والى جانب هذا الشارع توجد شوارع فرعية مهمة تصل بين القطيف وبين قراها، كشارع البدراني الذي ينتهي في الغرب بشارع رأس تنورة ــ الظهران، وشارع القديح الذي يدرس الان في المدارس السعودية أنه رصف بالاسفلت !، وجسر تاروت الذي يربط كامل الجزيرة بالقطيف، وقد نفذ قسم منه ــ حوالي الربع ــ ثم توقف العمل، وثالثة الأثافي هي الميناء، حيث رأت الحكومة ضرورة إصلاحه منذ عام ١٣٦٤هــ، وحدتها الرغبة إلى وضعه بالمناقصة، غير أن أي شيء بعد ذلك لم يتم، وقد نشأ عن إهمال الميناء أن اضطر تجار البلاد للتوريد على جهات أخرى تكلفها مشقة النقل وأجورها ومددا من الوقت أطول ".

"والغريب في الامر أن لا يكون نصيب القطيف في حرمانها ضمن هذه النقاط الاربع، وهي الصحة والتعليم والانتاج والمواصلات، وإنما شاء الصدفة !ان تكون محرومة من كل شيء وفي كل المرافق، انها تنكب سنوياً بما يزيد على ستين مرة يشب فيها الحريق في القرى والمدن، فيأتي على الأخضر واليابس، ويفقد الناس أعز ما لديهم...وطالما تلفت أرواح وأزهقت نفوس، ومع ذلك لم تحظ البلاد بفرقة إطفاء رغم الأوامر الصادرة بسرعة انفاذ ذلك".

"أن الأهالي لم يقفوا عند حد السكوت والتفرج، وانما شعروا بان الوضع يهدد كيان البلاد، وينذر مستقبلها بالخطر، ويتركها تعيش منزوية مجهولة، رغم ماضيها المجيد وتاريخها العريق، ورغم كونها تشكل جيزاً لا يستهان به في خريطة المملكة..لهذا بادروا بإشعار الجهات المسؤولة، وطالبوا وكرروا الطلب والرجاء في شتى المواضيع ومختلف الحاجات، وقد وجدوا استجابة حسنة ولفتة كريمة من قبل المسؤولين، وعلى رأسهم صاحب الجلالة، وحصلوا على أوامر تنفيذية عديدة، غير أن أكثرها لم ينل نصيباً من التنفيذ"!.

وفي ختام الرسالة وضعت طلبات محددة بشأن الصحة العامة والتعليم وغير ذلك.

ثانيا :أرسل أعيان الشيعة في القطيف برقية برقم ٢٥٩٢٤١ في ٣٠ رجب ١٣٩٧هــ، إلى ولي العهد الأمير فهد بن عبد العزيز، هذا نصها [١٧٢]..

"إذا كان احد من المسؤولين الذين يهمهم شيء من الحال والعقد لا يريد لنا الخير، ويستكثر علينا نعمة العطاء، كالتالي ينعم بها الأباعد والأقربون في عهد الحكم السعودي الزاهر... فإن لنا في الحاكمين من أبناء المغفور له الملك عبد العزيز، وعلى رأسهم جلالة الملك المفدى

[172] البرقية موقعة من قبل : عبد الرسول الجشي، عبد الواحد الخنيزي، نصر الشيخ علي، منصور الخنيزي، أحمد سنبل، علي حسن علي، باقر الزاهر، جعفر الماجد، جواد الزاير، عبد العلي آل سيف، محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي، حسن علي سنان، محمد سعيد أحمد الجشي، محمد تقي الشيخ، زكي الخنيزي، علي المعلم، منصور الشماسي، حسين منصور آل عبد المحسن، كمال الفارس، عبد الله علي الزاكي، عبد الله القطري، وآخرون.

خالد، وسموكم الكريم..لنا فيكم السند الذي نستند إليه، والركن الذي نأوي إليه..نقول هذا لأننا نتطلع إلى أن تساير بلادنا ركب التقدم والإصلاح الذي عمت فروعه كل نواحي المملكة وتخطاها إلى غيرها، بينما القطيف إذا ما قورنت بغيرها، برزت في أقصى درجات التخلف، فنخيلها وحقولها وبساتينها التي كانت مصدر ثروتها، أصبحت عبئاً ينوء به أهلها، وخطراً لا يعرفون التخلص من أوبائه، وطرقها لضيقها وخرابها صارت السبب الأول في حوادث السير وتلف الأرواح والأموال، وحتى المرافق القائمة كالمدارس والمستشفيات [١٧٢].والإدارات الأخرى، يبرز فيها النقص في الكم والكيف بما يملأ النفوس أسفاً.وعامان مليّان لم تنل بلدية القطيف فيهما مشروعاً حيوياً يعيد النشاط للبلاد، ويقضي على ذلك الجمود ".

"وزاد الطين بلة، الضربة القاضية التي عطلت مفعول الصكوك الصادرة من قضاة الشيعة، فأصبحت دوائر الدولة ومؤسساتها والشركات والبنوك ترفضها رفضاً باتاً، وحتى الفترة الوجيزة التي أمر سموكم فيها بتعليق العمل باللائحة التي كانت السبب المباشر في طعن الشيعة وقضائهم، لم تتسع لما هناك من قضايا تجمدت ثلاث سنوات وتراكمت، سواء في البلديات ام في الزراعة ام في سواهما ".

"فهل كل تلك الأوضاع الشاذة والتأخر الفظيع الذي منيت به القطيف عدل يرضى به سموكم والمسؤولون من ابناء عبد العزيز ؟..لذا نناشد شخص سموكم الإنسان بما عرف من إنسانيته، والمسلم بما عرف من مواقفه، والراعي بما عرف من مسؤوليته وعدله، النظرة الشاملة للبلاد بما يعيد لها كرامتها وقوتها المادية، وكيانها الاقتصادي، ورفعة مستواها العمراني، بوضع خط انمائية خمسية تشمل التمور ومشتقاتها، والحقول ومنتجاتها، واخرى للمشاريع، مع التفضل برفع الحيف عنا، والأمر الكريم بإعتماد صكوك قضاتنا كأي صكوك أخرى تصدر من المحاكم كما كان سابقاً، وارحموا في الأرض يرحمكم من في السماء.."!.

أصابت الوجهاء الدهشة بالمفاجأة الجميلة، فقد امر ولي العهد ـــ الملك الحالي ـــ بتشكيل لجنة يشارك فيها مندوبو الوزارات (الداخلية، البلديات، العدل، الزراعة، المالية، المعارف) للنظر في إحتياجات القطيف على ضوء برقية الوجهاء..وماذا بعد هذا ؟!.

قدمت اللجنة إلى القطيف وهي مؤلفة من محمد بن زين، مندوباً عن ديوان المظالم، ومحمد مفيلح مندوباً عن وزارة المعارف، وسليمان الفالح عن وزارة الداخلية، وسليمان الحجي عن وزارة العدل، وباطلاع عبد الرحمن الشهيل من وزارة البلديات، والمهندس فواز أخضر من وزارة الزراعة، وكان قدوم اللجنة في شهر ربيع الثاني ١٣٩٨هـــ، أي بعد حوالي

---

[173] لم يكن هناك حتى تاريخ الرسالة سوى مستشفى واحداً يقدم خدمات سيئة، وكان عبارة عن مسلخ بشري يفتك بالناس أكثر من أن يعالجهم، وهو المستشفى المركزي بالدمام.

تسعة أشهر من إرسال البرقية..لكن هذا لايهم، فالذي إنتظر عشرات السنين قادر على تحمل الأشهر !.

اجتمعت اللجنة بناء على طلبها بكل من السيد حسن العوامي، ونصر الشيخ علي، وحسين بن صالح، وعبد الله المطوع، والسيد جعفر الماجد، وقد رافق هؤلاء أعضاء اللجنة في جولتهم على المدن والقرى المحيطة [174].كما ناقش أعضاء اللجنة الأعيان والوجهاء، وقدم الاخيرون رسالة إجمالية خطية بموضوع البرقية التي رفعوها للأمير فهد مرفقة بمذكرة مطولة تشرح الاحتياجات.

قال الوجهاء فيها [175]بشكل مجمل بأن " الواقع المشاهد أكبر مما سنذكره في البيانات، ولا أثر بعد عين !..وقديماً قيل : توضيح الواضحات من أعقد المعضلات، واذ نرفق لكم البيانات بالأشياء التي نراها ضرورية وملحة، فإننا نثق بأنكم ــ أعضاء اللجنة ــ تدركون ماهو أكثر منها مما تحتاجه هذه البلاد التي تخلفت حين تقدم سواها..ولا يفوتنا أن نبين لحضراتكم أن القطيف تعيش على الذيل من هامش الحياة في جوانبها الاقتصادية والعمرانية والصحية والتعليمية وغيرها من سائر المرافق، إذا ما نظرنا إلى ما تتمتع به مناطق المملكة من عناية، والى الاهتمام الكبير المتواصل الذي توليه الدولة للغير فضلاً عن ابنائها ".

"وشيء يحز في نفوسنا ــ قال الوجهاء ــ أن ننظر إليها ــ أي إلى القطيف وتوابعها ــ بين بيوت أكثرها قديمة ومتداعية، وأزقة ضيقة متعرجة، وطرق تعتبر أنها شوارع مفتوحة، وإذا هي تبدأ بحفرة لا تكاد تنتهي بأخرى، وإنما مجموعة من الحفر والنتوءات والأرصفة المتهدمة..ومياه المجاري تزكم الأنوف، ومناظر تشمئز منها النفوس، وإذا تساءل احد عن هذه الانسيابات التي لا تعرف حدوداً، قيل أنها (أوتاك)؟... يعني أن شركة أوتاك تقوم بعملية بناء شبكة المجاري. وهل أوتاك أمَدٌ غير محدود ؟وهل جيء بها لتصلح أو لتفسد ؟".

"والحقيقة المؤلمة أنه قد أختلطت الأمور بعضها ببعض لكثرة الخراب، حتىالمشاريع التي نفذت من ذي قبل لم تدرس إلاّ من خلال منظار مرحلي، وليس على أساس مستقبلي يلحظ فيه نمو السكان وزيادة الحركة وتوسع العمران..ولا أدل على ذلك من الطرق المفتوحة، والطرق

174 سبق هذا قيام الأمير ماجد بن عبد العزيز ــ وزير البلديات حينها ــ بجولة مماثلة، قيل أنه خرج منها متأثراً بشكل عميق، وعلق على ما رآه بأن : هذه الأحياء لا تصلح للحيوانات سكناً عدا الفئران !.وقال أحد مرافقي الأمير المحليين بان الأمير خرج وثيابه البيضاء ملطخة بالأوساخ القاذورات، وأضاف بانه لا يعتقد شخصياً بان الأمير يتمتع بقابلية نفسية للقيام بجولة أخرى، سواء في المستقبل القريب أو البعيد !.

175 وهم : السيد حسن العوامي، عبد الواحد الخنيزي، سلمان الغريافي، عبد الله محفوظ العوامي، منصور أحمد الخنيزي، السيد محسن السيد رضي، منصور نصر الله علي حسن علي المروزق، محمد سعيد أحمد الخنيزي، زكي الخنيزي، جواد الزاير، السيد جعفر الماجد، منصور الشماسي، محمد سعيد الخنيزي، عبد الحي محمد صالح، مهدي بن صالح الحمادي، باقر الزاهر، عبد الله بن حجي، عبد الله أحمد الدبات.

الداخلية، لقد أحصت إدارة المرور عدد السيارات التي تمر في شارع القطيف / الدمام خلال أربع وعشرين ساعة فبلغت ٢٢ألف سيارة..منها الصغيرة والحافلة والناقلات الكبيرة التي تمر في شارع عرضه عشرة امتار، بين بيوت متراصة، وليس هناك مواقف إضطرارية، أو إشارات سير، أو فواصل أو حواجز تنبه الأطفال، إلاّ يحدث التصادم وتلف الأموال والأرواح التي هي أغلى من المال ؟.ان احصائية الحوادث يعلم بها الله ثم إدارة المرور..اذ لا يكاد يمر يوم إلاّ ونسمع عن حادثين أو اكثر".

وأضاف الوجهاء في مذكرتهم:" أما إذا ألقينا نظرة على بقية مدن وقرى القطيف، فالأمر أسوأ حالاً وأكثر بلاء...فلا طرق مفتوحة، ولا مدارس كافية، ولا مستوصفات، وإنما القمامة تملأ الأزقة، والمستنقعات تحوط القرى، والإهمال يشاهد رأي العين..وحتى المدن التي استحدثت فيها بلديات بقصد رفع مستواها، فليس لها أي أثر من العمل، ولو تكرمتم بالقيام بجولة على المناطق لتأكدتم من صحة ما نقول ".

بعد هذا تأتي المذكرة التفصيلية وقد بوبت حسب المواضيع، جاء في مقدمتها موضوع قضاء وقضاة الشيعة الذي اعتبر مشكلة المشاكل التي وقفت عثرة في كل طريق.ثم جاء دور البلديات، فعددت المذكرة عشرات المشاريع التي ووفق على إنشائها ولم تر النور أساساً، حيث ابتلعت الأموال المرصودة للمنتزهات والشوارع والحدائق ومراكز الصحة والاسواق، ومشاريع المجاري..وتخلص المذكرة إلى أن البلديات في كل مكان يفترض أن تخلق صورة مشرفة للبلاد، إلاّ انها عندنا تفتقد ذلك افتقاداً باتاً.

وحول التعليم جاء التالي: "عدم كفاية المدارس الحالية بجميع مراحلها في جميع مدن وقرى القطيف، وعدم توفر المناخ الدراسي، وعدم توفر وسائل النقل للبنات، بينما نعرف أن المناطق الأخرى مكتملة من هذا الجانب، وعدم توفر دورات المياه الصحية، وعدم وجود مياه للشرب أصلاً في المدارس، وزيادة عدد الطلاب والطالبات في أكثر الفصول وفوق المعدلات المفروضة، وعدم صيانة المدارس..الخ ".

وعن الصحة حيث الحاجة ماسة إلى " إيجاد مستوصفات في القرى، وصيانة المستشفى الوحيد والمسوصفات القائمة..وهناك مستشفيات [١٧٦]انهدمت منذ مدة طويلة ولم يعد بناؤها، رغم كثرة المطالبة، ورغم حاجة البلاد إليها كمستشفى القطيف ومستشفى تاروت، رغم أنه قد حجزت قطعتا ارض لإقامة مستشفيين فيهما..الا أن الوزارة لم تحرك ساكناً رغم المدة

[176] يقال تجاوزاً أنها مستشفيات، ولكنها في واقعها لا تزيد عن مستوصفات، لا تقوم بعمليات جراحية، ولا يوجد بها أسرة للمرضى.

الطويلة، هذا فضلاً عن عدم تزويد المستوصفات والمستشفى بحاجاتها العلاجية من الاجهزة والفنيين ".

أما الزراعة والمياه، فقد توسعت المذكرة في الحديث عنهما، اذ أن البلاد تطورت وكان يجب أن يواكب الوضع العام للحقول والبساتين والانتاج الزراعي بمجمله حالة التطور.."إلاّ أن ما حدث هو العكس تماماً..فأهملت الحقول وأصبح ٨٥% منها لا يقام على فلاحته، ومهما بالغنا في الوصف فإننا لا نصل إلى صورة واضحة تفي بالشرح "..ولهذا كررت المنكرة طلبات الوجهاء فيما يتعلق بإيجاد مصنع للتمور، وإعانة المزارعين للعودة إلى حقولهم..."ومن الأشياء التي مازالت موضع عناء كبير لجميع المواطنين هي مياه الشرب التي عزّت..".

أما الكهرباء وخطوط التلفون فهي ربما من الكماليات، ثم قدمت اقتراحات في شتى المجالات، وقدّم أعيان كل مدينة وقرية احتياجاتهم إلى اللجنة الحكومية، وبناء على ذلك رفعت اللجنة توصياتها لوزير الداخلية ومنه إلى ولي العهد ــ الملك حالياً ــ فوافق عليها، وقد تضمنت الموافقة على الآتي :

١ــ سرعة إنهاء المشاريع المتعلقة بالبلديات، وتسلم مشاريع المياه الشرب، وإنشاء شركات مجاري، وتحسين الشوارع، وإقامة الأسواق المركزية.

٢ــ تكملة مشروع الري والصرف لقرى القطيف.

٣ــ إعانة مزارعي القطيف على مسح واستصلاح مزارعهم ونخيلهم.

٤ــ إيجاد مصنع لتعبئة التمور.

٥ــ إنشاء مباني حكومية لمدارس البنين والبنات، بدلاً من البيوت المستأجرة لعدم كفايتها وقدرتها على الاستيعاب، وتوفير مياه الشرب في جميع المدارس، وفتح مدارس جديدة.

٦ــ تطوير الخدمات الصحية ورفع كفاءة المستوصفات، وإنشاء مستشفى تاروت، وتوسعت المستشفى القائم، وبناء مستوصفات حكومية تكون بالمستوى اللائق..ألخ.

وقد أرسلت نسخة من موافقة الملك إلى معظم الوزارات، كما أرسل نائب وزير الداخلية الأمير أحمد بن عبد العزيز نسخة منها إلى أمير المنطقة الشرقية (عبد المحسن بن جلوي)مرفقة برسالة سرية تقول "تبعث لمسوكم طيّه الأمر السامي رقم ١٤٧٤٠، تاريخ ١٨جمادي الأول ١٣٩٨هــ، الصادر بالموافقة على توصيات اللجنة المشكلة لدراسة ما تعانيه منطقة القطيف من التخلف والتأخر في جميع المجالات..نود الاطلاع على الموضوع والتأكيد على الجهة المختصة لديكم والجهات المعنية بما يخصها، وإبلاغ المبرقين للمقام السامي من أهالي القطيف بما إنتهى إليه الأمر ".

لا شك أن الوجهاء إذا ما تفحصوا هذه القرارات اليوم، وبعد مضي ١٢عاماً عليها، سيلحظون أن ما طبق منها لا يزيد على ٢٥%، في حين أن الدمام أصبحت مدينة، بل

عاصمة المنطقة الشرقية خلال ١٣عاماً فقط، ففي عام ١٩٣٩لم يكن هناك سوى بيت حجري واحد لأمير الدمام، وفي عام ١٩٤٨ صدر أمر ملكي بنقل الإمارة إلى الدمام، وقد انتقلت عام ١٩٥٢..الا يشعر الشيعة بعد هذا بالحيف والغبن، وبعدم جدية السلطات في تحقيق أمور اساسية هي تافهة في عصر طفرة النفط، خاصة وان المنطقة دخلت أعتاب الثمانينات الميلادية، وهي بدون ماء وكهرباء ومدارس وطرق ومستشفيات ؟!.

ثالثاً : بعد التحول التاريخي بانتفاضة الشيعة ضد القهروالظلم في محرم ١٤٠٠هـــ..كتب وجهاء الشيعة في القطيف [177]رسالة إلى الملك خالد في نفس الشهر، موضحين له كيف وقعت المجزرة التي نفذها الحرس الوطني، وبعض فصائل الجيش بحق المواطنين، وذكروا الملك بحرمان الشيعة واضطهادهم في عقائدهم ومعاشهم، وقالوا :" أن الواقع العملي فيه تفريق واضح للعيان ــ تمييز ـــ حتى على صعيد الوظائف.ان القطيف وسكانها الذين يربو عددهم على الثلاثمائة ألف نسمة، وفيهم ذوو الخبرات والمواهب، وحملة الشهادات العليا، لا تستحق حتى أن يكون رؤساء بلدياتها منها، فضلاً عن التدرج لما هو أعلى..ان الدولة ولله الحمد والفضل من أغنى دول العالم، لكن القطيف من أفقر مدن المملكة في عمرانها، مشاريعها، طرقها، احتياجاتها العامة..وتقدم الدراسات، وتصدر التوصيات، وتقف عند هذا الحد..اما التنفيذ فدونه التعب الشديد..ولطالما رفعنا إلى المسؤولين وأوضحنا كثيراً من الحقائق، وطرحنا الكثير من الحلول ولكن دون جدوى ".

"ليس هذا وحده..ان إبن البلاد يرى بأم عينيه أن الكثير من الأراضي البيضاء تذهب هنا وهناك، وتعطى هذا وذاك وهو محروم منها، ثم يشتريها بأغلى الأثمان من هذا الذي وهبت له...بينما ينازع أصحاب الأملاك الحقيقيون في أملاكهم في كثير من الحالات، أن بعضاً ــ يا صاحب الجلالة ــ كاد يلتحف السماء ويفترش الأرض، وكثير كثير يعيش بالإيجار، وأكثر منه أن معظم بيوت المدن والقرى لا تصلح حتى للحيوان مسكناً، فضلاً عن الإنسان الذي كرمه الله، هذه وأمثاله وأشباهها هي التي يحسها إبن البلد ويعايشها، فتتراكم الصور في ذهنه، وتثير فيه الشعور بعدم إنصافه، وعدم مساواته بإخوانه الآخرين، ولنا ثقة بأن يعالج جلالتكم تلك الأوضاع بالحنكة والحكمة، علاجاً ناجعاً يقضي على كل أسباب الشكوى والتذمر، لتزول تلك الفوارق بيننا وبين إخواننا في الدين والوطن ".

رابعا : في العاشر من ربيع الأول ١٤٠٣ هـــ، قدم الوجهاء بيانات بحاجات منطقة القطيف من المشاريع والاصلاحات في ست صفحات، فكانت مسحاً شاملاً لكل الاحتياجات

---

[177] منهم : سلمان الغريافي، حسن العوامي، علي عيسى عبد العال، هاشم السيد سلمان، جعفر الماجد، عبد الله رضي الشماسي، عبد العظيم السعود، منصور أحمد السنان، سعيد الجشي، سيد محمد السيد باقر العوامي، نصر الشيخ علي، عبد الكريم الشيخ علي، سعيد علي العمران، السيد حسين العوامي،

الضرورية، إبتداءا من شق الطرقات وتوفير الماء والكهرباء والنظافة، ومروراً ببناء المدارس والمستشفيات وإزالة المستنقعات، وإصلاح العيون والاعتناء بالزراعة، وإيجاد أسواق وحدائق عامة...وانتهاء بافتتاح كليات وإقامة متحف للآثار باعتبار أن المنطقة الشرقية هي أهم المناطق الأثرية في المملكة على الإطلاق، وكذلك إصلاح المجاري..ثم عددت رسالة الوجهاء إحتياجات كل قرية ومدينة بالتفصيل، ولا تزال شكاوى الأهالي حتى اليوم تعزف على النغمة القديمة قبل نصف قرن !.

أن كل من زار السعودية لاحظ بسرعة تخلف مناطق النفط عن باقي مدن المملكة، وهو أمر مثير منذ الخمسينات الميلادية، وقد تسارع هذا التخلف بشكل مذهل خلال السنوات الأخيرة..وحينما وقعت الانتفاضة في أوساط الشيعة في نوفمبر ١٩٧٩/ محرم ١٤٠٠هـ، كان سهلاً على الأجانب وأجهزة المخابرات العالمية أن تدين خلفيات الحدث..فالإضطهاد السياسي والعقائدي، وطائفية الدولة كانت وراء المشكلة، مما استتبع ذلك تمييز الشيعة ومناطقهم وجعلها متخلفة في كل شيء.

أحد الغربيين مكث في السعودية خمس سنوات وتعلم العربية، ثم كتب كتابه الذي جاء فيه "أن الشيعة يقومون بمعظم الأعمال اليدوية في حقول النفط، ويشكلون حوالي ٤٠%من مجموع القوى العاملة في شركة ارامكو..وان مصيرهم وقدرهم وهم يحققون وينتجون ثروة المملكة كلها، يكادون لا يتمتعون بشيء منها، وهو رمز لعدم التوازن الذي يشكو منه معظم الشرقيين، وخلال اضطرابات وقلاقل نوفمبر وديسمبر ١٩٧٩، أظهر رسم كاريكاتوري جريء، جملاً هائل الحجم يقف على امتداد الجزيرة العربية، كان الجمل يرعى في الشرق، بينما يحلب لبنه شخص تجاري الملامح في الغرب، ويقدم الحليب إلى شخص كسول يجلس في الوسط، تماماً حيث تقع الرياض، فالقصور الجديدة والوزارات والطرقات السريعة الحديثة والمستشفيات تبنى بأموال قادمة من المقاطعة الشرقية، لكن المقاطعة الشرقية نفسها ليس فيها ما تفخر به ".

وقال في موقع آخر أن "إضطرابات المنطقة الشرقية جاءت تعبيراً عن مظالم وآلام الشيعة المسلمين الذين يعيشون في بلدة القطيف وحولها منذ قرون عديدة، وأعادت ذكريات ما قبل سبعين عاما مضت، حين كان ساحل الجزيرة العربية الشرقي مستقلاً عن نجد، وأثبتت أن المشاعر الإقليمية ما تزال تتأجج في الأعماق.ولو لم يتم فتح المنطقة الشرقية لكانت ثروتها النفطية الهائلة قد جعلت منها دولة مزدهرة بحد ذاتها، بل وأغنى من اية دولة أخرى في الخليج، ولكن في عام ١٩٨١لا يمكن لاي من مدن المنطقة الشرقية أن يقارن بالتطور الذي

انجزته الكويت...وما يزال شيعة المنطقة الشرقية يعيشون في حالة فقر، إذا ما قورنوا بالأحوال التي يتمتع بها السعوديون في المناطق الأخرى في المملكة "[١٧٨].

وتقول الصحفية روبن رايت في كتابها "الغضب المقدس " أنه وبعد عام ١٩٧٣، إزدادت أهمية الشيعة في الخليج بنفس معدل زيادة أسعار النفط، وان الشيعة في السعودية يشكلون المصدر الرئيسي للقوى العاملة في مصافي النفط، غير أنه وحتى "عام ١٩٧٩لم يحصد الشيعة إلاّ فوائد قليلة من الأرض التي يعدونها أرضهم، بينما بلايين الدولارات تجد طريقها إلى مناطق البلاد الأخرى، والى أبراج الفولاذ والزجاج، والى الطرق السريعة ذات الثماني مسارات في الرياض، والى القصور في جدة، والى مشاريع التنمية في المقاطعتين الوسطى والغربية، والى المطارات الخيالية التي تبلغ مساحة الواحد منها مساحة مدينة أميركية بأكملها، والى قواعد عسكرية تبنى في الشمال وتستطيع أن تستوعب من الجنود والمعدات أضعاف ما يمكن لآل سعود أن يوفروه منهما..بينما بقيت الاحساء جرداء شمطاء مهلهلة، تفتقر إلى المستشفيات والطرقات الجيدة، وحتى إلى المدارس..مرة أخرى يشعر الشيعة بانهم يقاسون من الظلم والاستغلال "[١٧٩].

وترى الكاتبة بأن تحت سطح الاضطرابات كان يكمن غضب الشيعة وسخطهم، وان هذه الانتفاضات يجب " النظر إليها على انها ردة فعل على الإهمال والاضطهاد والقمع الذي ولده التحامل الوهابي، والقائم حالياً وبشكل من أشكال اضطهاد القرون الوسطى في المملكة الوهابية على وجه الخصوص..وكان على كبار عائلة آل سعود أن يكونوا واعين للمخاطر الناشئة عن وجود فئة ساخطة قبل الان بوقت طويل ".

واعتبر غربيون آخرون أن احداث ١٩٧٩هي حصيلة خمسين عاما من الاضطهاد.."أن ذلك الحس بالإحباط المتواصل على مدى خمسين عاماً، وجد التعبير عنه أخيراً، وقد أرسل نايف – وزير الداخلية – نائبه احمد إلى القطيف وهو يحمل تعليمات بان يحتوي الوضع مهما كلف الامر. وقام الاخير بجولة في المدينة وزار مدرسة، وفي حديث جرى بينه وبين الأهالي، اعترف بأن الشيعة قد عانوا الكثير، وبهذا يكون احمد اول فرد من آل سعود يصرح بمثل هذا الاعتراف، وقال بأن الشيعة لم يزدهروا قدر إزدهار الاخرين، وانه لم تتحسن أوضاعهم فيما يتعلق بالخدمات التي تقدمها الدولة..وحتى نساؤهم لم يتلقين الاحترام الذي تتوقعه النساء المسلمات، وقال بانه مما لاشك فيه أن المدارس والمستشفيات لم تكن ملائمة ولا كافية "[١٨٠].

---

[178] روبرت ليسي، مصدر سابق.

[179] Robin wright ,sacred rage , the weath of miltant islam london 1986

[180] البيت السعودي، ديفيد هولدن وريتشارد جونز.

وإذا كان الأمراء السعوديون مهتمين بأقوال الغرب ــ وليس رأي مواطنيهم ــ فليقرأوا ما يكتب.يقول احدهم :" عانى الشيعة من الظلام معظم الأحيان منذ الاحتلال السعودي للمنطقة الشرقية، وكانت مواكب المحرم ممنوعة حتى المدة الاخيرة، وقد استثني الشيعة من القوات المسلحة ومن الحكومة إلى درجة أنه لم يكن في المملكة عام ١٩٨٢، سوى اثنين من الشيعة في مناصب رفيعة، كما أن عدد رجال الأعمال الشيعة اقل بالمقارنة النسبية، ورجل الأعمال الشيعي البارز والوحيد في المنطقة الشرقية هو عبد الله المطرود الذي يملك مزرعة كبيرة ومخبزاً أوتماتيكياً ومغسلة [181].وكانت المدن والقرى الشيعية في نهاية الطابور بالنسبة إلى بناء المدارس وتوفير الخدمات الصحية "[182].

وأشار باحثون اخرون بانه في الفترة ما بين ١٩٢٩ــ ١٩٧٩، كانت مناطق سكن الشيعة هادئة تقريبا، أما التذمر الاقتصادي والاجتماعي فقد بقي متعاظماً ولعدم وجود دعم خارجي لأهدافهم، فأن شيعة الاحساء تعرضوا للإرهاب والتخويف بقوة النظام السعودي، وادارو شؤونهم بطريقة حذرة [183].وهناك ملاحظات على مسألة هدوء الشيعة ليس هنا مكان بحثها.

وقال هؤلاء ــ كغيرهم ــ بأن الشيعة السعوديين ممثلون هامشيون في النظام الاقتصادي السعودي، وانهم وبسبب التمييز الطائفي حصلوا على اقل الفرص، وهم يشعرون بانهم لم يحصلوا إلاّ على ناتج جد ضئيل من الخدمات والإنشاءات.."أن الشعور يتصاعد بان القرى والمدن الشيعية مثل الهفوف والقطيف أهملت ولم تتطور قياساً إلى الدمام والجبيل والخبر ــ فضلا عن الرياض وجدة وغيرهما ــ، بالاضافة إلى ذلك فانهم يشكون من قلة المخصصات للمصاريف، وبالتالي فهم يعانون من افتقار الانشاءات والخدمات العامة الأولية كالمدارس والمستوصفات والمستشفيات والطرق المرصوفة وغيرها "[184].

وأشاروا بان " مرتبة الشيعة الدونية كمواطنين من الدرجة الثانية أصبحت اكثر إلفاتاً للنظر ووضوحاً وإزعاجاً حينما يشعر هؤلاء بان مصادر الثراء السعودي تتواجد في وسط منطقتهم، ولكنهم لم يحصلوا على فرصة جني المنافع بمساواتهم مع بقية السعوديين "[185].

وفي تقرير وزارة الخارجية الاميركية لعام ١٩٨٧، والمقدم للكونغرس حول حقوق الإنسان في دول العالم المختلفة، يشير القسم الخاص بالسعودية إلى أن " الشيعة في المنطقة الشرقية يشكلون أقلية مذهبية تتعرض للتمييز الاقتصادي والاجتماعي..ويتعرض هؤلاء إلى

---

[181] هذا هو حدود الغنى عند الشيعة "مزرعة ومغسلة ومخبز"، ومع هذا جرت محاولات كثيرة ولا تزال لتحطيم هذا الرجل !.

[182] مايكل فيلد، مصدر سابق، ص ٧١، ٧٢.

[183] Shi,,and social protest , p.238,239,241

[184] نفس المصدر السابق.

[185] نفس المصدر السابق.

المراقبة وتقييد حرية السفر، كما أن العديد منهم قد اعتقل واحتجز دون توجيه اتهامات، ويستمر ذلك لأشهر أحياناً "[186].

لم تتغير الاوضاع بعد ثلاث سنوات، ففي تقرير الخارجية الاميركية عن عام ١٩٩٠..جاء ما نصه :" يواجه السعوديون الشيعة تمييزاً في الوظائف الحكومية والمهنية، وخاصة في الاعمال ذات الحساسية الأمنية، وهي غير معرفة...وتذكر التقارير أن شركة ارامكو السعودية التي توفر فرصاً كبيرة لتوظيف الشيعة، كانت قد تسلمت تعليمات تأمرها بالتوقف عن توظيف الشيعة، إضافة إلى تبديل مراتب الموظفين الشيعة من ذوي المناصب الهامة إلى مناصب أقل.كما يواجه الشيعة بعض القيود في الاستفادة من الخدمات الإجتماعية على الرغم من محاولات الحكومة لتطوير الخدمات في المناطق ذات الأغلبية السكانية الشيعية..ومنذ قيام الثورة الإيرانية، فإن الشيعة واجهوا وبصورة منتظمة مضايقات وقيود في السفر للخارج".

وفي تقرير منظمة " المادة ١٩" والتي تتخذ من لندن مقر لها، والمهتمة بقضايا حرية التعبير عن الرأي في دول العالم، في تقريرها لعام ١٩٩١، قالت عن الأوضاع في السعودية فيما يتعلق بالتمييز الطائفي: "ثمة أقلية من المسلمين الشيعة تسكن في المنطقة الشرقية من المملكة، ويزيد عددهم الإجمالي عن نصف مليون نسمة.. ويتعرض هؤلاء للتمييز الإجتماعي والاقتصادي، كما انهم مضطهدون سياسياً، ويخضعون لمراقبة ثابتة، وتضع السلطات السعودية قيوداً على حريتهم في التحرك والسفر.وقد اعتقل العديد منهم لممارستهم حرياتهم الدينية، وهم ممنوعون من حل مشاكلهم الداخلية عبر مؤسساتهم الخاصة، ولا تقدم الحكومة أي دعم مالي للمؤسسات الدينية الشيعية أو للقضاة الشيعة ".

وفي التقرير السنوي للمنظمة العربية لحقوق الإنسان لعام ١٩٨٧ جاء التالي: "إن الأقلية الشيعية التي يقدر عددها بنحو ٤٠٠ألف شخص، تتعرض لمظاهر التمييز على المستوى الاجتماعي والاقتصادي، كما تتعرض لقيود في مجال الحق في التنقل والسفر خارج البلاد، بل وتشير بعض التقارير لمظاهر أخرى من التعسف تشمل الترحيل في بعض الحالات "[187].

لا يبدو أن الشيعة يأملون تحسناً أساسياً في أوضاعهم المعاشية طالما أن الدولة قائمة على أسس مذهبية طائفية..ان المهمُ بنظر الشيعة هو إلغاء جذر المشكلة وهو التمييز بين المواطنين على الأسس المذهبية، والتعامل مع المواطن كمواطن دون النظر إلى مذهبه وطائفته، المطلوب هو إلغاء طائفية السلطة، الذي يختزن كل المشاكل ويفجرها في الشارع على شكل إضطهاد إقتصادي واجتماعي وعقائدي وسياسي.

---

[186] تقارير عربية ودولية حول انتهاكات حقوق الإنسان في دول مجلس التعاون الخليجي، إصدار لجان الدفاع عن حقوق الإنسان، ولجان التضامن مع المعتقلين السياسيين في الجزيرة والخليج العربي، ص ٨٢.

[187] المصدر السابق، ص ٢٢؟

ولعل الشيعة شعروا بعد إنتفاضتهم التأريخية العارمة، بمحاولة تحسين الأوضاع الإقتصادية في مطلع الثمانينات وحتى عام ١٩٨٣، من جانب الحكومة..ولكنهم يدركون تمام الإدراك بأن ذلك ما هو إلاّ محصلة لجهدهم، وثمن للدماء المراقة من شبابهم على أرضهم برصاص الجند الطائفي، ولم يكن الاهتمام الحكومي راجعا إلى احساس جهاز الدولة بان ذلك من حق الشيعة، ولا إلى شعورهم بخطأ المسار الماضي، وإنما خوفاً من العواقب، أو كما تقول روبن رايت "ليس من باب الغيرة كانت محاولة استرضاء آل سعود للشيعة، ولكن لقلقهم على مصدر دخلهم الأساسي: النفط " فقد كانت حادثة الحرم كارثة ومصيبة لمن يصفون أنفسهم بحماة الإسلام، لكن العائلة الحاكمة بدت وكأنها تستطيع التعامل مع الأصوليين السنة من خلال رجال الدين الخاصين بهم..اما الشيعة فكانوا قضية مختلفة..وتضيف الكاتبة بانه حين حقق المسؤولون في مظالم الشيعة، توصلوا إلى قناعات كانت واضحة جلية للدبلوماسيين الأجانب في المملكة منذ وقت طويل، وكذلك للعمال الأجانب في ارامكو ـ اكبر شركة نفط في العالم، والتي تقوم منشآتها في وسط المعاقل الشيعية ـ ورد آل سعود على خلاصة تقرير المسؤولين بصب الأموال على بناء المدارس والطرق، وبدأ أفراد العائلة المالكة يتجولون في المنطقة للاجتماع بالوفود الشيعية لمحاولة تهدئتهم [١٨٨].

لكن هذه المحاولات رغم جزئيتها، ورغم صرف الذهن عن دوافعها، لم تكن لتلغي تراكمات نصف قرن من الحرمان والاضطهاد، فضلا عن أن الحكومة سرعان ما اعتمدت العصا كحل أساسي وبدأت بتنفيذ سياسة عنيفة تجاه الشيعة، ووسعت مجالات الاضطهاد لتشمل كل شيء...فكانت السنوات العشر الماضية من أسوأ ما مر بتاريخ المنطقة منذ الاحتلال السعودي لها عام ١٩١٣.

طائفية التوظيف:

لقد شعرت الحكومة السعودية بان الشيعة وخلال السنوات ١٩٧٥ـ ١٩٨٤ قد انتعشوا وتطوروا، وصارت لهم الجرأة والتحدي..كما بدأت تتشكل قواهم الذاتية السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية.وان أمراً كهذا ـ بنظر الحكومة ـ يخرج الشيعة من قبضتها وتطويعها وضبطها، فارتدت إلى سياسة الملك فيصل ـ المعروف بمغالاته الطائفية ـ والتي كانت رغم تبدل الاوضاع السياسية والفكرية في العالم من أسوأ الفترات، لا يعادلها في السوء إلاّ العهد الحالي الذي طور سياسات فيصل ووسعها وأعطاها الدفع بهدف ارجاع الشيعة إلى حجمهم السابق، لينطووا على أنفسهم وينعزلوا عن مجرى الحياة العامة للمملكة.

---

[188] Robin wright, sacred rage ,the wrath of miltant islam ,london 1986

في مجال التوظيف ــ مثلا ــ فقد اصبح عدم توظيف الشيعة في المؤسسات الأمنية والعسكرية أمراً مسلماً به لا نقاش فيه ولا جدل..ولربما قيل أن الشيعة لا يحبون العمل في مؤسسات تورطهم في ممارسات قمعية تتعارض مع الشرع الكريم، كما هو الحال بالنسبة لأجهزة الأمن، وهذا إلى حد ما صحيح.

غير أن إصدار قرار رسمي بذلك من الحكومة له معنى طائفي فاقع..ومن الصحيح أن هناك الكثيرين الذين يتوقون للانخراط في الخدمة العسكرية وغيرها من اجل حماية الوطن، وقد برهنت احداث الغزو العراقي للكويت في إغسطس ١٩٩٠ على ذلك.

غير أن مجموعات قليلة انخرطت في العمل العسكري شكلياً، حيث ادمجوا ضمن اقسام الصيانة، واستطاع افراد يعدُّون على الاصابع من النفوذ، ولكنهم أقيلوا وطردوا من الخدمة، والقليل منهم أحيل على التقاعد، وقد تم طرد العسكريين الشيعة بين السنوات ١٩٨٣ــــ ١٩٨٥..وحتى اولئك الذين يعملون في أقسام الصيانة في القاعدة العسكرية بالظهران والذين كان عددهم يقارب الأربعمائة شخص، طرد الكثير منهم وتعرض الباقون للمضايقة، حيث سحبت جوازات سفرهم في ذي القعدة ١٤٠٦هــ، ثم ختمت بالمنع من السفر، وأجبر العديد منهم على العمل في أعمال مهينة مخالفة للقانون العسكري، كتنظيف المراحيض والحمامات، وغسل سيارات رؤساء الاقسام.

وفي نفس شهر ذي القعدة أصدر وزير الدفاع الأمير سلطان بمنع الشيعة من مغادرة أقسام العمل، وتم استجواب العاملين في القاعدة حول ميولهم الدينية والسياسية ونشاطاتهم الاجتماعية وأسفارهم السابقة للخارج، وغير ذلك..كما ألزموا بالاستماع للمحاضرات الطائفية التي تهين معتقداتهم وتتعرض لهم بالتجريح، وايضا منعوا من الإتصال بالجنود الباكستانيين الذين استقدمتهم الحكومة، خاصة الشيعة منهم والعاملين في نفس الحقل وفي نفس المكان بحجج أمنية واهية..هذا عدا الإهانات اليومية المتكررة.

قد تطغى الحجج الأمنية في قضية إنخراط الشيعة في المجال العسكري ليصبحوا جنوداً أو ضباطاً أو حتى مخبرين..لكن هنالك عشرات المناصب المدنية والتي لا علاقة لها بالأمن[189] لا يمكن للشيعة الوصول إليها، فالمعروف أن إمارات المناطق الكبرى كلها بيد أمراء من الأسرة المالكة أو أصهارهم، وضمن النظام أو العرف يجري تعيين أمراء صغار في كل مدينة وقرية يتبعون أمير المقاطعة، ويفترض كما في مناطق البلاد الأخرى أن يعين هؤلاء من أهل البلاد نفسها، وهذا لا ينطبق على المدن والقرى الشيعية..إذ لا بد أن يأتوا لها بأمير من خارجها يمثل التوجه المذهبي الحكومي..وهؤلاء وبسبب طائفية السلطة يأتون متشبعين

[189] أن مفهوم الامن عند الحكومة السعودية واسع يشمل كل شيء كالإعلام "الذي يتبع حالياً وزير الداخلية ".

بالحقد على الأهالي، فيجرون صنوف التعديات في كل أمر يرون أنه يدخل ضمن صلاحياتهم...فضلاً عن أنهم لايفهمون هذه القرى والمدن وسكانها ولا طبائعهم وخصوصياتهم، وفي كثير من الأحيان ينخرطون في ممارسات طائفية صريحة.

خذ مثالاً على ذلك، الأمير محمد الشريف، أمير القطيف.. فقد طبع على نفقته و "لوجه الله تعالى!! " كتاب الوهابي المتطرف ابراهيم الجبهان" تبديد الظلام وتنبيه النيام، إلى خطر الشيعة والتشيع على المسلمين والإسلام "..والكتاب لا يتعرض لعقائد الشيعة بالافتراء، ويشتم علماء القطيف والاحساء فحسب، حتى اولئك الذين ماتوا قبل نصف قرن، وهم يدعون في كتبهم ومؤلفاتهم إلى الوحدة بين المسلين..بل يصفهم في مئات من المواقع في الكتاب بانهم " كلاب وخنازير وكفار ويهود، وانهم يتزوجون امهاتهم، وان لهم أذناباً كالحيوانات "، إضافة إلى الكم الهائل من التحريض للشعب وللحكومة على الشيعة، وقد تولت إمارت القطيف توزيع هذا الكتاب وكتاب آخر على المراجعين الشيعة !.

أن السُنة المعتادة هي أن لا يصل المواطن الشيعي إلى منصب الوزارة ولا إلى وكالة الوزارة أو أن يصبح مديراً عاماً لها، بل لا يمكنه أن يصبح مديراً لبلدية قرية شيعية، وحتى إلى ما دون ذلك أيضاً...لقد استثني الشيعة من كل المناصب إلاّ تلك التي في مستوى أعمال الكتبة الصغار في الخدمة البيروقراطية "[١٩٠]..وقد يردد البعض مبررات ذلك، بانه طلما أن الدولة وهابية المذهب، فإن من حقها ـــ وفق حكم الأغلبية ـــ أن تضع من تريده في المناصب العليا والسفلى..ويجب هنا الالتفات إلى حقيقة أن تمذهب السلطة يعطي الأقلية المذهبية في أي بلد الحق في أن تطالب بحصتها في الحكم، وان يكون لها ممثلون في مؤسسات الدولة بحجم نسبتهم من السكان..او يتم إلغاء التمييز وينظر إلى الكفاءة والخبرة، وحينها سيكسر الطوق المفروض على المواطنين الشيعة والذي يحجزهم عن الوصول إلى المناصب المهمة.

ويشمل التمييز كل مجالات الحياة العامة...ففي الحقل الدبلوماسي، لا يمكن للمواطن الشيعي أن يصبح سفيراً أو قنصلاً أو حتى ملحقاً لسفارة من السفارات السعودية، ولم يبلغ علمنا أن هناك إمكانية بأن يعمل كموظف عادي في إحدى سفارات البلاد العديدة.

في المجال الصحافي، هناك صعوبات وعراقيل عديدة توضع أمام الكتاب والصحافيين الشيعة، حتى أنه لم يعد هناك سوى صحافي شيعي بارز واحد، فيما انعزلت أعداد غفيرة منهم بسبب نظرات الريبة والشك والقيود المتنوعة، وحتى الان لا يحق للشيعي أن يصبح رئيساً للتحرير، ولا يمكن له أن يحصل على إمتياز إصدار صحيفة أو جريدة..وحدث إبان صراع الملك سعود وفيصل أن أصبح احد المواطنين الشيعة رئيساً لتحرير صحيفة اسبوعية، وقد

---

[190] Shi. ism and social protest .p.237,238

صدر منها بضعة أعداد ثم أغلقت واعتقل رئيس التحرير لبضع سنوات..وقبل هذا تقدم احد شباب القطيف المثقفين عام ١٩٥٣ بطلب إصدار صحيفة في القطيف بإسم " الجزيرة " ولكن الملك سعود شخصياً رفض الطلب، بحجة أن اسمه في القائمة السوداء !.

وطوال عهد فيصل وجزء من عهد الملك خالد، لم يكن يسمح للفتاة الشيعية بالتدريس، وحين كسر الحاجز قبل بضعة سنوات، لم يكن الكسر إلاّ جزئياً محدوداً..فحتى الان لا يمكن للفتاة الشيعية تدريس المادة الدينية شأنها شأن المدرس الشيعي، بل لا يمكنهما التسجيل في كلية الشريعة في اية جامعة سعودية، وان كان الشيعة انفسهم قلّما يحبون الانخراط في هذه الكليات، ومن الصعب جدا في هذا الوقت أن يصبح احد المواطنين الشيعة في الاحساء مديراً لمدرسة، أو وكيلاً لها، أو أن تخترق الفتيات معهد تربية المعلمات وغيره.

أن التدريس ــ وهي إحدى مهنتين يسمح للمرأة السعودية بالإنخراط فيهما ــ " حرمت المرأة الشيعية منها بأمر السلطات، وهذا التفريق جعل الشيعة يدركون ــ بحسب قول احد الأجانب ــ بأنهم مواطنون من الدرجة الثانية ،ولهذا حرموا من المساواة الاجتماعية وتساوي الفرص الاقتصادية ".

"إن هذا الحرمان تعززه الحقيقة أنه في السنوات الأخيرة الخمس من عهد الملك فيصل، لم يزر الأخير الاحساء ولو لمرة واحدة، والشيعة ليس فقط شعروا بأن أي شيء لم يفعل للتغلب على التمييز ضدهم، ولكن أيضاً، أن أي جهد لم يبذل لدمجهم في المجتمع "[191].

ومهنة الطب هي الأخرى شبه مسدودة أمام الفتيات والفتيان الشيعة..ذلك أن المسؤولين في جهازي تعليم البنات والمعارف، اكتشفوا تفوق الطلبة الشيعة ليس على مستوى المنطقة الشرقية، بل وعلى مستوى المملكة، فغاظهم ذلك، وأساؤوا فهم السبب الذي نرى أنه يعود إلى حالة التحدي في التجمع الشيعي المرفوض من قبل أجهزة السلطة..وبناء على هذا التفوق، إنخرط العديد من المواطنين الشيعة في كليات الطب التي تتطلب معدلات عالية..وهنا مرة أخرى إتخذت قرارات بأن يقلص عدد الشيعة المتقدمين لكليات الطب من الفتيان والفتيات الشيعة إلى أقل عدد ممكن..فأحيانا يقبل المسؤولون خمسة أو ستة أفراد، وفي بعض الأحيان لا يقبلون أحداً بتاتاً، مهما كان معدل المتقدم أو المتقدمة من الدرجات، بل وصل الأمر في السنوات الأخيرة أن فصل العديد من الفتيات والفتيان بحجة أن معدلاتهم الدراسية ضعيفة، وهي ليست كذلك...وأضاعوا على الطلبة ثلاث أو أربع سنوات من الدراسة مجاناً، وإرضاء لأحقاد طائفية لا تضر بالشيعة كأفراد فحسب، بل تضر بشعب المملكة في عمومه، والذي يعتمد بشكل كبير على الأطباء الأجانب.

---

[191] نفس المصدر السابق.

وعلى سبيل المثال، رفضت كلية الطب بجامعة الملك فيصل بالدمام قبول أي طالب شيعي عام ١٩٨٨، وبعد لأي ونقاش ووساطات قبل ثلاث طلاب فقط من أصل ٩٤ متقدم يحمل معدلاً عالياً..وكذلك فعلت جامعة الملك سعود بالرياض التي قامت بتحويل من تقدم إليها إلى كلية الصيدلة..وحتى المتقدمون للمعهد الصحي تجرى محاولات لـــ "نخلهم!" وتقام لهم جلسات التحقيق، عن آرائهم السياسية في الحكومة وفي مذهبها الرسمي، ويسأل المتقدمون عن قصص التاريخ التي إختلف الشيعة في تفسيرها مع غيرهم الخ.

وقد توسع المسؤولون الحكوميون في هذه الممارسات حتى في الدراسات غير المهمة، ومثال ذلك ما قام به معهد البريد في الدمام، الذي رفض معظم الطلبات التي تقدم بها ابناء الطائفة الشيعية في المنطقة الشرقية.

طائفية أرامكو:

لم يكن امام شركة ارامكو والحكومة السعودية من خيار في توظيفها الشيعة في بداية تأسيس المنشآت النفطية، فقد كانت الشركة بحاجة إلى الأيدي العاملة الرخيصة، وكانت معظم القبائل البدوية لم تستوطن بعد وهي لا ترغب في مثل هذا النوع من الأعمال، فأصبح الشيعة منذ ذلك الحين يمثلون أكبر نسبة من العمالة الوطنية في حقول النفط.

ولم يأت الأميركيون بأفواجهم الكبيرة بعد اكتشاف النفط في مارس ١٩٣٨وبدء تصديره في مايو ١٩٣٨، إلاّ بعد أن شيد الشيعة أساس العمل، إضافة إلى أسرى الحرب الإيطاليين الذين بنوا اول معسكر للنفط في الظهران ،وكذلك الهنود والعراقيين الذين هيأوا المباني المكيفة والمحصنة ضد الذباب والحشرات الأخرى [١٩٢].

وقد استحوذ الأميركيون على كل الامتيازات، فلهم أحياؤهم الخاصة التي هي قطعة من الولايات المتحدة، لها نظامها الخاص، وأمنها الخاص..ويمارس الأميركيون كل ما أعتادوا عليه في بلادهم. ان ارامكو ليست شركة، وإنما هي دولة داخل الدولة..فلها صحافتها بالعربية والانجليزية، ولها محطة تلفزيونية خاصة باللغة الإنجليزية، وصلت برامجها للمواطن السعودي قبل المحطة الرسمية من الرياض !، كما لارامكو برامج إذاعية تبث أنغامها على موجات الـــ "F.M"، ولها دور السينما المحرمة في كل المملكة حتى اليوم، يصلها آخر انتاج هوليود، إضافة إلى مراكز الترفيه العديدة "برك سباحة مختلطة، ملاعب غولف، تنس ارضي، وغيرها " وأصبح لأرامكو فوق هذا آلاف الكيلومترات المربعة من الأراضي ملكتها إياها الدولة، ولها مطاراتها وطائراتها الخاصة..كما انها تقوم مقام الدولة في بناء المدارس

---

[192] أرامكو :...النفط والاستعمار' جعفر الشيخ عبد الله دار الجزيرة للنشر، لندن ١٩٨٦، ص ٩٠، ٩١.

والإشراف على صيانتها، وإنشاء المستشفيات والمعاهد ومراكز البحث..كل هذا يضاف إلى تدخلاتها السياسية، بما يثبت أن ارامكو كانت ولا تزال ــ رغم إدعاء تملكها من قبل الحكومة السعودية ــ انها دولة وليست شركة.

وكان الموظفون السعوديون ولا زالوا مسخرين لخدمة الأميركي تقريباً..فإضافة إلى الأعمال الشاقة، كانوا " خدماً" في البيوت "هاوس بوي " ويرعون الحدائق وينظفون المرافق.. وقد وصف احد مسؤولي الشركة هذه المعاملة بانها معاملة بالوسائل المستثيرة!.

وامتيازات الأميركيين لا تقف عند حد، فرواتبهم ضخمة لا يتحدثون عنها ولا عن شهاداتهم التي لا تدل على مستوى رفيع، ولا عن وظائفهم السابقة لأنهم بشكل أو بآخر إما جواسيس للمخابرات الاميركية أو من مخلفات حروب التورط الأميركي في مكان ما من العالم..ذلك أن الأولوية تعطى لهؤلاء للعمل في السعودية، ويتمتع الأميركي بسكن مريح ومجاني للعزاب والمتزوجين، ويتلقون العلاج مجاني، وبدل قساوة المعيشة "لأنهم يعملون في السعودية !"تصل إلى ربع الراتب، وإجازات سفرهم السنوية ثلاث مدفوعة الأجر والتذاكر، وهم الوحيدون المسموح لهم باستقدام زوجاتهم وأسكانهم مجاناً [١٩٣].

وبمرور الزمن أضيف للتعالي والإمتهان الأميركيين للعمالة الوطنية صفة التمييز الطائفي، خاصة بعد إضراب عام ١٩٤٥..حيث شعر رؤساء أرامكو ومخابراتها بخطر الشيعة بعد تجارب مماثلة في العراق والبحرين..وتسارع حثّ ارامكو والحكومة للمواطنين الآخرين ــ خاصة في نجد ــ للقدوم والعمل في المنطقة الشرقية، تحسباً للمستقبل، وللرهان بهم في الظروف الطارئة حيث استخدمت ارامكو فيما بعد السنّة ضد الشيعة..وبسرعة البرق ظهرت المدن الجديدة "الخبر والدمام وابقيق وغيرها "لتصبح الدمام عاصمة للمنطقة الشرقية بدل الهفوف، ولتصبح القطيف مدينة ثانوية، بعد أن نقلت منها مؤسسات الدولة، وبعد أن حرمت من كل المشاريع التطويرية [١٩٤].

ومع أن الشيعة كانوا يشكلون أغلبية العمال، فقد منعتهم الشركة من ممارسة شعائرهم الدينية، وكان من الأمور المحظورة الغياب في المناسبات الشيعية، بينما يعطون فرصة الغياب في المناسبات المسيحية كأعياد الميلاد ورأس السنة [١٩٥].

---

[193] المصدر السابق، ص ٩١، ٩٢

[194] المصدر السابق، ص ٨١، ١٠١

[195] قال أحد الشعراء الشعبين متظلماً :

تعاظم إحساس ارامكو والحكومة على حدٌ سواء بخطر الموظفين الشيعة، بعد الاضرابات السياسية التي عمتٌ المنطقة في الخمسينيات والستينيات كما في الاربعينيات...هذا الإحساس رافقه إعتراف صريح بأن الموظفين الشيعة أكثر إخلاصاً وإتقاناً لعملهم..وقد جربت الحكومة في الفترة الوجيزة الماضية نقل الشيعة عن مواقعهم، فثبت لديها انها ستكون محتاجة على الدوام للايدي الشيعية الماهرة لإدارة العمل.

ومنذ عام ١٩٨٥تحركت ارامكو ــ التي اصبحت سعودية بالكامل كما يقال !ــ ضمن خطوات محدٌدة لتقليص دور الشيعة في مناطق عملها، فأحالت على التقاعد في مطلع عام ١٩٨٥، عشرين بالمائة من موظفيها الذين بلغت أعمارهم الستين عاماً على التقاعد..وهذا القرار يتأثر به الشيعة أكثر من غيرهم..ولم يكن الدافع هو الصحة أو العمر، حيث كان الأميركي يستطيع العمل في الشركة حتى سنٌ الخامسة والستين [196].

ثم تتابعت الإقالات الفردية والجماعية لأتفه الأسباب، واتخذت الحكومة قرارات بتحويل الكثير من رؤساء الأقسام الشيعة إلى وظائف أدنى دونما سبب، واستبدل طاقم الأمن الصناعي الذي كان يعمل به مئات الشيعة بطاقم سنٌي جديد، ووصلت الحال إلى نطقة الحسم..ففي عام ١٩٨٧اتخذ الملك فهد ــ بناء على اقتراح الأمير نايف وزير الداخلية ــ بمنع توظيف الشيعة في أي وظيفة بأرامكو..وإليك هذه الوقائع :

ــ في أواخر يونيو ١٩٨٨عرضت ارامكو ألفي وظيفة شاغرة، فتقدم المواطنون الشيعة ولم تقبل منهم شخصاً واحد..فمن خلال الاسم أو منطقة السكن ضمن إبعاد الشيعة...وصادف أن العديد من المواطنين السنٌة رفضوا لتشابه الاسماء، أو للإشتباه بانهم من أتباع المذهب الشيعي...تبع ذلك توظيف ٧٠٠شخص في دائرة الأمن الصناعي ليحلوا محل الشيعة في أعمالهم.

العذر يا حسين بلهٌ أسألك	ما يقدر ثورتك من يجلهك
ما يبونا يا بطل في مأتمك	لاجل ابو كبٌوس يبغي يدفنك
يوم عاشر نشتغل ما ارحمك	يا إله الكون عجٌل فأسك
في الكرسمس نستقل ما نشتغل	من كبير القوم أو حتى الطفل
وبمحرم اشتغل مثل العجل	يا حسين الحق هل هذا عدل؟
العذر يا حسين ما ودي اشتغل	بس الأمريكان سووني خثل
بس لازم يوم اصحى من الكرى	وانقل لخبارك لشعب ما درى
اقول لأمريكا تولي لو ترى	بارامكو القشرى نسوٌي منكرا
ولو يا أمريكا ترى عيني ترى	دمٌكم لحمر بيجري انهرا

انظر المصدر السابق، ص ١٠٠، ١٠١ .وأبو كبوٌس تعني صاحب القبعة، وهي لفظة تطلق على الأميركيين.

[196] المصدر السابق، ص ٧، ص ١٠٢

ــ عقد اجتماع في شهر أبريل ١٩٨٨حضره مدير شركة أرامكو (علي النعيمي) وأمير المنطقة الشرقية محمد بن فهد، وأحد المسؤولين الأميركيين، جرى فيه بحث تنفيذ قرار وزير الداخلية باستثناء الشيعة من العمل في جهاز الأمن الصناعي، وقد صدر قرار رسمي بذلك عقب الاجتماع، وكان الأمير محمد بن فهد قد اقترح بحث إمكانية إبعاد كل الشيعة الذين يحتلون مناصب وسطية، لكنه أبلغ بأن ذلك غير ممكن في الوقت الحالي خوفاً من أن تتعرض اعمال الشركة للانهيارات.

ــ لم تمض سوى أشهر قلائل حتى أقيل نحو ٣٠٠شخص من المواطنين الشيعة بتبريرات واهية، كان من بينهم عدد من رؤساء الأقسام.

ــ في شهر مارس ١٩٨٩أقيل العشرات من أقسام الصيانة بأرامكو والتي يشكل العمال الشيعة حوالي ٨٥%من مجموع عامليها..وجرت محاولات لتوظيف مجموعات كبيرة ليحلوا محل الموظفين الشيعة داخل المناطق البحرية والتي يعمل بها حوالي ٩٥%من الشيعة..لكن ولأن الغالبية من العمال الجدد لم تتحمل مشاق العمل الجسدي، فقد تركته وبحثت عن أعمال مكتبية سهلة.

ــ في يوليو ١٩٨٩صدر قرار بتعطيل ترقيات العمال الشيعة قدر الامكان دون الالتفات إلى جدارتهم وكفاءاتهم واستحقاقاتهم للترقيات ام لا..وفي نفس الفترة جرت تبديلات ملفتة للنظر لعدد محدد من المسؤولين الشيعة، ورافق ذلك الكثير من الضغوط والاهانات، اضطر على اثرها الكثيرون إلى ترك أعمالهم بعد عشرات السنين من الخدمة، قدُّر عددهم بنحو ٣٥٠شخصاً.

ــ بعد الغزو العراقي للكويت، استمر الشيعة في عملهم، فيما هرب الكثيرون من العمال الأجانب، ومن العمالة الوطنية القادمة من مناطق أخرى من المملكة، الأمر الذي اضطر ارامكو إلى أن تزيد الرواتب ١٥% أملاً في إيقاف حالة ترك العمل الجماعية، خاصة وأن ارامكو كانت تضغط من اجل زيادة الانتاج للتعويض عمّا فقدته السوق النفطية من انتاج العراق والكويت، وذلك حتى لا يتضرر الغربيون بارتفاع الاسعار، ولكي تتمكن الحكومة من جني بعض المال لسداد نفقات الحرب.

في تلك الاثناء أعلنت ارامكو عن وظائف شاغرة، فتقدم المواطنون الشيعة الذين حرموا من العمل فيها لسنوات عديدة حتى تفشّت البطالة في صفوفهم..وكان الأمل يحدوهم بأن شيئاً ما تغيّر بعد الغزو العراقي للكويت، وان الحكومة يفترض أن تعيد النظر في منهج تعاملها السابق مع الشيعة الذين صدقت مواقفهم تجاه صديق المملكة السابق وعدوها الحالي "صدام "..غير أن أحداً من مئات المواطنين المتقدمين للعمل لم يبلغوا بالقبول !.

وطوال السنين الماضية تعددت المقابلات مع رئيس شركة ارامكو لسؤاله عن أسباب رفض الشيعة، وفي كل مرة كان يقول بدون تحفظ بان هناك قراراً رسمياً بهذا الشأن من الملك فهد لا يمكن له أن يتجاوزه، وانه إذا كان لدى السائلين أي اعتراض، فليتقدموا به إلى الملك مباشرة، أن اوامره الصريحة هي رفض توظيف الشيعة حتى ولو استكمل المتقدمون جميع الشروط وحازوا على كل المؤهلات المطلوبة..ان عدم الانتماء إلى المذهب الشيعي اصبح شرطاً إضافياً رسمياً لكل ملتحق جديد بالعمل في حقول النفط !.

من جانبهم ــ وكالمعتاد ! ــ أرسل وجهاء الشيعة رسالة إلى الملك في شهر صفر ١٤٠٩هــ، قالوا فيها ضمن حديث طويل: "كنّا نطالب بشيء من الإلتفات إلى البلاد ــ القطيف ــ في المشاريع، والى المواطنين في توزيع الأراضي على ذوي الدخل المحدود، وعلى الجامعيين [١٩٧]، وكذلك الأراضي الزراعية، وهلم جرا..انها اشياء نطالب بها كمواطنين ثقة منا بعدل حكومتنا..وكانت الاجتماعات مع الهيئات المنتدبة، وكانت المرفوعات وكانت المقابلات، وكنا دائما في موقف المنتظر المتفائل يحدونا الأمل الكبير فيما نصبو اليه..لا سيما والمقابلات مع المسؤلين الكبار وتصريحاتهم الطيبة تبعث فينا الطمأنينة وتبشّرنا بالخير العميم..وآخر تلك المقابلات حينما تشرّف بعضنا باللقاء مع مقامكم الكريم بالقصر العامر بجدة..وتوالت الأيام وإذا بالمجن ينقلب من قفاه ويحدث ما لا يخطر على فكر مسلم أو يمر بخلد..الخ ".

ثم طالبت الرسالة بتفسير الاجراءات التالية :

(١ــ عدم توظيف الشيعة حتى من ذوي التخصصات النادرة في شركة ارامكو، مع انها أصبحت سعودية مائة بالمائة، في الوقت الذي توظف أعداداً أخرى من غير الشيعة.

٢ ــ عدم توظيفهم في المؤسسات الحكومية كجامعة الملك فيصل التي امتنعت عن توظيف كل من الدكتور حسين بو سرير، والدكتور احمد سالم، وكلاهما قد ابتعثتهما على حسابها، حيث تخصص بو سرير في الغدد الصمّاء لدى الأطفال، بينما حاز احمد سالم على ميدالية التفوق في الجراحة..كما امتنعت الجامعة من قبول الأطباء المتقدمين للتخصص في قسم طّب الأطفال، وهم الدكتور حسين شعبان ورفقاه، وامتنعت من توظيف الدكتور علي الجامع.

٣ــ عدم قبول دخولهم الجامعات ــ بنين وبنات ــ إلاّ النزر اليسير، رغم تفوقهم وحصولهم على الدرجات العالية.

---

[197] ضمن النظام المتعارف عليه، أن تقدم الدولة قطعة أرض لخريجي الجامعات، خاصة وان كل الأراضي الرحبانية تمتلكها الدولة، إلاّ أن أكثر خريجي الجامعات من الشيعة لم يحصلوا على شيء.

٤ــ عدم ترقية المستحقين منهم إلى المراتب التي يستحقونها بجدارة، في حين نال غيرهم بأقل من مؤهلاتهم.

٥ــ حركة نقل الموظفين منهم إلى وظائف أدنى وتجريدهم من مراكز كانوا يقومون بها خير قيام، تلفت الإنتباه..".

وتمضي رسالة الوجهاء إلى الملك صريحة معبِّرة: " الحديث يطول وكلُّهُ آلام..وأنت حاكم علينا والله حاكم عليك، فافعل معنا ما تحب أن يفعله الله بك يوم القيامة..يوم لا ينفع مال ولا بنون، يوم توفى كل نفس ما كسبت..فماذا يمكن أن يكون إذا سدُّت أبواب العمل في وجوه الناس، ووضعت العراقيل في إكمال دراستهم، وحرموا من الحصول على أرضهم، وضويقوا في وظائفهم وأعمالهم، وكفِّروا وهم مسلمون، وشتموهم مقهورين، واتهموا بالكيد للإسلام والمسلمين..".

وفي عريضة حديثة قدمُها الوجهاء إلى الأمير محمد بن فهد بناء على طلبه في بدايات شهر ربيع الثاني ١٤١٠هــ، جاء فيها : أن المنطقة الشرقية " تأتي الثالثة في التسلسل التاريخي من حيث إنضوائها تحت علم الدولة، والاولى من حيث الموارد المالية، لكنها لم تنل إلاَّ البسيط الذي لا يكاد يذكر، إذا ما قارناها بما نالته غيرها من المناطق في المملكة، وهي مع ذلك لا تمر مناسبة إلاَّ وتعلن تمجيدها للدولة وخطواتها الرائدة، في حين أننا نتَّهم في ولائنا، وينسحب الشك على الجميع لكل حدث، لابسبب الاحداث بل بسبب الروح الطائفية التي نمت بدل أن تضمر ويذبل عودها، فتصاعدت ضدُّنا الحملات المسعورة بالاغراء والإفتراء في الكتب والصحف والإذاعات وخطب الجمعة والمحاضرات، حرب إعلامية شعواء لا هوادة فيها، وبدون وازع ولا رادع، بحيث صارت أبرز الصفات والنعوت لنا بأننا أخطر على الإسلام من اليهود والنصارى، وحين نعلن إسلامنا ونقوم بكافة شعائر الإسلام، يقال لنا أن فعلكم تقية في الظاهر وحقد وضغينة في الباطن، بحيث صارت النتيجة الحتمية لتلك النظرة وذلك الشك ما يلي :

* إمتناع شركة الزيت من قبول توظيف أي شيعي مهما كانت مؤهلاته العلمية، بينما تقبل ممن هو أدنى منه بدرجات.

* اعتماد هذا المبدأ لدى المؤسسات الأهلية والحكومية الأخرى حتى تفشت البطالة بين خريجي الجامعات، فضلاً عن غيرهم.

* نقل أعداد كبيرة من أبناء البلاد من وظائفهم إلى وظائف أدنى بدون مبرر،

* عدم قبول خريجي الثانويات في الجامعات والكليات إلاَّ النزر اليسير، وكأنما يؤخذ للتغطية، وعدم قبولهم نهائياً في الكليات العسكرية..."

كان من الطبيعي أن تتصاعد حالات التمييز الطائفي في المؤسسات الأهلية أسوة بالمؤسسات الحكومية، وهذا لا يعود إلى تقليد أعمى بقدر ما هو نتيجة لإثارة الحساسيات الطائفية وتعميمها في الإعلام وكل المؤسسات الحكومية الأخرى...فأصبح المواطنون وبشكل تلقائي فريسة تلك السياسات الطائفية وذلك الإعلام المريض.

من جهة أخرى تأثرت العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بين الشيعة والسنّة القاطنين في المنطقة الشرقية بشكل ملفت للنظر خلال العقد الماضي اكثر من أي وقت مضى، حتى بالقياس إلى عهد تسلط الاخوان في العشرينيات والثلاثينات الميلادية، رغم أن الكثير منهم يرتبط برباط قبلي.

فالى عهد جدٌ قريب، كانت العلاقات طيبة تقليدياً وتوجد صداقات قوية بين أبناء الطائفتين، فضلاً عن المشاريع الاقتصادية المشتركة، وكان عدد كبير من الشيعة يعملون في مؤسسات يملكها مواطنون سنّة وبالعكس، ويمنح المتنورون من بين أصحاب هذه المؤسسات مستخدميهم الشيعة عطلة في الأيام العشرة الاولى من المحرم، كما ويتبرعون لمؤسسات خيرية شيعية [١٩٨]..لكن كل هذه العلاقات تهدمت وانقلبت الأمور رأساً على عقب، بعد أن رمت الدولة ومؤسستها الدينية الرسمية بثقلهما في الحرب الطائفية التي بلغت الذروة خلال السنوات العشر الماضية، ضمن حسابات سياسية إقليمية يعرفها الجميع.

لقد سدّت جميع الأبواب أمام الشيعة، فأينما توجهوا للعمل يرفضون، حتى في دوائر البريد والهاتف أصبح العمل فيهما شبه مستحيل..وحتى اولئك الذين كانوا يعملون كموظفين في المطار طردوا من أعمالهم فيه وهم بالمئات، وكانت أعمالهم تصنف ضمن الأعمال الوضيعة، وقد تم ذلك في عام ١٤٠٨هـ، بل وأصبح قبول الشيعة في الطيران المدني متعذراً، ورغم العدد القليل من الطيارين المدنيين الشيعة، إلاّ انهم حرموا من قيادة الطائرة ووضعوا برتبة مساعدين، كما أقصيت مجموعة من العاملين في الصيانة للطائرات المدنية وفي قسم المراقبة.

[198] مايكل فيلد، مصدر سابق، ص ٧٠، ٧١

مدن النفط

جذب العامل الاقتصادي البدو وأعداداً غفيرة من سكان المملكة للقدوم إلى المنطقة الشرقية والإستقرار فيها، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، والتبدل الجزئي في المفاهيم السائدة حول العمل اليدوي والمهني، وايضا بسبب الفقر المدقع والمجاعة المتفشية، ولا شك أن النفط جذب البدو إلى الإستقرار بنجاح باهر، وهو أعظم من النجاح الذي حققه الملك عبد العزيز في مشروع الهجر الذي اتخذ صفة الإجبار.

جاء هؤلاء بحثاً عن لقمة العيش، وأقاموا في مساكن بالقرب من المنشآت النفطية في بيوت من سعف النخيل أو الخيام أو أكواخ الخشب، أو ما يعرف بإسم "البرستيات "..فكانت هذه البيوت السعفية والأكواخ نواة المدن الجديدة، كالظهران أو الدمام والخبر وابقيق والثقبة والعقربية والعضيلية، وكذلك "القيصومة والوديعة والشعيبة ورفحاء وعرعر وبدنة وطريق[١٩٩] "..وهذه المدن والقرى الأخيرة مدينة بوجودها لإنشاء خط التابلاين، ولاشك أن الدمام والخبر والظهران وبسبب قربها من إدارة ارامكو، حظيت أكثر من غيرها من بالإهتمام وحازت على أكثر الجهود للتطوير.

لم تكن الدمام أو الخبر قبل النفط سوى قرى صغيرة كلها مبنية بالخشب والسعف، وقد ارتبط تأسيسهما بنزوح الدواسر اليهما من البحرين في نوفمبر سنة ١٩٢٣/الموافق ١٢/٤/١٣٤٢هـ، وذلك بعد الفتنة الطائفية التي اشعلها القصيبي ــ ممثل إبن سعود في البحرين ــ وما تلا ذلك من إصلاحات فرضها البريطانيون، وتم بموجبها عزل الشيخ عيسى بن علي وتوليه إبنه.

انقسم الدواسر إلى قسمين، القسم الأعظم استقر في الدمام تحت رئاسة أحمد بن عبد الله الدوسري، والقسم الآخر استقر في الخبر تحت رئاسة محمد بن راشد بن جبر الدوسري، وقد زودهم إبن سعود بالسعف المجاني الذي جلبه لهم من مزارع القطيف [٢٠٠]..وكان عماد اقتصاد الدواسر على الغوص وصيد الأسماك مما جعلهم في ضائقة مالية بعد كساد تجارة اللؤلؤ [٢٠١].

وحتى عام ١٩٣٥/١٣٥٦هـ، كان عدد الأكواخ القائمة فعلاً في الدمام أقل من ٣٠٠، وكان المنزل الوحيد المبني بحجر حتى عام ١٩٣٩م هو منزل أمير الدمام، في حين لم

---

199 تأسست الثقبة على أنقاض قرية التهيدين التي تعرضت منازلها الخشبية وخيامها إلى الحريق مرات عديدة، وخوفاً على المنشآت النفطية قررت ارامكو نقل مساكنها الـ (٢٤٠) إلى حيث الثقبة قرب الخبر، حيث قدمت لهم الحكومة أراض مجانية، وتعويضاً على مساكنهم، ، إضافة إلى ثلاثين بالمائة كمساعدة، أما الذين لا يملكون مساكن، فقد أعطوا أراض مجانية بسعر رمزي (نصف قرش للمتر الواحد).

200 كان السعف مصادراً من المزارعين، وكانت هذه الحادثة شهيرة في ذلك العام، وقيل أن الملك اعتبرها جزءاً من العقاب للإهالي الشيعة لدعمهم شيعة البحرين ضد الدواسر.

201 النفط وأثره على الحياة الاجتماعية في المنطقة الشرقية، للدكتور عبد الله السبيعي، ص ١٤٢.

تتجاوز أكواخ الخبر عام ١٩٣٥خمسة عشر كوخاً فقط، حسب الصور الجوية التي التقطتها ارامكو، ولم تكن بالخبر حتى عام ١٩٣٩الا حجرة واحدة مبنية بالحجارة والجص كان يسكنها أمير الخبر [٢٠٢].

وكانت الدمام والظهران والخبر تابعتان لإمارة القطيف، وقد أسست أول إمارة في الخبر سنة ١٣٥٩هــ برئاسة الأمير محمد بن عبد العزيز بن ماضي، في حين أصبح أحمد بن عبد الله الدوسري أول أمير للدمام، حيث لم تمض سوى خمسة عشر عاماً حتى أصبحت الدمام عاصمة المنطقة الشرقية، وذلك في عام ١٣٧٢ هــ / ١٩٥٢م [٢٠٣].

وعلى مر هذه السنوات لم تجتذب هذه المدن الجديدة وبالأخص (الدمام والخبر والظهران) إلاّ أعداداً قليلة من الشيعة الذين فضلوا البقاء في مدنهم التي كانت وحتى نهاية الأربعينيات الميلادية هي المدن الرئيسية، وكانت المدن الجديدة شبه مخصصة للمهاجرين والبدو المستوطنين حديثاً، والذين وزعت عليهم أراض شاسعة لإلزامهم بالبقاء..وقد ساعدت عزلة الشيعة عن الحياة الدينية والسياسية والاقتصادية السعودية على إقناعهم بالبقاء في إطار مدنهم وقراهم القديمة التي بدأت تفقد مكانتها بسرعة كبيرة، ولهذا لم تجتذب مجمعات ارامكو السكنية ــ وهي سيئة على أية حال ــ وكذلك المدن الجديدة، إلاّ أعداداً محدودة من المواطنين الشيعة [٢٠٤].

لكن أعدادهم أخذت بالتصاعد السريع في الستينات والسبعينات الميلادية لأسباب عديدة، من أهمها إستحواذ المدن الجديدة وبالأخص الدمام التي أصبحت العاصمة، على معظم الخدمات الحكومية، فقد تركزت فيها الدوائر الحكومية وفروع الوزارات وكانت قلب المنطقة الاقتصادي بسبب تأسيس فرضة الخبر وميناء الدمام، ثم إنشاء سكة الحديد..وفي مقابل ذلك لم تظفر المدن القديمة بشيء من الخدمات يستحق الإشارة، وتدهور النشاط الاقتصادي التقليدي القائم على الزراعة، بل وقضي قضاء مبرماً على مينائي المنطقة الرئيسيين بعد أن كانا عنوان حيويتها وازدهارها وهما : العقير والقطيف، إضافة إلى الموانئ الصغيرة الأخرى في جزيرة تاروت..ويرى احد الباحثين أن عملية إختيار الموقع الذي أقيم فيه ميناء الدمام، ومدة مسافة ١١كيلو متراً في المياه الضحلة لكي يصل إلى الخور، حيث المياه العميقة، وعدم تعميق ميناء القطيف وإصلاح أرصفة بكلفة أقل، تكشف عن الحقيقة القائلة بأن ميناء الدمام أنشئ لمصلحة شركة النفط بقصد توفير الحماية لها وقت الحاجة وجعله جاهزاً لإستقبال البوارج

---

202 المصدر السابق، ص ١٤٢، ١٦٢.

203 المصدر السابق، ص ١٥٩ .والمفارقة أنه في عام ١٢٥٩هــ / ١٩٢٩م لم يكن في الدمام سوى بيتاً واحداً مبني بالحجر، حتى أن الملك حينما زار المنطقة لحضور إحتفال بشحن أول كمية نفط لم يجد منزلاً يليق به، فنصبت أرامكو في مواقع جامعة البترول الحالية " جامعة الملك فهد" ٢٥٠ خيمة بيضاء للملك ومرافقيه ،وبعد ١٢سنة أصبحت الدمام عاصمة المنطقة الشرقية.

204 Saudi arabia modemization , the impact of change on stability ,p98

الحريبة..كما يؤكد ذلك إنشاء سكة حديد بطول عشرة كيلومترات لربط الميناء بمقر شركة النفط في الظهران [٢٠٥].

إن إنتقال الثقل الاقتصادي والإداري والعمراني إلى المدن الجديدة والذي بدأ بتسارع شديد بعد تحويل الدمام إلى عاصمة الإقليم، لم يترك لسكان المدن القديمة فرصاً يعتد بها للعيش، فبدأ النزوح إلى مدن النفط، خاصة من قبل الأحسائيين الذين انتشروا بشكل مكثف في الدمام والخبر وابقيق، للبحث عن فرص للعمل بعد تدهور النشاط الاقتصادي التقليدي القائم على الزراعة، وكان لبعد الأحساء النسبي ــ بعكس القطيف ــ عن مقرات ادارة ارامكو، إضافة إلى صفة التنقل التي امتاز بها الأحسائيون أثر هام في إستقرار الكثير منهم في هذه المدن.

أن شعور الشيعة بالغبن يمكن تفهمه وقبوله، فالمنطقة الشرقية بمدنها القديمة والحديثة ليس فقط لم تحصد الكثير من خيرات النفط، إذا ما قورنت بجدة والرياض وغيرهما..بل أن مدن الشيعية الرئيسية وقراهم لم تنل معشار ما نالته مدن النفط،..وبلمحة نظر تبدو المفارقة مؤلمة، فالقطيف التي كانت قصبة الحكم، والتي أمتدت حدودها من الكويت إلى قطر في يوم من الأيام، لايمكن مقارنتها بأقل قرى النفط ومدنه.

الحرمان من الأرض:

أن الأراضي بمنظار الشرع هي ملك مشاع لعموم المسلمين، ممن يريد سكنها وعمارتها، فالأرض لله ولمن عمرها..اما بمنظار الأسرة الحاكمة، فهي ملك مطلق للحاكم وورثته، معتمدة في ذلك على منطق القوة وتحت شعار "ملك الآباء والأجداد ".

ضمن هذا التصور اعتبرت الأرض وما فيها وما عليها ملكاً للحاكم، ولذا أصبحت الميزانيات نهباً لمن أراد من الأمراء، بل حتى النفط أصبح يباع لحساب هذا الأمير وتلك الأميرة..اما الاراضي فيكفي أي امير أن يكتب للجهة الحكومية التي تقع الأرض ضمن صلاحياتها كالإمارة أو البلدية، لتنتقل هذه الأرض ــ خلال أيام لملكيته ــ حتى وان كانت مملوكة، ويعوض المالك بصورة جزئية من مال الدولة تحت عنوان :" نزع ملكية للأغراض العامة "..وقد أجرى الاستاذ توفيق الشيخ استقصاء عاما عام ١٩٨٢ عن الأراضي التي استملكها الأمراء في المنطقة الشرقية، فخرج بنتيجة مؤداها أن ٣٥%تقريباً من مساحة الاراضي الحكومية الواقعة في محيط المدن بالمنطقة الشرقية، وضمن دوائر نصف قطرها ٣٠كيلومتراً قد استملكت من قبل أمراء وأميرات العائلة المالكة، هذا غير مئات القطع من

---

[205] مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ٢٦اكتوبر ١٩٨٢، ص ٢٢٢.وانظر الخليج العربي، دراسة في الجغرافية السياسية، الدكتور صبري فارس الهيتي، دار الرشيد، العراق، ١٩٨٢، ص ٥٥.

الأراضي المحجوزة للمرافق العامة، والعشرات من الحدائق العامة، والتي تحولت إلى ملكية الأمراء دون أن يدفعوا من ثمنها قرشاً واحداً [٢٠٦].

ويرى الكاتب "مايكل فيلد " في كتابة "التجار " أنه إذا اراد الحكام أن يجعلوا شخصاً غنياً، أعطوه أرضاً، فكانت النتيجة أن الأراضي أصبحت في الثلاثين سنة الأخيرة أهم مصادر الثراء الشخصي في الجزيرة العربية..وقال أن هذه العادة بدأت أيام الملك عبد العزيز ولا تزال مستمرة...ذلك أن الملك في السعودية يمنح الأراضي بانتظام إلى أقربائه ووزرائه والى أي إنسان آخر يريد الاحسان اليه أو مكافأته..وقد كانت الأرض معدومة القيمة فيما مضى ، وأحياناً تمنح مقابل خدمات صغيرة [٢٠٧].

ولذا فأن اكبر ملاك الأرض هم بعض الأمراء السعوديين الذين حصلوا عليها بأبسط وسيلة، إلاّ وهي طلبها من الملك..وهناك أمراء يملكون مساحات من الأرض تتراوح قيتمها بين مليار وملياري من الدولارات [٢٠٨].

من جهة أخرى حصل الوافدون من مناطق المملكة المختلفة على أراض سكنية، وبعضهم حصل على مساحات شاسعة من الأرض تقدر بالكيلومترات، وهبت لهم من الملك أو احد أفراد العائلة المالكة..وفي تلك الأيام لم يكن للأرض قيمة كبيرة، وقد حاول الملك فيصل أن يخفف من غلواء النهب الأميري لميزانية الدولة، فزاد في توجيههم نحو الاراضي، ووهب أفراد الأسرة إضافة إلى مخصصات مالية محدودة، عشرات الكيلومترات من الأرض المحيطة بالمدن والقرى، فأصبح توسعها الحتمي بيد الأمراء الذين بالغوا في أسعارها، فحوصرت المدن والقرى الشيعية التي لم يحصل سكانها على شيء بملكيات تحيط بها من كل جانب ــ وقدر وجهاء المنطقة في رسالة رسمية إلى الحكومة أن أقل من ٢%من الأراضي القابلة للإعمار والإسكان هي بيد الأهالي [٢٠٩].

وإذا كانت الحكومة قد اعتادت توزيع الأراضي على ذوي الدخل المحدود في أغلب مدن المملكة، إلاّ انها ــ لسخرية القدر ــ منحت الأراضي لغير ساكني المدن والقرى الشيعية ممن لا يعرف موقع المدينة أو القرية على الخريطة، ولم يسبق لها أن رآها، وكل ما يعرفه أنه يمتلك صكوك أراض منحته إياها الحكومة عبر وساطات ورشوات معروفة.

قبل أكثر من نصف قرن وزعت الحكومة ــ ولأول مرة في تاريخ المملكة ــ أراضي على المهاجرين الجدد إلى المنطقة، ضمن أمر رسمي ملكي صادر في السادس من جمادي

---

206 توفيق الشيخ، مصدر سابق، ص ١٠٢

207 مايكل فيلد، مصدر سابق، ص ٨٥، ٨٦

208 المصدر السابق، ص ٨٧، ٨٨

209 رسالة مرفوعة للجهات الحكومية في العاشر من ربيع الأول ١٤٠٢ هـ

الثانية سنة ١٣٥٨هـ، وذلك للمساعدة في خلق المدن الجديدة..وقد بدأ التوزيع في الدمام والخبر ثم مدن النفط الأخرى بعد أن نجحت التجربة..وان كان الهدف منه تغيير خارطة المنطقة الديمغرافية.

بعد هذا جرى تخطيط هذه المدن والعناية بها، لم تشذ عن عملية التخطيط هذه سوى مدن المنطقة القديمة وما يتبعها من عشرات القرى، وهي في غالبيتها قرى ومدن شيعية [210].وحين أصبحت الحاجة ملحة للتوسع والعمران، وزعت الحكومة في كل المناطق أراضي قيل انها على ذوي الدخل المحدود، لم يظفر المواطنون الشيعة وهم سكانها بأي شيء منها.

وحين قفزت أسعار الأراضي في بداية السبعينات إلى عشرات ومئات الأضعاف، أصبح المواطنون غير قادرين على شراء ارض، فضلاً عن بنائها، فبدأت الشكايات واتسعت حالة التذمر..وفي كل مرة يوعد المواطنون بتوزيع أراض ما يسمى بالدخل المحدود، يجدون أن نحو ٩٠% منها يعطى لغير أهل هذه المدن والقرى، وساعد على ذلك أن رؤساء البلديات الذين يملكون هذه الصلاحيات هم من غير الشيعة، وانهم ولأسباب طائفية حرموا أصحاب الحق من حقهم، ونهبوا الأراضي وتقاسموها أو ملّكوها لأصدقائهم وأصحابهم.

كانت مسألة الأراضي ولا تزال مثار إعتراض شديد لدى الأهالي، ولا تكاد تخلو رسالة من رسائل الوجهاء من الإشارة إليها..والقضية ليست حرماناً فحسب، بل ومصادرة أراض الشيعة.. وقد حدثت سنة ١٤٠٥هـ مثلاً أن مئات الأكواخ في "حزم صفوى" دمرت بالتركتورات بعد أن أمضى سكانها سنوات طويلة فيها إنتظاراً للتخطيط ولمنحة أرض، ولكن أياً من هذا لم يحدث، وتشرد المئات من الناس بحثاً عن ملجأ بعد نحو عشرين عاماً من العيش في بيوت الصفيح..ولم تكن تلك المشكلة لتمر بسلام لولا أن الشرطة كانت واقفة بالمرصاد وتجر كل شخص يرفض أن يخرج من منزله قبل أن تزحف التركتورات عليه لتدمره.

في ربيع الثاني ١٣٩٨هـ ــ أثار الوجهاء هذه القضية مع اللجنة التي أمر ولي العهد بتشكيلها للنظر في أحوال المنطقة، وقالوا أن قرار مجلس الوزراء القاضي بتوزيع الأراضي حسب الأولوية للسكان لا يعمل به في المدن الشيعية، وطالبوا "بالأولوية حسب قرار مجلس الوزراء في توزيع الأراضي السكنية والزراعية، وان الأوامر تقضي بأولوية السكان في نفس المحلة.بينما الملاحظ في التوزيع خلاف ذلك، ويمكن التأكد بالرجوع إلى كشوفات المنح والمبيعات والتوزيعات في كل من البلديات والزراعة.."[211].

---

[210] النفط وأثره على الحياة الاجتماعية، مصدر سابق، ص ١٧٢.

[211] رسالة من الوجهاء إلى أعضاء اللجنة في الخامس عشر من ربيع الثاني ١٢٩٨هـ

وفي رسالة الوجهاء للملك التي تلت إنتفاضة الشيعة في محرم ١٤٠٠هـ نقرأ : "أن إبن البلاد يرى بأم عينيه أن الكثير من الأراضي البيضاء تذهب هنا وهناك، وتعطى لهذا أو ذاك، وهو محروم منها، ثم يشتريها بأغلى الأثمان من هذا الذي وهبت له..بينما ينازع أصحاب الأملاك الحقيقيون في أملاكهم في كثير وكثير من الحالات..ان بعضاً ـ ياأصحاب الجلالة ـ كاد يلتحف السماء، ويفترش الأرض، وكثير كثير يعيش بالإيجار، وأكثر منه أن معظم بيوت المدن والقرى لا تصلح حتى للحيوان مسكناً، فضلاً عن الإنسان الذي كرمه الله ".

وفي رسالتهم للجهات العليا، قدّم الوجهاء بتاريخ ١٠ربيع الأول ١٤٠٣هـ إقتراحات لتحسين أوضاع المنطقة الزراعية والعمرانية والصحية وغيرها...ومن الاقتراحات :"استرداد الأراضي الزراعية التي منحت إلى بعض الأفراد ولم يقوموا بزراعتها، وإعطائها إلى مزارعين من أهل القطيف "..و" توزيع أراضي ذوي الدخل المحدود على مستحقيها من أهل القطيف "..و" توزيع الأراضي المقررة للجامعيين واصحاب المنح الخاصة من اهل القطيف " لأن "من المعلوم أن اراضي القطيف المقرّرة للجامعيين بقسميها السكني والزراعي، قد منحت، ولم يبق منها إلاّ القليل جداً، لكن المنح على مختلف أقسامها وأحجامها لم ينل أهل البلاد الأصليين الساكنين إلاّ نسبة ضئيلة جداً بحيث لا تصل ٢%..بينما الذي نعرف أن هناك أوامر ملكية تقضي بأن لا يعطي أحد أرضاً سكنية إلاّ من أهل البلد والمقيمين فيها.وحيث أن ما تبقى هو القليل الذي لا يكفي..فإننا نلتمس إيقاف المنح لغيرهم، بمنح المحتاج من أهل القطيف أرضاً سكنية، والمزارعين أرضاً زراعية تحقيقاً للعدل وتعميماً للفائدة ".

ورغم إشارة الوجهاء إلى التلاعب والنهب، والى " هذا أو ذاك " الذين سيطروا على الأراضي، فإن جرأتهم لم تصل إلى وضع النقاط على الحروف وتوجيه الطعن إلى سياسة الحكومة الطائفية، والى الأمراء الذين وصلت بهم الأمور إلى وضع لافتات على إقطاعات ذات مساحة هائلة، تحمل اسمائهم الصريحة..فهذه الأرض ملك للأمير فلان، وتلك الرقعة تحمل أسم الأميرة علانة..وهكذا دواليك.

ولكي نقدّم للقارئ صورة من صور إقطاعات الأراضي للأمراء ومساحتها في رقعة محدودة..نشير إلى هذين النموذجين :

الأول : حوت وثيقة صادرة من رئاسة بلدية الطقيف وتوابعها.يرجح أن تاريخ صدورها كان في العام ١٩٨٨، وموضوعها : " المنح لغير أهل القطيف " التالي :

١ـ ٤٠٠٠٠متر مربع للأمير عبد الرحمن بن سعود.

٢ـ ٢٠٤٢٨٧٠(٢مليون و ٤٢ألفا و ٨٧٠متراً مربعاً) لسمو الأميرة نوف بنت محمد بن عبد العزيز.

٣ــ ٣٣٠٤٣٥٠(ثلاثة ملايين و ٣٠٤ ألفاً ٣٥٠ متراً مربعاً) لسمو والدة الأمير فيصل بن خالد بن عبد العزيز ــ زوجة الملك الراحل خالد ــ.

٤ــ ١٩٦٠١٢٥(مليون و ٩٦٠ ألفاً و ١٢٥ متراً مربعاً) لسمو الأميرة سارة بنت عبد العزيز ــ أخت الملك ــ.

٥ــ ١٢٠٤٠٠٠(مليون و ٢٠٤ ألفاً من الأمتار المربعة) لسمو الأميرة العنود بنت عبد العزيز ــ أخت الملك ــ.

٦ــ ٥١٧٩١٧٥(خمسة ملايين و ١٧٩ ألفاً و ١٧٥ متراً مربعاً) لسمو الأميرة منيرة بنت فيصل بن سعد.

٧ــ ٤٢٠٦٨٠٠(أربعة ملايين و ٢٠٦ ألفاً و ٨٠٠ متراً مربعاً) لسمو الأميرات نوف وهيفاء بنات بدر بن عبد العزيز ــ نائب رئيس الحرس الوطني ــ.

٨ ــ ١٩٧٦٠٠٠(مليون و ٩٧٦ ألف متر مربع)، لسمو لأمير تركي وحصة، ابناء فيصل بن سعود.

٩ ــ ١٩٤٧٠٠٠(مليون و ٩٤٧ ألف متر مربع) لسمو الأمراء فيصل بن فهد بن عبد العزيز وإخوانه ــ أبناء الملك فهد ــ.

١٠ ــ ٥٠٠٠٠٠ متر مربع للأمير سعد بن خالد.

١١ــ ٢٥٠٠٠٠٠(٢ مليون و ٥٠٠ ألف من الأمتار المربعة) لسمو الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز ــ أمير المدينة المنورة ــ.

١٢ــ ٢٣٠٥٢٠٠(٢مليون و ٣٠٥ ألفاً و ٢٠٠ متراً مربعاً) لسمو الأمير فيصل بن خالد.

١٣ــ ٤٨٢٣٠٠ متراً مربعاً، لسمو الأميرة منيرة بنت فيصل.

١٤ــ ١٠٤٠٠٠٠(مليون وأربعين ألف متر مربع) لسمو الأمير مشاري بن عبد العزيز ــ أخ الملك.

١٥ــ ١٨٩٣٠٠٠(مليون و ٨٩٣ ألف متر مربع) لسمو الأمير سلطان بن عبد العزيز ــ وزير الدفاع ــ.

١٦ــ ٢٠١٤٦٥٠(٢مليون و ١٤ ألفاً و ٦٥٠ متراً مربعاً) لسمو الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز أيضاً.

هذا نموذج بسيط وواضح..وإليك النموذج الثاني، حيث تشير وثائق أخرى إلى التالي :

١ــ الأمير تركي بن ناصر بن عبد العزيز ــ مائة ألف متر مربع ــ جنوب كوبري قرية أم الساهك.

٢ ــ الأمير بندر بن محمد بن عبد الرحمن ــ أربعة ملايين متر مربع ــ شمالي كوبري الجعيمة، وشرق طريق الجبيل.

٣ ــ الأمير عبد الإله بن عبد العزيز، أمير القصيم ــ أراض كبيرة مجهولة المساحة في القطيف.

٤ ــ الأمير سعود بن محمدج بن سعود الكبير ــ ٣٠٠ألف متر مربع ــ في مدينة صفوى.

٥ــ الأميرة قماشة بنت عبد العزيز وأولادها ــ أراض واسعة في مدينة صفوى غير معروفة المساحة.

٦ــ الأمير سيف الإسلام آل سعود ــ أرض واسعة غير معروفة المساحة في أم الساهك.

٧ــ أبناء الأمير خالد بن عبد لله بن تركي بن عبد العزيز " بندر ورندة " وزوجته فاطمة ناصر السلُوم ــ مائة ألف متر مربع ــ في أم الساهك.

٨ ــ الأمير خالد بن عبد الله بن عبد العزيز ــ أرض واسعة مجهولة المساحة في تاروت

٩ ــ الأميرة منيرة بنت فيصل بن سعد ــ أرض واسعة مجهولة المساحة في تاروت.

١٠ــت الأمير فيصل بن خالد بن عبد العزيز ــ أرض شاسعة مجهولة المساحة في تاروت.

١١ــ الأميرة العنود بنت عبد العزيز ــ أرض مجهولة المساحة وواسعة في تاروت.

١٢ــ الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز ــ أرض واسعة ومجهولة المساحة في تاروت.

١٣ــ الأمير سلطان بن عبد العزيز، وزير الدفاع والطيران ــ مليوني متر مربع في القطيف.

١٤ــ لأمير سلمان بن عبد العزيز ــ أمير الرياض ــ ١٤٤ألف متر مربع في العزيزية.

١٥ــ الأمير فهد بن سلمان، نائب أمير المنطقة الشرقية ــ ٤٠٠ألف متر مربع بالعزيزية

وغير هذا، فإن الأراضي التي تقوم عليها الان مشاريع الهيئة الملكية في الجبيل، استملكها الأمير سلطان ثم باعها على وزارة الصناعة والكهرباء في منتصف السبعينات الميلادية بثمانية مليارات ريال، والأرض الصحراوية الواقعة ين طريق رأس تنورة ــ الجبيل شمالاً، والظهران ــ أبقيق جنوباً والتي تبلغ مساحتها آلاف الكيلومترات المربعة، استملكتها الأميرة حصة بنت عبد العزيز وأمراء آخرون، باعوها لوزارة الدفاع لإقامة مطار الملك فهد الدولي الجديد..ومثله الأرض الواقعة شمالي طريق تاروت ــ القطيف، والتي استملكها الأمير تركي، فرزت إلى مئات القطع، وبيعت الواحدة منها بــ " ١٥٠" الف ريال، وهناك عشرات الأمثلة التي لا تحصى [٢١٢]..ولأن المدن والقرى التبعية في منطقة القطيف تطل على الساحل ــ لذا أصبحت محاصرة شرقاً من البحر، ومن الغرب بأملاك الأمراء، ومن الجنوب بمدن النفط،

[212] توفيق الشيخ، مصدر سابق، ص ١٠٠، ١٠١

ومن الشمال بمنشآته وبمأملاك الأمراء، ولو أن المسألة وقفت عند حدود الأملاك البعيدة من الصحاري الشاسعة، لهان الأمر..ولكن الأمراء وحاشيتهم لم يتركوا قطعة ارض قريبة من العمران إلاّ واستولوا عليها، وما من أرض إحتمل وصول العمران إليها إلاّ وبادروا واستخرجوا وثائق وصكوك تثبت تملّكهم لها !.

القضاء

حين خضعت منطقة الاحساء والقطيف، كان للشيعة محاكمهم التي يترافعون إليها، وكان قاضي الشيعة في القطيف بشكل خاص، يقضي بين السنّة والشيعة، بل أن الأقليّة السنيّة في المنطقة رفضت أن يعيّن لها قاض خاص مادام القاضي الجعفري يقوم بالمقام، ويفتي على مذهب المتخاصمين أياً كانوا.

وفي السنوات اللاحقة، أشتد طغيان التفرقة الطائفية، وتشدد علماء المذهب الرسمي في ضرورة مراجعة لمحاكم الشرعية التي استحدثوها..وكان بالإمكان أن تمرّ الامور بشكل إعتيادي، مادام المرء يمتلك خيار اختيار المحكمة التي يريد..وطالما أن القضاء في كل المحاكم يتحرى العدل والإنصاف بعيدا على الحساسيات المذهبية.

لكن ماكان يجري غير هذا، فالشيعي يعتبر مداناً في الغالب إذا كان الطرف الأخر مخالفاً له في المذهب..ومع إصرار الوهابيين على تعطيل فاعليّة المحاكم الشيعية، نفذّت الدولة ما ارادوه..وفي الستينات والسبعينات الهجرية، كان هناك ضغط متعاظم من الشيعة يهدف تشكيل محكمة جعفرية تتولى تسجيل الصكوك الشرعية، وإثبات ملك البيع، والبتّ في الأوقاف الشيعية والمواريث، وان يكون لها اعتبارها الرسمي ومعترف بها من قبل الدولة.

وقد نجح الشيعة في استصدار قرار بهذا الأمر.. ففي الثاني والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣٨٢هـ، صدر قرار ملكي رقم (٤٩٦٦٢) باعتماد ترك أوقاف الشيعة ومواريثهم ووصاياهم لقضائهم..ولكن بعد سنوات من العمل بهذا القرار، ورغم تقليص صلاحيات القضاة، صدر قرار ملكي رقم (١١٧١٥) في الثاني والعشرين من ربيع الثاني سنة ١٣٩٤هـ، يلغي بأثر رجعي كل ما بتّ فيه قضاة الشيعة لمواطنيهم..وتشير وثيقة رسمية حكومية صادرة من وزير البلديات، الأمير ماجد بن عبد العزيز، وصادرة بتاريخ ٢٤جمادى الثاني سنة ١٣٩٩هـ إلى أن القرار الحكومي أدى إلى "تذمر واستياء الشيعة من وجوب تسجيل جميع مايصدر من قاضي الشيعة " في المحاكم الحكومية، ومطالبة الشيعة بتسجيل ما استجد من وثائقهم في المحاكم الحكومية..وقالت الوثيقة أن قاضي الشيعة رفض التعاون مع الحكومة لأنها أبطلت بأثر رجعي كل ما صدر عنه، وان ابناء الطائفة الشيعية رفضوا استلام التعويضات المقدّرة لأملاكهم وأوقافهم التي صادرتها الأجهزة الحكومية..وهنا اضطرت

الحكومة، وبعد اجتماع ضمَّ وزير العدل، ووزير البلديات ووزير الحج والأفاف، والشيخ عبد العزيز بن باز..الى العودة إلى القرار القديم، وصدر قرار جديد بالأمر يحمل رقم (١٤١٣٤) وتاريخ ١٣٩٥/٦/١٣هـ.

لم تجرِ الأمور على ما يرام بسبب التقييدات الكثيرة التي وضعتها وزارة الداخلية على المحاكم الشيعية، ورغم استحداث محكمة جديدة سميت " محكمة الاوقاف والمواريث " لتحل المشاكل الكثيرة المعلقة، إلاّ أن الدولة طلبت أمرين هامين، أحدهما : الحظر على قاضي الشيعة الإعلان في الصحف بإثبات الإرث والوقف..والثانية : أن تخضع أحكام القاضي الشيعي إلى هيئة تمييز في الرياض، وليس إلى هيئة تمييز شيعية.

وقد رفض الشيعة الأمرين.تشير رسالة وقع عليها ثلاثة عشر وجيها من القطيف ومرسلة إلى وزير الداخلية في التاسع من صفر ١٤٠٢هـ، إلى أن الإثبات في مسائل الميراث وعائديته يستلزم إجراء ما نصت عليه الفقرتان ٨٢و ٨٣ من نظام سير المحاكم، واللتان تقضيان بالكتابة إلى البلدية والإعلان في الصحف "وما دامت محكمة الأوقاف والمواريث محكمة رسمية، فمن حقها ــ بل من واجبها ــ نظاماً إتباع هذه الطريقة، حتى تخرج صكوكها مكتملة نظاماً، مع إكتمالها من الوجهة الشرعية ".

وبعد ثلاثة أشهر وقَّع أكثر من تسعين وجيهاً على رسالة أخرى أرسلت في ٢٣جمادى الاولى ١٤٠٢هـ، إلى ولي العهد ــ الملك الحالي ــ قالوا فيها : " لقد صدرت الموافقة السامية برقم ٤س ٤٦٦٢٨في ٢٣شوال ١٤٠١على ما رآه سماحة رئيس مجلس القضاء الأعلى في خطابه رقم ١/١٤٤٤ في ١٤٠١/٨/٨هـ، من حّل هيئة تمييز القضايا التي ينظر فيها قاضي الشيعة، فيما يتعلق بالوقف والميراث والأحوال الشخصية..ان وجود هيئة تمييز لتمييز الأحكام التي تصدر من قضاة الشيعة أمر في غاية الأهمية والضرورة، ولكن لا يمكن أن تكون هيئة التمييز الحالية الموجودة في الرياض هي التي تتولى تمييز احكام قضاة الشيعة ضرورة أنها لا تراها صحيحة من الأساس، فكيف تنظر في صحة ما بنى عليها ؟...وهذا أمر في غاية الوضوح، لأن أعضاء هيئة التمييز التابعة إلى مجلس القضاء الأعلى، وهي تأخذ بفقه الإمام أحمد في الفروع لا ترى كثيراً مما يراه فقهاء الإمامية، من ذلك:

١ــ لاتقول بصحة مايوقف من عقارات وأموال ثابتة إلى الرسول وآله، والشيعة ترى ذلك وانه إحدى القربات إلى الله.

٢ــ لا ترى الوصية لوارث، وفقهاء الإمامية يرون ذلك.

٣ــ تقول بالتعصيب، ولا تراه الشيعة.

٤ــ تأخذ بالعول، ولا تأخذ به الشيعة..الى غير ذلك من فروع في الفقه.. فإذا تنازع إثنان من الشيعة في شيء مما ذكر، وصدر حكم قاضي الشيعة، وطلب أحد الطرفين تمييز الحكم،

ورفع إلى هيئة التمييز في الرياض، فماذا تكون النتيجة ؟..أليست إبطال الحكم من أساسه، لأن ما بني على فاسد ــ حسب رأيها ــ فهو فاسد ".

"لذلك فإن الضرورة تقضي بتعيين أشخاص من أهل العلم من الشيعة ليكونوا هيئة تمييز للأحكام التي تصدر من قضاة الشيعة في حقول اختصاصاتهم، كما تنظر هيئتنا التمييز في المنطقتين الغربية والوسطى في جميع الأحكام التي تصدر من القضاة في كافة المحاكم الشرعية بالمملكة..ولتوضيح الصورة اكثر فأكثر، فإن الشيعة في القطيف والاحساء يرافعون أمام المحاكم غير الشيعية في غير قضايا الوقف والميراث والأحوال الشخصية، ويميزون الأحكام عند هيئة التمييز بالرياض، وهم راضون بذلك، إلاّ أن ما هو من خصائص الشيعة، لا يمكن أن يترك في حال حصول النزاع وصدور الحكم من قاضيهم، لايمكن أن يترك بدون تمييز في حالة عدم قناعة احد الطرفين، ولا يصح أن يحال إلى جهة لا تراه أصلاً ".

"وحيث الضرورة تقضي بإيجاد هيئة تمييز لقضاء الشيعة، ونظراً لمعرفتنا بأشخاص هم في مستوى الأمانة والنزاهة، وعلى جانب كبير من العلمية والدراية..فإننا نعرض للمقام السامي أسماءهم، راجين صدور الأمر الكريم بالموافقة عليهم كهيئة تمييز، وهم : فضيلة الشيخ عبد الله الخليفة ــ مقيم بالاحساء، فضيلة الشيخ حسين الخليفة ــ مقيم بالاحساء، فضيلة السيد علي السيد ناصر ــ مقيم بالدمام ".

لم يستجب ولي العهد للطلب بعد مرور نحو عقد من السنين..ولا تزال المشكلة قائمة، فالشيعة يصرون على إعادة الصلاحيات كاملة لمحكمة الأوقاف والمواريث، وان تكون هيئة تمييز الأحكام من مشايخهم، وان تعترف الدولة بالأحكام السابقة التي أصدرتهارسمياً، بحيث لا تلغي الأحكام التي أصدرتها المحكمة بأثر رجعي..في حين أن الدولة تصر على أن تخضع أحكام قضاة الشيعة إلى هيئة التمييز بالرياض، وترفض إعادة الصلاحيات السابقة الممنوحة للمحكمة..وتكاد لا تخلو رسالة إلى المسؤولين ولا لقاء، إلاّ وعقدة " قضاء وقضاة " الشيعة من أهم ما يطرح من مواضيع..مثال ذلك أن الوجهاء كتبوا إلى أمير الشرقية رسالة في ربيع الثاني ١٤١٠هـ، كان من بين ما اشتملت عليه من شكوى :" تقليص صلاحية محكمة الأوقاف والمواريث، وعدم الإعتراف بالصكوك الصادرة عنها وعن قضاة الشيعة السابقين، وإلغاء حتى الصكوك الصادرة من كتابة العدل، حتى لو تحولت إلى عشر مبايعات في أعوام مختلفة مادامت مبنية في الأساس على صك من قضاة الشيعة ".

معالم أخرى من سياسة التمييز الطائفي

من الصعب على الباحث أن يدخل في تفاصيل سياسة التمييز الطائفي المنتهجة حالياً في المملكة العربية السعودية بشكل رسمي وثابت..لكثرة تلك التفاصيل، ولأن التمييز لم يعد محصوراً في إطار ضيِّق ــ كما نعهد بعضاً منه في دول أخرى ــ بل شمل كل مناحي الحياة، ولعل الكثير من القرّاء دهشوا مما ذكر في الفصول السابقة، وهو لايشكل سوى جزء يسير مما يجرى على الأرض فعلاً.

لا أدري مقدار المفاجأة التي تصيب القارئ، حينما يعلم أن " دولة الاسلام، وحامية المقدسات، والمدافعة عن المسلمين بكل بقاع العالم، والتي تدفع الملايين من الدولارات لبناء المساجد " ،وأقصد بها المملكة، تمنع رعاياها الشيعة من بناء المساجد بصورة رسمية منذ نحو خمس سنوات !.

ولا أدري ماذا سيقول المسلمون حين يعلمون أن الحكومة السعودية لم تتبرع بقرش، أو بقطعة أرض لأي مسجد إبتنى من قبل الشيعة، بل وأنها تمنع على رعاياها الشيعة تعمير مساجدهم الأيلة للسقوط.

هل يمكن أن يصل غول الطائفية إلى هذا الحد..منع بناء مساجد يذكر فيها أسم الله ؟!.

هل يدور بخلد احد أن تصبح " السعودية " بلد الإسلام، الذي يفخر أبناؤه بأنهم جزء من كيان المملكة الكبير الذي توُحد بعد معاناة ودماء، ماكينة إنتاج لكل الأفكار والحزازات الطائفية ؟!.

هل يمكن تخيُّل أن يمنع الشيعة من أداء شعائر دينهم وصلواتهم ودعائهم، وان لا يعترف بأنهم مسلمون من الأساس، في بلد يصل الشيعة فيه إلى ربع السكان!!.

وإلى هذا اليوم لا يسمح للشيعة فقههم وأصول مذهبهم، بل وحتى المدارس التقليدية منعت منذ الخمسينيات الميلادية..وفي أمور القضاء لا يسمح لهم بالتقاضي وفق مذهبهم، بل أن المذهب الحنبلي هو المسيطر على الجميع رغم وجود محكمة شرعية للشيعة، كانت لها بعض الاختصاصات المهمة، إلاّ أن صلاحياتها قلُصت، وألغي ماصدر عنها بأثر رجعي..وفي قضاء الدولة، فإن الشيعي مداناً مهما كانت الأحوال بسبب نزعة القضاة الطائفية.

ومن الأمور القاسية أن الكتاب الشيعي الذي لا يتعارض مع رؤية الدولة السياسية والذي لا يثير حساسيات أحد ممنوع..فشيعية الكتاب سبب منعه مهما كان لونه وتوجهه.

ووصل الأمر إلى أبعد من هذا..فقد أفتى الشيخ عبد العزيز بن باز بمنع الشيعة من ممارسة مهنة " الجزارة "، لأن أكل ما ذبحه الشيعي يعتبر محرماً، رغم أن الشيخ نفسه، يحلل أكل اللحوم المتسوردة من بلاد الكفر، والتي يشك بقوة في ذبحها على الطريقة الإسلامية ،ومع

أن الشيعة يمارسون هذه المهنة في مناطقهم، إلاَّ أن وزارة البلديات قررت طردهم من وظائفهم !.

وإذا كنَّا قد سلَّطنا الضوء بصورة كافية على سياسة التمييز الطائفي الحكومية في المجالات المعاشية، فنعتقد أن لمحة سريعة فيما يتعلق بالممارسات الطائفية، ومحاولة الشيعة حلها مع الحكومة ، ستكون كافية، ولعل إيراد بعض نصوص الرسائل والبرقيات التي وجهها وجهاء الشيعة إلى الحكومة، وكذلك إيراد بعض الوقائع والأحداث التي مرَّت خلال السنوات الماضية كفيل بإيضاح الصورة.

أولاً : في محرم ١٤٠٠هـ / أوائل ديسمبر ١٩٧٩م، وعلى أثر الإنتفاضة التي وقعت في القطيف والاحساء، وما تبعها من سقوط القتلى والجرحى بالرصاص الحكومي، وإعتقال المئات من الشباب والرجال..كتب الوجهاء رسالة إلى الملك خالد، ذكَّروه فيها بالاضطهاد الذي يتعرضون له في عقائدهم، وقالوا : " من المعلوم أننا شيعة، وطالما صرخنا وأعلنا بأن الشيعة طائفة إسلامية كأي طائفة أخرى من طوائف المذاهب الأربعة..ومهما كان الأمر ــ وحتى لو لم يكن ذلك وارداً في أذهان البعض ــ، أليس لنا حق كمواطنين في التعبير عن آرائنا وشعائرنا وعقيدتنا، بل واحترام ائمتنا.. فكيف تمنع عنا منعاً باتاً مطلقاً كل كتب الشيعة مهما كان لونها، ولا يكتفى بذلك، وإنما يصار إلى سبنَّا بأقذع القول وأرذل الفحش على منابر المملكة..ويؤلب علينا، ونعتبر في نظر البعض أشدّ من اليهود حقداً وكراهية وبغضاء، ونحن لا نقدر على الرد..وازداد الغلو فينال البعض من أئمتنا ــ أهل البيت ــ الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا...وينسب إليهم ما نعف عن ذكره.

وترقى تلك البغضاء حتى تصل إلى مقام الإمام علي، فتنال منه..فأي عاطفة يمكن أن لا تجنح، واي قلب لا يعتصر ألماً، ويقطر دماً، وهو يعاني مما ذكرناه ؟.

وهل اقتصر الأمر على ذلك ؟..كلاَّ، وإنما تعدَّاه إلى حدٌ إتهامنا بأننا ضد الإسلام نظاماً وعقيدة ".

ثانياً : وبعد اقل من عام، وبالتحديد في الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة ١٤٠٠هـ، كتب الوجهاء رسالة إلى ولي العهد الأمير فهد بن عبد العزيز، وكان الموقعون على الوثيقة خائفين من تكرار تجربة العام الذي سبقه، والذي ارتكبت فيه مجزرة بحق الأهالي.

عدَّد الوجهاء لولي العهد حقائق تعطيه ــ كما قالوا ــ صورة جلية للوضع المشحون بالألم الذي تعيشه المنطقة [213]:" الحقيقة الاولى : أننا في هذه المنطقة مواطنون مخلصون لديننا

[213] بعد تسليم هذه الوثيقة لولي العهد، أُمر بإطلاق سراح مئات من المعتقلين السياسيين قبيل شهر المحرم.خوفاً من تفجر الأوضاع من جديد

ووطننا وحكومتنا، وانا مسلمون موحدون، نؤمن بالله رباً وبمحمد نبياً وبالقرآن كتاباً، والكعبة المشرفة قبلة، وبالبعث معاداً..شأننا في ذلك شأن كل المسلمين، وإن اختلفنا في بعض الفروع، فذلك لا يمس بالأصل والجوهر، كما هو الحال القائم بين المذاهب الأخرى..لذلك فإننا نرفض الإتهامات الباطلة المغرضة، والتي توجّه الينا زوراً وبهتاناً ".

"الحقيقة الثانية : أننا في هذه المنطقة لا نمثل حزباً سياسياً، ولا حركة سرية، وإنما نحن مواطنون بكل ما تعنيه كلمة المواطنة الشريفة، ونحتج بشدة على كل من يحاول أن يتهمنا بشيء، أو ينتقص وطنيتنا..وانه من حقنا على الدولة أن توفر لنا الرعاية والعناية والحماية والعدالة والإنصاف، لنشعر بالأمن والإطمئنان..ولها علينا الإخلاص والطاعة، وهو أمر لا يستطيع احد أن يتهمنا فيه بأي شكل من الأشكال ".

"الحقيقة الثالثة أو ولائنا لحكومتنا منذ بداية عهد الملك الراحل والدكم ـــ رحمه الله ـــ، ولم يحصل منا حتى الان ما يعكر الصفو، وهو أمر لا يحتاج إلى دليل وإثبات، غير أننا نشكو من أمور لا يجوز أن تستمر وتبقى...وطالما أوضحناها وشكونا منها، وإننا لم نحصل على نتيجة إيجابية حتى الان..وهي كما قلنا تمثل الحُد الأدنى لمطالبنا كمواطنين..وان أخشى ما نخشاه، أن يتحول إلى مرض مزمن يستعصي علاجه، إذا نحن سكتنا أو تغاضينا، ولا نسلم من المسؤولية أمام الله تعالى، ثم أمام سموكم..وأقل ما سيقال لنا : لماذا سكتم ولم تشعروا المسؤولين؟ فتكون اللائمة علينا، وهذا ما حملنا على التماس مقابلة سموكم من أجله، وإننا واثقون أنه سيحظى من سموكم بالإهتمام، وتعالجونه بحكمتكم، في القريب العاجل إن شاء الله تعالى، لما نعرفه من حكمتكم ونبلكم وبعد نظركم في الامور، ولأنكم لا ترضون بالحيف والغبن أن يلحق بالمواطنين، بل أن المعروف من سيرتكم أن يتمتع المواطنون على إختلاف مناطقهم بالأمن والراحة والاستقرار ".

"الحقيقة الرابعة : إننا في هذه المنطقة لم ننشأ من فراغ، ولم نكن بمجموعنا مفلسين أدبياً وأخلاقياً ومفهوماً إلى الحد الذي لا يوجد بيننا من يصلح أن يكون موضع ثقة لدى المسؤولين في الدولة، ومن ثم نصبح كلنا متهمين ومشبوهين، تتخذ في حقنا إجراءات فوق العادة، وتمرغ كرامتنا بالرغام..فيصدق فينا ما يقال ولو كان من جندي بسيط، فكذبه صدق، وباطله حق..وصدقنا كذب، وحقنا باطل..لذلك فإن موقف المسؤولين المحليين نحونا يعتبر تجنياً وتعدياً صارخاً على كرامتنا، وبخساً لحقوقنا التي فرضها الله، بل تدميراً لمعنوياتنا كمواطنين مخلصين مسالمين وادعين تحت ظل دولة كريمة تحكم بالقرآن، وهو أمر لا يرضاه الله ولا المسؤولون، ولا يقره قانون ويأباه العرف ".

ثم تبدأ مذكرة الوجهاء المطولة شارحة مسألة الاضطهاد العقائدي فتقول : "تعلمون أننا شيعة، ونمثل الأكثرية المطلقة في هذه المنطقة..وان التشيع لم يكن حديثاً في بلادنا، ولم يكن

حزباً سياسياً يخضع للظروف، ولا رأياً رأيناه فنعيد النظر فيه، وإنما هو عقيدة من صميم الاسلام، قائم على أسس دينية راسخة، ومبني على قناعة وأدلة واضحة مأخوذة من الكتاب والسنّة..وإننا نمارس هذه العقيدة عبادة وسلوكاً وآداباً وأخلاقاً، ولم تشكل خطراً على الدولة في يوم من الأيام، وأنها لا تحمل العداء لأحد أو الإضرار بفئة، ولا تحيزاً مع أحد، ولا تعصباً ضد أحد، وليس لأحد سلطان على العقيدة إلاّ الله سبحانة..ومن يزعم بأننا في ممارساتنا لطقوسنا الدينية نضرُّ بأحد، فإنه تصور خاطئ ومردود، ونعتبره تجنياً علينا وعدواناً على عقيدتنا ".

وراحت الرسالة تتحدث عن خلفية أحداث المحرم ١٤٠٠هـ "..ان رجال الأمن حضروا وهم يحملون شعوراً وتصوراً أبعد ما يكون عن الحقيقة، بأننا أصحاب عقيدة شاذة، وأننا أدوات شغب.يضاف إلى ذلك وجود المتعصبين في الإدارة المحلية، ممن يطيب لهم إشعال الفتيل لغرس بذور الفتنة لتعطي بذلك صورة مضخمة إرضاءاً لنزعاتها، وإشباعاً لشهواتها..وكدليل على ذلك البرقية التي وردت من جلالة الملك حفظه الله، حيث نفى جلالته وجود قتلى أو جرحى، مع أن القتلى والجرحى قد سقطوا بكثرة..وحاشى جلالة الملك أن يكذب أو أن يجانب الحقيقة..ولكن هذا يبين أن التقارير التي رفعتها الدوائر المحلية هي التي أخفت الحقيقة..والا فإن شبابنا ــ كما نعلم ــ من خيرة الشباب، وهو متدين..ونعني من حيث المجموع، أما الأفراد فلا يقاس عليهم، ولا يكاد يخلو منهم أي مجتمع..وان القصد من هذا هو أن تستعمل الدولة الحكمة في معالجة الامور، وان لا تعتمد كلياً على التقارير، لأنها تبنى على استنتاجات اكثر ما تكون خاضعة للعوامل النفسية، تخطئ وتصيب، ويبالغ فيها، كما أن للغرض الشخصي أكبر الأثر في الكيفية التي تكتب بها، كما أن الذين يكتبون التقارير ليسوا من اهل المنطقة، ولا يعرفون عن طبيعة أهلها وطقوسهم الدينية شيئاً..فهم يعتمدون على تصوراتهم الخاصة، وغالباً ما تكون خاطئة، لأنها وليدة تصور خاص ".

"أن الكثير ممن قتلوا أو جرحوا هم من الأطفال والنساء، حتى أن بعضهم أصيب أمام وداخل بيوتهم، وبعضهم كانوا سائرين في الطريق فأصابهم الرصاص الطائش وهم عزل من كل شيء، وهذا ما لم تشر اليه التقارير..وكل ما نرجوه من ولاة الامور أن يتجنبوا العنف، وان يتحروا الحقائق، وإحلال الرحمة واللين، فهو أجدى من الشدّة والقسوة..كما نرجو أن يطلق سراح السجناء رحمة بأمهاتهم وآبائهم، فإن كانوا مذنبين فإن ما مرَّ عليهم يكفيهم تأديباً وإصلاحاً، لأن السجن تأديب وإصلاح..وان لم يكونوا مذنبين، وإنما لمجرد شبهة، فأن الاسلام قد أمر أن تدرأ الحدود بالشبهات، وهذه ساحة الإسلام، والأليق بسيرتكم الحكيمة، وما هو معروف عنكم من التدبير والروية ومعالجة الأمور واعتبار ما حصل غلطة ينبغي أن يصرف النظر عن مرتكبيها، يجب أن تمحى وتزول بزوال آثارها ونتائجها وذيولها..ان القوة أو

الصمت أو السلبية لن تؤدي إلاّ إلى مضاعفة المشاكل وتفاقم الألم وزرع بذور الحقد والكراهية، وإننا لا نريد أن يكون في مجتمعنا ظل للكراهية، بل أن يكون كلّه خير ومحبّة وسلام ".

وحول الشعائر والطقوس قالت الرسالة :" أننا ــ يا صاحب السمو ــ على أبواب عام جديد، حيث نمارس مجالس العزاء في كل محرم من كل عام، وقد طلبت منا الإدارة المحلية أن نتقيد ببعض التعليمات التي نراها حجراً وقيداً علينا بدون مبرر، ونعتبرها نوعاً من التدخل في أمورنا العقائدية، وانتقاصاً لكرامتنا كمواطنين، إننا ياصاحب السمو أمة لنا رصيدنا الأخلاقي والأدبي، وان مدرستنا الأخلاقية غنية بالفضائل، حافلة بالقيم، لذلك فإننا نرفض أن نتهم في أخلاقنا وإخلاصنا، وان تمتهن كرامتنا، ونعامل كالأطفال..كيف يراد منّا أن نكون مواطنين صالحين في الوقت الذي يقف فيه منّا بعض المسؤولين موقف الشك والريبة، ويتهموننا في وطنيتنا وإخلاصنا ويفترضوننا أعداء..فكيف يطلبون منّا أن نثبت وجودنا على الساحة، وهم يجرّدوننا من أبسط مقومات وجودنا ".

" إننا من الأمة وجوداً ومصيراً واستمراراً..فلسنا دخلاء ولا أعداء..نعم إننا بشر يعرض منّا الخطأ والزلل، لكننا لسنا خونة، ولا خوارج، ومن حق كل دولة أن تحاسب المخطئين، وتقوّم المعوج بالطرق التي تجلب الخير وتحقق الإصلاح..فلها أن تأخذ، وعليها أن تعطي، لا أن ترتب أثراً سيئاً مصدره التصور الخاطئ، بحجة المحافظة على الأمن والنظام ".

"إننا نعتبر النظام إنما وجد لصالحنا كمواطنين قبل أن يكون لصالح الدولة، ولو لم يوجد النظام لوجب علينا أن نعمل على إيجاده، ولزاماً علينا أن نصونه ونحترمه، ونحافظ عليه ولا نسمح لأحد أن يفرّط فيه..اذ لا حياة بلا نظام ".

" كل هذا نفهمه ونعيه ونمارسه في حياتنا اليومية كمنهج، ولكننا لا ننتظر من شرطي جاهل أن يعلّمنا ألف باء حياتنا، ولا نلغي دور الدولة في المحافظة على النظام، لأن في الناس العاقل والجاهل، ولا تستقيم الحياة إلاّ به، فالنظام هو مصدر أمن وإستقرار وتهذيب، لا أداة للبطش والإرهاب، فيتربصوا ــ رجال الأمن ــ بنا ويستثيروننا ويستفزوننا تمهيداً للبطش بنا بحجة النظام، فكأن القلق والرعب هما السمة البارزة في مجتمعنا نتيجة لتصرفات رجال المباحث وغيرهم ".

"إننا يا صاحب السمو متخوفون جداً هذا العام، لوجود الاستعدادات الكبيرة وحشد القوة في المنطقة، الأمر الذي ينذر بالخطر، حتى ليبدو وكأننا مقبلون على معركة، مع العلم أنه لا توجد لدينا نوايا سيئة أو عدوانية على أحد، بل ننشد الأمن والاستقرار، لذلك فإننا نستجير بالله ثم بسموكم من أمر قد يدبّه لنا من لا يخاف الله ".

"أن من حقنا كمواطنين أن نكون آمنين على أنفسنا وأموالنا وأهالينا وأعراضنا، وان تصان حقوقنا، وتحفظ كراماتنا..وماذا يريد المواطن من الدولة غير أن توفر له العيش الكريم والأمن في الوطن، وان يمارس أعماله في حرية وإطمئنان، فلا يعتدي عليه أحد، ولا يكدر صفو عيشه أحد تحت أي شيء يتخذ كمبرر من المبررات، أوأن تنتهك حرمة بيته بحجة التفتيش، فالبيوت حرمتها وقدسيتها، وقد جعلها الله ستراً للناس، فكم من أشياء لا يجوز كشفها ولا الاطلاع عليها نشرت وكشفت، وكم من أمرأة وطفل قد روعوا داخل البيوت، وهذا لا يجوز شرعاً ولا قانوناً..فالمواطن هو الأساس والأصل، ولا يتهم أصيل على حقه.. وإن حاجة المواطن إلى النظام اكثر من حاجة الدولة، حيث لا يستقيم أمر المواطن إلاّ بالنظام، ومادام أن كل مواطن معني بأمر النظام، لذلك فإنه لا خوف من المواطنين على النظام، وهذه حقيقة ثابتة كونتها الوقائع والأحداث ".

"إنكم تريدون منا أن نكون مواطنين صالحين، مخلصين لله والوطن والدولة، وهذا ما نريده نحن..اذن نحن متفقون، فعودونا على المسؤولية لنحترم أنفسنا والنظام والآخرين، ثم انظروا بعد ذلك، فإن فرطنا فحاسبونا وضعونا أمام مسؤولياتنا، أما أن نكون عرضة للإهانة والإحتقار والإزدراء، ونجرد من كل حقوق المواطنة، ونسام الخسف والعسف، وتوجه إلينا الاتهامات والطعون حتى في مقدساتنا، ونسب ونكفر ونفسق ويشهر بنا على صفحات الجرائد وعلى موجات الأثير وفي المدارس، ثم يطلب منا أن نكون مواطنين صالحين..فهذا ما لا يتفق مع أي منطق، وخلافاً للعدل ".

"هذه هي أهم مطالبنا، وهي كما أشرنا تمثل الحد الأدنى من الحقوق، وهناك حقوق أخرى نتركها لتقدير الدولة اولا بأول ".

وكما هو واضح فإن الرسالة ساخنة، بسبب إنفجار الوضع الأمني وتراكمات المحن الماضية..ولأن الأسوأ وقع، فما عاد السيئ يخيف !..وقد استجاب الملك لمطلب الوجهاء بإطلاق سراح السجناء.

ثالثاً : في عام ١٤٠٥هـ، وبعد ازدياد الحملة الإعلامية في الأجهزة الرسمية السعودية ضد الشيعة، وتحول الحرب الطائفية إلى الشارع، بسبب خطباء السلطة في الجوامع..كتب الوجهاء الشيعة رسالة إلى الملك قالوا فيها :" كلما قلنا بأن عرض الحقائق، وكشف المواقف قد قربا المسافة، وأزلا عقدة الشك، وآذنا بانفراج الأزمة..حدث ما يبدد الآمال، وينشر ظلالاً قاتمة تبطن في صورتها المعتمة الخطر المخيف، أن أزمة من عدم الثقة تسيطر على فكر وعقل القطاع الاكبر ممن بيدهم تصريف الأمور، بل ومن لهم يد في رسم سياسة الدولة، وقد انعكس ذلك على قطاع كبير من مواطني المملكة وساكنيها بفعل التضليل الإعلامي..ونحن من جانبنا لا تتاح لنا فرصة الرد بالمثل ".

"إن إنعدام الثقة في نفس الحاكم – أي حاكم – نحو مواطنيه أو جزء منهم، أمر في غاية الخطورة، لأنه يجعلهم في نظره مصدر شر على سلامة وأمن الدولة، فيتعامل معهم بنوع من الشك والحذر والحيطة، ويعتبر أية بادرة تبدر من فرد أو آخر سواء كانت بجهل أو بتغرير أو بحالة من التعمد، يعتبرها أثر من آثار ذلك الشك، فيحملها أكثر مما تتحمل ويتحمل صاحبها من التبعات بما لا يتناسب طرداً وعكساً مع حدث البادرة..بل لا يقف الأمر عند حدُ مرتكب الخطأ، وإنما يتعداه إلى المجموعة التي ينتمي إليها، فتنسب لها كل بادرة سوء في الدولة، ومجردة من مواقف الحسن وفضيلة التعامل الأخلاقي، وهذا هو الموقف معنا، وما ذلك إلاّ لسبب إنعدام الثقة وسيطرة عامل الشك والريبة دون أن تكون هناك مرتكزات يستند لها بما يبرر التعامل الذي نعامل بمثله ".

"وبدلاً من البحث عن مسببات ذلك الشك وصحته من عدمه، ترك الإعلام بمختلف وسائله، من خطابة وكتابة ونشر ومحاضرات وبث إذاعي وتأليف، أن يأخذ طريقه إلينا لكي ينال من كرامتنا وعقيدتنا، ويطعن في حقيقة إسلامنا، ويحرض علينا مبتغياً القضاء على وجودنا بشكل أو بآخر، ونحن مقُيدون حتى من الرُد على منابر الصحافة المحلية ".

"فما دمنا في نظر المسؤولين – في الطليعة علماؤهم – كفاراً حاقدين حانقين، نكيد للإسلام وأهله، وما دام التصور إلينا بوحي من إعتقاد خاطئ أننا نستعمل التقية [٢١٤] مع جميع أبناء السُنة في كل تصرفاتنا وأقوالنا وأفعالنا، وأننا نبطن غير ما نظهر، ونقول غير ما نعتقد.ما دامت هذه الصورة عالقة بالإذهان، فمن المتعذر – بل قد يكون من المستحيل – أن يسمع لنا صوت، أو يصدق لنا قول ".

"إن مسلسلاً ضخماً من التحريض بإسم الإسلام – والإسلام منه بريء – أخذ يظهر ضد الشيعة هذه الأيام بكثافة وتركيز في شكل مؤلفات ومحاضرات وخطب جمعة وغير ذلك، بعض ما فيه وجوب محاربتنا، والقضاء علينا أولاً قبل كل شيء ".

"لقد سكت محب الدين الخطيب في قبره [٢١٥]، وانكفأ الحفناوي في حجره، وأسكت الجبهان عن زعيقه [٢١٦]...وظننا بأنه قد آن الأوان لتضميد تلك الجراح، ودفن تلك الحزازات، وإهالة تراب التسامح على الروائح الكريهة التي تتقيأ منها النفوس وتزكم الأنوف..لكن سرعان ماظهر لون جديد أشد تحريضاً وأكثر إثارة ووقاحة وكذباً وافتراءاً، بدءاً بكتاب وجاء دور

---

[214] التقية : ورد ذكرها في القرآن في أكثر من موضع، وهي تجيز للمسلم أن يخفي رأيه وفكره إذا خاف على نفسه، ويتفق جمهور المسلمين على أن هذا فعل جائز، خاصة في ظروف القهر والكبت السياسي والديني.

[215] وهو صاحب مؤلف الخطوط العريضة، وقد طبع الوهابيون الكتاب مرات عديدة، إحداها وأولاها على نفقة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

[216] هو إبراهيم الجبهان، صاحب كتاب : تبديد الظلام وتنبيه النيام في خطر الشيعة والتشيّع على المسلمين والاسلام

المجوس [٢١٧]، مروراً بسلسلة كتب إحسان ظهير إلهي.، وغيره.وأخيراً خطبة إمام مسجد القاعدة البحرية في الجبيل يوم الجمعة ١٠محرم ١٤٠٥، الذي لم يكتف بتكفير الشيعة، بل كفر من لا يكفرهم..وبين هذا وهذا زخم من المقالات والمقابلات والكتب والمحاضرات، قال قائلوها انهم يستندون على مرويات في كتبنا، آخذين تلك الروايات كحقيقة ثابتة، ويتعرضون إلى نقاط مهمة في حياة المسلمين، كأن يأتي أحدهم على قضية الزيادة والنقصان في القرآن الكريم، وغير ذلك مما له مساس بعقيدة المسلم..وبلغ التهور بخطيب المسجد المذكور أن قال بأن السنة يختلفون معنا في توحيد الربوبية والألوهية، وان من يعتقد من المسلمين بالخلاف معنا ولا يقول بكفرنا، فهو كافر بإجماع علماء المسلمين..كذا، فاذا كان كذلك، فعلى الدولة أن تمنعنا من حج بيت الله الحرام، وزيارة رسوله ومسجده عليه أفضل الصلاة والسلام، وأن تحول الزكاة التي تؤخذ منا إلى جزية، وتعاملنا معاملة الذميين، الذين لهم حق المواطنة، كما لغيرهم من المواطنين !".

"لم يعد مجدياً أن نقول المُرة بعد الألف : أننا مسلمون فكراً وعقلاً ونظاماً..وأن كتبنا وآراء علمائنا وأقوال خطبائنا على المنابر واضحة للعيان، وهي في متناول كل إنسان، تشهد كلها بكذب وإفتراء أولئك المأجورين الدسّاسين الأفاكين، لا يجدي القول والإعلان، لأن كل ما نقوله تقية، وظاهره غير باطنه ــ كما يزعمون ــ ".

"والذي نوّد أن نقول بأننا نحن الشيعة في المملكة العربية السعودية فئة قليلة تعيش تحت علم دولتكم، وان هذه الحملات المسعورة تعرض حياتنا وأمننا للخطر، وتقلق وجودنا وراحتنا، وتنعكس آثارها السيئة على جوانب علاقاتنا الاجتماعية والاقتصادية والتعاملية وغيرها..وهي ــ حتى لو لم تكن تؤثر فينا ــ فإننا لا نقبل أن نشتم ونرمى بالزور والبهتان ويطعن في عقيدتنا ومذهبنا وأئمتنا وعلمائنا الذين خدموا الدين بتفان وإخلاص، وان تهان كرامتنا، ويؤلب علينا، وينسب الينا أننا نكيد للإسلام وأهله، وأننا أخطر عليه من الصهيونية والشيوعية..هذا ونحن ساكتون مقهورون لا نرد بكلمة ؟".

"لذا نتقدم لجلالتكم راجين أن تهيئ لنا حكومتكم الرشيدة ــ وهي حكومة إسلامية ــ احد أمرين..أولاً : أن تصدر وزارة الإعلام بياناً مذاعاً بمنع الحملات المذهبية ضد الشيعة، أياً كان واضعوها، وان تعترف بأننا مسلمون، وان تمنع دخول الكتب التي تتعرض لسب الشيعة والطعن فيهم وفي عقيدتهم وأئمتهم، وتعاقب من ارتكب أو يرتكب ذلك من مواطني المملكة أو من هم ساكنوها..ثانياً : أن تمنحونا حق الرد بالمثل على من تسول له نفسه بالتشهير بنا ".

---

[217] ومؤلفه عبد الله غريب، ويقال أن الاسم منتحل، وان الكتاب قد طبع أول ما طبع على نفقه المخابرات العراقية وبتوجيهها، ثم تولّت ماكينة الاعلام الديني والسياسي السعودي الترويج له، وإعادة طبعه، وتوزيعه مجاناً.

رابعاً : في عام ١٩٨٩م، وبعد تزايد المضايقات للطلاب الشيعة في جامعة الملك سعود بالرياض، كتب الطلاب الشيعة رسالة إلى قاضيهم الشيخ عبد الحميد الخطي، تشرح له الأوضاع، وتطلب منه التدخل لدى الحكومة..قال الطلبة :

"إنطلاقاً من موقفنا الثابت نحو القضايا العامة والمصيرية، ومن ثقتنا البالغة في حنكتكم وحسن تصرفكم تجاهها عبر القنوات الصحيحة والفاعلة، نرفع لسماحتكم خطابنا هذا نعرض فيه ما نواجهه من مضايقات وإعتداءات صارخة ناتجة عن إثارات لنزعات مذهبية وإفرازات لأمور لا صلة لنا بها، نوجزها فيما يلي :

"أولاً : التهجم على عقيدتنا بمحضرنا، سواء بتوزيع الكتب أو الأشرطة مجاناً في محافل الطلبة، أو بإلقاء الخطب والندوات والمحاضرات المنادية تصريحا أو تلميحاً، بوجوب جهادنا كما يجاهد الكفار واليهود، وتلفيق التهم الباطلة، والطعن بوطنيتنا وإنتمائنا القومي، وولائنا لهذه الأرض، ولحكامها الميامين.ناهيك عما يدور في بعض المحاضرات الدراسية في بعض المواد المتصلة بالثقافة الإسلامية من سبٍّ وتشنيع على عقيدة الشيعة والتشيُّع..وللأسف الشديد، أن كل ذلك يحدث أمام مرأى ومسمع مسؤولي الجامعة، فلا يحركون ساكناً ".

"ثانياً : نتيجة لهذه الإثارات، فإن كثيراً من المشادَّات تحدث في صفوف الطلبة التي ما يصل بعضها إلى المسؤولين في الجامعة حتى تميع القضية، ويؤخذ التعهد على الشيعي، ويخرج الطرف الآخر ــ المعتدي ــ وهو رافع رأسه شامخاً بأنفه، معتبراً ذلك إنتصاراً يشجعه على الخوض في معارك أخرى ــ حسب نظره ــ ".

"ثالثاً : وهي القشة التي قصمت ظهر البعير، والتي أضطرتنا إلى كتابة هذا الخطاب إلى سماحتكم ،والذي لا يستطيع أن يتحمله إنسان مسلم مطلقاً، هو منعنا من أداء الصلاة في مساجد المسلمين، وملخص الموضوع: أنه تقدم طالب إسمه عبد العزيز حسين الرماح..ومعه أربعة من الطلبة، وفيما كان الطلبة الشيعة يؤدون صلاة الظهر، أخذ هؤلاء الخمسة يسحبون ما كان يسجد عليه الطلبة من مناديل ورقية "تمشياً مع ما عليه المذهب الجعفري من عدم جواز السجود على السجاد مباشرة "..ولما أراد الطلبة الشيعة التفاهم معهم، رفضوا التفاهم، وزعموا أن لديهم فتوى من سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز بالامر، وعند مطالبتهم بالفتوى، أجابوا بأنهم سيحضرونها ".

"وفي المساء ذهب البعض إلى عبد العزيز الرماح حسب وعده، فاستقبلهم مع عشرة من أصحابه مستعرضين ميداليات أكتسبوها من مشاركات في ألعاب الجودو، والكاراتيه، وهددوا الطلبة الشيعة باستعمال العنف في تطبيق الفتوى المزعومة..وحين علم عميد شؤون الطلبة الدكتور عبد اللطيف الحشاش بالواقعة، اقترح وكيله الدكتور علي النغموش في اجتماع مع بعض الطلبة ــ بناء على رغبته، أن يستبدل المكان المستخدم للصلاة من الدور الخامس إلى

الدور الثالث من مبنى مركز الطلبة، وان يفرش بالحصر بدلاً من السجاد، وقد كان ذلك حلاً مرضياً للجميع ".

"وما أتى اليوم التالي : إلاّ وكلام الليل يمحوه النهار، فعندما أتى وكيل عمادة شؤون الطلاب إلى الموقع، كان يهدد ويتوعد الطلبة الشيعة بالفصل وبالمجلس التأديبي إذا صلوا في ذلك المكان الذي عينه لهم بالامس، وأمرهم أن يصلوا في غرفهم، وان أدى ذلك إلى تفويت أوقات الصلات عليهم، أو تفويت بعض المحاضرات نتيجة لضيق الوقت المخصص للصلاة والغذاء معاً، حيث لا يسمح ذلك لكثير من الطلبة الذهاب إلى السكن للصلاة، والمجيء مرة أخرى لتناول الغذاء، ومن ثم العودة إلى قاعات المحاضرات لاستئناف الدراسة ".

"بل وتجاوز الدكتور النغموش الحدّ عندما ذكره الطلبة بإقتراحه السابق، فأخذ يشتمهم ويسفه عقيدتهم، ثم اتهمهم وتوعدهم بان يحول المسألة إلى مسألة تجمعات سياسية، وما أشبه..مما يدخل في نطاق الأمنيات، بينما المسألة لا تتجاوز ركعات يؤديها الطلبة ".

"وهدد الطلبة من قبل الدكتور النغموش بأن أي تواجد في البهو الرئيسي ــ مركز الجامعة ــ لأكثر من شخصين في غير وقت الغذاء، سيفهم منه أنه تجمع مغرض، علماً أن البهو يحتوي على مقهى كبير ويتوسط مباني الكليات..وهذا التهديد وضع جميع ممارسات الطلبة الشيعة اليومية والعادية محل شك وريبة ".

"نحن لا نطالب عبر هذه السطور إلاّ بحقنا أن نعيش كمواطنين، نتمتع كما يتمتع غيرنا بأمن ورفاه هذه البلاد الطيبة في ظل قيادتها الرشيدة..ونحن على يقين بأنها ترفض تلك الممارسات الشاذة رفضاً قاطعاً..لهذا آثرنا أن نحيطكم علماً بما يحدث داخل أسوار الحرم الجامعي كي توصلوا مشكلتنا إلى القيادة الحكيمة، كي لا نكون لقمة سائغة بين شباب طائش متهور، ليس له هم في الحياة إلاّ سب الشيعة ومحاربتهم..وبين مسؤولين متواطئين على إذلالنا والتعمد في إيذائنا ".

خامساً : أرسل الوجهاء رسالة غاضبة إلى الملك في صفر ١٤٠٩هـ جاء فيها :" إن أهل القطيف هم أولئك الذين لا يزالون على ولائهم العميق والجاد للدولة السعودية منذ الوقت الذي دعوها فيه [٢١٨] حتى الان...واذا كانت بعض القضايا التي تحدث بين حين وآخر من البعض، تأخذها الدولة أو بعض مسؤوليها دليلاً على عدم ولائهم، فيجب أن ينسحب ــ ذات المقياس ــ على بقية مناطق المملكة، لأنها لم تسلم من وقوع أحداث لا ترضي المسؤولين، وان تخصيص أهل القطيف بالشك خلاف للعدل ".

---

[218] وهذه لفته مقصودة، هدفها التذكير بان الشيعة في القطيف هم الذين دعوا الملك عبد العزيز لتسلم القطيف سلماً، ومن تلقاء أنفسهم .

"إننا معشر الشيعة، مسلمون موحدون حقا وحقيقة، ويؤسفنا تقرير هذه البديهة إلى الحكومة التي حكمتنا مدة ثمان وسبعين سنة..فاذا كان عند احد شك في إسلامنا، فنحن على إستعداد إلى مناظرات، شريطة أن تتوفر الأجواء إلى كل طرف، بالقدر الذي تتوفر للطرف الآخر، وأن يتم الإتفاق على أسسها ".

"إننا نريد من خادم الحرمين أحد أمرين :الأول :إذا كنّا في نظر الدولة مسلمين ــ وهو الحق ــ أن تضع حدا تاماً بيننا كمواطنين، وبين علاقاتنا بالدولة كحاكمة، فتمارس الحكم علينا ــ قولاً وفعلاً ــ، وبهذا المفهوم تبلغ كافة الوزارات والأجهزة والمؤسسات وتوابعها، وتعلن في وسائل الإعلام، بحيث يكون التعامل معنا على قدم المساواة مع إخواننا السنة، لنا نفس الفرص والحقوق كما هي لهم، الثاني، إذا كنا في نظرها غير مسلمين، فعليها أن تجهر برأيها ــ والى الله المشتكى ــ..اما أن تكون الأقوال في المقابلات شيئاً، وعلى الصعيد العملي شيئاً آخر، فأمر لا نعتقد أن خادم الحرمين الشريفين يرضاه ".

"وما يؤثر عن عمر ــ رضي الله عنه ــ قوله : لو أن بغلة بالبصرة عثرت لحسبت أن الله سيحاسبني عليها إذ لم أسوّ لها الطريق..بغلة تعثر بالبصرة، يخشى الخليفة أن يحاسبه الله عليها، ونحن أربعمائة ألف نسمة من البشر، تعلن كل يوم وليلة على المآذن شهادة أن (أن لا إله إلاّ الله، وان محمداً رسول الله)، ووفودها للحج والعمرة تملأ الساحات كل عام، وتؤدي الزكاة، وتصوم رمضان، وتلاوتها للقرآن ملء الاسماع..هذه المجموعة التي قدمت هي وأرضها كل ما تملك بسخاء وطواعية، تعامل بما لا يتفق والأسس الإسلامية التي تسير عليها الدولة ".

"خادم الحرمين الشريفين. في الوقت الذي تسلم سمو الأمير محمد الحكم في المنطقة، قطعنا علاقات مطاليبنا إلاّ عند سموه، لأنه يحسّ بمسؤوليته حاكماً، لا كغيره ــ إشارة إلى الأمير السابق عبد المحسن بن جلوي ــ فرفعنا إليه أمورنا وبكينا شكوانا، وسكبنا بسمعه مباشرة آلامنا، وفي اعتقادنا أن سموه الكريم كان جاداً ومخلصاً في إنهاء هذا الوضع الشاذّ، فعمل على رفع ما نشكو منه بعد دراسة لكل الأمور، وإقتناعه بأنه لا يمكن أن تحرم طائفة مسلمة تعيش تحت هذا الحكم المسلم، من أبسط حقوقها، بل أن سموه بات متأكداً من صدور الأوامر السامية، بالموافقة على كل ما رفعناه له، حتى أنه قال إلى من قابلوه بشأنها: (لولا بعض الإجراءات الروتينية، لقلت لكم إنها إنتهت، أما قضية المساجد ــ أي قضية عدم السماح للشيعة ببنائها أو تعميرها ــ فاعتبروها منتهية)....

"ولكن فيما يبدو ثمة طرف آخر يجذب الحبل في إتجاه معاكس ليأخذ بخناقنا..وكنا نتريث ونتعلل بالانتظار...ولما لم نجد لشيء مما بثثناه تحقيقاً، بل توالت الأيام ضاغطة علينا بأحمال لا نستطيعها، رأينا أن نتوجه إلى المقام السامي الكريم ".

"...وتوالت الايام وإذا بالمجن ينقلب من قفاه، ويحدث ما لا يخطر على فكر مسلم أو يمر بخلد، وجرى التمهيد بالإكثار من طبع وتوزيع الكتب، وبالحملات الإعلامية في الصحف وخطب الجمعة وسواها..ولما تهيأت الأجواء، بدأت الخطوات العملية للتعبير بوضوح من أننا غير مسلمين، ولا مأمونين، وتلك الخطوات هي :

ـ صدور المنع علينا من بناء المساجد، وهذا وحده كاف للدلالة..لأنه (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر).. الآية. ولو كنّا في نظر المسؤولين مؤمنين موحدين، لما منعونا من بناء المساجد التي هي عنوان المسلم وهويته.

ـ التوجه، بل واحتضان، من تنازعه نفسه بسبب الضغط والمضايقة في العمل والدراسة وغيرها، تنازعه للخروج من المذهب الشيعي إلى غيره، إننا لا نقيم وزناً، ولا نعير أهمية أن يتمذهب أي فرد بالمذهب الذي يراه..ولكن أن تتبنى بعض أجهزة الدولة الرسمية ذلك، فهو أمر صريح لما ألمحنا اليه.وقضية تزويج فضيلة بنت عبد الله عباس، من أهل سيهات، من المدعو خالد يوسف أحمد باني العميري، وإجراء العقد لها في ١٤صفر ١٤٠٩هـ، بالمحكمة الشرعية بالقطيف، بغير إذن والدها، بل وطرده من المحكمة، مع انها بكر، ولا يصح نكاح البكر إلاّ بولي عند المذاهب الإسلامية..الا دليل آخر.

ـ وقبل هذا يجيب عضو من هيئة العلماء على سؤال ما إذا تزوج شيعي بسنّية : (هذا لا يجوز شرعاً، ولا يقبل، ويفسخ إذا حصل، وأرى معاقبة من يفعل ذلك).

ـ ويأتي في نهاية هذا المسلسل الذي ربما لن يكون الأخير، تعميم من معالي وزير البلدية والقروية، بهذا الشهر صفر، يقضي :(بمراقبة ومتابعة الجزارين العاملين بالمسالخ وإلزامهم بمعرفة أحكام الذبح الشرعي، وان لا يمكن من ممارسة هذا العمل إلاّ من يثبت أنه مسلم صحيح المعتقد، ينكر الخرافات كعبادة القبور وغيرها، مما يعبد من دون الله، وينكر جميع المعتقدات والبدع الكونية كمعتقد القاديانية والرافضة)!.. الخ، وهنا بيت القصيد..من هم الرافضة ؟أليس هو إسم يطلق على الشيعة الإمامية، وهو في الأصل إطلاق باطل ؟..وهل من الصحيح أن يوضع الشيعة في مصاف القاديانية وعباد القبور؟.

إن اللحم الذي يستورد من بلاد الكفر، ويكتب عليه (ذبح على الطريقة الإسلامية)، فإنه حلال ويباع في الأسواق، واما ذبح الشيعة فغير جائز!.

"هذه أدلة رسمية على إعتبارنا غير مسلمين، ونحن نشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله، ومن قالها فقد حرم عرضه وماله ودمه..فاذا قلنا ذلك، قيل لنا : أنتم تستعملون التقية..ان هذا يوحي بوجود خطة تتبناها بعض الجهات المسؤولة لتقضي علينا ككيان ووجود، حين نصبر على المدى الطويل على مضض ونتجرع الذل والمهانة، ونبحث عن لقمة العيش فلا نجدها على سبيل الكفاية ".

لقد أشارت الرسالة إلى مواضيع عديدة أشرنا إلى فقرات منها في صفحات سابقة..ومن التساؤلات والمطالبات التي قدمت :" كنا نطالب بالسماح بدخول الكتب الشيعية، بحيث لا يمنع الكتاب لكون مؤلفه شيعي ".

وفي الختام : " خادم الحرمين الشريفين..الحديث يطول وكله آلام وشجون، وأهل القطيف لا يرغبون بحكومتكم بديلاً، فأنت حاكم علينا والله حاكم عليك، فأفعل معنا ما تحب أن يفعله الله بك يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون، يوم توفى كل نفس ما كسبت..نلجأ اليك حاكماً، ونسألك مسلماً، تحكم بكتاب الله تعالى، أن ترفع عنّا ظلامتنا ".

سادساً : كتب الوجهاء رسالة إلى الأمير محمد بن فهد، أمير المنطقة الشرقية، لتذكيره بمطالب الشيعة في القطيف،..وذلك في ربيع الثاني ١٤١٠هـ، قالوا فيها :" لقد كان لإجماع البعض منّا بسموكم يوم الأربعاء ١٤١٠/٣/٢٦هـ، والحديث الذي دار فيه، أثر بالغ الإرتياح في نفوس الجميع، لما تميّز به من طيب وصراحة ووضوح، ولقد أمرتم أن تقدم مطالب القطيف لسموكم على وجه التذكير، لأنكم ذو إحاطة تامة بها ".

ومن المظالم التي أشارت إليها الرسالة التالي :

" ــ المنع من بناء المساجد، بل وحتى ترميم الموجود منها، وهذا أكبر دليل على الشك في إسلامنا، اذ متى منعت الحكومة من بناء المساجد، وهي التي تقيمها في خارج البلاد الإسلامية، ومنعها إيانا يعني أننا في نظرها غير مسلمين.

ــ منع بناء الحسينيات، وهذا المنع لم يحدث اصلاً لا في زمن المغفور له الملك عبد العزيز ولا من بعده، فلم يحصل هذا إلاّ منذ زمن قريب، مع انها معروفة الأهداف الخيرة، من بث الإرشاد ونشر المعارف الإسلامية والإنسانية والأخلاقية، وتعين على تهذيب الذات وتقويم السلوك.

ــ منع دخول كتب الشيعة من حيث هي، مهما كان موضوعها دينية أو أدبية أو تاريخية أو فقهية، فالمنع هو الأصل.

ــ معاملة كل قادم منّا من الخارج ــ أي جهة ورد منها ــ ومهما كانت مكانته وصفته بالإهانة والإذلال أمام أعين الاخرين، بالتفتيش الدقيق المزري..وهو يرى غيره يمر بهم المسؤول مرور الكرام، وكأن أهل القطيف أمة مجرمة، أو انهم ليسوا سوى موردي مخدرات أو سلاح، فيستحقون الإذلال والتحقير، وكأن غيرهم فوق الشبهات.

ــ بسبب الإعلام المكثف ضد الشيعة، وعلى ضوء ما يشاهده المواطن السعودي من معاملتهم فيما ألمحنا اليه، صار المواطن السنّي ينظر إلينا نظرة إهانة وإزدراء.بل صار الكثير منهم يتطاول باللسان واليد، حتى على مقاعد الجامعات وغرف السكن وكراسي الوظيفة..وليس حادث مسجد الظهران الواقع بمنطقة عمل أرامكو ببعيدة أو غائبة عن ذهن

سموكم، حينما حاول بعض أخواننا أهل السنّة منع المصلين الشيعة من دخول المسجد للصلاة..وهذا أمر لا يرضى به احد من الناس، فكيف بحكومتنا الرشيدة التي هي مسؤولة أمام الله سبحانة وتعالى ".

سابعاً : بعد الغزو العراقي للكويت، وإعلان الملك فهد عن عزمه تشكيل مجلس للشورى، كتب عدد من الشخصيات الشيعية رسالة للملك تتعلق بموضوع الاصلاح السياسي للبلاد، ثم طالبوا بتعديل السياسة الداخلية، القائمة على التمييز الطائفي..ومما جاء في تلك الرسالة :

" لقد تعرضنا في السنوات الماضية للمضايقة في ممارسة شعائرنا الدينية حيث مورست بحقّنا التفرقة الطائفية على جميع الصعد، وبالذات فيما يخص تقديم الدعم والمساندة في بناء المساجد وأماكن ممارسة الشعائر الدينية، كما أنه غير مسموح لنا جلب واقتناء الكتب الدينية والمرجعية الخاصة بنا.

لقد أوصدت الأبواب في وجه أبنائنا الراغبين في الحصول على العمل الشريف، سواء من قبل بعض الجهات الحكومية، أو بعض الشركات الخاصة..مثل شركة كهرباء المنطقة الشرقية، وبترومين وشركة سابك، وبشكل أخص شركة ارامكو السعودية التي اوصدت أبوابها بشكل تام امام أبنائنا..كما أن ابنائنا وبناتنا يعانون أيضاً من التفرقة في الحصول على فرص العمل المتكافئة وتقلد الوظائف الإدارية، وخاصة لدى الرئاسة العامة لتعليم البنات.

أن ابناءنا وبناتنا يعانون من قلة المقاعد الدراسية الجامعية المخصصة لهم ووضع العراقيل امام قبولهم في بعض التخصصات الجامعية.

ونحن كمواطنين، وانطلاقاً من واجب المواطنة والدفاع عن تراب الوطن، نطمح دائما في الانخراط في كافة قطاعات قواتنا المسلحة الباسلة، إلاّ أن أبنائنا يواجهون حجراً على دخولهم في قطاعات الجيش، مما يسبب خلق شعور بالغبن لدى الراغبين منهم في خدمة هذه الوطن).

شواهد ووقائع:

نقدم فيما يلي نموذجين للقرّاء يكشفان كيفية تعامل الدولة مع كتب الشيعة الفكرية الاعتيادية التي لا علاقة لها بالسياسة من قريب أو بعيد، والتي لا تحمل تهجما على أحد، وبين معاملتها للكتب التي تشتم الشيعة وتطبع في المملكة، والتي تدعو لحربهم والقضاء عليهم.

النموذج الأول :بين يدينا كتاب " تبديد الظلام وتنبيه النيام، إلى خطر الشيعة والتشيُّع على المسلمين والإسلام "، لمؤلفه إبراهيم الجبهان، وهو مواطن سعودي، طبع كتابه عدة مرات في المملكة، وكانت الطبعة الأولى في منتصف السبعينات، ثم تتالت الطبعات بعد إنتصار الثورة الإسلامية في إيران..وفي صيف ١٤٠٨هـ، أعيد طبع الكتاب على نفقة أعلى مؤسسة دينية في المملكة، وهي إدارة الدعوة والإفتاء والإرشاد، وكتب على الغلاف "وقف لله تعالى "!.

الكتاب هو واحد من مئات الكتب التي طبعت في المملكة على نفقة المؤسسة الدينية، وبتشجيع مباشر من الحكومة في حربها الطائفية ضد مواطنيها، وقد إخترنا هذا الكتاب لأن مؤلفه سعودي الجنسية، وتركنا كتب إحسان الهي ظهير الباكستاني، ومحب الدين الخطيب المصري، التي سبق للجامعة الإسلامية أن موّلت طباعتها، وأمثالها.

يحتوي الكتاب على اكثر من ٥١٥ صفحة من القطع الكبير، وهو في مجموعة لا يحوي سوى الشتم والقذف ممّا تعاف النفس سماعه، إضافة إلى تأليب الحكومة السعودية والحكومات العربية والإسلامية على الشيعة، وكذلك يدعو مؤلف الكتاب بصراحة إلى محاربة الوحدة بين الطوائف الإسلامية، التي إعتبر دعوة الشيعة إليها مؤامرة من مؤامراتهم.

في مقدمة لكتاب يوضح المؤلف الهدف الأساس منه، فيقول : " كان أول ما حملني على كتابة هذه الرسائل، كلمة ألقاها سماحة الشيخ محمود شلتوت، شيخ الجامع الأزهر، من محطة صوت العرب، قال في مستهلها : أن المذاهب الإسلامية الخمسة، واحدة جوهراً، واحدة مصدراً، واحدة مورداً، وانه يجوز التعبُّد بالفقه الشيعي، إلى آخر ما جادت به قريحته المشلولة، وكانت هذه الكلمة بمثابة نافوس الخطر "ص ٨.."ولذا فإنني لن أموت إلاّ بعد أن أحفر بيدي قبور الظلم والظالمين "!.

ثم يشكك في الدعوة إلى وحدة المسلمين وجدوائيتها، وانه لا يمكن أن تقوم وحدة بين الإسلام والكفر...و" لقد أملت عليهم مصالحهم الشخصية ــ أي الشيعة ــ والمصير المحتوم لكل مفاهيمهم اللاإنسانية لأن يقوموا بمحاولة جديدة، وأن يخترعوا بدعة منكرة، قوامها الدعوة إلى وحدة إسلامية مزيفة، وتقريب المذاهب الإسلامية..ولا يخفى على ذوي البصر النافذ ما تنطوي عليه هذه المحاولة من خبث ودهاء..ان زعماء هذه الطائفة إنما حاولوا بهذه البدعة المنكرة أن ينقذوا مصالحهم الشخصية، وما إكتسبوه باحتراف الدين من جاه ونفوذ ومال حرام، وان يوقفوا ــ والى أجل ــ زحف الأفاعي الإسماعيلية، وان يستروا ــ ولو إلى حين ــ ما تكفلت بروتوكولات حكماء صهيون بهتكه من حقيقة التشيُّع ".

"ومن المؤسف ــ بنظر المؤلف ــ أن ينخدع بمثل هذه المهزلة رجال من ذوي المكانة العلمية في العالم الإسلامي،...ويقعوا في ورطة التجارب مع الناعقين بحجة جمع الكلمة ووحدة الصف..ولا أدري أي كلمة تستطيع أن تجمع بين الحق والباطل، وبين الهدى والضلال، وبين من يدعون إلى الوفاق، ومن مردوا على النفاق "ص ٧.

ثم إن"الميوعة الفكرية هي التي شجعت عملاء الماسونية الكافرة بان يؤسسوا بين ظهرانينا، وتحت أسماعنا وأبصارنا، وفي أعزّ بقعة تتطلع إليها أنظارنا ــ في القاهرة ــ داراً للنصب والاحتيال، وممارسة الدعارة المذهبية، أسموها : دار التقريب بين المذاهب الإسلامية "ص ١٩.

و(الميوعة الفكرية هي التي خدعت لفيفاً من رجال العلم، وقادة الفكر فينا، ممن سقطوا في فخاخ دار التخريب والكذب..فراحوا يمدُّون أيديهم النظيفة إلى أيد قذرة ملطخة " ص ٢٤.

"وما حدث في مصر لم يكن إلاَّ من بركات السفارة الإسرائيلية الموجودة في القاهرة والمسمَّات بدار التقريب بين المذاهب الإسلامية، فلا نامت أعين الزعماء "ص ٢٤.

"إذا عرفت أيها القارئ الكريم أن التشيُّع كالشيوعية، كلاهما من بطن مومس واحدة هي الماسونية، عرفت ما تعنيه طائفة الشيعة من الدعوة إلى الوحدة، والى التقريب بين (المناصب) الإسلامية "!ص ٢٠٧.

وحربه للوحدة طويل لا ينتهي، وقد أكتفينا بما أوردناه..

ثم يبدأ المؤلف بالتأليب، تأليب بالحكومات ضدَّ رعاياهم الشيعة، وتأليب المواطنين على بعضهم البعض..يقول :

"أحب أن ألفت أنظار جميع المسؤولين في البلاد العربية، إلى أن هذه الطائفة لايمكن أن تضمر الولاء والإخلاص لأي نظام حكم تعيش في ظله، بل أنها تتربص به الدوائر، وتتحين الفرص للإنقضاض عليه "..وان من أحابيل الشيعة ــ بنظره ــ "استشهادهم لدعوة التقريب بقول الله تعالى :واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا..مع أن المخاطبين في هذه الآية هم المسلمون، أما الشيعة فإنهم يزعمون الإنتماء إلى الإسلام لسرقة المسلمين من دينهم ".

ثم يلي ذلك نداء " إلى ذوي الضمائر الحية والعقول المستنيرة "، يرشدهم المؤلف فيه إلى أن "لعنة التشيُّع هي أصل كل بلاء أصاب الإسلام "، وانهم هم لا غيرهم "أسباب التخلف الذي انت فيه، وأسباب الفوضى السياسية والإجتماعية والإقتصادية التي رافقت تاريخك القريب والبعيد، وأسباب الإضطراب الشامل وفقدان الطمأنينة وعدم الاستقرار الذي تشكو منه " ص ١٦.."فلا تنخدع بهذا اللف والدوران، فإن كل شيعي على وجه الأرض أو في بطنها سبئي، لأنه يتبع ديناً جاء به عبد الله بن سبأ اليهودي، وان من يعتنق التشيُّع يسمَّى ملحداً هداماً "ص١٨.

"وإنني أعود فأكرر تحذيري لكافة الدولة الإسلامية التي توجد فيها أقليات من عصابة الرفض ــ والمملكة التي طبع فيها الكتاب ووزع في مقدمتها ــ أن تأخذ حذرها من دسائس هذه الطائفة، وان لا تأتمن أحداً منهم على المناصب الهامة..إن التشيُّع جزء من خطة جهنمية ووضعت للقضاء على جميع ما تعارفت الإنسانية في أجيالها المتعاقبة على أحترامه من قيم وفضائل وأخلاق ومثل عليا، وما التشيُّع إلاَّ أحد الأقنعة التي تخفي وراءها وجوه واضعي خطة القضاء على الإنسانية، وتدمير العالم بمن فيه..وها قد بلغت، اللهم فاشهد، وأنت خير الشاهدين "ص ٥٩.

وقاموس الشتم عند الأستاذ إبراهيم الجبهان مليء بمختلف العبارات، وأليك نماذج مما حواه ذلك القاموس :

"قد لا يصدق الكريم أن نكاح الأم عندهم هو من البِّر بالوالدين، وأنه عندهم من أعظم القربات "ص ٢٢٢.

"إنكم – أي الشيعة – منشقُّون عن الأمة الإسلامية، منابذون لها، وأنتم في حكم المرتدين حتى ترجعوا إلى حظيرة الإسلام "ص ٢٧٤.

"علي بن أبي طالب لم يكن يدور في مشيته..بل كان يمشي على صراط مستقيم.اما الدوران، فصفة لا تليق إلاّ بحمير الطواحين، يا حميراً بلا طواحين "ص ٣٠٣.

"ماذا يقول الخنازير ؟– أي الشيعة – " ص ٣١١.

"إرفقوا بأنفسكم أيها الدسّاسون قبل أن ترفقوا بنا..فقد أصبحتم وأيم الله سبّة على الاسلام وعاراً في جبين التاريخ، وعبئاً ثقيلاً على الإسلام والمسلمين..أخزاكم الله كما أخزى عاداً وثمود، وكتب عليكم من الذّل والمسكنة والفضيحة ما كتبه على اليهود "ص ٣١٩.

"هل يشُك في كفر هؤلاء، إلاّ من كان مجوسياً مثلهم ؟"ص ٣٢٢.

"نحن نسمّي الشيعة روافض، لأنهم رفضوا الإسلام جملة وتفصيلاً " ص ٣٢٧.

"النفاق والزندقة هما من مميزات الروافض "ص ٣٢٦.

"شبه الرافضة أظهر فساداً من شبه الخوارج، لأن الخوارج كانوا أصبح منهم عقلاً، وأنزه قصداً..والرافضة أكذب وأفسد ديناً "ص ٣٢٩.

"وكما أن النصارى من أجهل الناس، فإن الرافضة من أجهل الناس وأخبثهم، لأنهم جمعوا بين جهل النصارى وخبث اليهود "ص ٣٢٩.

"والآن ما رأيك إيها القارئ الكريم..الا ترى معي أن جهاد هؤلاء السفلة أحب إلى الله من جهاد اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأوثان..الا ترى أننا في حاجة إلى مائة ألف حجاج على شاكلة الحجاج بن يوسف الثقفي.ومائة ألف يزيد على شاكلة يزيد بن معاوية، ليطهروا الأرض من هذه الأرجاس المنتنة ؟"ص ٣٥٢.

"وقع في يدي كتاب: الدعوة الإسلامية إلى وحدة أهل السنّة والإمامية، للشيخ علي الخنيزي من أهالي القطيف، وقد تصفحته فوجدته جديراً بالردّ لما فيه من أفانين التضليل والدّس والمراوغة "ص ٣٨٤.

"ما الذي ربحه الإسلام على أيديكم، وعلى يد أيدي الأصنام التي تعبدونها من دون الله، يا أشباه القرود "ص ١٩٧.

"إن الاتفاق على مقاومتكم والاجماع على محاربتكم، لدليل كاف على أنكم عنصر شاذّ، يشكل وجوده خطراً جسيماً على أمن الشعوب وسلامتها..انكم أجانب في كل وطن تقلكم

أرضه..لماذا؟..لأنكم متهودون أكثر من اليهود، مع فارق واحد أنهم يحلمون بالسيطرة على العالم تحت تاج الملك من نسل داود، أما أنتم فإنكم تحلمون السيطرة على الوطن الإسلامي تحت تاج دجالكم..لا بل أن الله ساواكم بأسيادكم اليهود "ص ٢٠٤، ٢٠٥.

"إدفنوا رؤوسكم في التراب يا قردة، فإن لله على دينه أعيناً ساهرة تحرسه "ص ٢٠٦.

وتحت عنوان " لقد آن لكم ايها الشيعة أن تفهموا "، قال مخاطباً المواطن الشيعي :"إنك تسخر من النصارى لأنهم يعبدون آلهة ثلاثة، وإنك أحق بالسخرية منهم، لأنك إنما تعبد إثنا عشر إلهاً من دون الله..وتسخر من اليهود لأنهم يضمرون العداء لجميع البشر، ولا تدري أنك تدين بنفس العقيدة التي يتديّن بها اليهود...الخ "ص ٢١٠.

"لم يدخل في سلك هذه العصابة، إلاّ كل مارق من الاسلام "ص ٢١.

وقال المؤلف عن الامام جعفر الصادق، الذي يجلّه علماء المسلمين جميعاً أنه ذلك " الداهية الأبقع الذي وجدت فيه الماسونية الخبيثة ضالتها المنشودة، فالتفت حوله وجعلت منه صنماً أوحد فتنة للذين في قلوبهم مرض " ص ٢١، وأنه كان ينفق المال على "الدعاة والمبشرين والجمعيات السرّية التي عاثت في كيان الأمة الإسلامية فساداً وتخريباً " ص ١٠.

"كل من يولد في أيام عاشوراء فهو سيِّد، وكل من حملت به أمه في أيام عاشوراء فهو سيِّد، حتى ولو كان حملاً غير شرعي "ص ٢٨.

والسيد لا يحتاج ــ بنظر المؤلف ــ سوى لأدوات الدجل ليطالب، "الآخرين بخمس جدّه، وقد يكون جدّه سمساراً في أحد أحياء البغاء "ص ٢٩.

"إنك إذا قلت لشيعي :قال جعفر بن محمد، أن لك يا فلان ذنباً وحوافر، وأنت لا تشعر..فإنه على الفور سيتحسس قفاه، وسيقوم بفحص قدميه، ثم لا يلبث أن يذهب إلى أقرب مشهد من مشاهد الأئمة ويضرع إليه أن يعيده إلى هيئة بني البشر..وثق أنك قد أصبحت عنده في عداد المعصومين، ومن لم يصدق فليجرب ما أقوله "ص ٣١.

"الإباحية شائعة في الأوساط الشيعية..وما أكثر ما ينتهك عندهم بإسم الدين من أعراض "ص ٤٨.

"ومع ذلك يغضب إمامهم محمد الحسين آل كاشف الغطاء، لأنه سمع في لواء الدليم بوجود من يعتقد أن للشيعي ذنباً..إن للشيعي يا أيها المكشوف الغطاء ذنباً وحوافر، وانه يمشي على أربع..ومن لم يعتقد هذا فإنه منهم رضي ام كره "ص ٦٠.

"كنّا نتمنى أن يعلن الشيعة براءتهم من الإسلام، وليس لنا أن نتدخل في شؤونهم بعد ذلك إلاّ بمقدار ما يسمح به الإسلام من توجيه ونصح وإرشاد "..واذا لم يعلنوا براءتهم من الإسلام "فلا ولا كرامة "ص ٦٠، ٦١.

"الروافض ــ أي الشيعة ــ كانوا يهوداً أكثر من اليهود "ص ١٣٩.

"أن عقيدة التشيُّع قد أسست بين اليهود لخدمة اليهود "ص ١٥٣.

" من حق الإنسانية على حملة الإقلام أن يحفروا بأقلامهم البريئة قبر عقيدة التشيُّع الأخير، لأن بقاء التشيُّع هو بقاء لفتنة الإنسانية، وفتنة التاريخ، وفتنة الأجيال القادمة "ص ١٥٤.

"فيا أخوان القردة..يا أيها المارقون من كل دين " ص ١٥٥.

"أما الرأي القائل بأن أبن سبأ خرافة، فإنه يعطينا الحق بان نقول أن علي بن أبي طالب خرافة "ص ١٥٨.

"إنني لا أهاجم عقيدة لها كيان، ولا مذهباً يستحق شيئاً من الاحترام..ولكنني أهاجم طفيليات علقت بدين الاسلام..ولا يقولن قائل إنك تدعو إلى الفتنة وتمزيق الصفوف، فإنني على العكس من ذلك، إنما أدعو إلى إزالة أسباب المحن، وإستئصال جذور الفتن، وإنه لعار الدهر وسبُّة التاريخ، أن نمنح عقيدة الدسُّ والتآمر كياناً شرعياً، أو نهيئ لها أسباب الحياة..ولا يظنن ظان أنني أدعو إلى حمل السلاح..كلا..فإنهم أصغر وأحقر من أن يحتاجون إلاّ لبضعة أقلام جريئة تخرس أفواههم، وتكشف خباياهم، وتقذف بهم وبحصائدهم إلى الجحيم "ص ١٨٨.

"فليشهد الله، وليشهد العالم، ولتشهد الإنسانية، وليشهد التاريخ، ولتشهد الأجيال المقبلة، أنهم كافرون بالله وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر..وأنهم دجّالون وكاذبون في دعواهم الإنتساب إلى الإسلام "ص ١٨٩.

"الشيعي يتعبد بالشتم والقذف والغدر والتآمر والإحتيال والتزوير ونهش الأعراض وإنتهاك الحرمات..الشيعي لا يحب غير نفسه...للشيعي قدرة عجيبة على التقلب.يمدُّ الشيعي إليك يده مصافحاً، ولكن ليشغلك بها عن اليد الأخرى التي تمتد إلى جيبك..اذا رأيت شيعياً، فقل اللهم أني أجعلك في نحره، وأعوذ بك من شره، وإذا دخلت حيا شيعياً فقل اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث..الشيعي كالنعامة..الشيعي كالتمساح يأكل الفريسة ويبكي عليها..للمنافق وجهان أحدهما لك والثاني عليك، وللشيعي مائة وجه ليس لك حظ في واحد منها،..عينا كل إنسان في وجهه، وعينا كل شيعي خلف ظهره..الشيعي جندي مجهول في جيش إسرائيل، ومهمته أن يكون صفراً في ساعة الصفر، ومن الكسور العشرية بين النفايات البشرية..ثلاثة يقومون بوظيفة الشيطان، أحدهم الشيعي..أقانيم التخلف ثلاثة، أحدهم الشيعي..الشيعي يخاف من تحكيم عقله..الشيعي المعتدل هو الذي يتهمك بما هو فيه، ويباهيك بما ليس فيه..الخ " ص ١٩٠ ــ ١٩١.

ومن الأوصاف التي أطلقها وكررها المؤلف عشرات ــ بل مئات المرات ــ على الشيعة ما يلي : "مجانين، حمقى لا يملكون مثقال ذُرة من العقل، نصابون، دجالون، محتالون، تماسيح، كفار، مرتدون، عصابة رافضة، سراق، لا يستحون من الدعوة إلى الوحدة، شراذم،

وقحون، أباحوا السجود لغير الله، عقولهم ملتاثة، حضرات التماسيح، أذناب مسخرة، أدمغتهم متحجرة، ضمائرهم خربة، هم أكبر عائق في وجه نشر الإسلام، كذابون، أخوان الكفرة، أخوان القردة، فقدوا كل معنى للكرامة الإنسانية والاعتبارات الخلقية، يعيشون في مستوى لا يليق إلاّ بالعجماوات، لا يتناهون عن منكر فعلوه، لا يتورعون عن إرتكاب أفظع الجرائم وأحط المحارم، مخدوعون، إباحيون، خبثاء اليهود أسيادهم، ملحدون، رعناء، كلاب النار، حثالة بشرية، نفوسهم وضيعة، ضحايا السبئية، الموغلون في السفاسف، الأمساخ البشرية، أبوا إلاّ ان يكونوا من الحمير والبقر، أتباع التلمود، مزورون، كلاب مسعورة، يهود أكثر من اليهود، ينفذون وصايا يهودي زنيم، ينحتون الأصنام، بهائم، سوائم، غاوون، غنم ضائعة، مارقون، يتبعون كل ناعق، عصابات مجرمة، أذناب اليهود، شيوعيون، أجسام البغال وأحلام العصافير، عميان، قطعان بقر خلقت على صورة بشر، أكلة السحت، مصاصو الدماء، اغبياء، عملاء اليهودية العالمية ".

أما علماء الشيعة، فهم بنظر المؤلف ــ إبراهيم بن جبهان ــ : " تجار دين، محترفو دنيا، يقتنصون أكل السحت، كذابون، زناة، واضعوا خرافات، محرفو الكلم عن مواضعه، أمهر الناس في صناعة الأكاذيب، على استعداد لبيع الدين والضمير للشيطان لقاء مصلحة تافهة، أفاكون، أئمة ضلال، محترفو الشعوذة والدجل، مأجورون، مزيفون، أخبث الناس قلباً وقالباً، يعتصرون الدم البريء والعرق الطاهر، فاشلون، أشباح معممة، سماسرة إبليس، أمساخ..الخ".

أما مذهب التشيُّع بنظر المؤلف فهو : " عقيدة دخيلة، سخيفة موروثات عفنة، بؤر فكرية منتنة، دين جديد مستمد من المجوسية والنصرانية واليهودية، دين مستبد، شريعة مستمدة من خلايا الماسونية وأوكار اليهودية، مزابل، شعوذة، تخريف، سرطان خبيث..الخ ".

وهكذا لا تخلو صفحة من الكتاب من سب وشتم بأقذع ما في القاموس العربي من أوصاف..وقد لا يكون لنا إعتراض كبير، لو أن الكتاب طبع في خارج المملكة ووزع من الخارج، ولو أن المؤلف لم يكن سعودياً، ولو أن الحكومة ــ ممثلة في وزارة الإعلام وغيرها ــ لم تسمح بطباعته مرات ومرات، ولو أن ما في الكتاب يمثل رأي المؤسسة الدينية الرسمية ،وعلى رأسها الشيخ عبد العزيز بن باز، ولو أن الكتاب لم يتعرض لشيعة المملكة بالتخصيص، ولو أن الكتاب أراد له من يقف وراءه نشره على أوسع نطاق في المملكة، وربما خارجها.

هل تستطيع الحكومة السعودية أن تتبرأ من الكتاب، وان تنتظر أن تعم آثاره "الحسنة !" كل الأوساط الاجتماعية في المملكة..هل تستطيع الحكومة التي أدخلت في سجونها مئات من الشباب، لمجرد حيازتهم كتاباً شيعياً واحداً لا يقول بمثل ما قاله الجبهان، ولا يتحدث بمثل ما

تحدث به، بل لا يقرب من مسائل الخلاف وتأجيج مشاعر التعصب، انها غير مسؤولة عن الكتاب ونشره ؟.

إن الحكومة السعودية ومؤسستها الدينية لا تعتبر إبن جبهان مخطئاً، بل هو جدير بالمحبة والتقدير، على جهوده.وحتى المؤلف يعترف فيقول في طبعة الكتاب الثانية بان الشيعة " رفعوا لأصحاب الجلالة والفخامة ملوك ورؤساء الدول العربية والإسلامية برقيات يلتمسون فيها إصدار أوامرهم بمنع دخول هذا الكتاب، وباءهم الله بالذُّل والخيبة عندما طلبوا من الحكومة السعودية إعتقالي، فرفضت الحكومة الموقرة طلبهم بدون محاكمة عادلة "ص ١٩٣.

ولو حوكم الجبهان في المحاكم السعودية، بمقياس العدل السعودي، على إحداث الفتنة، والقذف، وإهانة نحو ٣٠٠مليون شيعي في العالم، وأكثر من مليون شيعي في المملكة، لنال جائزة الملك فيصل في "الدفاع عن الإسلام "، وعن كيان المملكة !.

في الطرف الآخر، فإن الشيعة ممنوعون من الرُّد، بأي صورة كانت..وممنوعون من إدخال كتبهم..التي تصادر ويحكم عليها بالحرق، وعلى "مهربها !"بالغرامة والسجن ومصادرة السيارة الناقلة..ضمن قانون أصدره النظام الطائفي الحاكم.

النموذج المناقض :وتشير إليه وثيقة حكومية صادرة عن (قسم عرض الطرود) في إدارة الطرود البريدية بالدمام، التابعة لوزارة البرق والبريد والهاتف، بتاريخ ١٦شوال ١٤٠٤هـ، تحوي موضوع مصادرة كتب قادمة بالبريد، (والحكم عليها بالإتلاف حرقاً)..تقول الوثيقة.:" بحضورنا نحن الموقعين أدناه، بعد عرض الطرد رقم:(..)، الوارد من أميركا.المرسل منه (..) المرسل إليه (..)، محتويات الطرد :كتاب اليأس والأمل في مفهوم الإسلام، أربعة كتب : المسائل المنتخبة، كتاب الإمام جعفر بن محمد الصادق، كتاب الإمام زين العابدين، كتاب فاطمة الزهراء، كتاب الدعوة والدولة، كتاب أحكام الحج، كتاب الإمام الحسين، كتاب المعالم الأساسية للرسالة الإسلامية، كتاب الحج، كتاب العبادة والزهد في الإسلام، كتاب العبودية، كتاب نظرية (..)، كتاب دعاء كميل، كتاب نفحات رسالية، كتاب خطوط تفصيلية، كتاب (بدون) ، كتاب بحث حول الولاية.

مراقب الإعلام المنتدب بالطرود البريدية بالدمام بتاريخ ١٤٠٤/١٠/١٦هـ، أوصى بعدم الموافقة على ما في الطرد، والذي يحتوي على إثنين وعشرين كتاباً.

وبناء على ذلك تم إتلافها حرقاً بجميع محتويات الطرد ومتعلقاته اليوم.وعلى هذا جرى التوقيع :

مراقب الإعلام، صالح محمد السعود.

مندوب الأمن، سالم علي القحطاني.

مراقب الجمارك، أحمد محمد تقتي.

مندوب عرض الطرود، توحيد عبد العزيز.

يعتمد :مدير الطرود البريدية بالدمام، محمد محمد الخباز ".

واضح من عناوين الكتب، أنها لا تحمل إساءة للدولة، ولا لمذهبها، ولكن أقتضت إرادة الحكومة منع أي كتاب يحوي نفساً شيعياً أياً كان نوعه، وسواء إتفق مع وجهات نظر المذهب الرسمي ام لم يتفق.

في مقابل هذا، نجد أن الملوك السعوديين، تولوا طبع الكتب الطائفية، أو التي تدعم المذهب الرسمي، في وقت لم يكن هناك في البلاد مطبعة واحدة.

وتشير قائمة الكتب التي طبعها الملك عبد العزيز على نفقته الخاصة إلى ما المحنا إليه، حيث عدد الاستاذ عبد العزيز الرفاعي، في بحث منشور في مجلة "الدارة" في عددها الصادر في شهر رجب ١٤٠٦هـ/ مارس ١٩٨٦..عدد نحو ٦٤كتاباً تولّى الملك المؤسس طباعتها، من بينها :

١ــ منهاج السنّة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية.

٢ــ الهدية السنّية والتحفة الوهابيّة النجدية.

٣ــ الضياء الشارق في ردّ شبهات المارق لإبن سمحان، ط القاهرة.

٤ــ كشف غياهب الظلام، وبراءة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، عن مفتريات هذا الملحد الكذّاب، لإبن سمحان، ط الهند.

٥ــ الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه المدحضة الشامية، لإبن سمحان.

٦ــ ديوان إبن سمحان "عقود الجواهر المنضدة الحسان "ط بومباي..وقد أشرنا إلى بعض أشعار الديوان في مواقع من الكتاب.

٧ــ مصباح الظلام في الرّد على من كذب على الشيخ الإمام "محمد بن عبد الوهاب "، للشيخ عبد الطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ.

٨ــ الأسنّة الحداد في كشف شبهات علوي الحداد، للشيخ سليمان بن سمحان، ط الهند.

٩ــ تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين، إبن سمحان، ط القاهرة.

١٠ــ التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ط الهند.

١١ــ الدرر السنّية في الأجوبة النجدية، مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد.

١٢ــ الدين الخالص.

١٣ــ روضة الأفكار والأفهام، للشيخ حسين بن غنام.

١٤ــ عنوان المجد في تاريخ نجد، لعثمان بن بشر.

١٥ــ مجموعةالتوحيد النجدية، وتحوي ثمانية كتب.

١٦ــ مجموعة الحديث النجدية، وتحوي تسعة كتب.

١٧ــ مجموعة خطب الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

١٨ــ فتح المجيد في شرح التوحيد.

١٩ ــ كشف الشبهات، للشيخ محمد بن عبد الوهاب،

٢٠ــ تأسيس التقديس في كشف تليس داوود بن جرجيس، للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين، ط مصر.

الأخطر من هذا كله، إنعكاس ما تنشره وسائل الإعلام المحليّة عن الشيعة، فقد كاد أن يؤدي في أحايين كثيرة إلى مصادمات مسلحة، وللإعتبار نسوق هذا المثال :

نشرت مجلّة المنهل السعودية في عددها رقم ٤٥٨/السنة ٥٤، الربيعان ١٤٠٨هــ، أكتوبر /نوفمبر ١٩٨٧م. مقالات عديدة تحوي طعوناً واضحة وتجنياً صارخاً على الشيعة بشتّى فئاتهم ومذاهبهم..كان من بينها مقال بعنوان :(الملل والنحل الدينية وخطرها على الأمة) بقلم زاهر عواض الألمعي، الذي قال فيه انه ليس هناك خطر من المذاهب المادية التي بدأت تنحسر في الأعوام الماضية، ولكن الخطر يكمن في " ما تعجُ به الساحات في دول العالم الإسلام وغيرها ــ القاديانية، والبهائية، وطوائف الشيعة التي انحرفت بدعوة الإسلام "..وحتى هنا لم يقل الكاتب شيئاً ذا بال، ولكن المقال المنشور في نفس العدد لمحمد بن حسن الغماري والمعنون بــ (حقائق الإسلام وأباطيل المرجفين) كان أكثر تخصيصاً ووضوحاً، حيث كتب ضد الشيعة الإسماعيلية في جنوب المملكة، مخصصاً إياهم بالكفر والزندقة والإنحراف.

قال إن الإسماعيلية ربيبة الماسونيّة، وأنهم يؤلهون أئمتهم، وأنهم عملوا على هدم الإسلام "ولا يعرف في الإسلام فرقة شراً منهم ". وان مبادئ الإسماعيلية مأخوذة من اليهودية ،وبعد أن ينتهي من سبابه، يشير بوضوح إلى أن من الإسماعيلية "السليمانية باليمن ونجران ويقال لهم المكارمة ".

وأضاف بأنهم زنادقة يدعون "للإباحية والإلحاد وتحليل المحرمات وهدم القيم الاخلاقية والآداب المتبعة في كل عصر، ويجوزون نكاح البنات والأخوات واللواط وشرب الخمر والكذب والنفاق والتقية في غير موضعها والحقد على العروبة والإسلام، وهذه صفات معهودة في اليهود "!.

وفي الخاتمة :"وهكذا كانوا لا يتركون حرمة إلاّ إنتهكوها، ولا واجباً إلاّ تركوه، فهم أخبث من اليهود والنصارى، ويصدق عليهم قول القائل :

وكنت امرأً من جند أبليس فارتقى بي الأمر حتى صار إبليس من جندي

قامت قيامة الإسماعيليين على أثر نشر المقال، واستعرضوا قوتهم المسلحة في نجران، وانشدوا في "العرضات " أشعار التهديد، وحين أمر أمير المنطقة الجنود بان يواجهوهم فأبوا، وذهبت مجموعة مسلحة إلى مكة المكرمة تريد قتل الكاتب، وقيل أنهم أحاطوا بيته، وهنا

أحجم أمير مكة عن مواجهتهم، إلاّ أن تكون مذبحة في صفوف الطرفين، فحاول إقناعهم بالعدول عن رأيهم في قتل الكاتب ولكنهم أبوا، ووصلت الأمور إلى المراجع العليا، وتباحث معهم الأمير سلطان الذي إسترضاهم بالهدايا والأموال، وان يكتب إعتذار في المجلة عما جرى، ونصحت الحكومة الكاتب أن يسافر إلى الخارج، فاختار مصر وأقام فيها بضعة أشهر، وفي العدد التالي من المجلة قدم الكاتب إعتذاره، وكذلك فعل رئيس تحرير المجلة.

ولأهمية الإعتذارين نوردهما نصاً :

"لقد سبق أن نشرت لي مجلة المنهل موضوعاً تحت عنوان : حقائق الإسلام وأباطيل المرجفين، وحيث أني قد أستقيت معلوماتي التي أوردتها في الموضوع المشار إليه من مصادر تبيّنت بعد التثبّت والتدقيق بأنها أخطأت جانب الصواب فيما نقلته عن بعض المؤرخين، وخاصة ما يتعلّق منها بعقائد بعض سكان المنطقة الجنوبية في حقبة تاريخية مضت.

وإني وبعد أن تبيّنت مدى الخطأ الذي نقلته في عجالة مني لقراء المجلة ضمن السرد التاريخي الذي أوردته تحت العنوان المشار إليه، وحرصاً على كشف اللبس الذي حدث..فإني أتقدم بشديد أسفي وإعتذاري للمسؤولين، كما أعتذر لأصحاب الشأن الذين وردت أسماؤهم في صلب الموضع، حتى يعرف الناس براءتهم مما ينسب إليهم، وما هم منزهون عنه.والله من وراء القصد.

د.محمد بن حسن الغماري

مكة المكرمة

أما الإعتذار الآخر فنصه :"يؤكد المنهل ــ بل ويعتزّ أن يوضح الحقيقة ويطرحها لقرائه الكرام، بان المقال الذي تناول فيه الدكتور محمد حسن الغماري، بعض الفرق الإسلامية بعنوان :حقائق الإسلام وأباطيل المرجفين..يحتوي على جزئيات تعد في الجملة ذات مساس بمشاعر بعض الأخوة، بإعتبار أن ما ذكر ليس أكثر من حديث تاريخي إستقرائي.

وكان الكاتب يريد نشر مقال آخر إستكمالاً لمقاله السابق يوضح فيه المقصود، ولكن نظراً لما وقع من لبس، فقد توقف نشر المقال، وقدم الكاتب إعتذاراً على صفحات هذه المجلة، أوضح فيه وجهة نظره بما يزيل اللبس.ونؤكد بأسم المجلة ورئاسة تحريرها التي دأبت على تحري الحقيقة وبذل الجهد لتقديم المعرفة الطيبة لقرائها، إعتذارنا وأسفنا لما حدث من سوء فهم من بعض الإخوان لأمر لم يقصد أبداً، إنما نتيجة الإستعجال في أخراج العدد..ولعل فيما أوضحه الكاتب ما يكفي من إزالة اية إستفهامات أو غموض، والله ولي التوفيق.

صاحب ورئيس تحرير مجلة المنهل

نبيه بن عبد القدوس الأنصاري

فالكاتب إعتذر بالمصادر، وصاحب المجلة إعتذر بالإستعجال في إخراج العدد..ولولا السلاح لم تعتذر الحكومة ولا صحافتها !.

ووقع في عام ١٩٨٩حدث مشابه للأول تقريباً، وقد كان الناشر هذه المرة صحيفة (المسلمون) ..ففي عددها الصادر في يوم الجمعة، السابع عشر من المحرم ١٤١٠هـ الموافق للثامن عشر من أغسطس ١٩٨٩م. نشرت مجلة المسلمون لقاءاً مع باحث رفض في البداية الكشف عن إسمه، وبعد الإلحاح قال أن إسمه صالح بن محمد العربي، وكان اللقاء المنشور قد حمل عنواناً فاضحاً "فضائح جديدة للبهرة ــ أتباعها ينكرون الله ويسجدون للبشر..يتزوجون بناتهم وأخواتهم بحجة أنهم أولى من الغريب !"...وقالت الصحيفة في اللقاء المطول والذي شمل صفحة كاملة تقريباً، أن البهرة السليمانية ــ ومنهم الإسماعيليون في جنوب المملكة ــ يقدسون زعيمهم الحسن المكرمي، وهو من العائلة المكرمية التي كانت تحكم نجران فيما مضى من الزمن.وأضافت : " أن أفراد هذه الطائفة أسقطوا التكاليف وطرحوا الشرائع جانباً وأحلوا المحرمات، وهذا ما فعله علي بن الفضل حين إدعى النبوة وأعفى أتباعه من أداء الشعائر الإسلامية وأحل نكاح البنات والأخوات بدعوى أنهم أولى من الغريب "!.

وقالت :" أن البهرة السليمانية، بهرة اليمن، هؤلاء من قبيلة يام، ويتمركزون في منطقة " حراز " ويقدسون زعيمهم الحسن المكرمي، الذي ينتحل مذهب البابوات من صنع صكوك لأتباعه على قطع الجنة، وهؤلاء يعرفون بالمكارمة "! وغير ذلك من الكلام الشاذ والباطل.

وفي ختام اللقاء، حذر الباحث من خطر هذه الفرقة، وطلب بطرد الإسماعيلية من المملكة :"وأرجو أن تصدر رابطة العالم الإسلامي بطردهم من جزيرة العرب، وأنا أخص الرابطة بالذات لما لها من كلمة مسموعة، ولأنها أصدرت قراراً بشأن طرد الفرقة القاديانية من قبل، وتم تنفيذ هذا القرار ".

وكما في المرّة السابقة، تظاهر الإسماعيليّون بالسلاح، وحين جاءت وفود أمير نجران لتسكين ثائرتهم، قالوا له أن الحكومة نقضت عهودها معهم، والتي وقّعها الملك عبد العزيز، حين سمحت لصحافتها بالتعرّض لمذهبهم، دون أن تتيح لهم حريّة الرّد على الإتهامات والطعون الموجّه إليهم، وتدخل الملك فهد والأمير سلطان في الأمر، ووعدا بمعاقبة الصحيفة، التي قال الأمير سلطان لزعماء الإسماعيلية في المملكة، انها لا تمثل رأي الحكومة !.

ومن الأمثلة الجديرة بالذكر كشاهد على دعم الحكومة للنزعات الطائفية التي تمارسها المؤسسة الدينية التقليدية، ما حدث في عام ١٩٦٧في الهفوف، حيث قام الشيعة في محلة "الفوارس " بتسوير المقبرة، وبناء مصلّى ومغتسل، وتقدّموا لبلدية الهفوف بذلك، وحصلوا على الموافقة.

هنا قامت قائمة مشائخ السلطة، ورجال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واعترضوا على بناء المصلّى، ؟لأن ذلك لا يجوز، وصدرت فتوى من المشائخ المحليين بعدم جواز بناء المصلّى ووجوب هدمه وكان البناء قد شارف على نهايته إعترض زعماء الشيعة في الاحساء والقطيف على ذلك، وطرحت القضية في المحاكم التي يسيطر عليها أتباع المذهب الرسمي، ووصل الأمر إلى أن أفتى "مفتي الديار السعودية " الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ بهدم المسجد.

هنا شعر الشيعة بأنهم خسروا القضية على الأرضية الطائفية، فتحركوا لإستحصال قرار سياسي بمنع الهدم، وتشكل وفد مشترك من شيعة القطيف والاحساء برئاسة الشيخ باقر بو خمسين ــ الذي يشغل حالياً منصب قاضي الأوقاف والمواريث الشيعية في الاحساء ــ لملاقاة الملك فيصل.

إشترك في الوفد من الاحساء سبعة، هم : الشيخ باقر بو خمسين، من الهفوف، رئيساً للوفد.والمرحوم عبد المحسن العيسى من قرية العمران الشمالية، والسيد جواد السلمان من القارة، والمرحوم عيسى البشر من المبرز، والمرحوم محمد عيسى بن الشيخ من الهفوف، والمرحوم السيد يوسف آل يوسف من الهفوف، والحاج حسين محمد علي، من المبرز، واشترك من القطيف :السيد حسن العوامي، والخطيب رضي الزاير، والحاج محمد تقي السيف وغيرهم.

إتفق أعضاء الوفد أن يقدموا كتاباً إلى الملك فيصل، واختاروا في اللحظات الأخيرة السيد جواد السلمان أن يسلّم الكتاب بحضرتهم إلى الملك وان يتحدث له عن موضوع مبنى المصلّى.

قرأ الملك فيصل الكتاب، وكان يتضمن حديثاً عن المذهب الشيعي، وعن حرية الشعائر، إلى أن وصل إلى خاتمة الكتاب التي تشرح ملابسات موضوع بناء المصلّى.

حين فرغ الملك من قراءته، التفت إلى أعضاء الوفد وسأل متهكماً : من أين أتيتم بهذا الدين الخامس ؟!.

فردّ أحد الأعضاء :طال عمرك، أنه ليس ديناً خامساً، وإنما هو مذهب كسائر المذاهب.

ردّ الملك غاضباً :ما عندنا إلاّ مذهب واحد، والمساجد كلّها تحت أمر الشيخ محمد بن إبراهيم، وأضاف بانه شخصياً الذي أمر بوقف العمل في بناء المصلّى وهدمه !.

هنا إنبرى المرحوم عيسى البشر متسائلاً عن السبب، وأضاف بما يمكن أن يفهم منه أن الملك لا يدري كثيراً عن الموضوع، أو أنه يعلم بجانب واحد منه.

قال عيسى البشر :ولكن صاحب الدار أدرى بالذي فيه !

إنفعل الملك ــ وكان مشهوراً عنه أنه سريع الغضب ــ وقال :" إخسأ واقطع "الشيوخ أبخص.

ردُ البشر مرةً أخرى، وحاول السيد حسن العوامي إسكاته ونهره. ولكن الملك لم يمتالك أعصابه، فقال سباباً نعفُ عن ذكر الكثير منه، ونكتفي بالإشارة إلى جزء يسير منه. قال: "يا قحبة.إخسأ واقطع...قوموا ــ وهنا قام فيصل نفسه ــ إطلعوا، والله لأحرق بيوتكم في نصف الليل "...ونقل عن أحد أعضاء الوفد، أن الملك انقض على البشر يضربه بعقاله الذهبي، وحين سمع الحراسُ صوت الملك المنفعل، هجموا في الداخل وطردوا أعضاء الوفد، وسحبوا عيسى البشر من بين يديه.

عاد أعضاء الوفد إلى الفندق الذي يسكنون فيه بالرياض، ليحزموا حقائبهم عائدين إلى منطقتهم، ولكن رجال المباحث تعقبوهم إلى هناك، واعتقلوا عيسى البشر، فعاد الوفد وهو في غاية التأثر والألم، وانعكس ذلك على الجمهور العريض الذي كان ينتظر جوابا شافياً من الملك..ولكن حين علموا بالنتيجة، تحفزوا لمواجهة الحكومة بالسلاح.

فبعد أيام قلائل من عودة الوفد، جاءت الجرافات مساءاً لتهدم المصلّى، وانتشر الخبر، فجاء أهل قرى الاحساء في منتصف الليلة التي سبقت صباح الهدم، ولكن المرحوم الحاج علي الطاهر بو خمسين ردّهم خوفاً من وقوع مذبحة، ولم تتقدم الجرافات لتؤدي مهمتها إلاّ بفرقة من الجنود المدججين بالسلاح، وبعد استنفار كافة القوى المسلحة في منطقة الاحساء.

وبقى المرحوم عيسى البشر ثمانية أشهر في سجن المباحث بالرياض، ولم يطلق سراحه إلاّ بمناسبة عيد الفطر المبارك، وبعد تدخل من قبل الشخصيات المحلية..ولم تحل أزمة المصلّى إلاّ بعد وفاة الملك فيصل " مارس سنة ١٩٧٥م"، حيث أعيد البناء، وعلى حساب الحكومة.

وتكرر الحدث بالنسبة لمسجد بورشيد في الدمام سنة ١٩٨٣، حيث أتخذت السلطة قراراً بهدم المسجد، بناء على فتاوى المؤسسة الدينية، وبحجة أن المسؤولين لم يستحصلوا على إجازة من البلدية..ولم ينفذ الأمر إلاّ بحضور عدد من الجنود، حيث حوّلت الجرافات بناء المسجد إلى موقف سيارات في ساعات قلائل!.

من المفارقات أن هدم مسجد بورشيد جاء مترافقاً مع أسبوع الحكومة السعودية للعناية بالمساجد، وبعد أيام كان ولي العهد ــ الأمير عبد الله بن عبد العزيز ــ يجرى لقاءاً مع صحيفة السياسة الكويتية " الصادرة يوم الثلاثاء ١٩٨٣/٣/٢٢"، حيث سألته الصحيفة : سمو الأمير، وأنت تتحدث عن العدالة الاجتماعية، هناك من قال أن إضطرابات قد حدثت في المنطقة الشرقية سببها هدم مسجد للشيعة هناك؟.

أجاب : " هذا لم يحدث ! ولك أن تذهب إلى هناك وتتأكد. إن هذه الشائعات تدخل في جوّ تلك الحرب النفسية التي إعتادت عليها المملكة العربية السعودية.الشيعة كمواطنين سعوديين يحق لهم أن يتمتعوا بالعدالة الاجتماعية التي يتمتع بها الجميع ".

الشيعة ومسار العمل الوطني في المملكة:

من خلال إستعراضنا للمآسي التي يتعرض لها أبناء الشيعة في المملكة، تبدو مقاومة طغيان الطائفية أمراً محتماً وواجباً ومشروعاً، بل أن الواعين من أبناء الطائفة يرون، أن لا سبيل أمامهم لتحقيق الحياة الحرّة الكريمة، إلاّ بمقاومة سياسة التمييز الطائفي، والنظام الذي يرعى تلك السياسة ويعتبرها إحدى أهم أركان مشروعه السياسي.

ويعترف المسؤولون بوجود مشكلة تمثّلها الأقليّة المذهبيّة الشيعية الساخطة على النظام القائم، ولكنهم لا يقرّون حقّها في الدفاع عن نفسها، وإعلان مظلوميتّها.

ورغم مضي نحو ثمانية عقود على المشكلة، ورغم وضوح الآثار السلبية لنهج الحكومة الطائفي على مجمل الوضع الأمني والسياسي للمملكة..الا أن سياسة الملوك السعوديين وتعاطيهم معها لم تتغيّر حتى الان.

لقد كانوا، ولا يزالون، ينظرون إلى المشكلة بإعتبارها قضية مؤجّلة الحلّ، وان الزمان كفيل بحلحلتها أو تجاوزها..وقد ثبت بأن تأجيل الحلّ أو التأخّر عن المبادرة والسعي إليه من قبل المسؤولين، وضع إعاقات جديدة أمام حلّها، فأصبحت مناطق تواجد الشيعة بؤراً للقلاقل والاضطرابات، خاصة في العقود الأربعة الماضية.

أراد الأمراء السعوديون معالجة الظواهر دون الاهتمام بخلفيّاتها التاريخية والاجتماعية والاقتصادية، فتوجّهت أنظارهم لوضع حلول آنيّة لتلك الظواهر...وبدا واضحا ـ في السنوات العشر الماضية بشكل خاص ـ أن الحكومة السعودية مصرّة على حلّ مشاكلها مع مواطنيها الشيعة، باعتبار أن قضيتهم قضية " أمنية " مقطوعة الجذر، يمكن حلّها بالطرق السريعة، عبر الإعتقالات والاعدامات والتعذيب، وممارست المزيد من التضييق في المجال العقائدي، والمزيد من الحرمان في المجال الاقتصادي، والمزيد من الإبعاد لمجمل أبناء الطائفة الشيعية في المملكة، عن الواقع الاجتماعي والسياسي لعموم البلاد، وذلك بإثارة النعرات الطائفية، ليكون بقيّة المواطنين بمنأى عن التأثيرات المعارضة التي يمكن أن تصل إليهم في ظلّ أجواء الإنفتاح والتلاقي.

وبالطبع، فإنه لم يكن مؤملاً لمثل هذه السياسة التي ينتجها أقطاب النظام، أن تقضي على الاضطراب، وان توصل " القضية الشيعية " إلى حلّ..ولم تكن المسارات القليلة المتاحة في

ظلّ نظام سياسي ومذهبي مغلق، قادرة على " تبريد " المشكلة، أو " تجميدها " بإشعار المواطنين المكتوين بنيران سياسة التمييز الطائفي، أن حكومتهم جادّة في حلّ مشاكلهم.

كل ما كان يعني الأمراء، هو تأجيل حلّ المشكلة، ومعالجة الإنشقاقات التي تظهر بين الحين والاخر، بفرق " المباحث " و" الحرس الوطني ".

ولم تدخل القضية الشيعية منذ ولادتها، مسار حلّ واقعيّ مقبول من السلطة السياسية وأجهزتها الأمنية..كان المجال الوحيد المفتوح ــ كما رأينا ــ هو " الشكوى " للمسؤولين دون غيرهم، من اجل إمتصاص بعض النقمة والإستياء، ويبدو أن بعض الأمراء قرروّا منذ البداية أن يستمعوا إلى الشكاوى ويقرأوا " العرائض " على ان يقدّموا الوعود الكاذبة والآمال المخادعة بالحلّ...حتى أصبح أقرب المقرّبين من الحكومة لا يرجو منها خيراً، خاصة مع تصاعد حدّة التمييز في السنوات الأربع الماضية (١٩٨٧ــ ١٩٩١)، وتكشير المسؤولين المحليين في المنطقة الشرقية ــ الأمير فهد بن سلمان نائب أمير المنطقة الشرقية بشكل خاص ــ عن أنيابهم وتحقيرهم وإذلالهم لأعيان الشيعة ووجهائهم، بشكل منفّر وصارخ في وقاحته.

وللحق..فان عوامل عديدة ساعدت على تكريس معاناة الأقليّة الشيعيّة في المملكة، لا ترجع كلّها إلى النظام السياسي القائم، وان كان الأخير يتحمّل الجزء الأعظم من المسؤولية تجاهها، وهذا دفع بالمواطنين الشيعة لإنتهاج أكثر من وسيلة بحثاً عن مسار يؤدي في نهايته إلى الحل..كما أن الكثير من الأطراف الشيعية الفاعلة ترى أن الحل لم يعد مرهوناً بالظروف المحلية فحسب بل وبالظروف الإقليمية والدولية أيضاً.

إنتهج الشيعة، بعد أن عجزوا عن تحقيق مطالبهم عبر العرائض والبرقيات واللقاءات، سبيل المعارضة السياسية للنظام..حيث إرتأت أكثر زعاماتهم أن مشكلة الشيعة مع النظام السعودي، " جزء " من مشكلة الوطن الكليّة، تلك المشكلة التي خلقها نظام سياسي متخلّف، قائم على منهج فكري ومذهبي أحادي البعد، لايعتمد على إرادة شعب، ولا على قانون مكتوب تحكم البلاد بموجبه، ولا يؤمن بإستقلالية القضاء عن السلطة التنفيذية التي يطبق الأمراء عليها كاملة.

إن نظاماً بهذا الواقع المتخلّف، لا يجحف من وجهة نظر زعماء الشيعة، حق عامّة الشعب فحسب، بل ينسحب إجحافه وظلمه ليخصّ طائفة معيّنة بمزيد من القهر والحرمان والتمييز.

من هنا، اعتبر قطاع واسع من الشيعة أن إصلاح النظام السياسي القائم، بشكل جزئي أو كلّي، لا بدّ وان يصلح أوضاع عامّة الشعب، ومن ضمنهم الشيعة، حتى وان كان الأخيرون الأكثر معاناة بين جميع فئات المجتمع.

ويرى هؤلاء، أن حقوق الشيعة الخاصة التي يطالبون بها، كالمساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات، واحترام مذهبهم، وإتاحة الفرصة لهم لممارسة عباداتهم، لا يمكن أن

تضمن على المدى الطويل، إلاّ في ظل نظام سياسي منفتح على الشعب، يلتزم بدستور مكتوب موافق عليه من أكثرية الجمهور، ويحترم خيارات الشعب في إنتخاب ممثليه في مجلس الشورى "البرلمان " وفي ظلّ نظام قضائي صالح، ونظام إداري يخفف من المركزية.

لهذا كله، رأى المواطنون الشيعة أن من واجبهم إصلاح كامل النظام السياسي، لتنعكس نتيجة ذلك الإصلاح بشكل تلقائي على واقعهم المأساوي في الوقت الحالي.

ويبدو أن مضيّ المواطنين الشيعة وراء هذا الرأي " إنخراطهم في العمل الوطني من أجل إصلاح شامل في الهيكل السياسي للنظام "، قد وتّر العلاقة بينهم وبين النظام بشكل أكبر.ذلك أن الشيعة أصبحوا تلقائياً رواداً للعمل الوطني، وأصبحت مناطقهم بؤراً لخلايا العمل السياسي المناهض للحكومة، وأصبح من الطبيعي أن يبادر المواطنون الشيعة للإلتفاف حول إية راية معارضة، تعبيراً عن آلامهم ومكنوناتهم الداخلية.

من جهتها، وجدت الحكومة أن مواطنيها الشيعة، أصبحوا عنصر الإنشقاق "الأساس " في مواجهتها، ليس على ارضيّة " مذهبيّة " كما كانت تأمل، بل على أرضيّة التغيير الوطني الشامل الذي يهدف إلى تحصيل جميع المواطنين لحقوقهم الأساسية المتجاهلة، كحقّ المشاركة السياسية، وحريّة التعبير عن الرأي والفكر.

وجدت السلطة أن المناطق الشيعية أصبحت أرضاً خصبة لكل التيارات السياسية والفكرية المناهضة لها، خاصة وان هذه الأرض وبحكم موقعها الجغرافي على تماسٌ بمجمل الحركة السياسية والفكرية في العالم العربي، وتمتاز بمستوى من النضج السياسي لم تصل مناطق المملكة الأخرى إلى مستواه، وقد إستغربت بنت الشاطئ حين زارت القطيف سنة ١٣٧٣هـ، من أن أدباءها يتابعون أخبار مصر الأدبيّة والعلميّة، وقالت أن القطيف " تستورد البضاعة الأدبيّة من ضفاف النيل، وتعرف عن سير الفن والحياة بها، وأعلام الأب والفكر فيها، ما يجهله المصريون أنفسهم، غير قلّة من الدارسين..كم تألّمت وأنا أصغي إلى حديث أدباء القطيف عن معاركنا النقدية ومذاهبنا الفنيّة..كم خجلت وأنا أرى في أيديهم كتبنا ومجلاتنا نحن الذين لا نشعر بهم أو نلقي إليهم بالاً.وكم تأثرت وأنا أسمع الشاعر عبد الرسول الجشيٌ يعرفنا ببلده الذي هو قطعة من وطننا العربي :

هذي بلادي وهي ماضٍ عامرٌ مجداً وآت بالمشيئة أعمرُ

وقد ساعدت سياسة الحكومة الغارقة في مستنقعات الطائفية ــ وكذلك تخلّص السكان من الأطر القبلية ــ على قبول السكان الشيعة للعمل التنظيمي، بالشكل المتعارف عليه في البلدان الأخرى.

كانت أرامكو والحكومة السعودية تريان أن تمرُّد الشيعة قد يتفجَّر من الخارج، ففي الخمسينات والستينات كانت الدعاية الماركسية أقلَّ إستقطاباً للشيعة من التيار القومي الناصري، الذي راج سوقه في الوسط الشيعي المثقف.

وأشار باحث غربي إلى أنه "لم يكن مفاجئاً أن المثقفين الشيعة والطبقة العاملة فيهم، بدأوا ينخرطون في إتحادات المتطرفين القوميين السريين منذ عام ١٩٥٠. إن نشوء الطبقة المتوسطة الشيعية والمثقفين منهم أعطى قوة دفع للشيعة للإحتجاج على ضد التفرقة والاضطهاد.ولذا فإنه في بداية الستينات توجه وفد من الشيعة واحتجَّ لدى الملك سعود على ما نشرته مجلة شبه رسميَّة في السعودية تشوِّه سمعة الشيعة، وطالبوا الملك بوضع حدٍّ للإضطهاد والتفرقة الطائفية التي تمارس ضدهم، وازداد توتر الشيعة في الستينات مع إزدياد قوة الاتجاه أو النزعة العروبية في السعودية والذي أدى إلى إنتساب المثقفين الشيعة إلى حركة القوميين العرب وحزب البعث، كما انخرط آخرون في نشاطات معارضة أخرى..لقد كبر وازداد شعور الشيعة بخيبة الأمل من أن عائدات النفط الصادرة من أراضيهم، أستخدمت لتحسين وتطوير كل مناطق السعودية إلاَّ مناطقهم هم والتي لم تتحسن إلاَّ بشكل ضئيل " [٢١٩].

لم تلق أفكار عبد الناصر القومية شعبية عارمة في المملكة إلاَّ في البيئة الشيعية..ولم يبن تنظيم ناصري، إلاَّ بأيد شيعية وفي وسط شيعي بدرجة أساس.وحين زار عبد الناصر مدينة الدمام عام ١٩٥٦م، تقاطرت الجماهير بعشرات الألوف لتحيته، وللتنديد بالحكم السعودي نفسه.

ولم يكن مدهشاً للحكومة أن تكون قاعدة الظهران العسكرية منطلقاً لمحاولة إنقلاب فاشلة ضد النظام الحكم، عام ١٩٦٩، وان تكون الإعتقالات في الوسط الشيعي أكثر من غيرها، وأن يظهر للملأ بان القيادات والكوادر التي خططت له ــ وهي بعثيَّة التوجُّه ــ سواء كانت سنيَّة أم شيعية، إنما كانت في أكثرها تقيم بصورة دائمة في المنطقة الشرقية.

وقس على هذا مجمل التنظيمات الأخرى..فحزب العمل الاشتراكي، والحزب الشيوعي السعودي ــ الذي خلف جبهة التحرير الوطني ــ كان معظم كوادرهما وقياداتهما من الشيعة.بل أن الشيعة شاركوا في وقت مبكِّر في تأسيس جبهة وطنيَّة حاول الأمير طلال بن عبد العزيز في بداية الستينات أن يتخذها وسيلة ضاغطة لإصلاح النظام.

والأحزاب الدينية ــ في المناطق الشيعية ــ هي الأخرى حصلت على الكثير من الدعم المادي والبشري من قبل الجمهور، لم يحصل مثله أي تنظيم سياسي آخر، وفي مقدمة هذه

[219] Saudi arabia in the oil era ,regime and elites ; confct and collabora –tion , by mordechi abir ,westview press ,boulder ,colorado.

التنظيمات الدينية " منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية " التي تعتبر التنظيم السياسي الأساس للشيعة.

وفي العمل السياسي، مارس المواطنون الشيعة كافة الوسائل النضاليّة، وكانوا أول المتفاعلين مع القضايا العربية ــ خاصة القضية الفلسطينية، وتعدّى جهدهم العمل التقليدي الذي كان سائداً كجمع التبرعات، إلى القيام بمظاهرات صاخبة والإضراب عن العمل في مصافي النفط، مما جعلهم يصطدمون مع الحكومة التي تحرم مثل هذه الأعمال، وجهاً لوجه.

إن المظاهرات والإضرابات التي قامت في مناطق الشيعة طيلة العقود الماضية، لتؤكد على حقيقة أن المنطقة الشرقية أصبحت بؤرة العمل الوطني لكل المملكة..وهذا ما جعل أقطاب النظام الحاكم ينظرون إليها والى أهلها نظرة خشية وخوف، من أن تنتقل " عدوى المعارضة " إلى المناطق الأخرى.

لذا توجّهت أجهزة الأمن إلى الشيعة، وكثّفت حضورها في مناطقهم، ومارست أقصى ما تملك من وسائل الفتك والقمع، كما ضيّقت الأجهزة الحكومية على المواطنين في معاشهم وعبادتهم، وحاولت عزلهم عن بعضهم البعض بإثارة النعرات الطائفية...ولا تزال هذه السياسة قائمة، ويعبّر عنها الأمراء الكبار بصراحة في لقاءاتهم مع وجهاء الشيعة، بقولهم إجابة على ما يطلبه المواطنون من حق :" لا تعارضوا الحكومة فتنالوا حقوقكم "..فيردُّ الوجهاء بأن الحكومة هي التي دفعت مواطنيها الشيعة إلى معارضتها، بسبب ممارساتها الصريحة والعدائية التي تجعل من الشيعي مواطناً من الدرجة الثانية.

وهكذا فإن الحكومة " ملتزمة!" بالاستمرار في نهجها القديم، فيما يواصل الشيعة ريادتهم للعمل الوطني المعارض من اجل إصلاح النظام السياسي، بما ينعكس خيره على عموم المواطنين.

غير أنه يجب الإلتفات إلى ما تركه تجاهل حلّ المشكلة الشيعية الخاصة من مرارة في النفوس، واهتزاز في الثقة، وشرخ في النسيج الوطني، مما يجعل حلّ المشكلة أكثر صعوبة مع تقادم السنين، وقد يؤدي اليأس إلى تزايد حركات العنف وغيرها.

ففي العقود الأربعة الأولى من حكم الأمراء السعوديين للمنطقة الشرقية، حاول الشيعة حلّ مشاكلهم مع الحكومة عبر الإتصال المباشر بالمسؤولين، وكانت مطالبهم بسيطة للغاية، كإصلاح شارع، وإنشاء مدرسة، وتأسيس مستوصف، وتخفيف حدّة الضرائب التي تطبّق عليهم وحدهم، وعدم التعرُّض لهم في مذهبهم وممارسة شعائرهم الدينية، لكن رجال الحكم لم يعيروا هذه المطالب ــ رغم تفاهتها ــ أي أهمية..وحينها برزت المعارضة السياسية في أوساط الشيعة لتضيف إلى المطالب السابقة مطالب أخرى أكثر إحراجاً للنظام، بحيث خرجوا من المطالب الخاصة إلى المطالب العامّة المشتركة لكلّ لمواطنين، دون تجاهل المشكلة

الخاصة..وتطفح منشورات وأدبيات المعارضة الوطنية السعودية منذ منتصف الخمسينات وحتى الان بالإشارة إلى مسائل التمييز الطائفي، حتى أصبحت المطالبة بإلغائه بنداً أساسياً في كل إطروحات المعارضة، إياً كان توجهها.

مع بداية الخمسينيات الميلادية، بدأ عدد من المثقفين الشيعة في القطيف بالعمل السياسي المنظّم، فأسسّوا جمعية لنشاطهم، وتحرّكوا تحت أسم " لجنة تشجيع الطلاب "، برئاسة المرحوم حسن الصالح الجشيّ – إستشهد فيما بعد تحت التعذيب – وبعضوية المرحوم عبد الرؤوف الخنيزي – إستشهد هو الآخر تحت التعذيب –..وعدد من الكتاب والشعراء، واستفادت الجمعية من المدرسة الإبتدائية الوحيدة في القطيف، فأسست مدرسة لمكافحة الأمية، واقامت الإحتفالات العلمية والثقافية والتمثيليات، كما تعاون أعضاء اللجنة مع مدرسة الجبيل التي كان مديرها يومئذ ذا نزعة ثقافية تحررية، ولكن وبعد تسعة أشهر، تنبهت السلطة إلى الهدف السياسي للجمعية، فداهمت مقرّها وصادرت ممتلكاتها، وأقفلتها بالشمع الأحمر ووضعت عليها الحراسة، وزجُت بعدد من قيادييها في السجون والمعتقلات، وقد شارك أغلب أعضائها في معظم الحركات السياسية المنظّمة فيما بعد [220].

وفي عام ١٩٥٢أسس عدد من المثقفين في القطيف مكتبة ثقافية مزودّة بالكتب والمراجع، وذلك كغطاء لعمل سياسي معارض للنظام، ولكن وبعد مرور أربع سنوات اعتقلت السلطة أبرز أعضائها وزجُت بهم في سجن " العبيد" في الاحساء.

وعلى أثر وفاة الملك عبد العزيز – مؤسس المملكة – عام ١٩٥٣، إنتهز المواطنون بشكل عام فرصة ضعف الحكم الجديد..فشكل الشيعة في القطيف وفداً من سبعة أشخاص برئاسة المرحوم عبد الله بن حسين النصر، وعبد الله الجشيّ، وزوّد أعضاء الوفد بعريضة وقعها ستة عشر ألف مواطن من القطيف، للتحدث بإسمهم امام الملك، وقد قابل الوفد الملك سعود في قصره بجدة، وقدموا له المطالب التي تحويها العريضة، وهي ثلاثة : إنتخاب مجلس شورى من قبل الشعب، وتحقيق استقلال القضاء، وتعميم التعليم.

وعد الملك بدراسة المطالب، ولكن عند عودة الوفد إلى القطيف، إستدعى أمير المنطقة سعود بن جلوي نحو خمسين من زعماء المنطقة ووجهائها، بينهم أعضاء الوفد، وقد قابلهم أبن جلوي شاهراً سيفه، وهو يقول :" اللي يعود لمثل هذه المطاليب ما له عندنا إلاّ السيف"[221].

---

[220] مجلة صوت الطليعة، مجلة فصلية كان يصدرها البعثيون السعوديون الموالون للعراق، وقد توقفت في عام ١٩٨٠.بعد صلح صدام مع الحكومة السعودية لمواجهة إيران، العدد ٢، ص ٢٢.

[221] المصدر السابق، ص ٢٢.

وفي مناطق أخرى من المملكة، انتفض الشيعة في المدينة المنورة في منتصف عام ١٩٥٥م، ضد سياسة التمييز الطائفي والعنصري معاً، التي أدت بالحكومة إلى حجزهم ضمن أسوار فاصلة، وحرمت عليهم الدخول في المدارس، ومنعتهم من تقلد الوظائف الرسمية وألغت شهاداتهم أمام المحاكم.وقد تعاملت الحكومة بقسوة بالغة في إنهاء تذمرهم، وجاء وزير الداخلية الأمير عبد الله الفيصل ــ الشاعر المعروف حالياً ــ من جدة وبرفقته العبيد والجنود، ليشرف على إنهاء التذمر وليمارس بنفسه جلد زعماء الشيعة (النخاولة) في الأسواق العامة، مما أدى إلى وفاة العديد منهم تحت التعذيب، كما نفي الجرحى إلى جزيرة (فرسان) التي كانت يومها منفىً للمعارضين، وأمر وزير الداخلية بحرق وتدمير منازل الشيعة التي كانت في أغلبها من جريد النخل، أو الطين.

وأشار تقرير للسفارة البريطانية في جدة إلى أن عدد القتلى متباين، فبعض التقارير تقول ثلاثة، وأخرى تشير إلى وفاة تسعة، أو أحد عشر قتيلاً "وقد رأى مخبري، شخص إبن ولي العهد الأمير فيصل، وهو الأمير عبد الله الفيصل وزير الداخلية، ينهال بالضرب على النخاولة المعتقلين، الذين يبدو أن الحكومة تنحي باللائمة عليهم، وتحملهم مسؤولية ما جرى، كما أن هناك تقارير متواترة تفيد بأن حوادث الموت في المدينة لم تكن نتيجة الاضطرابات، ولكن نتيجة الجلد بالسياط الذي وقع فيما بعد "[٢٢٢].

انتفاضة الشيعة عام ١٩٧٩:

ببروز المعارضة السياسية ، إزداد القمع واستمر لثلاثة عقود من السنين، وفي عام ١٩٧٩حدثت إنعطافة في تاريخ المواطنين الشيعة وعلاقتهم بالسلطة السعودية الحاكمة..ففي نوفمبر من ذلك العام ــ الأول من محرم ١٤٠٠هــ ــ قام السلفيُّون الوهابيون بإقتحام المسجد الحرام، فتسلُّطت الأضواء على الشيعة بإعتبارهم عنصر الإنشقاق والاضطراب السياسي المعارض لهيمنة الأسرة السعودية المالكة وسياساتها، وتوقُّعوا أن من قام بالعملية هم من العناصر الشيعية المتأثرة بالثورة الإسلامية الإيرانية التي حققت للتو إنتصارها على الشاه، ففي اليوم الأول لعملية إقتحام المسجد الحرام، قال ناطق بأسم الخارجية الأميركي "إن المجموعة لم تعرف هويتها وأهدافها، وقد تكون من المذهب الشيعي "...وحاول الأمير فهد ــ ولي العهد يومئذ، والذي كان على رأس وفد المملكة في تونس لحضور إجتماع القمة العربي ــ حاول أن يوحي بأن الشيعة في المملكة هم مصدر المعارضة وحدهم، وأن المقتحمين

---

[222] الوثيقة 1015-9 es من هارولد بيلي في السفارة البريطانية بجدة، إلى ل.أ س في الدائرة الشرقية بوزارة الخارجية البريطانية، بتاريخ ١٥يونيو ١٩٥٥، وانظر المصدر السابق أيضاً.

للمسجد ليسوا من دعاة المذهب الرسمي، اذ أن الإعتراف بتلك الحقيقة كان يعني أشياء كثيرة لم يرد ولي العهد أن يدخل نفسه في متاهاتها.

أمر ولي العهد أحد أعضاء الوفد السعودي بأن يصرح " أن الأذان قد أُدّي على الطريقة الشيعية "[٢٢٣]، أي أن الذين قاموا بالعملية هم من الشيعة السعوديين الذين لم تكن الحكومة تثق بهم، وقال مصدر سعودي في يوم الحادث (١٩٧٩/١١/٢١) بان " المسلحين الذين هاجموا البيت الحرام ينتمون إلى زمرة خارجة عن الدين الإسلامي، منشقة عن الشيعة "[٢٢٤]..واستمر الحال هكذا لبضعة أيام إلى أن إعترفت الحكومة السعودية بأن المقتحمين لم يكونوا من الشيعة وإنما من قبل الوهابيين الذين بنوا كيان المملكة السياسي الحديث، قالت اللوموند " صرحت لنا عدة شخصيات مقربة من الحكام السعوديين، أن عملية مكة لم تطبخ من قبل أيد أجنبية أو من قبل الشيعة، بل من قبل سعوديين من السنّة، وأنها كانت موجّهة فعلاً ضد الحكام الوهابيين"[٢٢٥].

كانت التوقعات الغربية تتوقع أن يقوم الشيعة بعمل ما، لأنهم الفئة المسحوقة التي إستردت أنفاسها، واستجمعت قواها وشجاعتها بإنتصار الثورة الإيرانية، ولأنها الفئة الأكثر تمرساً في المعارضة السياسية، لم تخب تلك التوقعات، فبعد مرور ستة أيام على حادثة إقتحام الحرم المكي بقيادة جهيمان بن سيف العتيبي، بدأ المواطنون الشيعة في القطيف أولاً ثم في الاحساء بمظاهراتهم السياسية التي شاركت فيها النساء جنباً إلى جنب الرجال، والمنددّة بسياسة التمييز الطائفي...فما كان من الحكومة إلاّ أن أرسلت جنود الحرس الوطني قدّر عددهم بين ١٢ ــ ٢٠ ألف جندي، لقمع المتظاهرين، فحدثت صدامات عديدة أحرقت على أثرها العديد من السيارات، وشب المتظاهرون النار في الإطارات، وهاجموا البنك السعودي البريطاني في القطيف.

واستخدمت الحكومة في صدامها مع الأهالي الهراوات والغازات المسيّلة للدموع، والأسلحة الأوتوماتيكية، وحامت الطائرات المروحية وهي تقذف برصاصها المتظاهرين، فسقط عدد من الشهداء، بعضهم كان في منازلهم في حين أمر ولي العهد ــ الأمير فهد يومئذ ــ بإستخدام مدافع الميدان إن لم يستطع الحرس الوطني وقوات البحرية وعدد من جنود القوات الجويّة السيطرة على الأوضاع، ولاحظ وليم كوانت ــ مستشار الرئيس الأميركي الأسبق جيمي كارتر لشؤون الأمن القومي ــ لاحظ في كتابه (السعودية في الثمانينات) " أن الحرس الوطين لم يكن متزناً في إستخدامه للقوة ".

---

[223] صحيفة السفير البيروتية ٢٢نوفمبر ١٩٧٩.

[224] صحيفة الجمهورية المصرية في ٢٢نوفمبر ١٩٧٩.

[225] اللوموند الفرنسية، ٢ـــ ٢ديسمبر ١٩٧٩.

كانت حصيلة الإنتفاضة نحو خمسة وعشرين قتيلاً من الأهالي، ونحو عشرة قتلى من الجنود، كما جرح بالرصاص أكثر من مائة متظاهر، واعتقلت السلطة ما يقرب من ألف ومائتين من المشاركين في الأحداث [٢٢٦].

لقد عمّقت الإنتفاضة الأخيرة الهوّة بين النظام السعودي وبين المواطنين الشيعة، إلاّ انها في نفس الوقت أعطت روحاً ووعياً جديدين للشيعة، وهيأت جيلاً شاباً متحمّساً في الدفاع عن نفسه وحقوقه إلى أبعد الحدود، لم تعد الحكومة السعودية ــ منذ ذلك الحدث التاريخي ــ ذلك البعبع المخيف للناس، ولم يكن بمقدورها تجاهل نتائج ضغطها على المواطنين الشيعة، كما لم يكن بإستطاعتها إخضاعهم بالقهر والعنف..وقد أثبتت السنوات الماضية أن الإعتقالات والإعدامات في السجون، لم تفت في عضد المواطنين، بل بقيت المعارضة متجذّرة تغذّيها سياسات الأمراء الخرقاء، التي حوّلت معظم المواطنين الشيعة إلى أعداء لها، ومن نتائج الإنتفاضة أنها أبرزت العديد من القيادات السياسيّة والإجتماعية الشيعية، التي سيكون لها بلا شك دوراً هاماً في تحديد مستقبل الطائفة الشيعية في المملكة ودورها المستقبلي.

يرى كثير من المحللين أن الحرمان الاقتصادي والاضطهاد العقائدي كانا المفجّر الأساس لإنتفاضة الشيعة الأخيرة، وان تجاهل الحكومة المركزية لمطالب الشيعة ومعاناتهم، ولّد إمتعاضاً شديداً كان لابدّ أن ينفجّر ويلقي بآثاره على الأوضاع الأمنية، حيث عدّت إنتفاضة الشيعة " أخطر معارضة متكرّرة واجهها آل سعود منذ ما قبل عهد النفط " [٢٢٧].

يقول أحد الكتاب الأجانب :" كان الوهابيون يمارسون تمييزاً يومياً مسيئاً تجاه الأقليّة الشيعية، وهو ما جعل الشيعة يشعرون وكأنهم مواطنون من الدرجة الثانية..وكان شعور الشيعة بالظلم يزداد وضوحاً وجلاء كل عام مع بداية شهر محرم.لقد منع آل سعود على الدوام ممارسة هذه الطقوس علناً، لكن الشيعة قرروا في نوفمبر ١٩٧٩الخروج إلى الشوارع، إلاّ أنهم أخطأوا الحساب بشكل فادح، فقد إنقض الحرس الوطني عليهم بعنف وحشي، كما أن الأمير أحمد ــ نائب وزير الداخلية ــ طار إلى الظهران لوضع برنامج قاس ومشدد للإعتقال والإستجواب..وما أن حلّ شهر ديسمبر ١٩٧٩ إلاّ والقطيف يحكمها الحرس الوطني وحواجزه على الطرق، وامتلأ سجن الهفوف بالمعتقلين، وعادت المنطقة الشرقية إلى هدوئها مرّة أخرى"[٢٢٨].

---

[226] انظر تفاصيل الأحداث كاملة، في كتاب " إنتفاضة المنطقة الشرقية " الصادرة عن منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية.ولمزيد من التفاصيل عن إقتحام الحرم المكي الشريف، انظر كتاب " زلزال جهيمان في مكة "، لمؤلفه فهد القحطاني، والصادر عن منظمة الثورة الإسلامية أيضاً.

[227] مايكل فيلد، مصدر سابق، ص ٢٧.

[228] روبرت ليسي، مصدر سابق.

ويشير عدد من المحللين إلى أن الجيل الشبابي الشيعي هو الذي أشعل إنتفاضة المنطقة الشرقية، ولهذا دلالته الهامّة، حيث أن هذا الجيل يشكل أكثرية الشيعة، ويتمتع بطموحات كبيرة، وهو أكثر تعرُضاً للنظر إلى التفاوت بين الشيعة وبقيّة المواطنين، ولذا فهو يشعر بإستياء شديد..وإن " التمييز الأثني ضد الشيعة تظافر مع الإهمال الحكومي في تقديم الخدمات وتأسيس الإنشاءات في مناطق الشيعة..وان زيارة الملك خالد لمناطق الشيعة أواخر ١٩٨٠، ورغم إيجابياتها الآنية، إلاّ انها لا يمكن أن تنفي سنوات الإهمال ".

أن إتجاه الجيل الشبابي الشيعي هو الذي يحددُ أبعاد المستقبل، وإذا لم تقم الحكومة بإرضاء هذا الجيل، فإن إحتمالات العنف كامنة، ولا يمكن تقديرها [٢٢٩].

جاءت الإنتفاضة بعد عقود من الإحباط، لتعبُر عن ذلك الإضطهاد بشكل عام وعلني..لم تكن القلاقل التي شهدتها مناطق الشيعة بسبب التذمر من عدم إقامتهم إحتفالات عاشوراء، بل من معاملتهم كمواطنين من الدرجة الثانية في بلدهم، ومن التفاوت الاجتماعي والاقتصادي [٢٣٠].

واعتبر عضيد دويشة أن " مصدر الشؤم الأكبر للنظام الحاكم، هو الإضطرابات التي وقعت بين السكان ذوي الأغلبية الشيعية في المنطقة الشرقية في شهر نوفمبر ١٩٧٩"، وأضاف بان العنصر الشيعي بين السكان أصبح أكثر قلقاً وإضطراباً، لأن هذا العنصر بقي متخلّفاً عن بقية السكان سياسياً وإقتصادياً، وهو يرى بأن إزالة المظالم "ستقلل بالتدريج من أي ميل لخلق المشاكل وعدم الاستقرار ".وأشار إلى أن احتمالات الإنفجار الشعبي في المستقبل ستواجه كالمعتاد من قبل النظام "بخليط من الإجراءات الإصلاحية والقمعية الفاشية "[٢٣١].في حين لاحظ " وليم كوانت " أن اضطرابات القطيف كانت أكثر إخافة للعائلة المالكة، وأن سببها معاملة الشيعة واعتبارهم مواطنين من الدرجة الثانية، وأنهم يركِّزون في نضالهم ـــ الذي توقّع له أن يستمر ـــ على الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي.

وأشار فاسيليف إلى تململ الشيعة وإنتفاضتهم ضد الحكم السعودي، وقال أنها أخطر من إنتفاضة مكة لأن الشيعة يقطنون أهم منطقة إستراتيجية في البلاد "وهم أكثر وعياً من السنّة المنتفضين في مكة، فالشيعة أصحبوا عمالاً قبل بضعة عقود، وهم الذين أسّسوا نقابات سريّة وتزعّموا المظاهرات والإضرابات السياسية، وخاصة تلك المناهضة للأميركيين، وتعرُض الشيعة إلى اضطهاد مزدوج بسبب إنتمائهم إلى تيّار يعتبره حكّام الرياض زندقة "[٢٣٢].

---

[229] Saudi arabia modernization , p.98.

[230] shi` and socialprotest p240

[231] saudi arabia`s search for security ,adeed dawisha ,the international institute fore strategic studies ,1979 – 1980.

[232] فاسيليف، مصدر سابق، ص ٥١٧.

باحث غربي آخر تطرّق إلى وضع الشيعة والى المنعطف التاريخي الذي سلكوه بإنتفاضتهم عام ١٩٧٩، فقال إن شرعية النظام السعودي كانت مهددة من طرف آخر من المملكة حيث بلغ الفوران ذروته في الثامن والعشرين من نوفمبر ١٩٧٩، في أحداث العنف التي جرت في المنطقة الشرقية، وقال بأن أحتجاجات الشيعة في الاحساء والقطيف البالغ عددهم أكثر من نصف مليون إنسان، تضاعفت منذ عام ١٩٥٠ضد الظلم وسياسة التفرقة الطائفية الممارسة بحقّهم، وقد شجّع إنتصار الثورة الإيرانية الشيعة على المطالبة بالمساواة..في حين أن مكمن الخطر على النظام يستمد من كون نسبة كبيرة من العمال في حقول النفط يشغلها الشيعة، وان عدد الأخيرين كبير، ومن نفطهم تستمد المملكة ثراءها، وتالياً فإن عدم الهدوء في المنطقة الشرقية يشكل خطراً على النظام الحاكم.

وقال الباحث بان العلاقات بين السنّة والشيعة في المنطقة الشرقية كما في الكويت والبحرين حسنة، ولكن بعد قيام حركة الوهابيين الذين يعتبرون الشيعة أسوأ من الكفار، واجه الشيعة في الاحساء احكام الإعدام بشكل دائم." وبقي الشيعة كأقليّة مضطهدة بل محكوم عليها بالفناء، منذ إستيلاء الملك عبد العزيز على الاحساء عام ١٩١٣، وظلت المؤسسة النجدية ساحبة الثقة من الشيعة، كما إعتبرتهم ـــ رغم إنجازاتهم ـــ متخلّفين بل متأخرين عقلياً.ان شهادة الشيعة غير معتبرة في قانون المحاكم السعودية ".ولاحظ مراسل أجنبي زار المنطقة الشرقية عام ١٩٨٠التفرقة بأبشع صورها، فقال :" التفرقة والاضطهاد الثقافي هو أبشع أنواع الاضطهاد الذي يواجهه الشيعة، فالأدب الشيعي ممنوع، والتاريخ الشيعي محظور تعليمه في المدارس المحليّة والجامعات، ومهنة التعليم التي تعتبر المجال الوحيد المسموح به للنساء مغلقة بوجه الشيعة الذين إستثنوا من كل الخدمات إلاّ أقلها، كما أنهم ممنوعون من الخدمة في الجيش وقوى الأمن "[٢٣٣].

لهذه الأمور يرى الباحث أن الشيعة قاموا بإنتفاضتهم، "ولا مجال للشك في أن الشيعة سيكونوا أول المؤيدين لأية معارضة وطنية متطرفة للنظام السعودي " [٢٣٤].

إنتهت أحداث محرم ١٤٠٠هـــ، وفرض حظر التجول، وأقيمت حواجز التفتيش في الطرقات، وطوقت المنطقة الشرقية بالآلاف من رجال الحرس الوطني..وبدت الأوضاع تميل إلى الهدوء، وكما كان متوقعاً، فقد إستخدمت الحكومة أقصى ما لديها من قوة، وهل هناك أكثر من إستخدام الجند والرشاشات الأتوماتيكية للقمع الداخلي ؟!.ومع هذا لم تكن الحكومة تطمع بالهدوء المستمر، لقد تنبّهت بعد فوات الاوان أن الضغط المتزايد قد ولّد الإنفجار. وقبل

[233] Saudi arabia in the oil era.

[234] المصدر السابق.

أن تبدأ الدولة بمشروع إقتصادي لإرضاء السكان، اندلعت مظاهرات أخرى في منطقة القطيف في فبراير ١٩٨٠، رغم الحضور الأمني المتضخم، وأعلنت منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية مسؤوليتها عن الأحداث.في تلك الأثناء زادت الحكومة من أعداد جنودها، مما دفع بأحد المسؤولين الأميركيين إلى وصف الحضور الأمني في المنطقة بأنه " هائل الحجم "، بل " وكبير بما يكفي للتعامل مع اية تظاهرة أو ظاهرة تمرّد مباشرة "[٢٣٥].

كانت هناك دلائل كثيرة على أن حركة التمرد والسخط لم تنته، وإن لم تبرز بشكل علني واضح، رغم أن بعض المظاهر توحي بذلك..فقد صرح زائر إلى المنطقة الشرقية بان الجدران القديمة في مدينة القطيف إمتلأت بالشعارات التي تندد بالنظام السعودي وتمتدح شهداء الإنتفاضة [٢٣٦].الامر الذي زاد من قلق الولايات المتحدة إلى حدٌ أمرت معه دبلوماسييها في الظهران بأن يجروا مسحاً إستخبارياً للشيعة، وعندما قرٌر هؤلاء أنه ليس هناك من دليل قوى على وجود تهديد للحكم السعودي، أمروا بان يعاودوا البحث مرة أخرى [٢٣٧].

وكانت الحكومة السعودية ــ وبالاتفاق مع المخابرات الأميركية ــ قد إستأجرت عدداً من الباحثين الاجتماعيين والسياسيين ــ من أساتذة الجامعات الأميركية ــ، للقدوم إلى القطيف وإجراء بحوث حول أوضاع الشيعة..وقد قدم هؤلاء فعلاً إلى القطيف في بدايات عام ١٩٨٠م، واستقروا فيها بضعة اسابيع، وخرجوا بنتيجة مفادها أن الاضطرابات ستتكرر، ونصح التقرير الذي قدمه الباحثون إلى الحكومة السعودية، بان تعتمد خطة لإصلاح أوضاع الشيعة الاقتصادية والخدماتية، وان تخفف من قبضة القمع لتليين مواقف من أسموهم بـــ " المتطرفين ".

نفّذت الحكومة السعودية سياسة " الجزرة " بعد أن إستخدمت سياسة القمع بتوسّع كبير.. فبعد إنتهاء مظاهرات فبراير ١٩٨٠بدأت الحكومة بمشروعها، فزار الأمير أحمد موقع الاضطرابات، والتقى بعدد من وجهاء الشيعة، واعترف بان الشيعة قد أهملوا، وان مناطقهم لم تنل حظها من الخدمات والمشاريع، كما اعترف بان الشيعة قد تعرضوا للإساءة في المعاملة، ووعد أحمد بتغييرات جذرية وتحسينات إذا ما تعاون الشيعة مع الحكومة لتحسين أوضاعهم، ولكنه حذّر بان قبضة الدولة لم تتراخى بعد وستضرب كل العابثين بالأمن بقبضة حديدية [٢٣٨].

في مطلع محرم ١٤٠١هــ، اطلقت السلطات سراح أكثر من ٨٠٠معتقل سياسي، خوفاً من تكرار تجارب محرم الماضي، وفي منتصف الشهر زار الملك خالد المنطقة الشرقية،

---

[235] روبن رايت، الغضب المقدس، مترجم

[236] Saudi ararbia in the oil era.

[237] روبن رايت، الغضب المقدس، مترجم.

[238] Shi`ism and social protest ,p 243,244

والتقى بوجهاء الشيعة في القطيف، وأعلنت وسائل الإعلام بان الدولة خصصت نحو مليار ريال للمشاريع الخدماتية في القطيف تشرف عليها لجنة خاصة برئاسة ولي العهد ــ الملك حالياً ـــ.وفعلاً تحسن وضع الخدمات في المناطق الشيعية، لكن ذلك لم يرض الشيعة بشكل كاف، أولاً لأنهم دفعوا ثمناً باهظاً (قتلى واعتقالات وجرحى).. وثانياً، لإن مطالبهم تطورت خلال العقود السابقة، خاصة وان المطالب القديمة لم تعد ترض الأكثرية الشيعية، وثالثاً :لأن تطور الخدمات كان جزئياً، بينما لم تحل الدولة مسألة تعاملها مع الشيعة كمواطنين يتساوون في الحقوق مع غيرهم، كما لم تقدم أي تنازل لمواطنيها في مجال حرياتهم الدينية.وإضافة إلى هذا كان من المستحيل أن يؤدي الإصلاح الآني للخدمات في المناطق الشيعية، بعد عقود طويلة من الحرمان والمعاناة، إلى إشعار الشيعة بالرضا، خاصة وان الحكومة عادت إلى نهجها القديم بعد أقل من سنة " فسياسة التفرقة الطائفية ضد الشيعة لم تقتلع فكرة أن الدولة مقصرة بحقهم من أذهانهم، ولا يزال الشيعة عموماً دون مستوى الوسط في المجالين السياسي والاقتصادي "[٢٣٩].

من كل ما جرى من أحداث، إكتشف المواطنون الشيعة مسألة هامة، وهي أن حقوقهم لن ينالوها إلاّ بالمزيد من العمل المعارض، وتقديم المزيد من التضحيات، وكما نالوا بعض حقوقهم بعد إنتفاضتهم الدامية، فإن تحصيل الحقوق الأخرى، ودوام إستمرار النظام في مراعاة حقوقهم المدنية، مرهون بمدى فاعليتهم السياسية ومدى إستعدادهم للتضحية.

***

تراجعت الحكومة عن سياسة إرضاء الشيعة، حين رأت انها لم تحقق الكثير مما ترجوه، فتصاعدت حدّة القمع والإعتقالات والتي طالت الآلاف من المواطنين، ورداً على تصعيد الحكومة القمعي، برزت عام ١٩٨٧تنظيمات عنيفة في الوسط الشيعي، لا ترى في المعارضة السياسية السلمية وترقيع النظام حلاً صحيحاً، كما لاترى إمكانية تحقيق المطالب الجزئية بعد تجربة إستمرت أكثر من ٧٥عاماً..ورأت تلك التنظيمات أن الحل يكمن في "إزالة " النظام القائم من الوجود، وبنفس الوسيلة التي يستخدمها في تعزيز وجوده، وهي العنف والقوة..وقد قام أحد تلك التنظيمات بعمليات تفجير صغيرة في مناطق نفطية عام ١٩٨٧م، كانت خسائرها المادية ضئيلة للغاية.

وكعادة الحكومة، التي لاترى حلاً للمشاكل، إلاّ من خلال "السيف والكرباج"، فإنها عمدت إلى إعدام أربعة من المتهمين في تلك الأعمال، وقد جرى إعدامهم بشكل علني في مدينة

---

[239] saudi arabia in the oil era

الدمام في الحادي والثلاثين من أكتوبر ١٩٨٨، كما إعتقلت عشرات آخرين وجهت لهم تهمة التحريض، لايزالون رهن الإعتقال حتى كتابة هذه السطور.

وتلت تلك الإعتقالات إجراءات إنتقامية عامة ضد المواطنين الشيعة شملت مجالات التوظيف الحكومي على مختلف مستوياته، والتعليم، والقضاء، مترافقاً مع حملة إعلامية طائفية لم تر البلاد مثيلاً لها من قبل.ومنذ ذلك الحين، يهيمن التوتر الشديد على المناطق الشيعية، وكأنها تعيش مخاضاً جديداً قد يسفر عنه تصعيد مقابل في حدة الصراع مع الحكومة.

ورغم أن غزو العراق للكويت، وموقف الشيعة المعارض له بشدة، ساعد على التسامي على الجراح ــ على الاقل من طرف المواطنين الشيعة ــ..الا أن ذلك كان لظرف آني طارئ ولم تحاول السلطة وهي في أقصى حالات إهتزازها وحاجتها إلى دعم مواطنيها، إتباع سياسة "تطييب الخواطر "، تأكيداً على الوحدة الوطنية في مواجهة الخطر الخارجي..بل ــ على العكس من ذلك ــ عمدت إلى ممارسة الفرز المذهبي، وفي موضوع حساس، وهو الدفاع عن الوطن، حيث رفضت قبول الآلاف من المتطوعين الشيعة، كما رفضت تدريبهم على السلاح للقيام بدورهم، في وقت كانت فيه القوات الاجنبية من رجال ونساء، ومن يهود ومسيحيين، تملأ مناطق النفط بحجة الدفاع عن أهل البلاد!.

وحين فرّ العمال الأجانب من مصافي النفط أثناء الأزمة، بقي الشيعة في مواقعهم..فكان أن كافأتهم الدولة بأن إستمرت في رفض توظيف أي فرد منهم، إستناداً إلى القرار الذي اتخذه الملك شخصياً عام ١٩٨٧م، ووظّفت الدولة التي كانت بحاجة إلى ضخ المزيد من النفط للتعويض عن النقص في السوق الدولية، أجانب كثر وبكفاءات اقل وإمتيازات أعلى !.

وإذا إستثنينا سياسة عدم توظيف المواطنين الشيعة في الوظائف الحكومية ــ وهي سياسة تقوم مقام الحرب المسلحة والعلنية ــ لا تظن أن النظام السعودي نفسه سيجني خيراً منها كما يتوقع هو ــ..اذا إستثنينا هذا، فإن سياسة الطرد للموظفين الشيعة من كل الأجهزة الحكومية وغيرها، أو تخفيض رتبهم ومرتباتهم لاتزال قائمة، وفي شهر مايو ١٩٩١م، قامت ارامكو بطرد المئات من الموظفين الشيعة العاملين في حقل أمن المنشآت الصناعية النفطية، وتم تحويل بعضهم إلى وظائف أدنى تافهة وبرتب اقل، ومرتبات لا تصل في كثير من الأحيان إلى نصف مرتباتهم السابقة..وكانت حجة الحكومة قائمة على أساس أنها تريد تدريب العاملين في أمن المنشآت على السلاح، وربطهم مباشرة بوزارة الداخلية، ولأن الشيعة لا يوثق بهم، ولا يوظفون في الأجهزة العسكرية والأمنية، ولا يؤمن أن يكون السلاح بيدهم، فلهذا كان القرار بطردهم واستبدالهم بغيرهم أمراً طبيعياً!!.

لقد عززت ممارسات النظام الأخيرة هذه، القناعة لدى المواطنين الشيعة، بان النظام لم يتغير، ولم يتعلم أي درس من الأزمة، وان أي حق ليس وراءه مطالب، هو حق ضائع، كما أن الأمل بالحكومة، والثقة بوعودها، إنما يعني التشبث بالسراب والأوهام.

وإذا كانت وعود الملك المتكررة لأربع مرات خلال الأزمة الخليجية الأخيرة ، والقاضية بإنشاء مجلس للشورى، ووضع دستور، والإلتزام بنظام للمقاطعات..اذا كانت هذه الوعود قد أثارت شعوراً بالرضى والأمل لدى عامة المواطنين، وإن كان ذلك الشعور محاطاً بالشك والخشية من أن تكون تلك الوعود كاذبة مخادعة كسابقتها..فإن المواطنين الشيعة ــ بشكل خاص ــ كانوا أقل تفاؤلاً بتحقيقها، مع انهم يدركون أن تحققها سيضع مشكلتهم مع النظام على " سكة الحل " حيث سيتاح لهم ــ وفق اقل التقادير ــ هامشاً مع التحرك بحرية "للمطالبة " برفع الحيف عنهم.

ومع أن وعود الملك ليس من المؤكد تحققها.

وإذا ما تحققت، فستكون دون مستوى الطموح.

ومع أن تحقيق تلك الوعود لا يعني بالضرورة إحراز أي مكسب يتعلق بخصوصية الطائفة الشيعية المسحوقة والمهمشة سياسياً وإقتصادياً وإجتماعياً.

مع هذا.يبقى الإصلاح السياسي هدفاً للمواطنين الشيعة بإعتباره بوابة إصلاح مشاكل الوطن بأسره..ويبقى هدف تحقيق أي إنجاز ــ مهما صغر حجمه ــ مقدراً ويستحق النضال من أجله، مادام يخدم مصلحة عامة المواطنين.

الشيعة والمتغيرات الإقليمية:

من البديهي القول ان المشكل الشيعي ــ كان وسيبقى ــ مشكلاً داخلياً بدرجة أساس..ومن البديهي ثانياً أن ينتقل المشكل إلى خارج الحدود إذا ما استعصى على الحل الداخلي من اجل تشكيل ضغط إقليمي ودولي على النظام لحلحلته بالطرق السوية..ومن البديهي ثالثاً، أن تستفيد العديد من الأنظمة العربية وغيرها، والتي هي على خلاف مع نظام الحكم في المملكة، أن تستفيد من المشكل الشيعي، كثغرة يمكن من خلالها إزعاج النظام.

الحكومة السعودية من جانبها، إعتبرت اتساع الإضطرابات في المنطقة الشرقية، أمراً يعود إلى وجود تأثيرات خارجية، متجاهلة أن سياساتها الطائفية كانت وراء المشكلة، ومتجاهلة أيضاً أن المشكلة ليست جديدة، وان التأثيرات الخارجية كانت في معظم الأوقات لصالحها.

خلال عقد الثمانينيات الميلادية، تأزمت العلاقات السعودية الإيرانية بسبب الموقف السعودي من الحرب التي أشعلها صدام ضد إيران، وقد نال الشيعة في المملكة أذىً كثيراً

بسبب تلك الأزمة، لأن الأمراء السعوديين إعتبروا حربهم ضد مواطنيهم الشيعة جزءاً من الحرب الكبرى مع إيران..وقد أقحمت سياسة الحكومة هذه المشكلة الشيعية في خضم الوضع الإقليمي المتأزم يومئذ، وشجعت أطرافاً أجنبية ــ وبينها أطراف عربية ــ على الإستفادة من سوء العلاقة ذلك.

في مرات عديدة حينما حاول الوجهاء الشيعة إقناع مسؤولي الحكومة بان جذر المشكلة يكمن في سياستها الطائفية، يرد أولئك المسؤولون بان الشيعة غير موالين لوطنهم ولحكومتهم، وان الحكومة الإيرانية لم تعامل رعاياها السنّة معاملة حسنة، "فلماذا تطالبون بتحسين أوضاعكم ؟!".

وقد أصيب الوجهاء بدهشة كبرى من هذا المنطق الأعوج، وردّوا بالقول أن القضية الشيعية كانت موجودة قبل الثورة في إيران، بل قبل الشاهنشاهية التي جاء بها بهلوي، ثم ما دخل المواطنين الشيعة في المملكة بسنّة إيران، سواء عاملتهم حكومتهم هناك بالحسنى أو بالسوء ؟!.

إذا كان المواطنون الشيعة في المملكة قد دفعوا ثمناً باهظاً بسبب الخلاف الإيراني / السعودي الذي لا ناقة لهم فيه ولاجمل، والذي إستمر نحو عشر سنوات عجاف...فهل تعني المتغيرات الحالية في العلاقات بين الطرفين، التخفيف من غلواء السياسة الطائفية التي إنتهجتها الحكومة السعودية طيلة تلك السنين ؟.

يفترض أن تخف حدة النهج الطائفي، بإنتفاء السبب ـــالذي تعتقد الحكومة السعودية أنه هو الأساس ــ غير أنه لا ينتظر أن يؤدي تحسين العلاقات بين الطرفين الإيراني والسعودي إلى حل القضية الشيعية جذرياً، لسبب واضح هو أن جذر المشكلة لم يكن يكمن فيها، وان اعتقدت الحكومة السعودية ــ في فترة من الفترات ــ بذلك.

وبلاشك فإنه ينتظر أن تؤدي التحولات الإقليمية، خاصة تلك التي شهدتها وتشهدها الدول المحيطة بالمملكة كاليمن والأردن والكويت والعراق والى حد ما عمان، أن تؤثر على اوضاع الشيعة في المملكة، خاصة إذا تغير النظام الحاكم في العراق..حيث من المعتقد أن تؤدي التحولات السياسية إلى إشتراك الأغلبية السكانية الشيعية في العراق ــ ولو كان ذلك في أضيق الحدود ــ في الحكم، بعد أن همشت سياسياً منذ الإحتلال البريطاني للعراق بعيد الحرب العالمية الأولى، وتسليم الإنجليز الحكم للإقليّة هناك.

وهذا سينعكس إيجابياً على وضع الشيعة في كل المنطقة الخليجية، لأن التركيبة السياسية القائمة في المنطقة تعتمد في حساباتها على الحالة المذهبية.

ومن المنطقي جداً أن التحول الإقليمي لايمكن أن يؤثر على الوضع الشيعي العام في المملكة، إلاّ إذا كان ذلك الوضع قد بلغ مستوىً من التطور والنضج، بحيث يشعر النظام

السعودي نفسه أن نقلة نوعية ما قد حدثت في الوسط الشيعي، وانه لابد أن يتجاوب مع تلك النقلة إذا ما أراد تحاشي تأثيراتها السلبية.

لقد حدثت في العقود الماضية تطورات سياسية كبيرة في أوضاع البلدان العربية المجاورة، لكن إنعكاساتها على الوضع الداخلي في المملكة بشكل عام، وعلى الوضع الشيعيُ بشكل خاص، جدٌ قليلة، حيث لم يشعر النظام الحاكم بحدّة تأثير ذلك التطور على الصعيد الشعبي، مما جعله يتجاوز عقدة الإصلاح بكثير من اللامبالاة.

إن تغييرات مهمة تنتظر الأنظمة السياسية العربية المجاورة، وما لم يكن الوضع الشعبي في عموم المملكة متفاعلاً مع تلك التطورات، وما لم تدفع تلك التطورات إلى قفزة في العمل في الأوساط الاجتماعية والسياسية الفاعلة..فان من السهل على النظام أن يستوعب المتغيرات، وان يحتوي تأثيراتها السلبية عليه.

الشيعة والتيار السلفي التقليدي:

تعتبر المؤسسة الدينية الرسمية، والتي يقف على أعلى هرمها الشيخان عبد العزيز بن باز ومحمد صالح العثيمين ــ بعد أن أطيح بآل الشيخ ــ الممثل الشرعي للفكر والتيار السلفي التقليدي.وهي التي تحتكر حق الفتيا وتفسير النصوص الدينية، كما انها مسؤولة عن نشر أفكار المذهب والترويج له والدعوة إليه.

وتخضع أجهزة الدولة لرأي قادة التيار في ما يتعلق بالمظاهر الدينية، وتلتزم إلى حد كبير بفتاوى المؤسسات المستحدثة التي تنظم عمل المؤسسة الرسمية، مثل "اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد"و"مجلس هيئة كبار العلماء " و" هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر "و" الندوة العالمية للشباب المسلم ".

وتشرف المؤسسة الدينية الرسمية على " الرئاسة العامة لتعليم البنات "، حيث ربطت هذه المؤسسة موافقتها على تعليم البنات بإدارة الجهاز التعليمي النسوي، كما وتشرف المؤسسة الدينية على الجامعتين الإسلاميتين في المدينة المنورة والرياض، وعلى العديد من المعاهد الدينية، والمدارس، ولها نفوذ في وزارة العدل ورابطة العالم الإسلامي.

ومع هذا كله، فقد كان تطور المؤسسات الدينية مرهوناً بحاجة النظام السياسي للمسوغ الشرعي. لقد سمح للعلماء بدور بارز حيث مسّت الحاجة إلى تسويغ ديني، لكن وضعهم كان ثانوياً عندما إلتزموا موقفاً معارضاً، أو عندما إستعين بمصادر أخرى من التسويغ الشرعي، ولما قارب إكتمال بناء كيان المملكة "فقد العلماء ما نعموا به من الاستقلال المحدود وغدوا

موظفين مدنيين مأجورين، وصارت أوضاعهم ومرتباتهم ومهامهم رهناً بأنظمة الدولة وأغراضها "[240].

لقد تحولت الدولة إلى سلطة مدنية، وأصبحت قوانينها تنظّم نشاط العلماء.والدولة ــ بحكم تفرّدها بالسلطة والموارد ــ لا تسمح بوجود سلطة دينية مستقلة تمتلك إمكانيات منازعتها حق الولاء، بحيث تنافسها في كسب ولاء المواطنين، ولهذا وسعت من سلطانها ليشمل القطاع الديني واستعانت بزعماء دينيين أضفوا على سياساتها صفة الشرعية.وتحاول الدولة من خلال إلتزامها القشري بالمظاهر الدينية تقوية سلطانها، وهي لا تتردد في كبح المنظمات والشخصيات الدينية إن هي تحدت أو نافست سلطانها [241].مثلما فعلت بعائلة آل الشيخ محمد بن عبد الوهاب، التي أقصيت بشكل شبه تام عن قيادة المؤسسة الدينية..والسبب هو أن آل الشيخ طمحوا لمشاركة آل سعود في الحكم، ففصلوا التعاليم "الوهابية " بحيث يمكنها الإندماج مع العائلة المالكة، وبهذا أصبحوا رهن رغبات آل سعود، وحين إستتب الأمر للأخيرين، أقصوا حلفاءهم القدامى عن السياسة والمؤسسة الدينية معاً، ولم يحصل آل الشيخ إلاّ على بعض المناصب الوزارية الفنية في الجهاز الحكومي [242].

مهما يكن من أمر، فإن المؤسسة الدينية التقليدية، التي أصبحت نشاطاتها رهناً برغبات الأمراء السعوديين، إنساقت بدافع موروثاتها الفكرية، وبدافع مماشاتها لرغبات النظام السياسي، في صراع محموم مع الشيعة داخل المملكة وخارجها، فاعتبرت حربها مع المواطنين الشيعة عملاً من أفضل وأخلص الأعمال التي يتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى.

ويلاحظ أنه رغم الموقف المبدئي لرجال المؤسسة الدينية الرسمية في تكفير من خالفهم المذهب..إلاّ أنه يمكن تلمس تخفيفاً لحدة طرحهم حسب الظروف السياسية التي تتطلبها المصلحة السياسية العامة لحكومة العائلة المالكة...حيث لاتطرح مسألة تكفير أو تفسيق سنّة الحجاز ــ مثلاً ــ، إلاّ في أحايين قليلة، وبدوافع سياسية، مثلما حدث قبل سنوات قلائل مع الشيخ الدكتور علوي المالكي، الذي إصطدم مع الحكومة، فانبرى علماء المؤسسة الدينية إلى تكفيره، وظهرت الكتب التشنيعية بحقه.

بالنسبة للموقف من الشيعة هناك آراء متضاربة، سببها الأساس مجاراة سلك العلماء التقليدي والرسمي لسياسات الدولة التي تشذّ عن قاعدة العداء والخشونة في بعض الاحيان.

في عام ١٣٩٦هــ ١٩٧٦م، أصدر الشيخ عبد العزيز بن باز، وكان حينها رئيساً للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، فتوى يقول فيها أنه " لايرى صحة الصلاة خلف الزيدية والإمامية

---

240 أيمن الياسيني، مصدر سابق، ص، ٧٦و٧٧

241 المصدر السابق، ص١، ٦.

242 المصدر السابق ص، ٥١,٥٢

"، وبرر ذلك بان الشيعة يزيدون في الأذان جملة " حي على خير العمل" التي يثبت الفقهاء جميعاً أنها جزء من الأذان.والزعم بان الشيعة يسبُّون الصحابة، وان " الزيدية وبقية أصناف الشيعة الموجودين اليوم كالإمامية مغالون في أهل البيت بأنواع من الشرك "إلى غير ذلك..وقد أثارت فتوى الشيخ عبد العزيز بن باز ضجة في الأوساط الإسلامية، على ما فيها من تهجم وإفتراء، فتراجع عن بعض ما فيها بفتوى أخرى في ١٣٩٦/٩/٢٢هـ، وبأمر من الحكومة السعودية نفسها، قال الشيخ في الفتوى :" أقول أن هذه الفتوى التي سبق ذكرها قد رجعت عنها بالنسبة إلى ما فيها من التعميم والإطلاق لأن الهدف هو الأخذ بالحق والدعوة إليه، وأعوذ بالله أن أكفر مسلماً، أو أمنع الصلاة خلف مسلم بغير مسوِّغ شرعي، والواجب أن يؤخذ كل إنسان بذنبه، وان يحكم عليه بما ظهر من أقواله وأعماله. فكل إمام علم منه ما يدل على أنه يغلو في أهل البيت أو في غيرهم، وسواء كان من الزيدية أو من غيرهم، وسواء أكان في اليمن أو غير اليمن، فإنه لايصلى خلفه، ومن لم يعرف بذلك من الزيدية أو غيرهم من المسلمين، فإنه يصلَّى خلفه.والأصل سلامة المسلم ممَّا يوجب منع الصلاة خلفه، كما أن الأصل سلامة المسلم من الحكم عليه بالشرك، حتى يوجد بأمر واضح، وبيِّنة عادلة ما يدل على أنه يفعل الشرك أو يعتقد جوازه.هذا هو الذي أعتقده وأعلنه الان لإخواننا في اليمن وغيرها، وقد تقدم أن الحق ضالة المؤمن متى وجده أخذه، ومعلوم أن العصمة لله ولرسله، وكل مفتي وكل طالب علم، قد يقع منه بعض الخطأ أو بعض الإجمال، ثم وبعد وضوح الحق وظهوره يرجع إليه وفي ذلك شرف وفضل ".

في عام ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠، حدثت بعض الإثارة بين الطلبة الشيعة والسنَّة الجامعيين في الرياض، بسبب منع الشيعة من الصلاة في مسجد كليَّة العمارة والتخطيط، مما أدى الكثير من المشاعر وأثار الكثير ممن التساؤلات.وبناء على ما حدث، بادر أحد الطلبة بالإتصال بالشيخ عبد العزيز بن باز هاتفياً في يوم الثامن من شهر جمادى الثانية ١٤٠٠هـ، وسأله عن رأيه في ما حدث فقال :"لا يجوز منع الأخوة الشيعة من الصلاة في المسجد مع السنَّة، بل يشجعون على ذلك، مع بذل النصيحة والتوعية والإرشاد العام إلى ما قد يبتدع من أفعال في الصلاة إن وجدت..ومن نقل عني، أو قال بأني أكفرهم فهو إما كاذب أو مخطئ..ومع أننا لا نملك الكشف عمَّا في قلوب عباد الله ونياتهم، فإننا نقوم بالنصح ونوكل السرائر إلى الله تعالى. هذا وتوجد بعض الفرق تعتقد بألوهيَّة علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وهذه هي الطائفة التي

نكفّرها، ولا نعتقد بأن من عندكم ـــ في الجامعة ـــ هم من هذه الفئة.ونرجو منكم الحكمة وعدم إثارة الفتنة، والله أعلم، والسلام على من أتبع الهدى"[٢٤٣].

كانت الفتوى متأثرة بالطبع بالأحوال السياسية الداخلية في المملكة، حيث فرغت الحكومة للتوّ من مواجهة حركة المرحوم جهيمان المتأثرة بالتعصب الفكري، كما فرغت للتو من إخماد إنتفاضة الشيعة التي سببها الإضطهاد الطائفي، وفوق هذا لا تزال الأوضاع الإقليمية ساخنة، بعيد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وكانت تأثيراتها تتموج في المنطقة العربية والإسلامية...لذا كان النهج السياسي العام للحكومة يأخذ هذه الإعتبارات بالنظر، فجاءت الفتوى مطابقة للتصورات السياسية للمرحلة.

أما بعد أن دخلت الحكومة السعودية في صراع مكشوف مع إيران بعد أن أشعل صدام الحرب الخليجية الأولى، فقد تغيرت الفتاوى حسب الأوضاع المستجدة، كما تغيرت لهجة الخطاب السياسي والديني والإعلامي، ليصب كله في الجدول الطائفي، وإذا كان الشيخ عبد العزيز بن باز، غفر الله لنا وله، قد تراجع عن التعميم الذي جعل الشيعة جميعاً من المشركين، فإنه في السنوات التالية للحرب، لم يتورع عن تأييد كل المنشورات والكتب الطائفية، وطباعتها على نفقة الجامعة الإسلامية، أو على نفقة اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، بل وساهم هو شخصياً في الكثير مما كان يروّج له من مقولات طائفية مفترات.

من الأمثلة التي يمكن الإشارة إليها، جوابه على سؤال ورده يقول : إن بعض الناس يرى أنه يجب على المسلم لكي تقع عباداته ومعاملاته على وجه صحيح أن يقلد أحد المذاهب الاربعة المعروفة، وليس من بينها مذهب الشيعة الإمامية ولا الشيعة الزيدية، فهل توافقون فضيلتكم على هذا الرأي، على إطلاقه، فتمنعون تقليد مذهب الشيعة مثلاً ؟.

أجاب الشيخ، خلافاً لرأي الأزهر ومشائخه :"...لا يجوز للمسلم أن يقلد مذهب الشيعة الإمامية ولا الشيعة الزيدية، ولا أشباههم من أهل البدع كالخوارج والمعتزلة والجهمية وغيرهم "[٢٤٤].

---

[243] قام بالاتصال بالشيخ عبد العزيز بن باز المهندس علي الأخضر على المقيم، وذكر الأخير رقم تلفون الشيخ لمن اراد أن يتأكد من الأمر، وقد طبع علي الاخضر جواب الشيخ بن باز في منشور وزعه على الطلاب، ونصحهم فيه بالالفة والوحدة

[244] جريدة اليوم السعودية الصادرة في الدمام، عدد ٥٢٠٨.والمؤرخ في الخامس والعشرين من محرم ١٤٠٨هــ الموافق للثامن عشر من سبتمبر ١٩٨٧م.

نفس السؤال الموجه للشيخ ابن باز مستل نصاً من سؤال سبق توجيهه لشيخ الأزهر الأسبق المرحوم الشيخ محمود شلتوت، فأجاب عليه بما نصه :" إن الإسلام لا يوجب على أحد من أتباعه إتباع مذهب معين، بل نقول : إن لكل مسلم الحق في أن يقلد بادئ ذي بدء أي مذهب من المذاهب المنقولة نقلاً صحيحاً والمدونة أحكامها في كتبها الخاصة، ولمن قلد مذهباً من هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيرها لاي مذهب كان، ولا حرج عليه في شيء من ذلك، وان مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الامامية

الإثنا عشرية، مذهب يجوز التعبد به كسائر مذاهب أهل السنة.فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك وان يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة، فما كان دين الله وما كانت شريعته بتابعة لمذهب، أو مقصورة على مذهب، فالكل مجتهدون مقبولون عند الله تعالى، يجوز لمن ليس أهلاً للنظر والاجتهاد تقليدهم والعمل بما يقررونه في فقههم، ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات".

لقد كان للشيخ محمود شلتوت رحمه الله دور مهم في محاربة الفتن الطائفية، والتقريب بين صفوف المسلمين وله الكثير الكثير من الاحاديث الصحافية وغيرها التي تحض إلى الوحدة والاتحاد ونبذ التطرف والتعصب.كان رحمه الله يقول : " لقد مضى زمان العصبية ..كلنا مسلمون..ومذاهبنا جميعاً تنبثق من أصل واحد هو رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، ، كتاب الله وسنّة رسوله..إن بيني وبين كثير من أئمة الشيعة رسائل تهدف وجوب التقريب، ونزع ما بين السنّة والشيعة من عصبية إنتهزها الأعداء والمستعمرون للتفريق بين الشعوب الإسلامية الواحدة..إن الاستعمار يحاول أن يجد ثقوباً ينفذ منها إلى وحدة المسلمين..ولقد رجحت مذهب الشيعة خضوعاً لقوة الدليل في كثير من مسائل المسلمين، أخص منها ما تضمن قانون الاحوال الشخصية، وإن الباحث المستوعب سيجد في مذهب الشيعة ما يقوي دليله، ويأتلم مع أهداف الشريعة من صلاح الاسرة والمجتمع".

وأمر المرحوم الشيخ محمود شلتوت بتدريس الفقه الإسلامي في كلية الشريعة بجميع المذاهب ومن بينها مذهب الشيعة، إمامية وزيدية، وكان يقول :" نحن لا نريد ولا ندعو بين الناس إلى مذهب واحد، لا نريد أن يندمج مذهب الشيعة في مذهب السنة، ولا مذهب السنة في مذهب الشيعة، ولكن نريد أن يصل المسلمون من مختلف طوائفهم إلى لون واضح من ألوان التعاون القائم على المحبة، وعلى ترك العصبية، والترفع عن التنابز بالألقاب، والبعد عن سوء الظن، فإن هذه من شأنه أن يطلق العنان للتفكير في حرية وهدوء والتماس للحقيقة دون خوف أو إضطراب أو بلبلة، ولا يحول بين السني وإنتفاعه برأي أخيه الشيعي، ولا بين الشيعي وإنتفاعه برأي أخيه السنّي مادام الجميع يصدرون عن أصل واحد ".

"لا أنسى أني درست المقارنة بين المذاهب بكلية الشريعة بالأزهر، فكنت أعرض آراء المذاهب في المسألة الواحدة، وأبرز من بينها مذهب الشيعة، وكثيراً ما كنت أرجح مذهبهم خضوعاً لقوة الدليل، ولا أنسى أيضاً أني كنت أفتي في كثير من المسائل بمذهب الشيعة وأخص منها بالذكر ما تجد الناس في حاجة ملحة إليه، وهو يختص بالقدر المحرم من الرضاع، كما أخص بالذكر ما تضمنه، " قانون الأحوال الشخصية، " الأخير، وأذكر على سبيل المثال المسائل التالية :

اولا :الطلاق بالثلاث بلفظ واحد، فإنه يقع في أكثر المذاهب السنّية ثلاثة، ولكنه في مذهب الشيعة يقع واحدة رجعية، وقد رأى القانون العمل به، وأصبحت الفتوى بمذهب أهل السنة لا يقام لها وزن في نظر القضاء الشرعي.

ثانيا: رأى قانون الاحوال الشخصية في تنظيمه الأخير أن الطلاق المعلق منه ما يقع ومنه ما لا يقع، تبعاً لقصد التهديد أو قصد التطليق، ولكن مذهب الشيعة يرى أن تعليق الطلاق مطلقاً ـــ قصد به التهديد أو قصد التطليق ـــ ولا يقع به الطلاق.وقد رجحت هذا الرأي، وكثيراً ما أفتيت به، وكثيراً ما أذعته وكتبته في أحاديثي المتعلقة بالطلاق، وأجوبة السائلين عن إيقاع الطلاق..الخ ".

وقال الشيخ شلتوت رحمه الله عن التقريب بين المذاهب التي إشترك في تأسيس دار لها في القاهرة، بان من حاربها" ضيقوا الافق، كما حاربها صنف آخر من ذوي الأغراض الخاصة السيئة، ولا تخلو أمة من هذا الصنف من الناس، حاربها من يجدون في التفرق ضماناً لبقائهم وعيشهم، وحاربها ذوو النفوس المريضة، وأصحاب الأهواء والنزعات الخاصة..هؤلاء وأولئك ممن يؤجرون أقلامهم لسياسات معرضة، لها أساليبها المباشرة في مقاومة أي حركة إصلاحية والوقوف في سبيل كل عمل يضم شمل المسلمين ويجمع كلمتهم".

وعلق الشيخ الغزالي على فتوى الشيخ الأزهر بجواز التعبد بالمذهب الشيعي في كتابه "دفاع عن العقيدة والشريعة "..“جائني رجل من العوام مغضباً يتساءل :كيف أصدر شيخ الازهر فتواه بان الشيعة مذهب إسلامي كسائر المذاهب المعروفة ؟ فقلت للرجل :ما تعرف عن الشيعة ؟ فسكت قليلاً ثم أجاب :ناس على غير ديننا..فقلت له : لكنني رأيتهم يصلون ويصومون كما نصلي ونصوم..فعجب الرجل وقال كيف هذا؟قلت له : والاغرب انهم يقرأون القرآن مثلنا، ويعظمون الرسول ويحجون إلى البيت الحرام " وفي موقع آخر قال : "سمعت واحداً يقول في مجلس علم : إن للشيعة قرآناً آخر يزيد ينقص عن قرآننا المعروف، فقلت له :أين هذا القرآن ؟ إن العالم الإسلامي الذي امتدت رقعته في ثلاث قارات ظل من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا بعد أن سلخ من عمر الزمن أربعة عشر قرناً لا يعرف إلاّ مصحفاً واحداً مضبوط البداية والنهاية، معدود السور والآيات والألفاظ فإين هذا القرآن الآخر ؟.

ومن الأمثلة، فتواه الشهيرة في محرم ١٤٠٩هـ، بمنع الجزارين الشيعة من ممارسة عملهم، بإعتبارهم مشركين وكفرة، وقد أرسل الشيخ عبد العزيز بن باز ــ غفر الله له ــ خطاباً إلى وزير الشؤون البلدية والقروية " رقم ٢/١٤٥ومؤرخ في ١٤٠٩هـ " حول طلب توجيه الأمانات والبلديات بمراقبة ومتابعة الجزارين العاملين بالمسالخ، وإلزامهم بمعرفة أحكام الذبح الشرعي " وان لا يمكن من ممارسة هذا العمل إلاّ من يثبت أنه مسلم صحيح المعتقد، ينكر الخرافات كعبادة القبور وغيرها مما يعبد من دون الله، وينكر جميع المعتقدات والبدع الكفرية كمعتقد القاديانية والرافضة وغيرها..الخ " [٢٤٥].

ومن الأمثلة الأكثر وقعاً على النفس، الحديث الذي أدلى به سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز لمجلة " المجاهد " التي يصدرها المجاهدون الأفغان..حيث سأله مجري المقابلة " سلطان بن عبد المحسن الخميس " : من خلال معرفة سماحتكم بتاريخ الرافضة، ما هو موقفكم من مبدأ التقريب بين أهل السنّة وبينهم ؟!.

أجاب الشيخ :" التقريب بين الرافضة وبين أهل السنّة غير ممكن، لأن العقيدة مختلفة، فعقيدة أهل السنة والجماعة توحيد الله وإخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى، وأنه لا يدعى معه أحد..والرافضة خلاف ذلك، فلا يمكن الجمع بينهما، كما أنه لايمكن الجمع بين اليهود والنصارى والوثنيين وبين أهل السنّة، فكذلك لايمكن التقريب بين الرافضة وبين أهل السنّة لإختلاف العقيدة التي أوضحناها "!.

ولماذا لم يطلع الإنس والجن على نسخة منه خلال هذا الدهر الطويل ؟لماذا يساق هذا الافتراء ؟ولحساب من تفتعل هذه الإشاعات وتلقى بين الأغرار ليسوء ظنهم بإخوانهم وقد يسوء ظنهم بكتابهم..ان المصحف واحد يطبع في القاهرة فيقدسه الشيعة في النجف أو في طهران ويتداولون نسخه بين أيديهم وفي بيوتهم دون أن يخطر ببالهم شيء بتة إلاّ توقير الكتاب ومنزله جل شأنه ومبلغه صلى الله عليه وسلم، فلم الكذب على الناس وعلى الوحي ؟".

وفي كتابه " كيف نفهم الإسلام " يقول الشيخ الغزالي " لم تنج العقائد من عقبى الاضطراب الذي أصاب سياسة الحكم، ذلك أن شهوات الاستعلاء والإستئثار أقحمت فيها ما ليس منها، فاذا المسلمون قسمان كبيران شيعة وسنة، مع أن الفريقين يؤمنان بالله وحدة وبرسالة محمد صلى الله عليه وسلم ولا يزيد احدهما على الآخر في إستجماع عناصر العقائد التي يصلح بها الدين وتلتمس النجاة ومع اني اذهب في كثير من احكامي عن الامور مذاهب غير مايرى الشيعة، فلست أعد رأيي ديناً يأثم المخالف له، وكذلك موقفي بالنسبة لبعض الآراء الفقهية الشائعة بين السنة، ويضيف، " وكان خاتمة المطاف أن جعل الشقاق بين الشيعة والسنة متصلاً بأصول العقيدة، ليتمزق الدين الواحد مزقتين وتتشعب الامة الواحدة إلى شعبتين كلاهما يتربص بالاخر الدوائر، بل يتربص به ريب المنون، إن كل إمرئ يعين على هذه الفرقة بكلمة، فهو ممن تتناولهم الآية الكريمة "((إن الذين فرقوا دينهم شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون "))، وأعرف أن المسارعة بالتكفير ميسورة في باب الجدل، وان إلزام الخصم بالكفر نتيجة رأي يقول به أمر سهل في حمى النقاش ".

[245] خطاب موجه من وزير البلديات والشؤون القروية السابق، ابراهيم بن عبد الله العنقري إلى أمين مدينة الدمام، في ١٤٠٩/٢/١٤هـ، يأمره فيه " بالحرص على تنفيذ ما تضمنه خطاب سماحته ــ الشيخ عبد العزيز بن باز "، والذي يعني من الشيعة من ممارسة مهنة الجزارة، وطردهم، وقد طردوا بالفعل، وفي مناطق شيعية خالصة كالقطيف !!

وسئل الشيخ مرة أخرى : وهل يمكن التعامل معهم ــ الشيعة ــ لضرب العدو الخارجي كالشيوعية وغيرها ؟.

أجاب الشيخ :" لا أرى ذلك ممكناً، بل يجب على أهل السنّة أن يتحدوا، وان يكونوا أمة واحدة وجسداً واحداً، وان يدعوا الرافضة أن يلتزموا بما دلّ عليه كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم، من الحق، فاذا إلتزموا بذلك صاروا إخواننا، وعلينا أن نتعاون معهم، أما ما داموا مصرّين على ما هم عليه من بغض الصحابة وسبّ الصحابة إلاّ نفراً قليلاً..وعبادة أهل البيت كعلي رضي الله عنه، وفاطمة والحسن والحسين، وإعتقادهم في الأئمة الإثني عشر..كل هذا من أبطل الباطل، وكل هذا يخالف ما عليه أهل السنّة والجماعة "[٢٤٦].

تجدر الإشارة إلى أن هذا الحديث موجهٌ للمجاهدين الأفغان، الذين يواجهون الحكم الشيوعي، وبينهم نسبة غير قليلة من الشيعة تصل إلى ٣٠% من السكان تشاركهم في الجهاد...فافهم لماذا لم يتوفق المجاهدون حتى الان في مسعاهم ![٢٤٧].

---

[246] مجلة الجهاد الأفغانية، العدد العاشر، السنة الأولى، صفر ١٤١٠هـ

[247] لم يصدر الحكم السعودي الفتن الطائفية البحرين ــ كما رأينا فحسب ــ ولكنه صدرها أيضاً إلى كل بلد في العالم تتواجد فيها جاليات إسلامية..ومنها افغانستان بين الشيعة والسنة..وبين السنة أنفسهم، ومنها الباكستان التي يذبح المسلمون بعضهم بعضاً في مذابح تقام كل عام ! ومنها لندن وامريكا واستراليا وأعماق افريقيا، وجنوب شرق آسيا، والبلدان المجاورة، وبالأخص بلدان الخليج، التي إنساق بعضها مع النهج الطائفي إلى آخر مداه، لكن الكثير من قيادات هذه البلدان الدينية والمثقفة الواعية، رفضت ذلك النهج، ومنها الكويت التي كانت ولا تزال مستهدفة بالفتن الطائفية القادمة من وراء الحدود.

وسبق للكويتيين أن حاربوا الفتنة الطائفية التي جاء بها الشيخ عبد العزيز العلجي، من الاحساء إلى الكويت..قال مؤرخ الكويت ــ عبد العزيز الرشيد ــ أن الشيخ العلجي كتب قصيدة طويلة " دس بها سخيمته على عباد الله الصالحين.ورمى فيها المصلحين "، وتعرض فيها للشاعر السيد مساعد السيد عبد الله الرفاعي، قال العلجي في مطلعها :

عذ بالمهيمن من هوى فتان   ما ذاك إلاّ فتنة الشيطان

كما أنشد العلجي قصيدة أخرى أرسلها من الاحساء يكفر فيها عدداً من الناس..وقد ردّ على قصيدته السيد الرفاعي ــ وهو سني مالكي ــ بقصيدة جاء فيها :

لذ بالإله من الجهول الجاني   علج العلوج وفتنة الشيطان
ما باله حطّ الإله مقامه   وأحاط بالذلّ والخسران
خسر السعادة مذ هوى لتعصب   وتشدد ما جاء بالأديان
فغدا يسبّ المصلحين بهديهم   وأخو السباب يبوء بالخذلان

((انظر تاريخ الكويت ــ عبد العزيز الرشيد ــ ص ٤٠٧ ــ ٤٠٨))

وكان الشاعر الكويتي صقر بن سالم الشبيب قد قال قصيدة في أيام تطرف الوهابيين الإخوان، قال فيها :

أدين يا أولي العمات أن لا   يلين لبعضنا بعض مقاله
وان تجفوا الرجال مواطنيها   وتشهر من تخالفها نصاله
يزندق بعضنا بعضا سفاهاً   مطيعين العمائم في الضلال
ويلعن بعضنا بعضا لأمر   علينا مكركم فرض امتثاله
فأبدلتم وئام القوم خلفاً   لتحظوا بالدقيق وبالنخالة
وألبستم خداعكم لثاماً   من اسم الدين مسبلة غلاله

وعلى هدى الشيخ عبد العزيز بن باز وفتاواه، سارت الهيئات الدينية الرسمية الأخرى، ومارست أعمالهما ضمن إطار المشروع الطائفي / السياسي للنظام..فهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القطيف والاحساء أصبح همها إصدار قرارات التضبيق والخناق على المواطنين، بشأن الاحتفالات الدينية في ذكرى مولد الرسول وذكرى وفاته صلى الله عليه وآله وسلم، ومتابعة نشاط المآتم الحسينية الشيعية، وملاحقة المؤذنين الشيعة، إضافة إلى قرارات الشرطة والإمارات المحلية [248].

من الواضح في الوقت الحالي، أن المؤسسة الدينية الرسمية والهيئات التابعة لها تسير على النهج السلفي المتزمت القديم، ولم تغير مواقفها من الشيعة، وكان القرار السياسي الرسمي يساندها في ذلك، إلاّ في حالات جد نادرة، من الأمثلة الجديرة بالذكر كشاهد على دعم الحكومة للنزعات الطائفية التي تمارسها المؤسسة الدينية التقليدية.

وفي الحقيقة فإن من الصعوبة بمكان تغيير موقف المؤسسة الرسمية التقليدية، لأنها لم تتنازل عن أمور تافهة، بل ومخالفة للعلم، فكيف بها تعترف بالشيعة والتشيُّع؟.

عند أولي العلم من كتاب — به قد خصّهم رب الجلالة؟

فهم يتلون دون الناس آياً — إلى قبح الشقاق به سلاله

وتوهم أن في التفريق رشداً — إذا فالرشد مهلك لا محالة

ثم يحذر الشاعر الكويتيين من الفرقة، و عدم طاعة الطائفيين :

أحذركم بني وطني انشعاباً — يهلك الشعب فيه شر آله

إلى كم فوقنا الغمات تلقى — من الأعباء ما نخشى احتماله

وتنفخ روح سؤم الخلف فينا — وتوسع بيننا ظلماً مجاله

لتسلب كل ذي جهل حجاه — وتسلب من يديه بعد ماله

وفي منتصف السبعينيات، ثارت نوازع الفتنة، فأنشد الشاعر خالد سليمان العدساني قصيدة للتقريب بين السنة والشيعة فقال :

قالوا أولاء تشيعوا — وتنكروا وتمنعوا

رفضوا ((الجماعة)) وادعوا — واستكبروا وترفعوا

يا قوم لا تتحيفوا — بالحكم أو تتسرعوا

إن الذين ظلمتمو — أنّى لكم أن تسمعوا

نصروا علياً والحسين — أذاك أمرٌ يفزع ؟

واستلهموا هدي النبي — وما وعيتم قد وعوا

وترسّموا الأركان خمساً — ما رعيتم قد رعوا

وتشيعوا للحق هل — إلاّه شيء يشفع؟

إن فاتنا نصر الحق — لسنا إذن نتشيع

إن كان ضاعت زمرة — منهم فمنا أضيع

أو إن تغالت فئة — فيهم ففينا أفظع

جهلوكم وجهلتموهم — والجهالة مصرع

[248] انظر كتاب عدسانيات، خالد سليمان العدساني، دار ذات السلاسل الكويت الطبعة الأولى ١٩٧٨".

كمثال على ذلك موقف الشيخ من القائلين بدوران الأرض، حيث شكك في إسلامهم وقال بأنهم جهلة وبهائم وأقرب إلى الكفر.

كان الشيخ إبن باز مديراً للجامعة الإسلامية، حين ألف كتابه" الأدلة النقليّة والحسيّة على جريان الشمس وسكون الأرض وإمكان الصعود إلى الكواكب "، قال فيه :"..فلم يزل الناس مسلمهم وكافرهم يشاهدون الشمس جارية طالعة وغاربة، ويشاهدون الأرض قارّة ثابتة، ويشاهدون كل بلد وكل جبل في جهته لم يتغير من ذلك شيء. ولو كانت الأرض تدور كما يزعمون، لكانت البلاد والجبال والأشجار والأنهار والبحار لا قرار لها، ولشاهد الناس البلاد المغربية في المشرق، والمشرقيّة في المغرب، ولتغيرت القبلة على الناس حتى لا يقرُّ لها قرار.وبالجملة فهذا القول فاسد من وجوه كثيرة يطول تعدادها "[٢٤٩].

وأضاف :" ثم هذا القول مخالف للواقع المشاهد المحسوس، فالناس يشاهدون الجبال في محلها تسير، فهذا جبل النور في مكة في محله، وهذا جبل أبي قيس في محله، وهذا أحد في المدينة في محله، وهكذا جبال الدنيا كلها في محلها. وكل من تصور هذا القول يعرف بطلانه، وفساد قول صاحبه، وانه بعيد عن استعمال عقله وفكره، وقد اعطى القيادة لغيره كبهيمة الأنعام، فنعوذ بالله من القول عليه بغير علم، ونعوذ بالله من التقليد الأعمى الذي يردي من إعتنقه، وينقله من ميْزة العقلاء إلى خلق البهيمة العجماء "[٢٥٠].

---

[249] هدد رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القطيف في تعميم له المؤذنين الشيعة، لأنهم ـــ حسب رأيه ـــ يزيدون في الأذان الشرعي "فيرجى التقيد بالأذان الشرعي في جميع المساجد ـــ ومن يثبت لدينا زيادته بعد هذا التعميم فسينال عقابه دون هوادة "" التعميم رق ٦، ومؤرخ في الرابع والعشرين من جمادى الأولى ١٤٠٤ هـ".

من جهة أخرى، إعتادت مديريات الشرطة في المنطقة الشرقية أخذ تعهدات على اصحاب المآتم الحسينية في أواخر كل عام هجري، وفي كثير من الأحيان يرفض القائمون على المآتم التوقيع، فتقنعهم الشرطة بالقوة، أو بالقول أن ذلك مجرد إجراء شكلي، نموذج التعهد والاقرار يقول :

"إقرار بتاريخ (...)

أقر أنا الموقع إسمي ادناه، صاحب الحسينية المسماة (....) الواقعة بمنطقة (....) واتعهد امام المسؤولين عن الامن، أن لا استقدم خطيباً من خارج المملكة أيام محرم، وان أبلغ الخطيب بان يحصر مجال خطابته في الموضوع الحسيني والوعظ الديني، وحصر مكبرات الصوت (أي المكرفون) داخل الحسينية فقط ولا يتعداها إلى أي موضوع آخر.

كما أتعهد بان أمنع أي تجمع خارج اوامام بوابة الحسينية، وان أبلغ عن كل من لا يتعاون في إنفاذ هذه التعليمات، وعمن يحاول إثارة الشغب والمشاكل أو زعزعة الامن وخرق النظام.

وإذا حصل مني خلاف ذلك، أو تهاون، أو عدم إبلاغ عن أي مخالفات، فإني مسؤول مسؤولية مباشرة أمام المسؤولين، وعرضة للجزاء اللازم..

وعلى إقراري وتعهدي هذا اوقّع

المقر بما فيه (الاسم :......التوقيع:...، العنوان:........، تلفون رقم:......الموقع:..........).

[250] الأدلة النقلية والحسية على جريان الشمس وسكون الأرض وإمكان الصعود إلى الكواكب، الشيخ عبد العزيز بن باز، مطبوعات الجامعة الإسلامية رقم ١٦، ط ١٢٩٥هـ، ص ٢٢.

وشكّك الشيخ إبن باز في (إسلام) من يقول بكروية الأرض، وهذا ما دعا الشيخ محمد محمود الصوّاف، وهو عالم عراقي مقيم في المملكة، إلى الكتابة إليه سائلاً إياه التخفيف من حدّة الحكم، خاصة وان رأيه يخالف العلم، قال له :" من هنا يا أخي إنطلقت الضجة حتى أحدثت لها عجاجة في الأفق العلمي، ما كان أغنانا عنها، خاصة وقد صدمت الفتوى الملايين من شباب ورجال يدينون بالإسلام في هذا العصر، والذين اضحوا يعتقدون أن مثل هذه الأمور أصبحت من المسلمات العلمية التي لا يجادل فيها إثنان، فكيف تنفيها نفياً قاطعاً، ويكفر من قال بها، ويحكم عليه بالردّة ويستباح دمه وماله؟!"[٢٥١].

وقد خصص الشيخ عبد العزيز بن باز الفصل الثاني من كتابه للردّ على الشيخ الصوّاف..ومن جملة ما ردّ به " القول بأن الشمس ثابتة لا جارية كفر وضلال... ويئّدت أني لم أكفر في المقال السابق من قال بدوران الأرض، بل قلت أن في كفره نظر" [٢٥٢]!.وهذا تعطّف من سماحته وتراجع، غير أن المدهش في كل هذا أن كليات العلوم في الجامعات السعودية، تعيش إلى الوقت الحاضر صراعاً بين بعض الطلابة المتطرفين وأساتذتهم حول مسألة دوران الأرض، والأكثر غرابة أن فتاوى الشيخ إبن باز تعاد طباعتها وتوزع، وهو لا يزال يرى نفس الرأي.

إذا كان الفكر السلفي التقليدي المنغلق، لم (يهضم) حتى الان مسألة تافهة أثبتها وأكدها العلم، فكيف يمكن لهذا الفكر أن يتقبل ويستوعب آراء الشيعة ويعترف بأنهم مسلمون، لهم من الحقوق ما لغيرهم، وعليهم من الواجبات ما على سواهم من المواطنين ؟.

الشيعة والتيار السلفي التجديدي:

بعد الغزو العراقي للكويت في الثاني من إغسطس ١٩٩٠م، سلط الضوء على القوى الدينية السلفية في المملكة، نظراً لدخولها ــ أو بعض فصائلها الفاعلة على الاقل ــ الصراع السياسي مع الحكومة، منذ أن إستقدم الملك فهد قوات التحالف الأجنبية لمحاربة الرئيس العراقي، وقد فاجأت هذه القوى الحكومة السعودية والمراقبين الأجانب بمواقف سياسية غير متوقعة.

لقد قيل أن تياراً سلفياً قد انشق سياسياً ــ وليس فكرياً ــ عن المؤسسة الرسمية، وقد أطل بعض رموز هذا التيار إبان ازمة الغزو برؤوسهم، مثل الدكتور سفر الحوالي، والدكتور ناصر العمر، والشيخ فهد سليمان العودة، والشيخ عبد الله الجلالي، وغيرهم.

251 المصدر السابق، ص ٢٤، ٢٥.

252 المصدر السابق، ص ٥٢

ويمكن أن يوصف هذا التيار الذي يتخذ من نجد منطلقاً لنشاطاته، بشيء من التنور والإستقلالية السياسية عن مواقف الحكومة، ولكنه قليل الخبرة بالعمل السياسي المنظم، ويبدو هذا التيار منحى المعارضة لسياسات الدولة.ورغم أنه لا يدعو علانية إلى إسقاط نظام الحكم، إلاَّ أن عدداً من أنصاره لا يخفون بأسهم من إصلاح وضع البلاد السياسي والاجتماعي والاقتصادي على النحو الذي يفهمونه، بما يترك لدى الطرف الاخر شعوراً بأنهم يتبنون إسقاط النظام والحلول محله، إذا ما أتيحت لهم فرصة القيام بذلك.

وتقول مصادر الحكومة أن أنصار هذا التيار متغلغلون في مؤسسات الدولة العليا، بما في ذلك المؤسسة العسكرية، وتتهمهم بأنهم إستفادوا من دعوة الملك للمواطنين للتطوع بأن زجُّوا بالعديد من الطاقات البشرية للإستفادة من تلك الفرصة للتدريب على السلاح، كما تشير تلك المصادر إلى أن العديد من أنصار التيار السلفي الجديد إلتحقوا بمعسكرات تدريب يشرف عليها المجاهدون الأفغان، إتخذت من محاربة الشيوعية والنظام اليساري الحاكم في كابل غطاء لهدفها الأساس وهو إسقاط النظام السعودي.

ومن الواضح أن للتيار السلفي الجديد قدرة كبيرة على حشد الجماهير وتعبئتها إنطلاقاً من المساجد التي يسيطر عليها، كما أن قادته يتمتعون بحماية المؤسسة الدينية التقليدية الرسمية، التي ترى أن بإمكانها حصد بعض التنازلات من الحكومة التي يوفرها تشدد المنشقين، وقد سهلت هذه الحماية ـــ إضافة إلى السيطرة على الجامعات الدينية واحتكار حق الفتيا ـــ حركة ونشاط القياديين السلفيين بحرية دونهما خوف من بطش العائلة المالكة..خاصة وأن الأخيرة ترى أن صدامها مع التيار السلفي سيفقدها القاعدة الدينية التي تستند عليها شرعيتها في الحكم، وهناك تحرك من قبل الأمراء الحاكمين للبحث عن بديل أو مساندة للشرعية الدينية، التي يقوم عليها النظام.

من جهة أخرى تخشى المؤسسة الدينية الرسمية أن تفقد رصيدها في الشارع إن هي لم تدافع عن تلاميذها الذين لا يختلفون معها في المنطلقات الفكرية، وإنما في الموقف السياسي تجاه الحكومة.

سبق ظهور هذا التيار السلفي الجديد، بروز تيار ديني متنور وواسع في الأوساط الشيعية، حيث تقود هذا التيار " منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية " والتي قادت نضال الشيعة منذ منتصف السبعينيات الميلادية وحتى الوقت الحاضر، وذلك لتحقيق أهداف يتفق عليها جمهور الشيعة، وهي: إلغاء سياسة التمييز الطائفي، وإعطاء الشيعة حقوقهم المدنية والعقائدية.

ومع أن المنظمة المذكورة تنشط في الوسط الشيعي، إلاَّ انها تقدم نفسها كقوة وطنية، وتدعو إلى أهداف عامة (إصلاح النظام السياسي بوضع دستور للبلاد وإنشاء مجلس للشورى

وإرساء الحكم اللامركزية، وإحترام التعددية الفكرية والسياسية، وتقنين القضاء وضمان نزاهته).

وتعتبر المنظمة أقوى " تنظيم سياسي" في المملكة، مع أن عدداً من المحللين يعتبرها الجناح السياسي للطائفة الشيعية في المملكة فحسب، وفي حين تتمتع المنظة بشعبية وتعاطف كبيرين في الأوساط الشيعية، وتضم نخبة من المثقفين والواعين، بمن فيهم عدد غير قليل من رجال الدين..ورغم انها تقدم نفسها كقوة وطنية،...الا انها أخفقت ــ على ما يبدوــ في إستقطاب أفراد يعتد بهم من اتباع المذهب السلفي، ويفسر أنصار منظمة الثورة الإسلامية سبب الأخفاق بانه يعود إلى وقوف الحاجز المذهبي كعقبة أمام مجمل العمل الوطني في المملكة، خاصة في عقد الثمانينيات الذي طغت خلاله روائح الصراع المذهبي / السياسي في كل المنطقة العربية والاسلامية.

ومع هذا فإن المتصدين لقيادة المنظمة، يعتقدون بإن هناك إمكانية الوصول إلى اجماع وطني بشأن القضايا المصيرية، وقد استطاعت المنظمة أن تكوُن شبكة علاقات واسعة مع العديد من القوى والشخصيات الوطنية داخل المملكة وفي منطقة الخليج، كما أن لها علاقات حسنة مع الكثير من التنظيمات الإسلامية في الوطن العربي.

واستطاعت منظمة الثورة الإسلامية من خلال عملها الإعلامي المتمثل في إصدار المجلات والكتب والنشرات العديدة، ومن خلال عملها السياسي وعلاقات افرادها بالمؤسسات الصحافية العالمية، وكذلك من خلال عملها في الميدان الحقوقي الذي يستهدف الدفاع عن المعتقلين السياسيين ــ والذين كانوا في الغالب من أتباعها وأنصارها ــ..وإستطاعت أن تحدث تحولاً غير قليل في الرأي العام المحلّي والعربي، والى حدٌ ما العالمي، تجاه ممارسات الحكم السعودي المستبدة، إلى حد يمكن معه القول، أن معظم الكتب التي تناولت موضوع المملكة خلال الإثني عشر عاماً الماضية، أشارت بصورة أو بأخرى إلى تلك الجهود.

والسؤال : كيف ينظر التياران السلفي والشيعي إلى بعضهما البعض ؟!.

يرى التيار الشيعي المسيّس، أن التيار الديني، سواء كان سلفياً أو غيره أقرب إليه من أي تيار سياسي آخر..هذا على الاقل من الناحية النظرية، وقد اتخذ التيار الشيعي مواقف سياسية مؤيدة ومدافعة عن كل التيارات السياسية السلفية التي ظهرت في العقود الماضية، إبتداءاً بحركة الإخوان، ومروراً بجماعة المرحوم جهيمان العتيبي، الذي كان يدعو إلى التضييق على الشيعة في المملكة، وصولاً إلى التيار السلفي الجديد، الذي حظيت نشاطاته بتأييد سياسي وتغطية واسعة من قبل التيار الشيعي.

ومع الإختلاف بين التيارين حول أمور مهمة مثل : الحريات العامة الفكرية والسياسية، حيث يرى الشيعة ضرورة إتاحة الفرصة لكل من يريد أن يعبر عن رأي أو فكر أو نقد،

بعكس ما يراه التيار السلفي، ومثل الإختلاف في وسائل التغيير، حيث يرى الشيعة أن الدعوة السلمية المعتمدة على الحجة والإقناع، بعيدا عن التعصب واستخدام القذف والتكفير والشتم، هي الأصلح في تغيير قناعات أفراد المجتمع بمن فيهم القوى الفاعلة المخالفة.

مع هذا الإختلاف، فإن التيار السياسي الشيعي، يرى أن هناك قاعدة عريضة من الأمور الإتفاقية بين مجمل القوى الفاعلة في المجتمع يمكن على أساسها إرساء عمل مشترك، إذا ما توافر الاحترام المتبادل لخصوصية كل طرف ومتبنياته السياسية والفكرية، ووجهات نظره في مسائل الإصلاح.

ويقول أنصار التيار الشيعي في المملكة، أن التيار السلفي الجديد، لا يزال ضيق الأفق، شديد التعصب والحدية، وانه يدعي احتكار كامل الحق، ويرى وجوب تطبيق آرائه على المخالفين شاؤوا ام أبوا.

ويتهم هؤلاء التيار السلفي بانه منغمس في المسائل الطائفية، ليس فقط من الناحية النظرية والفكرية، وإنما يدعو إلى الفرز الطائفي بشكل علني وعملي، فضلاً عن أن بعض أتباعه يدعون بشكل صريح، ليس فقط إلى تكفير المواطنين الشيعة، بل إلى وجوب قتلهم، أو نفيهم من الأرض، إذا لم يرغموا على القبول برأيهم ومذهبهم.

ولايخفى قادة التيار السلفي ولا حتى قاعدته مواقفهم شديدة العنف هذه..بل وجد بينهم من يشنع على الحكومة انها لم تقم بـ " أسلمة " المواطنين الشيعة، وأنها لم تخيرهم بين النفي عن الوطن وبين قبول الحق وهو مذهبهم.

من هنا، فإن مسألة إلتقاء التيارين الشيعي والسلفي الجديد ليس وارداً في ذهن قادة التيار السلفي، على الاقل في الوقت الحاضر، وإن كان هناك من بدأ بغيير رأيه حول موضوع الشيعة في المملكة برمته منذ صدمة الغزو العراقي للكويت.

ويلاحظ أن التيار الشيعي الذي كان ولا يزال يأمل بظهور تيار سلفي متنور حقاً، لا يقع في المطبات الطائفية التي وقع فيها التقليديون، بحيث يستوعب الهم الوطني العام، بعيداً عن الحساسيات الطائفية أو المناطقية..هذا التيار بدأ يشعر بأن العقدة الطائفية تحتاج إلى زمن غير قصير ريثما تحل، على الاقل في أذهان قادة التيار السلفي القدامى والجدد على حد سواء.

والمدهش، أن التيار الجديد الذي يوصف بـ " التنوُّر " هو في معظم الأحيان أكثر طائفية من التيار التقليدي الخاضع للحكومة ومؤشرها السياسي! فهذا المرحوم جهيمان، خريج المدرسة السلفية، والذي إقتحم الحرم المكي الشريف، يبدي مواقفه المتشددة ضد الشيعة فيقول في معرض حديثه عن الحكومة بأنها: "والت وصالحت النصارى، وأوت المشركين من الشيعة والروافض".

ويصل إلى خلاصة رأيه في حكام الدول الإسلامية، ثم يخصص آل سعود بالهجوم فيقول: " إنهم ليس لهم على المسلمين بيعة، ولا تجب عليهم لهم طاعة، ومع ذلك لا يلزم من هذا كله تكفيرهم، بل من أظهر منهم الإسلام حكمنا له به حتى تثبت ردّته عنه، فنحكم عليه بالكفر، مع اعتقادنا أن بقاءهم اليوم هدم لدين الله عز وجل، حتى لو كانوا يدعون إلى الإسلام، نسأل الله أن يريحنا منهم أجمعين..ـ إلى أن يقول ـ وامتازت دولتنا بقسط وافر من هذا التلبيس، منها ومن علمائها، والتي تسمى نفسها اليوم بدولة التوحيد، وإنما وحدت بين صفوف المسلمين والنصارى والمشركين، وأقرت كلاً على دينه كالروافض، وحاربت من خالف ذلك، وقاتلت من قاتل المشركين الذين يدعون علياً والحسين، وقد حاربت كذلك عبادة القبور والقباب، ولكنها أرست قواعد عبادة الريال "(انظر رسالة الإمارة والبيعة والطاعة).

ومع أن جهيمان يعتبر مسألة التكفير خطيرة، وان أكثر من يخوض فيها ممن لاحظٌ لهم من العلم والتجرّد..الا أنه يقول في رسالة "بيان الشرك وخطره" أنه من لم يكفر الشيعة، فهو كافر مشرك، ويضيف قائلاً :" ونريد أن نقف هنا قليلاً ونتساءل : لماذا لا يكفر ـ اليوم ـ من يدعو علياً وفاطمة رضي الله عنهما، وكذلك من يدعو الرسول صلى الله عليه وسلم من دون الله ؟..ولماذا ترك العمل بقوله تعالى: ((إنّما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا))، بل نرى المشركين الشيعة وأمثالهم يملؤون مكة والمدينة ويجاهرون بشركهم ؟!..ثم نتساءل : هل وجد في دين الإسلام من يأخذ الزكاة من الروافض، ويعطيهم الإعانات، ويعتبرهم من رعاياه، كما يعامل اليوم رافضة الجنوب ـ جنوب المملكة ـ والاحساء ".

إن هذا النص غني بالدلالة، حيث يجب ـ من وجهة نظر المرحوم جهيمان، والذي قتله آل سعود بتهمة الكفر والخروج عن الدين !ـ أن يمنع الشيعة من الحج، وان لا يؤخذ منهم زكاة، وان لا يعتبروا رعايا حكومة ترفع شعار الإسلام، ويكون ذلك بطردهم بعد أن يعلن كفرهم على الملأ، كما طالب الإخوان الأوائل.. أن طائفية المتنورين شديدة، بل أن مثل هذه المطالب التي يطالب بها جهيمان، تتخذها الحكومة حجة في المضي في ممارساتها الطائفية.

ومع هذا، فإن من دافع عن جهيمان ونشر مواقفه وقضيته هو وأتباعه، هم الشيعة في المملكة..حيث أصدر التيار الشيعي المسيّس ثلاثة كتب عن واقعة الحرم باللغة العربية، ورابع باللغة الانجليزية..حتى أن الباحث الأميركي، جوزيف كشيشان، إستغرب من هذه المفارقة.

وحتى التيار السلفي الجديد الذي برز على سطح الأحداث بعد الغزو العراقي للكويت، يدعو إلى الطائفية بصورة صارخة، فالذين حاضروا أثناء أزمة الخليج وانتشرت أشرطتهم في ربوع المملكة وخارجها، كانوا صريحين في مواقفهم الطائفية ضد شيعة المملكة بوجه خاص، ويعتبرون موقفهم هذا موقفاً مبدئياً لا تنازل عنه ولا تراجع.

فالشيخ فهد سلمان العودة، اعتبر في محاضرته المعنونة " أسباب سقوط الدول " المذهب الشيعي : مذهباً باطنياً خبيثاً، وقال أن اليهود والنصارى كان لهم دور في نشوء الفرق "الرافضية والخوارج ".

وفي محاضرة أخرى، ألقى الشيخ فهد قائمة أمور تتديد بالدولة، وكان أغلبها يتعلق بمسيرة النساء اللاتي تظاهرن في أواخر ١٩٩٠م، مطالبات بالسماح لهنّ بسواقة السيارة..وكان من بين ما ندد به، أن " رافضية !" من القطيف تشغل منصباً إدارياً وسطياً في إحدى الكليات بالدمام !.

وفي كتابه الذي صدر في المملكة قبل وقوع الغزو العراقي بشهرين ــ أي في يونيو ١٩٩٠ــ والذي حمل عنوان : " في حوار هادئ مع محمد الغزالي "، وهو يحوي مناقشة لكتابات الشيخ محمد الغزالي، وبالخصوص كتابه :" السنّة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث" والذي هاجم فيه الغزالي السلفيين ونهج تفكيرهم..إعترض العودة في كتابه هذا على موقف الشيخ الغزالي من الشيعة، وانتقد دعوته لوحدة المسلمين القائمة على أن الشيعة لا يفترقون عن الجمهور في إعتماد الأصول.وراح الشيخ العودة يشنّع بحديث الوحدة، لأن " الذين قتلوا عمر هم المجوس، وأحفادهم لقوا من الشيخ الغزالي حفاوة، أنهم هؤلاء الرافضة الذين يقول الشيخ أنه لا خلاف بيننا وبينهم لا في الأصول ولا في الفروع ".

أما الدكتور سفر الحوالي، فمحاضرته لم تخل أيضاً من اللحن الطائفي. وفي رسالته المطولة التي زادت على ١٣٥صفحة، والتي أرسلها إلى الشيخ عبد العزيز بن باز، والتي يشرح فيها موقفه وتحليله السياسي والديني من أزمة غزو الكويت..نعت الحوالي الشيعة في المملكة وغيرها بــ " الرافضة " في كل مواقع الرسالة.وكان من بين ما كتبه من تحليل طائفي : " كان طبيعيا أن تقوم دول الخليج بمساندة العراق، لأسباب كثيرة منها تهديدات قادة الثورة الرافضية..ومنها الدوافع القومية والوطنية، ومنها تشجيع الولايات المتحدة خاصة لذلك، والتخوف من قيام تحالف إيراني سوري يشمل رافضة لبنان ومنظمة التحرير، مما قد يشكل خطراً ولو جزئياً على اسرائيل أيضاً ".

والشيعة في المملكة بنظره " موالون للخميني "، موحياً بأنه لا ولاء لهم لوطنهم وأرضهم..وبرر سكوت رجال المؤسسة الدينية الرسمية في المملكة عن جرائم صدام ــ بحق السلفيين في العراق وحدهم ! ــ بأننا " سكتنا متأولين أن قيام صدام في وجه الطاغوت الرافضي الخميني، يجعل هذه المساعدات الهائلة داخلة ضمن مصلحة الإسلام العامة ".

وتحدث الدكتور الحوالي بعقليّة الطائفي المأخوذة، في تحليله لمستقبل النظام الدولي الجديد الذي بشرت به أمريكا بعد الحرب، فأبدى إنزعاجه من أن يحل تحالف شيعي بعد انتهاء صدام، ويضم " إيران وسوريا والعراق، والذي سيصبح دولة شيعية خاصة بعد فصل الأكراد،

ثم بقية المناطق الخليجية كالبحرين والأمارات وشرق السعودية ـــ والوجود الشيعي واضح فيها ـــ، ولا ننسى أن كثيراً من الناطقين بالعربية في جنوب تركية من النصيرية أيضاً، أما باكستان فكثير من قادة جيشها الكبار شيعة، ومعهم أخوانهم من القاديانية والبريلوية "!.

ويضيف :" انها مصيبة عظمى لو أصبح هذا القوس الكبير قوساً رافضياً يهودياً توجهه الصليبيّة الغربية المتحالفة، وهنا يجب على علمائنا الكرام التنبيه إلى الخطر الرافضي القادم، وبيان فداحة الخطأ الذي تقع فيه عندما تؤيد المعارضة العراقية الرافضية وتسميها (المعارضة الإسلامية)، وتصف آيات الله خلالها بأنهم علماء الإسلام، في حين تهاجم بلا هوادة جبهة السوادن وجبهة الجزائر وأمثالها من الحركات الإسلامية، التي مهما أخطأت فهي لا تقارن بخطر الرافضة !!.. إن الرافضة هم أولياء اليهود والنصارى في قديم الدهر وحديثه ولا أظن الغربيين إلاّ وقد أدركوا الفرق بينهم وبين أهل السنّة جيداً.وأخشى ـــ لا قدر الله ـــ أن نصحو على أمبراطورية مجوسية تمتد من الهند إلى مصر !!، أما إن صحونا الان، فسنقطع عليهم الطريق بإذن الله "!.

لاحظ أن هذا التحليل ينشر كتابة وقولاً في ظل الظروف الخطيرة التي كانت تمر بها البلاد أثناء الغزو، وكأن أي عبرة لم تستقى من إنقلاب الرئيس العراقي على حلفائه وأعوانه بالأمس القريب.

وقد إصطاد من يريد الإصطياد، أخطاء التيار السلفي، ومنحاه الطائفي المتشدّد.. فمن جهة الحكومة، فإنها تحاول إقناع المواطنين الشيعة بان ما يجري بحقهم من إضطياد وتمييز، إنما هو سبب" ضغط الطائفيين السلفيين "، وهي تحاول إقناع التيار الشيعي، باذه خير له أن يقف مع العائلة المالكة، والا فلينتظر المذابح أن وصل دعاة الطائفية إلى الحكم!.

تدّعي حكومة العائلة المالكة انها واقعة تحت ضغط في قراراتها وسياساتها الطائفية، وهذا تبرير اعتاد المواطنون الشيعة على سماعه من الأمراء بشكل دائم، والذين يضيفون بأن تياراً سلفياً قوياً في المؤسسات والوزارات، وله علاقات قوية وتأثير كبير على المسؤولين الذين لا يستطيعون إلاّ أن يتجاوبوا مع مشاريعه الطائفية.

وبلا شك فإن هناك تأثيراً كبيراً من قبل التيار السلفي التقليدي والجديد على العائلة المالكة، لكن إلى أي حد يمكن لحكومة أن ترضخ لقضايا تمس الوحدة الوطنية في الصميم، والى أي حد يمكن لحكومة أن تتساهل في قضية تمس الوضع الأمني، ووفق أي مقابل تقدم الحكومة تنازلات تجحف بحق فئة غير قليلة من المواطنين ؟!.

رغم أن حكم الأمراء السعوديين علماني مثله مثل أي حكم علماني آخر في المنطقة العربية، ورغم أن ممارسات أفراد العائلة المالكة الخاصة لا علاقة لها بالإسلام من قريب أو

بعيد، وان القضايا المذهبية لا تستثيرهم بإعتبار أنهم لا يقيمون وزناً ذا بال للدين الإسلامي نفسه.

رغم هذا يجب الإعتراف بأن هناك ضغطاً يمارسه التيار السلفي على المسؤولين في الدولة، وهذا الضغط طبيعي جداً، فطالما أن نظام الحكم بحاجة إلى مسوغ شرعي يوفره رموز التيار السلفي، فمن البديهي أن يكون لهؤلاء مقام ونفوذ في أجهزة الدولة يوازي ما يقدمونه للنظام نفسه..لكن أن تقدم التنازلات على حساب فئة أخرى من المواطنين، فذلك مرهون بقرار أكبر من الأمراء، وليس بسبب الضغط الذي تمارسه المؤسسة الدينية فقط، خاصة وأنه ليس مشهوداً للأمراء السعوديين في الماضي والحاضر بأنهم يهتمون برفع يد الخناق عن مواطنيهم الشيعة.

ومع الاعتقاد بأن المؤسسة الدينية تمارس ضغوطها في موضوع الشيعة وفي غيره، إلاّ أن الحكومة قادرة على تجاوزها، مثلما ضربت عرض الحائط بكثير من آرائها وفي أمور أكثر أهمية كما في أمور تافهة أيضاً، إذا تعارضت مصلحة الأمراء مع رؤية مشائخ السلطة، إذ انهم لا يعيرون أي إهتمام للفتاوى ولا المفتين..من هنا يصدُر المواطنون الشيعة، على القول بأن سياسة التمييز الطائفي قائمة ومستمرة بقرار من أعلى السلطات، وهذا القرار متجاوب بشكل طبيعي مع توجهات التيار السلفي ورغباته.

إن الحكومة السعودية تنظر ــ كما تدل الشواهد التاريخية ــ إلى أي فئة من المواطنين لا تلتزم بالمذهب الرسمي، على أنها معارضة للنظام، اوعلى الاقل تحمل بذور المعارضة له، أي أن الأمراء السعوديين لايفرقون بين الاختلاف في المذهب والفكر، وبين المعارضة السياسية..وقد كان همُّ الحكومة السعودية طيلة العقود الماضية ينصبُّ بدرجة أساس على تذويب الفوارق المذهبية عن طريق القوة ليبقى مذهبها الفكري مسيطراً وهو الذي يشكل أرضية الولاء السياسي للعائلة المالكة.

وإذا ما وقع الصدام بين التيار السلفي المتشدد وبين الحكومة، فإنه لا يؤمل شيء كثير على نتائجه، وذلك بالنظر للحالات الشبيهة لهذه الحالة والتي وقعت في الماضي ــ صراع الإخوان مع الملك عبد العزيز ــ، لكن من المحتمل أن تخف حدّة الإستقطاب الطائفي، إذا ما شعرت الحكومة أنها إستنفذت أغراضها من مروّجي الهيجان الأعمى والذين فتحت الباب لهم على مصراعيه في السنين الماضية، واستثمرت نشاطهم الطائفي في حروبها الداخلية والخارجية.

ليست الحكومة وحدها تسعى للإستفادة من أخطاء التيار السلفي في طروحاته الطائفية المتشنجة، بل حتى المنافسين أو المتصارعين مع ذلك التيار من الليبراليين..فهذا الدكتور غازي القصيبي ــ وزير الصحة السابق، وسفير المملكة الحالي في البحرين ــ يقول في كتابه

" حتى لا تكون فتنة " [253]في معرض حديثه عن التيار السلفي الجديد، الذي وصف قيادته بـــ " الفقهاء السياسيين " :" من منطلق المعارضة السياسية التي تستهدف إضعاف نظام الحكم، لا يتورع الفقهاء السياسيون عن شقّ وحدة الأمة بكلام غير مسؤول عن جزء كبير من شعب المملكة، هم الشيعة.فهذا فقيه سياسي ـــ الشيخ العودة ـــ يقول : وأولئك قوم من الرافضة، لديهم علماء يتبعون وليسوا علماء، بل علماء ضلال..وهذا فقيه سياسي ـــ ناصر العمر ـــ في محاضرته (السكينة...السكينة) يقول كلاماً أكثر خطورة :إننا في وضع حرج جداً، البعثيون، اليهود، الرافضة، النصارى ".

ويعلّق القصيبي على دعوات هذا التيار بقتل المعارضين له من " العلمانيين " وغيرهم، وهي دعوة سافرة أعلنها الشيخ عائض القرني، علّق على ذلك بالقول :"هذه أول مرة في تاريخ المملكة تتم فيها الدعوة إلى حرب أهلية وبهذه الصورة العلنيّة الإستفزازية ".

وشنّ الدكتور القصيبي حملة قوية على الشيخ عائض القرني، الذي قال في إحدى محاضراته (سهام في عين العاصفة)[254]: " كيف إذا أخذت رؤوسهم بسيف ولي الأمر ـــ الملك ـــ الذي يحمي رسالة التوحيد، فصلبهم بعد صلاة الجمعة وقطف رؤوسهم..ومن أعظم ما ينتظرون سيف العدل المشهور الذي أخذ رؤوس قطاع الطرق والمدبّرين للفتن، والمروجين للجرائم، وهم ـــ أي المخالفين للتيار السلفي المتشدّد ـــ أعظم من يروّج للجرائم، ويدبّر الفتن، فجدير بالسيف أن يأخذ رؤوسهم "...واستفسر القصيبي :" من هم يا أخي هؤلاء.ثلث الشعب السعودي ؟!.نصف الشعب السعودي ؟!، من هم هؤلاء الذين تريد أن (تقطف) رؤوسهم، وهذا تعبير ما سمعناه إلاّ منك منذ خطبة الحجاج في مسجد الكوفة ؟!).

ورغم أن الدكتور القصيبي، اشار بإقتضاب إلى منحى التيار السلفي الجديد طائفياً، ورغم أن ما قاله كان يجب أن يلفت إنتباه الواعين في التيار السلفي إلى تلك الأخطاء والى حساسيّة الموضوع الطائفي، وان طرحهم له بهذه الصورة، لا يضر فقط بالوطن والمواطنين، بل يضر بدرجة أساس من يتبناه، رغم هذا فقد حمل ردّ قادة التيار السلفي على ما ذكره القصيبي تأكيداً على موقفهم الطائفي السابق.

ففي الكتاب الذي طبعوه في خارج المملكة رداً على كتاب القصيبي، والذي حمل عنوان (العلمانية في العراء / القصيبي..شاعر الأمس وواعظ اليوم)..قال أحد أقطاب السلفيين الجدد، وهو الدكتور محمد بن سعيد القحطاني ـــ المدرس بقسم العقيدة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ـــ..قال : " في ردّك على الشيخ العودة، بينت للقارئ أن الرافضة جزء كبير من شعب

---

[253] المصدر السابق، ٧٢، ٧٢

[254] حتى لا تكون فتنة، الدكتور غازي القصيبي، لندن ١٩٩١، والكتاب يحوي هجوماً شديداً على التيار السلفي وأطروحته السياسية والفكرية، كما ويحوي تحريضاً للحكومة على ضرب ذلك التيار وتصفيته، وقد طبع الكتاب خارج المملكة مرتين.

المملكة..والله لقد عجبت منك يا دكتور وأنت سفير بلاد التوحيد، الذي تدرك أن لكلامك مسؤولية ليست سهلة، كيف تجرأت بهذه المقولة، وأنت تعلم انها مجانبة للصواب..أم أن هذا عربون مودّة بينك وبين الرافضة ؟!. هل الرافضة جزء كبير من أرض جزيرة العرب ؟.الرافضة في أرضنا شرذمة قليلة، وأرض الرسالة والحرمين الكثرة الكاثرة من سكانها هم من أصحاب التوحيد"[٢٥٥].

وردّ الدكتور القحطاني على إتهام القصيبي للشيخ العودة، بان الأخير يريد تكرار تجربة ولاية الفقيه في المملكة، ردّ القحطاني بكثير من السباب والطعن في " الرافضة " [٢٥٦].

وردّ آخر ــ هو الدكتور وليد الطويرقي ــ على القصيبي بأمر الشيخ عبد العزيز بن باز، فقال :" الدكتور غازي القصيبي يريد تشبيه علمائنا الأفاضل بعلماء الرافضة..ان قضية ولاية الفقيه حلٌ لمشكلة يعيشها الرافضة..لا يوجد بالمملكة خميني، ولكن يوجد أتباع المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، أحفاد إبن تيمية وإبن عبد الوهاب، ينفون على الدين تحريف الغالين وإنتحال المبطلين "[٢٥٧].

إن نظرة التيار السلفي المتشنِّجة تجاه الشيعة وغيرهم أيضاً، لا تحرمه فقط من التعاطف والتعاون، بل وتقلل من فرص نموّه وامكانية سيطرته على الحكم ــ إن كان يخطط لذلك فعلاً ــ..ذلك أن القاعدة التي يعتمد عليها التيار السلفي في نجد لا يزيد عددها كثيراً عن عدد الشيعة، وإن كانت فعالية الأخيرين أضعف، بسبب التمييز والحرمان الطائفي، وبسبب تسلُّق أنصار التيار السلفي بسهولة للمناصب الحكومية، وتعضيد الدولة له بالإمكانات الماديّة والمعنويّة.

ويشير تقرير أعدّته الصحافية والكاتبة البريطانية "هولغا غراهام "، إعتماداً على مصادر سعودية حجازية، إلى أن النجديين الذين يستحوذون على الحكم، يشكلُّون ما نسبته ١٥% من السكان، وقالت أن الشيعة في المنطقة الشرقية وحدها يشكلُّون نفس النسبة وهي ١٥%[٢٥٨].

لا شك أن الاصطدام مع الفئات الشيعية في المملكة ودفعهم بالقوة للمعارضة، لا يجلب لأي جهة إلاّ المزيد من المشاكل..فإذا أضيف إلى هذا عداء أو إستعداء الحجازيين ــ وهو حاصل من قبل التيار السلفي بشقيه التقليدي والتجديدي ــ فإن هناك إستحالة بأن يفرض التيار السلفي نفسه، وهو يستعد لمعارك على أكثر من جبهة.

---

[255] كان الدكتور غازي القصيبي يكتب في صحيفة الشرق الاوسط بعد الغزو العراقي للكويت، مقالات يومية تحت عنوان :: في عين العاصفة، فكانت محاضرة الشيخ القرني رداً عليه " سهام في عين العاصفة ".

[256] العلمانية في العراء ــ القصيبي..شاعر الأمس وواعظ اليوم..يحوي ثلاث رسائل رداً على كتاب القصيبي، طبع في الولايات المتحدة في عام ١٩٩١، ص ٧٤

[257] المصدر السابق، ص ٧٥ــ ٧٧

[258] المصدر السابق، ٥١ــ ٥٢

إن التيار السلفي لا يثق في الحجازيين ويعتبرهم "مرتخين" دينياً، كما لا يثق في الشيعة ويعتبرهم " خارجين عن دين الإسلام يحلّ الخوض في دمائهم وأموالهم وأعراضهم "..لهذا يبادلهم الآخرون بشعور سوداوي متقابل، ويصمون اتباع التيار السلفي بالتطرُّف والغلو والإنغلاق.. إلى حدٍّ أن أغلب الحجازيين ـــ ومع إختلافهم مع الحكومة لسماحها للمتشدِّدين في تطبيق آرائهم على غيرهم بالقوة ـــ فإنهم إذا ما خيِّروا بين أن يصل التيار السلفي إلى الحكم، وبين أن يبقى الحكم السعودي نفسه، فإنهم سيختارون الأخير، بإعتباره ـــ من وجهة نظرهم ـــ " أهون الشريّن ".

يمكن تجاوز الكثير من الحساسيّات لو أن التيار السلفي بشكل عام، خفّف من حماسته للحرب الطائفية، واكتفى ـــ على الاكثر ـــ بالحرب الفكرية والفقهية، شرط أن لا تتحول إلى وسيلة تمزق صفوف المواطنين..ولكن حتى هذا القليل لم يحصل، بل أن بعض أنصار التيار السلفي قالوا بأمور لم يقلها غلاة الطائفية الأوائل..حتى أن بعضهم يقول علناً بأنه لو لم يكن للحكومة السعودية من سيئة سوى إبقائها على رعاياها الشيعة لكان ذلك مبرراً كافياً لمحاربتها!.

إن المملكة ـــ شاء الأخوة السلفيون أم أبوا ـــ هي بلد متنوِّع في أقاليمه، التي هي متفاوتة في أمكاناتها الاقتصادية، وتراثها الفكري، وعاداتها وتقاليدها، ومذاهبها، بل حتى في الجغرافيا والتاريخ،...ومثل هذا التنوُّع يجب أن يحترم، أو يغير ما يمكن تغييره بالحجة والإقناع والحوار.

وإذا كانت هذه الأمور قد فاتت السلفيين الأوائل، في الدولتين السعوديتين السابقتين..فانه لا عذر اليوم لأحد في إنتهاج ذات الممارسات القديمة الخاطئة التي لا يرتضيها الدين، والتي لا تتماشى مع خلق المسلمين، ولا مع معطيات العصر.

حريٌّ بالإخوة السلفيين، سواء كانوا طلاّب حكم، أو دعاة إصلاح، أو الإثنين معاً، أن يلتفتوا إلى خصائص شعب المملكة المتنوعة، وان يتدبروا في عبر الماضي القريب والبعيد، حتى لا يتهدد كيان البلاد، فيصبح الوطن مزقاً، ومواطنونا في حرب مع بعضهم البعض.

إذا كان التعاون متعذراً في هذا الوقت، فإن اقلّ ما يمكن للعقلاء أن يدعوا إليه هو " الإحترام المتبادل "، " واحترام خصوصية المخالفين في الرأي والفكر " وإنتهاج العمل السلمي الهادئ والدعوة إلى الله بالحكمة ولموعظة الحسنة..ولا شك أن هناك الكثير من الأمور بحاجة إلى إصلاح، غير أن الإصلاح مستحيل في ظلّ الحرب الطائفية المعلنة من خلال المنابر الإعلامية والتوجيهية المختلفة، ومن خلال القوانين الحكومية.[٢٥٩]

---

[259] صحيفة الاوبزيرفر البريطانية، في الثامن من يونيو ١٩٩١.